مجتمع بنغازي

في النصف الأول من القرن العشرين

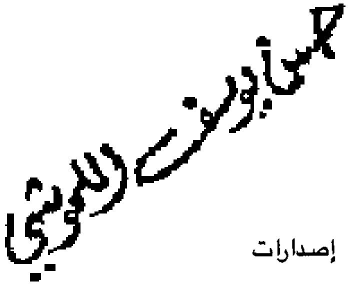


وهبي أحمد البوري

مجلس الثقافة العام

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

مجتمع بنغازي
في النصف الأول من القرن العشرين



إصدارات

مجلس الثقافة العام

الإشراف العام

أ . د . سليمان صالح الغويل

لجنة الإعداد والإشراف

ناصـــــر الدعيـــــسي

علـــــى الفـــــلاح

هلـــــيل البـــــيجو

جابـــر نـــور ســـلطان

محمـــد عـــبدالله الترهونـــي

ســـالم أحمـــد الأوجلـــي

مجتمع بنغازي

في النصف الأول من القرن العشرين

وهبي أحمد البوري

الناشر

مجلس الثقافة العام

اســــم الكــتاب	مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن العشرين
اســـم المؤلـــف	وهبي أحمد البوري
ســنة النــشــر	2008م
رقـــم الإيـــداع	138 / 2008 م (دار الكتب الوطنية)
الترقـــيم الدولـــي	978 - 9959 - 38 – 818 – 6

تـــصميم الغــــلاف	علي العباني
لــــوحة الغـــلاف	طارق الهوني
التنفـــيذ الفنـــي	دار قباء الحديثة - القاهرة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات – سرت

هاتف 002185468622 – بريد مصور 002185473161

فـرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 – بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فـرع بنغــازي - الفويهات الغربية – الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 – 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 – ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني – LCC2_2005@Yahoo.ca

(حقوق الطبع والترجمة محفوظة)

الإهـــداء

إلى جميع الشهداء الذين سقطوا في الحرب مع إيطاليا، والذين ماتوا على أعواد المشانق وفي السجون والمعتقلات وفي المنفى بإيطاليا، أهدي كتابي هذا.

وهبي البوري

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقـــد أقـــدمتُ علـــى وضع هذا الكتاب وأنا أُناهزُ الثانية والتسعين من عمري، وقد ضعفت ذاكرتي وضعف سمعي وبصري، إلا أن الفكرة تولدت لـــدى مُـــنذ خمس سنوات ولم أستطع تحقيقها؛ لأني كنت مشغولاً في وضع كتابـــي (بنغازي في فترة الاستعمار الإيطالي)، وبالرغم من شعوري بأن أوضاعي الصحية لا تساعدني على الكتابة، فقد قررت أن أكتب الكتاب مهما حوى من أخطاء وتقصير وسهو، وأملي عظيم في أن القارئ المحترم سوف يعذرنـــي عـــن هذه الأخطاء إذا ما وقع نظره عليها. والكتاب يتعرض لسرد أوضـــاع مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن العشرين. وتشمل هذه الفتـــرة العهـــد التركـــي، والاستعمار الإيطالي، والإدارة البريطانية، والحكم الذاتـــي. ولكـــل فتـــرة مـــن هذه الفترات وقتها وأحداثها ورجالها ووقائعها وانعكاساتها على مجتمع بنغازي.

فالعشر سنوات الأخيرة من العهد التركي هي نهاية عهد دام عدة قرون، ولـــم يحـــدث فيها أي تغيير جوهري على أوضاع البلاد، فقد استمرت تركيا بوضع يدها على المدن الساحلية وترك الدواخل وأهلها يتصرفون وفقاً لعاداتهم التقليدية. ولم تُحدث تركيا أي تطوير في بنغازي التي ظلت كما هي عليه مُنذ فترة طويلة، وذلك بسبب قلة الأموال لأن معظم الضرائب التي تتحصل عليها الحكـــومة التـــركية كانـــت تُرسل إلى اسطنبول التي لم تراعِ بأن ليبيا متخلفة ومتأخـــرة وتحـــتاج إلـــى جهـــود كبيرة لتصبح بلداً حديثاً كالولايات العربية الأخـــرى. ولم تعرف بنغازي المدارس الحكومية إلا في عام 1885م. وقد كان فـــتح هذه المدارس نعمة على ليبيا حيث تخرج منها أجيال خدموا بلادهم في

مختلف النواحي وكونوا الطبقة المتعلمة في البلاد. ولم تفعل تركيا شيئاً لحماية البلاد من التهديدات الإيطالية المتواصلة، التي كانت تُنبئ عن إصرارها على احتلال ليبيا. فقد قرر رجال حزب الاتحاد والترقي عدم الدخول في حربٍ مع إيطاليا، وترك ليبيا لتلتهمها إيطاليا، وكان هذا آخر عملٍ مجيد قامت به تركيا لإنقاذ ولايتها الأفريقية الأخيرة من براثن المطامع الإيطالية.

وزادت تركيا الطين بلة بتوقيعها على معاهدة لوزان، وانسحابها من ليبيا في الوقت الذي كان فيه بقايا الجنود الأتراك والمجاهدون الليبيون في قمة انتصاراتهم، وقد حاصروا القوات الإيطالية في المدن الساحلية.

وظل الاستعمار الإيطالي مسيطراً على ليبيا ثلاثين عاماً، وظلت مقاومة الوطنيين لهذا الاستعمار أكثر من عشرين عاماً. ثلاثون سنة من الاستعمار الإيطالي قضت فيها إيطاليا على نصف السكان، وقضت على هويتهم ولغتهم، وعاملتهم كما عاملة أمريكا الهنود الحمر. فلولا المقاومة المسلحة التي شغلت إيطاليا عشرين سنة لكانت ليبيا قد امتلأت بمئات آلاف المستعمرين الذين سيستولون على أراضي العرب وممتلكاتهم. لقد جاءت إيطاليا إلى ليبيا بفكرة اتخاذها منفذاً لمئات الآلاف من أبنائها الذين كانوا يهاجرون في كل عام إلى خارج البلاد طلباً للعمل وطلباً للرزق.

وقد احتلت إيطاليا ليبيا وهي لا تزال تُطالب بأراضيها ومدنها التي كانت تحتلها النمسا ولا تريد التنازل عنها إلى إيطاليا. فكان الأحرى بها أن تحرر أراضيها بدلاً من أن تحتل أراضي الغير. وادعت إيطاليا قُبيل احتلالها ليبيا بأنها تريد أن تخلص ليبيا من تخلفها وتأخرها، وتريد أن تساعدها على التقدم والازدهار حتى تصبح كجيرانها العرب. لأنها لا ترضى بأن يكون بلدٌ متخلف بهذا الشكل مقابلاً لشواطئها. وعندما احتلت إيطاليا ليبيا عملت على زيادة تخلفها، وكان أول عملٍ قامت به هو إغلاق جميع المدارس الموجودة، وأنشأت بدلها مدرسة ابتدائية لأبناء العرب، لم يتقدم مستواها أبداً حتى

غادرت إيطاليا ليبيا، وقتلت الآلاف من أبنائها على أعواد المشانق، وأرسلت إلـــى إيطالـــيا آلاف الطرابلسيين ليُسجنوا في سُجونها وعشرات الأعيان من بـــنغازي ودرنـــة ومـــشائخ قبائل برقة، وهو عملٌ لم ترتكبه قبلها أية دولة اســتعمارية. وعــندما قررت إيطاليا القضاء على ثورة عمر المختار كانت مـــستعدة في سبيل هذا الهدف أن تقتل جميع سكان برقة، كما جاء في رسالة مـــن المارشـــال بادولـــيو إلى الجنرال غرازياني التي جاء فيها :" لقد بدأنا بالعملية ويجب أن نستمر فيها حتى نهايتها ولو مات جميع سكان برقة"(1).

وقد حكمت المحكمة الإيطالية الطائرة على 250 شخصاً بالإعدام، وقُتل بـــدون محاكمـــة أكثـــر من 1000 شخص، وهذه المذابح لم تقترفها أية دولة استعمارية أخرى في أي بلدٍ كان. أما سُكان الجبل الأخضر والبطنان وجنوب بـــنغازي الـــذين تم اعتقالهم والإلقاء بهم في معتقلات سرت، فقد كانوا يعانون حـــياة قاسية من قلة الطعام ورداءته ومن سوء المعاملة والقسوة وسوء العناية الطبية، وقد أصابتهم الأمراض المختلفة، فكانوا يتساقطون كما تتساقط الفواكه الناضـــجة من الشجرة. إن ما كان يحدث في هذا المعتقل من تجاوزات وظلمٍ وجلـــد وســـجن وإعـــدام يعجز القلم عن وصفه. وعندما صدرت الأوامر بحل المعتقلات أتضح بأن أكثر من نصف السكان المعتقلين لاقوا حتفهم في المعتقل.

لقـــد كـــان معظم الثلاثين سنة التي حكمتها إيطاليا سلسلة من المآسي باســـتثناء الفترة القصيرة في أخر عهد إيطاليا التي حكم فيها البلاد المارشال (بالـــبو)، والـــذي حـــاول الـــتودد إلى العرب ورفع مستواهم ومساواتهم بالإيطاليين إلا أن مقترحاتهِ قد رُفضت من قبل روما.

ولم تَجن إيطاليا من مستعمراتها سوى الخسائر في الأرواح والأموال والهـــزائم المتـــتابعة. وقد حاول كريسبى رئيس وزراء إيطاليا المتشدد في

---

(1) ANGELO DELBOCA B 0CA-GU ITALIANI IN LIBIA-ROMA 1986.

أفكـــاره الاستعمارية أن يحتل الحبشة ثم يحتل جنوب السودان وليبيا ليصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض دون المرور بقناة السويس، إلا أنه عندما شرع فـــي هجـــومه واجهـــهُ الأحباش بقوة وإصرار وألحقوا به هزيمة نكراء خسر خلالهـــا مـــا يُقـــارب 4500 جـــندي إيطالي، وتسببت هذه الهزيمة في سقوط كريسبى وابتعاده عن السياسة وانكماش إيطاليا والكف عن الحديث عن التوسع الاســـتعماري لعـــدة سنوات. وفي طرابلس كانت هزيمة القوات الإيطالية في شارع الشاطئ أكبر الهزائم التي مُنيت بها في تلك الفترة، ثم تلتها هزائم فزان والقرضـــابية. وفي برقة تعددت هزائمها، ومن بينها معركة يوم الجمعة بقرب درنـــة، ومعركة الرحيبة، وهزيمة بئر بلال، والبريقة، والفايدية، وغيرها من المعارك التي انتصر فيها المجاهدون على القوات الإيطالية.

ولو أن المجاهدين كان لديهم من يساعدهم للوقوف في وجه إيطاليا لما اســـتطاعت الأخيرة التغلب عليهم. ولو أن تركيا أوجدت في ليبيا عشرين أو ثلاثـــين ألـــف جـــندي مزودين بمدافع حديثة، وأصلحت وسائل الدفاع عن طرابلس لما استطاعت إيطاليا احتلال ليبيا والبقاء فيها.

وانتهـــي الاحتلال الإيطالي لليبيا بشكل مُخزٍ، فقد شاهد الليبيون فلول الجيش الإيطالي المنهزم في مذلة وإهانة، وكان العرب ينقضّون على أفراده وينتـــزعون أســـلحتهم منهم. لقد خرجت إيطاليا من برقة وخرج معها جميع الإيطاليـــين بمـــا فيهم الثلاثون ألف إيطالي الذين استوطنوا الجبل الأخضر، ونـــسى الـــشعب الليبي إيطاليا وأعمالها المأساوية واتجه إلى الإعداد لتكوين دولته الحرة المستقلة.

بـــدأ العقد الخامس من القرن بهزيمة إيطاليا الشنعاء في سيدي براني التي قُتل فيها العديد من الجنود الليبيين الذين وضعهم غرازياني في المقدمة. كان الجيش الإيطالي يتألف من أكثر من مائتي ألف جندي، وقد وقع أكثرهم أســـرى بيد القوات البريطانية الزاحفة. وأدت هذه الهزيمة إلى تدخل ألمانيا

وإرســـالها فرقتين مصفحتين بقيادة الجنرال رومل، الذي أخرج الإنجليز من برقة وأعادهم إلى صحراء مصر الغربية. ولم يدم الهجوم الإنجليزي الثاني، على قوات المحور التي وصلت إلى بنغازي واحتلتها مّرة ثانية، سوى شهرٍ عــاد بعده الجيش البريطاني إلى طبرق، ولحقه رومل حتى العلمين وأصبح على مسيرة ساعة واحدة من الإسكندرية، وانقلب الوضع لصالح بريطانيا بعد أن اخترقت الخطوط الألمانية في العلمين، وزحفت نحو بنغازي فاحتلّتها مرّة ثالــثة. وبالاحــتلال الإنجليزي الثالث لبنغازي استقرت الأوضاع في برقة وتــشكلت إدارة عــسكرية بــريطانية لتسيير دفة البلاد، وبدأت بنغازي في الانتعاش وعودة سُكانها إليها.

وقد تركت الحرب بنغازي مدينة مدمرة لا طرق فيها ولا بنية تحتية، ولا كهــرباء، ولا مياه جارية، وشرع الناس في ترميم مدينتهم وشرعوا في الــوقت نفسه يهتمون بمصير بلادهم الذي كان يتولاه وزراء خارجية الدول الكُبــرى الأربعــة، وتتقاذفهُ مطامعهم، فكل دولة من الدول الكُبرى كان لها مطمعٌ في مستعمرات إيطاليا السابقة وبصورة خاصة في ليبيا.

وتــولت الإدارة البريطانية حُكم ليبيا سبع سنوات عاملت فيها السكان معاملـــة الأصدقاء، ولكن بتقشف كبير، وبدأ الشعب الليبي يُطالب بحقوقهِ في الاستقلال والحرية.

وعــاد الأمير إلى بنغازي واعترفت له الحكومة البريطانية بالاستقلال الذاتــي، فــشكل حُكومة وأجرى انتخابات لتكوين مجلس نواب. وطُلب منه الــسفر إلى بريطانيا للتوقيع على اتفاقية مع الحكومة البريطانية، وقد نصت هــذه الاتفاقــية على أن يحتفظ الأمير بجميع الشؤون الداخلية، بينما يحتفظ المعــتمد البريطانـــي بالــشؤون الخارجية والمالية والدفاع وبعض الشؤون القانونــية والإشــراف علـــى أملاك الإيطاليين. وكانت هذه أول خطوة في الطريق الصحيح نحو استقلال ليبيا ووحدتها.

وبـــدأت القضية الليبية كالكرة تتقاذفها الدول الكُبرى دون أن تجد لها حـــلاً، وحتـــى إيطالـــيا المهزومة كان لها مطمعٌ في الحصول على وصاية طـــرابلس. وأخيراً تقرر إحالة قضية المستعمرات الإيطالية السابقة إلى الأمم المـــتحدة لتـــتخذ بشأنها ما تشاء، واتفقت الأمم المتحدة على وضع طرابلس تحـــت الوصـــاية الإيطالـــية، وبرقة تحت الوصاية البريطانية، وفزان تحت الوصـــاية الفرنسية، إلا أنه أمام ردود فعل الشعب الطرابلسي تراجعت الأمم المتحدة في قرارها وأصدرت قراراً جديداً بمنح ليبيا الاستقلال خلال أول يوم من عام 1952م.

وعيـــنت الأمـــم المـــتحدة مـــندوباً للإشـــراف على تنفيذ هذا القرار، وعارضـــت مصر والجامعة العربية وجزءٌ من الطرابلسيين الإجراءات التي اتخـــذها مـــندوب الأمم المتحدة لتحقيق استقلال ليبيا، وظلت هذه الخلافات والمعارضات قائمة حتى بعد استقلال ليبيا ووحدتها.

وكانـــت فـــرحة برقة لا حدود لها بأنه بعد الحروب والمآسي والموت والسجون والغارات الجوية ومآسي الحرب قد استطاعت أن تؤمن استقرارها وتُعلـــن استقلالها كبلد مستقل. ولم يدم الوضع الجديد في برقة أكثر من عام واحـــد أُعلـــن بعده استقلال ليبيا وانضمام برقة إلى الوحدة الفدرالية الليبية، وتحولت حكومة برقة إلى حكومة إقليمية تابعة للوحدة الليبية. وتحول رئيس الـــوزراء إلـــى والٍ ومجلـــس الـــنواب إلى مجلس تشريعي والحكومة إلى مجلس تنفيذي.

فازت ليبيا باستقلالها لأول مرة، وتشكلت حكومة ليبية برئاسة محمود المنتـــصر وعـــضوية وزراء من طرابلس وبرقة وفزان. وهذه أول مرة في التاريخ تتوحد ليبيا إذا استثنينا وحدة القرمانلي الشكلية والوحدة التي أوجدتها إيطالـــيا في آخر عهدها. فلم يسبق لليبيا أن توحدت في دولة واحدة إلا الآن. وكـــان بعض الطرابلسيين ومعهم مصر والجامعة العربية وبشير السعداوي

ومؤتمره الوطني غير راضين عن الوحدة الفدرالية، وينادون بالوحدة التامة وإعادة وضع الدستور من قبل جمعية منتخبة انتخاباً نسبياً. إلا أن المعارضة لم تستمر ولم تؤثر في أوضاع البلاد، وصارت الحكومة الجديدة في طريقها بأمـــان وثقة لولا بعض الخلافات التي طرأت بينها وبين ولاية برقة وولاية فزان والحاشية الملكية.

وقد سجل النصف الأول من القرن العشرين أهم أحداث برقة وانتقالها مــن العهــد التركي إلى العهد الإيطالي إلى الإدارة البريطانية ثم الاستقلال، وكانـــت جمـــيع هـــذه العهــود التي مرت بالبلاد مليئة بالأحداث كما ذكرنا وبالمتغيـــرات والحـــروب والمفاوضات إلى أن استقر الأمر في النهاية على حصول برقة على استقلالها الذاتي ثم على استقلالها كجزء من ليبيا الموحدة. وكـــان الفقر والحاجة ملازمين للشعب الليبي بأكمله طيلة نصف هذا القرن، ولــم يـــنعم بالـــرخاء والاســـتقرار والخير إلا بعد استقلال البلاد وممارسة حكومـــتها للـــشؤون الدولـــية، والتفاوض مع الدول من أجل الحصول على المساعدات المالية، وتحسنت بصورة كبيرة أوضاع البلاد المالية بعد العثور على البترول فأصبحت ليبيا دولة مانحة لا متلقية للمساعدات.

وأود بهـــذه المناســـبة أن أتوجه بخالص الشكر والامتنان إلى الأساتذة سُـــليمان أمنينه وسالم الكبتي وأحمد الفيتوري الذين استعنتُ بهم في حالات كثيرة، وأود أن أخص بالشكر الآنسة سلوى شامية التي ساعدتني على صف هذا الكتاب وتبويبه وإخراجه إلى النور، وأتوجه بخالص الشكر إلى الدكتور عمر خليفة الذي تكرم بمراجعة الكتاب.

وهبي البوري

الفصل الأول

العشر سنوات الأخيرة من الحكم التركي

مجتمع بنغازي في العهد التركي:

عادت تركيا إلى ليبيا في عام 1835م، وأطاحت بالحكم القرمانلى واستولت على البلاد خشية أن تمتد أيدي فرنسا إلى ليبيا بعد أن احتلت الجزائر. ويبدو أن الإنجليز أوعزوا إلى تركيا باحتلال ليبيا خشية أن تحتلها فرنسا. وقد دام هذا الاحتلال خمسة وسبعين سنة تولى خلالها في بنغازي 37 متصرفاً وقائمقاماً، وقد تولى مصطفي رئيف الحكم في برقة نيابة عن والى طرابلس، وكان قدوم الحاكم التركي الأول بعد زوال حكم القرمانلية محل ترحيب من المواطنين ومشائخ القبائل الذين لم يأتوا لتهنئته إلا بعد وقت طويل قضوه في مفاوضات حول دفع الضرائب والرسوم وغيرها، وقد وطد مصطفي بك الحكم التركي في درنة وفي جالو وأوجلة، ولكنه ترك قبائل الجبل الأخضر في حياتهم التقليدية مع التعهد بدفع الضرائب، وقد مُنع على الأجانب المتاجرة بالمنتجات المحلية كالشعير والقمح والسمن والجلود والصوف وغيره.

وقام رشيد باشا حاكم برقة بحملة عسكرية ضد القبائل التي لم تدفع الضرائب، وكانت سنة جفاف في برقة ولم تجد القبائل ما تدفعه للدولة من ضرائب، إلا أن الدولة الجديدة أصرت على دفع الضرائب وأخذت تعهداً من القبائل بأن تدفع ضرائب هذا العام مع ضرائب العام المقبل. ولم تأخذ الحكومة التركية قلة المحصول بسبب الجفاف وحاجة الناس إلى المعونة لا إلى دفع الضرائب. لقد كانت الضرائب أهم شيء يهتم به الحكام الأتراك ولا يقبلون أي عذر بعدم دفعها.

وقد توفي رشيد باشا وعُين بدله حليم بك الذي يبدو أنه أول حاكم يهتم بتنظيم الإدارة وقيام حكومة برقة. وقد شرع حليم بك في تأسيس مجلس إدارة

مــن المواطنــين كدليل على إشراكهم في الحكم، وكان أخر مجلس إدارة قد عُــين فيه كأعضاء سالم باشا المحيشي وسليمان باشا أمنينه والحاج منصور الكيخيا وصالح باشا المهدوي.

ولأول مرة عرفت برقة صيد الإسفنج حيث قدما مركبان من طرابلس وطلبا الترخيص لهما بالصيد مقابل دفع 16ألف قرش كرسوم للدولة.

وفــي عــام 1842م وصل الشيخ محمد بن على السنوسي إلى بنغازي ونزل ضيفاً في دار عبد الله أمنينه حيث التقى بالشيخ أبي بكر بوحدوث شيخ قبيلة البراعصة في دار أمنينه، وقد دعاه إلى الذهاب معه والإقامة في الجبل وقد صحبه السيد محمد بن على السنوسي إلى موقعٍ قريب من قبر الصحابي الــسيد رويفــع بن ثابت الأنصاري، وشيد في هذا الموقع أولى زواياه التي حملت اسم الزاوية البيضاء، وقد حملت الاسم فيما بعد مدينة البيضاء.

وظلــت مــشكلة دفــع القبائل للضرائب موضع خلاف بين السلطة التركية والقبائل، وقد تم الاتفاق على أن تدفع القبائل في مجموعها 12750 رأساً من الأغنام.

وفــي عــام 1875م انفصلت برقة عن طرابلس، وأصبحت متصرفية مستقلة تابعة رأساً إلى اسطنبول، وقد فرض عليها هذا التغيير تعديلات كثيرة فــي الإدارة المحلية وفي مجلس الإدارة، وقد تألف في هذا العام أول مجلس بلدي لمدينة بنغازي تكون من:

1. عبد الرحمن أمنينه (رئيساً).
2. عبد الجليل (معاونًا).
3. عبد الرحمن بالتمر (عضواً).
4. على بن محمد الأدغم (عضواً).
5. فرج بن على حويو (عضواً).

6. على بن رجب المهدوي (عضواً).
7. يوسف بن شتوان (عضواً).
8. الحاج ميلاد (عضواً).
9. مصطفي بن يونس (كاتباً).

وكان رئيس البلدية يُطلق عليه اسم (شيخ البلد).

إلا أنـــه يبدو أن ارتباط بنغازي باسطنبول واستقلالها عن طرابلس لم يـــدم طـــويلاً حـــيث تفاجئـــنا الأنباء في عام 1872م بعودة ارتباط بنغازي بطـــرابلس، وفي هذه السنة أصيبت برقة وطرابلس بجفاف شديد تولدت عنه أمـــراض الطاعون والجدري وغيرها، وحَصدت هذه الأمراض الآلاف من أرواح الـــناس. وكانت الحكومة التركية في وضع مالي سيء، وقد تكاثرت علـــيها الديون وأصبحت قريبة من الإفلاس، الأمر الذي منعها من تقديم أي مساعدة للجائعين والمرضى في ليبيا. وقد اشتدت الحالة على الناس في برقة التي تظافر عليها الجفاف والجوع والمرض الذي حصد عشرات الآلاف من الأرواح، وقـــد اضـــطر الناس إلى أكل القطامة مما جعلهم يطلقون على هذا العام (عام القطامة).

وفـــي عام 1879م صدر قرار من الحكومة المركزية بفصل برقة عن طرابلس وإعادة ربطها باسطنبول من جديد، وعُين درويش على كمالي باشا المعروف بعدائه للإيطاليين والفرنسيين والياً للمدينة.

وفي عام 1891م عاد الطاعون إلى برقة، فبادرت الحكومة التركية في هذه المرة بتوزيع الطعام على المحتاجين.

وبمـــا أن الحكـــومة التركية ليس لها قناصل في البلاد الإسلامية، فإن برقة قد استعانت بالسيد محمد الغرياني ليكون ممثلاً لها بالإسكندرية، ليرعى شـــؤون البرقاويين المقيمين في مصر والزائرين لها والحجاج الذين يمرون

بها في طريقهم إلى بيت الله. وقد اضطرت طرابلس إلى تكليف السيد محمد الغرياني ليتولّى شؤون الطرابلسيين المقيمين بالإسكندرية والزائرين لها، والحجاج الذين يمرون منها في طريقهم إلى الأراضي المقدسة.

وفي سنة 1906م عُين متصرفاً لبنغازي أول حاكم مدني وهو (عمر عالي بك) الذي أعطى الإدارة التركية صِبغة مدنية. وبعد إعلان الدستور وخلع السلطان عبد الحميد بدأت تيارات سياسية مختلفة تظهر في برقة، وأغلبها يتبع التيارات السياسية الموجودة في اسطنبول إلا أن تياراً سياسياً واحداً لم يطالب باستقلال البلاد أو إعطائها حُكماً ذاتياً؛ لأن القناعة السياسية السائدة في ذلك الوقت أن البلاد الإسلامية يجب أن تتوحد في ظل الخلافة والسلطة العثمانية.

وفي عام 1910م انعقد مؤتمر برقاوى في سيدي رافع بالجبل الأخضر ضم مشائخ القبائل وأعيان المدن الساحلية وممثلين عن الواحات، وقد ناقش المؤتمر الوضع في البلاد وتهديدات الحكومة الإيطالية واحتمال احتلالها للبلاد، وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات لم نصل إلى معرفتها، ومن بينها قراران الأول مواجهة خطر إيطاليا الداهم بالإجماع كقوة وطنية واحدة تحت العلم التركي بما في ذلك الحركة السنوسية.

كانت بنغازي في العشر سنوات الأخيرة من الحكم التركي، كما كانت قبل ذلك، في تخلف وتأخر وإهمال بسبب عدم اهتمام الحكومة التركية بولايتها الأفريقية الأخيرة. لقد كانت الضرائب تُجبى ويرسل معظمها إلى اسطنبول وما تبقى منها تُدفع منه الرواتب وبعض الخدمات الضرورية. فطاهر باشا ظل والياً على برقة اثنتي عشرة سنة، كل ما أنجزه فيها بناء مسجد هدية وبناء سكن خاص له وبناء القصر التركي الذي أمرته الحكومة التركية ببنائه، ولم يكن بقية الولاة بأحسن منه، فكانت الحكومة المركزية تغيرهم بسرعة ولا تمكنهم من التفكير في أي عمل مفيد للبلاد. فكانت

بنغازي تفتقر لوسائل الحياة الحديثة، فهي تعيش بدون إضاءة كهربائية وبدون مياه جارية وبدون صحافة أو مطابع وبدون طرق أو مواصلات. وكانت شوارعها متربة صيفاً وموحلة شتاء. وميناؤها لا يستوعب سوى البواخر الصغيرة التي لا يزيد عمقها على أربعة أمتار، وقد قامت الحكومة التركية في هذا الصدد بعملٍ هام وهو بناء رصيف بالميناء طوله مائة متر، وبناء مخازن للجمارك، وقد استعمل الإيطاليون الرصيف والمخازن طيلة إقامتهم ببرقة.

وكان الولاة الذين تداولوا على الحكم في طرابلس وبرقة يفكرون في إصلاح مدينتي طرابلس وبنغازي وتزويدهما بضروريات الحياة الحديثة إلا أنهم كانوا لا يستطيعون القيام بأي عمل مفيد بسبب قلة الأموال. فالحكومة التركية قد أهملت ليبيا إهمالاً تاماً على غير ما كانت تعامل به ولاياتها العربية الأخرى. لقد كانت طرابلس في حاجة إلى بناء ميناء جديد، وظلت الحكومة التركية سنوات كثيرة مترددة في طرح عطاء المشروع حتى وقت تخليها عن ليبيا.

وكانت بنغازي في فترة الحكم التركي الأخيرة تعيش حياة هادئة مستقرة وسكانها يعيشون حياة مطمئنة وهادئة. وقد ظل مجتمع بنغازي في بداية القرن العشرين على ما كان عليه من عشرات السنين محافظاً على تقاليده وعادته وتجارته وطرق حياته التي تعود عليها. كانت بنغازي مدينة صغيرة لا يتعدى عدد سكانها العشرين ألف نسمة، معظمهم مهاجرون من غرب ليبيا من مصراته وزليتن ونواح أخرى ومن بين القبائل المجاورة، وكان يسكن بنغازي، علاوة على سكانها العرب، جالية يونانية وجالية أرمينية وجالية مالطية وقلة من الإيطاليين بالإضافة للأتراك الذين أنشأوا حياً خاصاً بهم بالبركة. وكانت شوارعها تضاء بقناديل الكيروسين ويحصل سكانها على مياه الشرب بواسطة الورادين الذين كانوا يجلبون المياه ويبيعونها للمنازل، وكان كثير من الناس يذهبون بأنفسهم لجلب المياه إلى

ديـــارهم، وعادة ما يكون في كل منزل بئر تتغلب الملوحة على مياهه التي تـستعمل مياهه في الأغراض الأخرى غير الشرب. وكان مصدر مياه الشرب أبـــار الفـــويهات والـــسبال والصابرى وسوانى عثمان والجخ وغيرها. وتعتبر الحديقـــة الإنجليزية الواقعة بعد البركة أحسن مياه المنطقة (عرفت الحديقة بهذا الاســـم لأنها كانت ملحقة بمنزل الممثل الدبلوماسي الإنجليزي)، وهي الآن بيد الـــرهبان، واشتهرت في بنغازي باسم (حديقة البيباصية) أي الرهبان. وكانت الأســـر الثـــرية تنشئ في منازلها خزانات تحت الأرض تجمع فيه مياه الأمطار وهم يطلقون عليها اسم (ماجن)، وكان يكفي الأسرة شرباً طيلة العام.

وقد عجزت الحكومة التركية عن تزويد المدينة بالمياه الجارية، وظلت محـــرومة منها حتى بعد الاحتلال الإيطالي بعشر سنوات. ففي عام 1920م بـــدأت مياه الشرب تصل إلى بعض المنازل في المدينة. وكان سكان المدينة ســـعداء بحـــياتهم راضين بما أعطاهم الله، يمارس معظمهم الزراعة وتربية المواشـــي والتجارة. وقل أن لا يوجد في أي منزل أدوات الحراثة معلقة في ســـقف السقيفة. وكان معظم الناس عندما تهطل الأمطار يهرعون إلى مكان سقوطها ليكونوا البادئين بالحراثة، ويحرث كل واحد منهم ما يستطيع حرثه، ويقـــوم الأغنـــياء بحراثة مطيرة لفقراء الحي. ويظلون طيلة الشتاء يراقبون مواعـــيد هطول الأمطار، فإذا نزلت في مواعيدها فالمحصول سيكون جيداً وإذا كان الأمر عكس ذلك فالمحصول سيكون سيئاً. فإذا كان المحصول جيداً فـــستزدهر الـــبلاد ويعم الخير وتنتعش الأسواق، ويصدر فائض الشعير إلى بـــريطانيا لتـــصنع مـــنه البيرة الجيدة. وكانت تأتى السفن إلى بنغازي لنقل الـــشعير وكانـــت مئات من الحمير والعربات تقوم بنقل الشعير إلى الميناء، وكـــان القنصل الأسباني روسونى وكيلاً عن الشركات التي تستورد الشعير، ولذلك كان يشرف على عمليات شحن البواخر وقد أطلق عليه عرب بنغازي اسم (قنصل الحمير).

وكانت المحاصيل التي تُباع في السنوات الجيدة تدر على البلاد ملايين الفرنكات التي تعمل على انتعاش الأسواق وازدهارها وتحسين أوضاع الناس الاقتصادية، وذلك إلى حين حلول الموسم الزراعي الجديد، فإذا كان سيئاً فيؤثر في الأسواق والتجارة ويؤثر بصورة خاصة الموسم على سكان الدواخل الذين يعتمدون بصورة رئيسية في حياتهم على نجاح الموسم الزراعي. وإذا زاد الجفاف لأكثر من عامين تأثر سُكان الدواخل بذلك وانحدر الفقراء منهم إلى المدن للسؤال. ويظل هذا الوضع سائداً حتى يجود الله على البلاد بموسم زراعي جيد، فتنقلب الأوضاع رأساً على عقب وتنتعش الأسواق وتزدهر حالة الناس ويعم الخير.

وتعتبر برقة أكثر خصوبة من طرابلس، ولكن إنتاجها هي الأخرى لا يكاد يسد حاجة سكانها بسبب قلة الأيدي العاملة، وبسبب العوامل الأخرى التي أحاطت بالوضع الزراعي في برقة؛ إذ لا تتوفر إمكانيات التصدير في برقة إلا في أعوام الرخاء. والحبوب التي تزرع في برقة هي الشعير والقمح، ويُحصد الشعير في أوائل مايو ويتم تصديره في أعوام الخصب إلى إنجلترا، حيث يتزايد الطلب عليه لجودة نوعه في صنع البيرة. ويزرع قمح الفارينة بكميات قليلة كما يزرع القصب الذي يصنع منه الخبز الرخيص، ويزرع الحمص، وتتوفر التمور في برقة ولكن بكميات أقل منها في طرابلس الغرب.

وقد كانت برقة مشهورة قديماً بجمال غابات الزيتون، وقد ظلت بها بقية صالحة من هذه الشجرة الطيبة، ولكن قسماً كبيراً ممّا كان يشكل غابات حقيقية قد أصبح شجراً برياً غير منتج. ولما كان الزيت المحلى لا يكفي حاجات السكان فقد كان يستورد من كنديا وتونس، كما تزرع في البساتين والمزارع المحيطة بالمدينة مختلف أنواع الفواكه والخضراوات وهي تباع في المناطق الآهلة من المتصرفية.

وكانت الزراعة في بنغازي تنقسم إلى قسمين : موسمية ومروية، فأما الزراعة المروية فتقع في بساتين ضواحي بنغازي مثل اللثامة والخويبية والفويهات والسلاوى والصابرى وقاريونس وقنفودة والقوارشة، حيث تتوفر مياه الري من الآبار وتنتج إنتاجاً جيداً يسد حاجة أسواق المدينة من الخضراوات والأعناب والفواكه الأخرى. وقد ذكر الأستاذ الحشائشي الرحالة التونسي في كتابه "جلاء الكرب عن طرابلس الغرب" حيث يقول: "و جميع أراضى أحواز البلد الخارجة عنها مسافة ستة كيلومترات يملكها الأهالي وفيها بساتينهم". أما حول وفرة الغلال فيقول:" والخضرة والبقول والغلال فلا قيمة لها بهذا البلد، وجميع ما فيها من الطعام رخيص، والسمن والزيت والعسل كذلك، والحاصل أنني لم أر مكاناً فيما وطئته رجلي أرخص سعراً من هذا البلد"(1).

وكان الريّ أكبر المشكلات، وبالرغم من الآبار التي حفرها الإيطاليون، فإن على ليبيا حتى اليوم أن تعتمد على مياه الأمطار لري مجمل الأراضي المزروعة. وكان يُستفاد من الآبار بشكل كامل؛ وذلك لتأمين الري الذي لم تكن تكفيه مياه الأمطار. فكانت تُستخدم في ذلك الثيران والحمير، ليل نهار لجلب المياه من الجوابي، ومن ثم يتم توزيعه على البساتين. ثم إن التربة الليبية ممتازة إلى درجة كانت المحاصيل معها، ولا تزال، ممتازة، حتى مع طرق الريّ البدائية التي كانت تُطبق آنذاك.

ومن أشجار الفاكهة المعروفة في برقة: التين والنخيل والزيتون والعنب والمشمش واللوز والرمان والليمون والتوت والحناء. كما أن التربة كانت تُنتج الشعير والحنطة والذرّة والتبغ والفاصوليا والبندورة والبصل والسبانخ واليقطين والبطيخ والثوم والكوسا والحمص وغيرها.

---

(1) محمد بن عثمان الحشائشي- جلاء الكرب عن طرابلس الغرب - لبنان 1895م- ص 90.

وكانـت البساتين والجنائن محاطة بأسوار طينية يتراوح ارتفاعها من ثلاثـة أقـدام إلـى سبعة إلى جانب أشجار الكرموس الهندي الشائكة. وكان محـصول الـساحل من البلح منه أقل جودة من محصول الداخل الذي كان يصدر إلى الخارج.

وقدر الأتراك أنه في خلال عشر سنوات تكون هناك أربعة مواسم جيدة لحصاد الحبوب، بحيث يفيض المحصول عن حاجة أهل البلاد. وأنه تكـون هـناك أربعة مواسم متوسطة المحصول بحيث يكفي السكان، مع احـتمال بقاء جزء للاحتياط، وأنه تكون هناك سنتان سيّئتي المحصول، تُـستهلك فيهما كميات الحبوب المودعة في الاحتياط، مع الاضطرار إلى استيراد الدقيق والطحين.

والنشاط الثاني الهام الذي كان يمارسه سُكان برقة هو تربية المواشي. وقـد ساهم أهل بنغازي مساهمة كبيرة في هذا النشاط بالمشاركة مع سكان الـدواخل، وكـان دخل مربي الأغنام جيداً. وفي المواسم الجيدة يغطى نتاج النعجة الواحدة قيمة شرائها. وتصدر الأغنام إلى مصر براً أو بحراً وتتجمع فـي سوق الحمام حيث يتم بيعها. وبالإضافة للأغنام، فإنه تُصدر إلى مصر أعـدادٌ كبيـرة من الإبل، وتصدر إلى مالطا الأبقار. وكانت البلاد تجنى من وراء الحيوانات المصدرة أموالاً طائلة.

وتـشتهر بـرقة بوفرة ثرواتها الحيوانية من العجول والأبقار والأغنام والماعز. وكانت ببنغازي سوق كبيرة للأبقار، وهي من نوع جيد، ولها حركة تـصدير نشطة إلى مصر. إلا أن أغلب المواشي تأتى من منطقة البطنان التي تشتهر بمراعيها الغنية الممتازة. وقد صدر من برقة إلى مالطا في سنة 1908 حوالى 700 عجل بصفة أسبوعية، بينما سجل الميزان التجاري لتلك السنة مع مـصر تصدير 20 ألف رأس من البقر و340 ألف رأس من الغنم، كما يؤخذ ذلك من تقرير للقنصلية الإيطالية ببنغازي في تلك الفترة.

وتكثر الخيول في برقة، والنوع الموجود منها مشهور بجودته وقوته. ويجـرى خـصي الخيول والثيران، ومع ذلك فهي ليست طيعة سهلة القياد. وتـوجد أيـضاً كميات وافرة من الحمير، بينما يجرى استيراد الإبل بصفة عادية من السودان.

ولـم تكـن طرابلس تتوفر على ثروة حيوانية مماثلة لبرقة، غير أن نـصيبها من هذه الثروة غير قليل. وتعتمد حياة الحيوان في طرابلس وبرقة اعتماداً كلياً على كميات الأمطار. وقد بلغ ما صدرته المقاطعتان (طرابلس وبرقة) في سنة 1906م نصف مليون رأس من الأغنام. وكان الجزء الأكبر مـن الأغنام يملكها أبناء القبائل الداخلية والتي حول بنغازي. وكان أصحاب الأغنام من بنغازي يشاركون في تصدير حيواناتهم وفي الأرباح الطائلة التي تدرها هذه التجارة. وفي سنوات الجفاف تتأثر تربية وتجارة الحيوانات تأثراً كبيـراً ويضطر أصحاب الحيوانات إلى إرسالها إلى الأراضي المصرية أو الطرابلسية إذا مَنّ عليها الله بالغيث.

ويـصنع الـسمن فـي طرابلس وبرقة، ومن أنواعه المشهورة ذلك الصنف الذي يصنع في المرج (برقة) والذي يصدر كله تقريباً إلى الآستانة وكـنديا. ويـرتبط إنـتاج الـصوف أيضاً بأوضاع المواسم. والبلاد تصدر الصوف إلى إيطاليا وفرنسا. ولكن الصوف الليبي لا يلقى إقبالاً كبيراً بالنظر إلى النسبة العالية من الرمال العالقة به. ولا يهتم الباعة بتوفير تنظيف أولى لـه قـبل التـصدير. ومن مواد التصدير: العظام وشعر الماعز ووبر الإبل والجلـود. وتتوفـر بطرابلس وبنغازي بعض المعامل الصغيرة للدباغة التي تستخدم طرقاً بدائية.

وتهتم بعض قبائل برقة في المرج والجبل الأخضر بتربية النحل. وقد كانـت هـذه التربية متطورة في برقة القديمة وتتمتع بسمعة تاريخية كبيرة. ويـصدر العسل والشمع إلى تركيا. ولما اشتد الجفاف سنة 1881م في جميع

أنحاء ليبيا، ونفقت جميع الحيوانات. وكان الجدب في برقة شديداً جداً، بحيث جـاء فـي تقرير القنصل البريطاني في بنغازي ما يلي: " يُحتاج إلى عشر سنوات لتعويض الخسائر الكبيرة في الحيوانات".

وأنشئ المصرف الزراعي في ليبيا عام 1910م، لمساعدة المزارعين. وكـان رأس مـال هـذا المصرف يأتي من مؤسسات مشابهة له تعمل في الإمبـراطورية التركية. وكانت أعمال المصرف تشمل أيضاً التسليف برهن على الأملاك غير المنقولة.

أمـا النـشاط الهام الثالث في بنغازي هو التجارة التي يمارسها الجميع. وكـان سـوق الظلام السوق الرئيسي الذي يُباع فيه الذهب والفضة والحرائر والـسجاد والـنفائس الأخـرى، ويقـع إلى شرق سوق الظلام سوق الجريد المتخـصص فـي بيع المواد الغذائية بالجملة والقطاعي، وبه يوجد كبار تُجار بـنغازي وأثـريائها، ويقـع الفندق البلدي في الجنوب من بنغازي، وتباع فيه الحبوب بأنواعها والصوف والسمن والعسل ومنتوجات البلاد الأخرى. وتنتشر في جميع شوارع المدينة دكاكين البقالة والجزارين وبائعي الفحم والغاز.

وكـان الوطنيون حتى آخر القرن ينفرون من التجارة وكانوا ينظرون نظـرة احتقار إلى مجموعات البقالين وبائعي الفحم والجزارين الذين امتلأت بهـم شـوراع بـنغازي. أما التجارة فقد كان يُمارسها الجرابة والسفاقسية والتونـسيون والـيهود، وكان قليل من الوطنيين يعملون في التجارة إذ إنهم كانـوا يهتمون بالزراعة وتربية المواشي فقط. وقد جاء في كتاب الحشائشي "جلاء الكرب عن طرابلس الغرب" الذي زار المدينة في سنة 1894م فيقول: " يوجد بها اثنا عشر رجلاً (تاجراً) من الجرابة، وبعض السفاقسيين وبعض مـن الطرابلسيين دون العشرة، وجانب عظيم من اليهود. أما أهالي البلد فلا يـتعاطون هاته الصناعة. وليست لهم إلا الفلاحة". ويقول أيضاً: " والقصاب

والـــبقال والخباز والزيات غالبهم من أهل طرابلس ومصراته، أما أهل البلد فليست لهم حرفة إلا الفلاحة"[1].

ومع ذلك، فقد بدأ الليبيون في السنوات الأخيرة من العهد العثماني في ممارســة الــتجارة وفتح محلات تجارية في سوق الظلام وفي سوق الجريد للبــيع بالجملــة والقطاعي. وتميزت بنغازي بتخصيص سوق لكل مادة من المــواد فهناك سوق المنسوجات، وسوق الخضارة، وسوق الحلاقين، وسوق الحدادة، وسوق السراجة، وسوق الخرازة، وفندق الغلة، وفندق الخضرة، وما إلى ذلك من التصنيفات.

وقــد اهــتم الوطنــيون بــشؤون التجارة الخارجية فكانوا يصدرون الحــيوانات والــشعير والصوف والسمن والعسل إلى تركيا والشام واليونان ومالطـــا وتونس ومصر، ويستوردون المنسوجات والمأكولات وغيرها مما يحتاجه السكان أو البضائع المصدرة إلى أواسط أفريقيا مقابل ما يستورد منها مـــن ريش النعام، وسن الفيل، والتبر، والجلود، وغير ذلك من المصنوعات الأفريقية التي كان يُعاد تصديرها إلى عدد من الأسواق الأوروبية.

وكنتيجة لهذه الحركة التجارية الواسعة مع الخارج، وجدت خلال العهد العثمانـــي الثاني مختلف أنواع العملات الأجنبية من الذهب والفضة، وكانت الليــرة الذهبــية: التركية والإنجليزية والفرنسية والأسبانية نقداً متداولاً بين الناس في هذه السوق.

وقد اندلعت النيران في سوق الظلام عام 1902م والتهمت كل ما حوى ووقفــت الــناس عاجــزة تنظر إلى النيران، وهي لا تملك وسائل الإطفاء الحديثة، وكانت كارثة اقتصادية أصابت بنغازي وتألمت لها المدينة حيث فقد التجار ثرواتهم وظلوا بدون شيء يستعينون به على بناء تجارتهم من جديد.

---

(1) الحشائشى المصدر المذكور – ص 88.

ولكن سرعان ما عاد السوق تدريجياً إلى وضعه الأول واستعاد مكانته وسمعته وازدهـــاره. وتجدد حريق سوق الظلام مرة ثانية في عام 1920م، غير أنه في هذه المرة أُعيد بناؤه بالأسمنت المسلح والأبواب الحديدية. ويعتبر سوق الظلام وســوق الجريد شريان الحياة في بنغازي. ومما تقدم جميعه ندرك أهمية موقع هــذه المديــنة الجغرافي ومدى اتساع إمكانياتها الاقتصادية آنذاك مما جعلها تجتذب السكان باستمرار وتنمو مع الزمن بالتدريج.

وكـــان الملـــح عنـــصراً هاماً في دخل البلاد، وكان يجمع في الميدان القريب من القصر (المواجه لمكاتب الإسكان حالياً) حيث كان يجمع الملح فـــي أكوام ترتفع كالأهرام حيث يصدر بحراً بآلاف الأطنان. وقد كانت هذه المادة الخام هي المورد الاقتصادي الأول الذي قامت عليه المدينة في العصر الحديث، ولم تكسد سوقها حتى نهاية العهد العثماني.

أمـــا الصناعة في بنغازي فكانت محدودة فهناك صناعة النسيج لإنتاج أردية النساء، فقد كان هناك 450 نولاً لصناعة أردية النساء المختلفة الألوان والرســـوم، والتـــي كان يُعطى لكل نوع منها اسم معين. وكانت هناك أنوالٌ قلـــيلة تعمل على إنتاج الأردية الحريرية المطعمة بالفضة والذهب والخاصة بلبس عرائس العائلات الميسورة. كما كانت الأنوال تُنتج قطعاً أخرى خاصة بالنساء كغطاء الرأس والشملة "حزام" وغيرها من مستلزمات النساء. وكانت منتـــشرة معـــروفة صناعة الذهب والفضة التي يكاد يحتكرها اليهود، فكانوا يـــصنعون مـــن الـــذهب حلـــى المرأة من عقود وأساور وخلاخيل وخواتم وغيـــرها. وكانـــوا يـــصنعون مـــن الفضة نفس الحلي للفقراء. وكانت هذه الـــصناعة رائجـــة والطلب عليها كثير لأن نساء البلاد يرغبنها. وظلت هذه الصناعة مزدهرة ومتطورة حتى يومنا هذا.

وصـــناعة الإســـفنج مـــن الصناعات القديمة في بنغازي، وكان يقوم بالـــبحث عن الإسفنج في قاع البحار صيادون يونانيون يأتون في كل موسم

بمــراكبهم فــيدفعون الرســوم للحكومة ويتحصلون على رخص الصيد ثم يــنطلقون فــي سواحل بنغازي يغطسون في البحر للبحث عن الإسفنج الذي كانوا يجدونه بكميات كبيرة فينقلونه إلى اليابسة، ويعالجونه معالجة مبدئية ثم يأخذونه إلى اليونان ليُتموا معالجته وبيعه. وكان الإسفنج من المواد المطلوبة فــي أوروبا ويستعمل للاستحمام وأسعاره مرتفعة والطلب عليه كثير، ويعد إســفنج برقة من أجود أنواع الإسفنج وأرفعها سعراً، ويدر على البلاد دخلاً طيــباً. ولا يخلو صيد الإسفنج في ذلك الوقت من الأخطار على الصيادين، فكان الواحد منهم إذا غطس إلى قاع البحر للبحث عن الإسفنج ونقص عليه الأكــسجين إما أن يموت وإما أن يصاب بالشلل، ولذلك كانت مكافئة صياد الإســفنج مــرتفعة بسبب المخاطر التي يتعرض لها. وكان صيد السمك في بــرقة محدوداً بسبب قلة من يأكل السمك، وكان الأتراك والأجانب وقلة من الليبيين هم الذين يشترون الأسماك.

وكانــت الرياضة غير معروفة بالشكل الذي هي عليه الآن، ولا توجد نــواد ولا فرق ولا ملاعب رياضية، ولا أي تنظيم رياضي، فكان الأطفال يلعــبون بكرة اليد ويتنافسون في العدو، وكان الشبان يلعبون أيضاً بكرة اليد ويمارســون ركــوب الخيل أي الفروسية، وكانت هي الرياضة المحببة إلى قلوبهم. وفي أعراس البادية يقوم الفرسان بالانطلاق بخيولهم بأقصى سرعتها ويطلقــون النار من بنادقهم احتفاء بالمناسبة. وكانوا يعشقون الخيل وقل من لا يملك جواداً.

ومجــتمع بــنغازي فــي العهد التركي لا يختلف عن المجتمعات التي ســبقته، فقــد استمرت السهريات في المرابيع وزيارة الجيران لبعضهم. وقد اشــتهر هــذا المجتمع بالزرادى وخاصة في المواسم الجيدة، فكان الأصدقاء والأقــارب فــي موسم الربيع يذهبون إلى الخلاء بأسرهم وينصبون الخيام ويذبحــون المواشــي ويتمتعون بالهواء العليل ومناظر الخضرة والزهور،

والمناظر الطبيعية الأخرى. وكانت العائلات الكبيرة تملك بساتين في الضواحي كانت تنتقل إليها الأسر في شهر الصيف لقضاء فترة هم وأولادهم في الهواء الطلق وفي أحضان الطبيعة. وكانت بعض الأسر الكبيرة لا ينقطع عنها الضيوف، وفي كل مساء تستضيف إلى الطعام عددًا من الناس بالإضافة إلى الأصدقاء الذين يأتون من الدواخل ويقضون أياماً في الضيافة.

وكان أهل بنغازي في فترة الحكم التركي الأخيرة سعداء مسرورين راضين بأوضاعهم وراضين بالسلطات التركية التي تحكمهم والتي لم تلحق بهم أي أذى أو ضرر أو إزعاج اللهم إلا فرض الضرائب. لقد كانت العلاقات بين الأتراك والعرب جيدة في دوائر الحكومة وفي المناسبات الأخرى، إلا أن الاختلاط بين الطرفين كان قليلاً. وعلى عكس ذلك فكان الاختلاط بين العرب والجاليات الأجنبية الأخرى كبيراً، فكثيراً ما كانوا يتزاورون ويشتركون في أعمال تجارية. وقد انتهي العهد التركي بنهاية العشر سنوات الأخيرة من حكمه، وبمجيء الإيطاليين لاحتلال ليبيا. فقد ظل الأتراك يقاتلون إلى جانب الليبيين حتى توقيع دولتهم على معاهدة لوزان المذلة.

تجارة القوافل:

ازدهرت تجارة القوافل في بنغازي في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر بعد ثورة المهدي في السودان وبعد اتخاذ الكفرة عاصمة للسنوسية. فبعد اندلاع ثورة المهدي في السودان توقف عبور القوافل لأراضي السودان واضطرت مصر وطرابلس إلى إرسال قوافلهم إلى بنغازي حيث كانت تنضم إلى قوافل بنغازي وتأخذ طريقها إلى جالو- الكفرة- واداي. وكانت القوافل تتجمع في جالو ثم تأخذ طريقها إلى الجنوب.

ومما كان يساعد على الإقبال على استعمال هذه الطريق استتباب الأمن علـــى طـــول الطريق بسبب انضمام قبائل الصحراء إلى الطريقة السنوسية وامتثالهم لتعليماتها. وكانت الطريق إلى واداي عبر الكفرة آمنة لا يوجد بها قرصـــنة ولا قطاع طرق بفضل نفوذ السنوسية. فكثر الإقبال على استعمال هذه الطرق الآمنة بدلاً من الطرق الأخرى المحفوفة بالأخطار. إلا أن عيب طريق واداي أنها طريق لا توجد مياه ما بين واداي والكفرة وكانت القوافل أحـــياناً تواجه مشاكل الموت عطشاً بسبب قلة المياه في الطريق. وقام سالم باشـــا المحشي وهو أكبر تاجر قوافل في برقة بالشروع في حفر بئر ما بين الكفـــرة وواداي اســـتغرق العمـــل فيه عدة سنوات وكلف صاحب المشروع أموالاً طائلة، وفي النهاية عُثر على المياه وذهب البعض ليبشر السيد المهدي السنوسي بوجود المياه فسر وحمد الله وقال اطلقوا عليه اسم (السارة).

تجارة القوافل أثرت على بنغازي وحياتها ومظهرها بفضل أرباح هذه الـــتجارة. وأنشئت في بنغازي لأول مرة المساكن من دورين وفتحت النوافذ علـــى الـــشوارع، وقد استعان بعض الأثرياء بعمال وخبراء ومواد بناء من مالطا لبناء مساكنهم الجديدة وأصبح الناس يستوردون من مالطا حيط مالطا لتبليط منازلهم وشيدت في شارع دار ستة (عبد الناصر حالياً) بالقرب من قـــصر الحكـــومة مـــبان جميلة مؤلفة من دورين وعلى طراز مباني البحر الأبيض المتوسط، وكان الأجانب وموظفو القنصليات يتخذونها سكناً. وتكوّن الحيّ الغربي من هذه المباني، ومن المباني التي قامت في شارع النصارى، وقـــد عـــرف فيما بعد بشارع تورينو، فقد قامت في هذه الشوارع دور من طابقـــين علـــى طراز البحر الأبيض المتوسط وسكنها أجانب وبعض الأسر الليبيـــة. وسكن الأوروبيون هذا الحي وعمروه وأصبح أجمل أحياء بنغازي. وكـــان المـــيدان الذي يقع في مواجهة عمارة الإسكان والذي تتألف منه في

الـوقت الحالـي حديقة كانت تخزن به كميات الملح المستخرج من سبخات بنغازي وكركورة ويعد للبيع والتصدير.

ونعـود إلـى قـوافل الـسودان التي كانت سبباً في ازدهار بنغازي وتغييرها. فنشير إلى أن البضائع التي تنقل من طرابلس وبنغازي إلى بلدان الـسودان الأوسـط وبورنو والواداي كانت تتألف في الغالب من الأصناف التالـية: المـصنوعات الـزجاجية والمـرايا والطواقي والبرانيس والألحفة والمنسوجات الحريرية والقطنية والأردية والتوابل وأنواع المنسوجات القطنية الإنجليـزية الصنع والورق الوارد من البندقية وخرزها والبروكار المصنوع بها- أي إن قسماً من هذه البضائع كان إيطالي الصنع.

وتعـود القوافل حاملة معها سن الفيل والجلود المدبوغة وريش النعام والتبـر والمشغولات الأفريقية وبيض النعام المشغول وبعض الأرقاء الذين كان التجار يأخذونهم مقابل ما تبقى على الأمراء من قيمة مشترياتهم. وكان الـتجار يحـضرون هذا الرقيق إلى بنغازي ويوزعونه على العائلات التي كانـت بحاجـة إليه. وكان الناس يعاملون هذا الرقيق كما يعاملون أبناءهم، وكانت معظم الأسر البنغازية تستخدم هذا الرقيق في منازلها.

وكـان دخل التجارة من ريش النعام الذي سجل في الفترة الواقعة بين 1872م ــ 1882م، رقماً سنوياً بلغ ثلاثة ملايين ليرة نجده في سنة 1901م قد نـزل إلى مليون ونصف المليون ليرة، وفي سنة 1910م إلى مائة ألف ليرة تقـريباً. وقـد بلغت قيمة التصدير الإجمالي من ليبيا إلى أوروبا في الأعوام العشرة الواقعة ما بين 1882م - 1892م من الجلود السودانية والعاج وريش الـنعام مـبلغاً إجمالياً قدره 37 مليون ليرة، ونزل هذا التصدير في الأعوام العشرة التالية 1892م - 1902م إلى 23750000 ليرة، ولم تصل هذه التجارة فـي الفترة الواقعة بين 1902م ــ 1911م سوى 450000 ليرة تقريباً. وكانت هذه نذر الاحتضار والموت لتلك التجارة الرفيعة المربحة مع البلدان الواقعة

فيما وراء الصحراء، والتي حملت خيراً كثيراً إلى طرابلس وبنغازي وعم خيرها مرزق وغات وغدامس وجالو والكفرة(1).

وكانت السلع المصدرة إلى السودان تستورد بصورة رئيسية من إيطاليا ومن مصر. وكان أكبر تجار القوافل المعروفين آنذاك سالم باشا المحيشي وهو أكبر تاجر في هذا الصدد، وهو يمارس هذه التجارة منذ سنوات وأصبح سيدها، وقد أنعم عليه السلطان بالباشاوية.

وكانت السلع الواردة من السودان تعالج في بنغازي معالجة مبدئية ثم تصدر إلى أوروبا لإتمام معالجتها وبيعها.

وهبطت تجارة السودان بعد أن احتلت فرنسا وبريطانيا غرب ووسط أفريقيا، وأخذت الدولتان في تحويل تجارة المناطق المحتلة إلى المحيط الأطلسي. ولم يحل القرن الجديد إلا وتجارة القوافل كانت تحتضر.

وهكذا انتهت تجارة القوافل بعد ألفي سنة من بداية نشاطها، وكانت تربط أوساط أفريقيا وشمالها إلى أن جاء الاستعمار الأوروبي ففصل بينهما وقضى على الصلة التي كانت تربط بينهما، وكانت مدة الرحلة ما بين بنغازي ووداي ذهاباً وإياباً وتوقفاً في مختلف المراحل تتراوح ما بين ثمانية إلى عشرة أشهر. ولا يوجد في هذه الطريق قبائل تقوم بتأجير الإبل، كما هو الحال في طريق غات - كانو، ولذلك يضطر أصحاب القوافل إلى شراء العدد اللازم من الدواب للرحلة من طرابلس أو بنغازي. وكانت سهولة الرحلة والأمن الذي توفره السنوسية على طول الطريق يسهل تسيير القوافل على طول السنة. وكان يسافر من طرابلس وبنغازي في الأعوام الخمسة الأخيرة من العهد العثماني من ثمانية إلى عشرة تجار، ومن جالو من 15 إلى

(1) Francesco Coro – Sttantasei Anni Di Dominazione Turca in Libia (1835-1911) – page 108.

20 تاجراً وذلك كمعدل سنوي. وبالطبع كان ذلك وقت احتضار تجار القوافل في ليبيا، ولا شك أنه في أعوام ازدهار هذه التجارة كان عدد التجار أكثر بكثير، والتجار الكبار الذين كانوا يمارسون تجارة القوافل في بنغازي نذكر منهم، بالإضافة إلى سالم باشا المحيشي سيد هذه التجارة، مؤمن العجيل والبابور والبشاري وغيرهم.

الإدارة العثمانية:

حل القرن الجديد والإدارة التركية في بنغازي على ما كانت عليه منذ عشرات السنين. فكانت الإدارة يترأسها متصرف وبها مجلس إدارة منتخب ومجلس بلدي منتخب أيضاً وقضاء وشرطة وجمارك والجيش. وكان حُكماً أبوياً لا يشعر السكان بوطأته فهو يمارس عملاً روتينياً تعود عليه منذ عشرات السنين.

والعمل المهم الذي قامت به الحكومة التركية هي أنها عندما لاحظت تكاثر المدارس الأجنبية في ليبيا والتحاق أبناء الضباط والمواطنين الأتراك بها قررت عام 1885م فتح مدرسة ثانوية في بنغازي ومدرستين في طرابلس ومدارس ابتدائية في كل من طرابلس وبنغازي والخمس ودرنة. وأقبل الناس على هذه المدارس وتخرج منها مجموعة من الشبان الذين التحقوا بخدمة الإدارة التركية، وكان هؤلاء الموظفون يطلق عليهم في بنغازي اسم الأفندية، ونذكر من بين من وصلتنا أسماؤهم يوسف اللواحي وصالح عمورة وإبراهيم الشويهدي وأحمد البوري ومصطفي الشويهدي وسالم بن عامر ومحمد الساقزلي وغيرهم.

وكانت توجد إلى جانب هذه المدارس الحكومية عشرات الكتاتيب القرآنية الموزعة على الأحياء في كل جامع. وكان في كل حي من أحياء المدينة وفي كل مركز من مراكز الدواخل معلم (فقيه) يلتف حوله مجموعة

من الأطفال بألواحهم التي يكتبون عليها بعض الآيات القرآنية. ويجلس الفقيه وطلابـــه فوق الحصر وهو يمسك بعصا طويلة (جريدة) يحفظ بها النظام ويستعملها للتأديب. ويردد الفقيه وطلابه بطريقة جماعية رتيبة متكررة بعض الآيـــات القرآنية، ويعرف هذا النوع من المدارس التقليدية باسم (الكتّاب)، وقـــد ظلت الكتاتيب تعمل في الماضي واستمرت في أداء وظيفتها حتى أثناء العهـــد الإيطالـــي. وقد أدت هذه الكتاتيب ولا زالت تؤدى خدمات ثمينة في تحفـــيظ القـــرآن الكريم للأطفال وتعليمهم اللغة العربية، ولا تزال الكثير من الأسُر تُرسل أطفالها إلى الكتاتيب إلى جانب المدارس الرسمية.

أما بالنسبة للمدارس الأجنبية فكانت ببنغازي ودرنة مدرستان ابتدائيتان إيطاليـــتان أنشئتا سنة 1902م، وتديرهما الراهبات الفرنسسكانيات. أما فرنسا فيوجد لها ببنغازي مدرستان تحت رعايتها واحدة للذكور والأخرى للإناث. وتديـــر مدرســـة الذكور الإرسالية الكاثوليكية، وتدير مدرسة البنات راهبات القديس يوسف. وتعلم في المدرستين اللغتان الفرنسية والإيطالية. وكان أكثر تلاميذ هذه المدارس من أبناء اليهود.

وكـــان يـــوجد ببنغازي مستشفي تركي عسكري به مائة سرير، وبها صـــيدلية تديرها البلدية، وهي منظمة تنظيماً حسناً. ويقدم المستشفي خدماته للمواطنين ويعمل بها مجموعة من الأطباء الأتراك. وفي بنغازي كان يوجد مستوصف إيطالي تم تأسيسه سنة 1903م، وكان يقدم خدمات للمواطنين.

وكان أغلب الناس يستعينون بالفقهاء فيعالجونهم بالرقى، كما يستعينون بمـــن لهـــم خبرة في العلاج الشعبي، ولم يكن بالمدينة أطباء يقصدهم الناس وقـــت الحاجـــة، ولـــذلك كانـــوا يضطرون لمراجعة المستوصف الإيطالي ويـــستعينون بالأطـــباء الإيطاليين. وكان الوضع في الدواخل أسوء مما كان علـــيه في بنغازي. وهذا ميدان من الميادين التي يظهر فيها الإهمال التركي واضحاً.

وكانت بنغازي في العهد التركي عاصمة المتصرفية ببرقة، وقد حدث هــذا بعد سنة 1878م، أما قبل ذلك فقد كانت جزءاً من ولاية طرابلس. وفي آخــر العهــد العثمانــي شهدت المدينة نوعاً من التحسن في مرافقها العامة، ولكنها ظلت محافظة على طابعها المتميز بالبؤس والإهمال. كانت شوارعها عريــضة، ولكنها غير مرصوفة، ولذلك تكون موحلة في الشتاء ومتربة في الصيف. أما الطريق الوحيدة المعبدة فهي تلك التي تؤدى من طريق الشاطئ إلــى ميدان البلدية والسوق والقسم المحاذي للقصر الذي يقيم به المتصرف، حيث تقع دوائر الحكومة والسجن، وقسم من الحامية العسكرية التركية.

وكانــت للمديــنة بلديــة منظمة على غرار بلدية طرابلس وهي بلدية منتخــبة وكان رئيسها الحاج أحمد المهدوي، ثم تولى بعده سليمان أمنينة، ثم صالح دغيم. وبالبلدية صيدلية تصرف الدواء للفقراء، وكانت تهتم بالأسواق ونظافتها ومراقبة شؤون المدينة بصورة عامة. وتقع البلدية في قلب بنغازي بمــيدان الجامع العتيق وبقرب سوق الظلام أي في المركز التاريخي لمدينة بنغازي. وكانت البلدية قد أسسها الوالي رشيد باشا حيث اشترى المبنى وهيئهُ لــيكون مقراً لبلدية بنغازي وسن لها قوانينها وإجراءاتها، وظلت البلدية على وضــعها الحالي إلى أن جاء الإيطاليون فأنشأوا في مكانها بلدية حديثة على الطــراز الــشرقي لا تــزال قائمة وإن كانت مهملة إهمالاً كاملاً، وكان من المفروض أن تبقي معلماً من معالم تاريخ مدينة بنغازي.

وتــتكون مدينة بنغازي من أثنى عشر حياً لكل حي منها إمام ومختار يهــتم بــشؤونها. وتنقسم بنغازي إلى ثلاثة أحياء كبيرة، الحي الأول الحي الأوروبي، ويمتد من الشاطئ إلى سيدي الشابي، حيث توجد مساكن القناصل والكنسية الكاثوليكية وديران وكان يسكنه الأوروبيون وبعض الأسر العربية، والحي الثاني الحي المختلط وهذا يسكنه العرب واليهود والقيريتلية والمالطية، وفــيه يقع سوق الظلام والمسجد العتيق ومبنى بلدية بنغازي وميدان البلدية،

والحـــي الثالث الحي العربي حيث سوق الجريد وسوق الخضارة وشارع بن عمـــران وسيدي خريبيش ويمتد إلى الصابرى، وهو الحي الذي يضم معظم عرب بنغازي.

كـــان عـــدد مـــنازل بنغازي 1500 منزلاً و100 شارع و5 ميادين 25 مـــسجداً وكنيسة كاثوليكية وكنسية يهودية وأخرى أرثودكسية، وكان يحدها البحر من الشمال والغرب وسيدي حسين من الجنوب والصابرى من الشرق. وعلـــى بعـــد 3 كيلومتـــرات من بنغازي توجد ضاحية البركة التي أنشأ بها الأتـــراك فـــي سنة 1902م ثكنة عسكرية كبيرة. وكانت بها فيلا للمتصرف وتـــسكن بالبـــركة عائلات تركية مختلفة أنشأت منازلها بالقرب من الثكنات العسكرية، كما كانت تسكنها عائلات عربية منذُ زمن بعيد، أما ضاحية سيدي حسين فلم يكن بها سوى المقبرة وبعض المنازل. وقد جرى في سنة 1901م تدشـــين خـــط قـــصير مـــن السكة الحديدية يعمل بين الميناء وبين محجر لاستخراج الكلس من البركة.

وبعد صدور القوانين التي تمنع الرّق أعتق سكان بنغازي الرقيق الذي كـــان يعمـــل فـــي منازلهم من نساء ورجال، وتحرر هؤلاء العبيد، وأخذوا يعملـــون في المدينة واتخذوا من نخيل الصابري سكناً لهم وانقسموا إلى عدة قـــبائل كـــل واحـــدة مـــنها انتخبت شيخاً لها. وقد أقاموا مدينة صغيرة في الـــصابري مـــن الأكشاك والصفيح لسكنهم. وفضل آخرون منهم البقاء مع العـــائلات التي كانوا يقيمون معها، ثم اندمجوا في نسيج المجتمع. ويبلغ عدد سكان زرائب الصابري ما يقارب 800 شخص.

وكانت في بنغازي ست قنصليات هي: الإيطالية والفرنسية والإنجليزية والأســـبانية واليونانـــية والنمساوية. وكان ببنغازي فرن تابع للبلدية، ولكن نـــشاطه كـــان محدوداً بسبب قيام الأهالي بصنع خبزهم في أفرانهم المنزلية الخاصـــة والأفـــران الأخرى. وكان الحطب المستعمل للوقود قليلاً، كما أن

سعره مرتفع بسبب قلة الأشجار في السهل المحيط ببنغازي، فكان ينقل إليها الحطب والفحم من أماكن بعيدة. وفي السنة السابقة افتتح الفنار الجديد الذي أنشأته الشركة الفرنسية التي عهد إليها إنشاء وصيانة الفنارات في سواحل وموانئ الإمبراطورية العثمانية.

وفي موسم تصدير الملح من كل عام يتجمع في بنغازي أكثر من 2000 جمل كانت تعطي للمدينة حركة تقليدية مميزة. وتعُد بنغازي مركزاً للتجارة مع دواخل برقة، ويتجمع بها جميع الإنتاج الفائض الوارد من الدواخل. وتُعقد بالمدينة أسواق كبيرة في الهواء الطلق لبيع الحيوانات التي كانت برقة غنية بها. ويتم البيع بطريقة المزايدة العلنية. وكانت ترسو بميناء بنغازي بصورة منتظمة بواخر الشركة الإيطالية العامة للملاحة والبواخر التابعة لبنك روما. كما ترسو البواخر التابعة لدول أخرى ولكن بصورة غير منتظمة.

ولم تكن بالمدينة وكالات تجارية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة، فقد كان التجار يرجعون إلى الوكالات الرئيسية في كريت ومالطا وطرابلس والإسكندرية، وتتولى هذه الوكالات مهمة التبادل التجاري مع أوروبا. ولم يكن دخل البلدية كثيراً بالنظر إلى تحويل دخل الملح والإسفنج بكامله إلى الآستانة. ومع ذلك فقد كانت الميزانية تسجل دائماً فائضاً بالنظر إلى النفقات القليلة التي تنفقها الإدارة على الخدمات العامة. وكان الدخل في سنة 1910 قد بلغ 63800 ليرة والمصروفات 54000 ليرة. ويستخدم الفائض في الأشغال العامة وصيانة طرق المدينة وإنارتها.

وكان يوجد في الفترة الواقعة ما بين 1886—1896 مركز إيطالي لرصد الأحوال الجوية. وقد تولى هذه المهمة فيما بعد نائب القنصل الفرنسي على نفقة حكومته.

ولقد كان التنافس على أشده ما بين فرنسا وإيطاليا بخصوص حق حماية المسيحيين في طرابلس وبنغازي، وبواسطة نائب القنصل الفرنسي في بنغازي أصدرت السلطات المحلية إذناً سُمح بموجبه لأحد أعضاء البعثة المسيحية الفرنسسكانية بالتوجه إلى درنة وبإقامة الطقوس بها شريطة أن لا يبدو من ذلك أي مظهر خارجي، وأن لا يمارس أي نشاط تبشيري بين السكان وأن لا يحق لمن يذهب هناك أن يقيم أكثر من ثلاثة أشهر. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يُباشر فيها نشاطٌ مسيحي في درنة. واستغلت البعثة هذا فأقدمت على استئجار منزل وحولته إلى كنيسة وفتحت مدرسة، ورفض الراهب المكلف ترك المدينة وذلك لإحراج نائب القنصل الفرنسي وإيجاد العراقيل التي غايتها التخلص من حماية فرنسا ورعايتها للمسيحيين الكاثوليك في هذه الولاية، فتحل إيطاليا محلها، وكانت هذه الأخيرة وراء ذلك كله فهي التي تولت الإنفاق ودفعت الإيجار سراً، ووعدت بدفع ثمن العقار إن تمكنت البعثة من شرائه.

ولمّا وفد أحد الرهبان إلى درنة لإقامة طقوس صلوات عيد الفصح في سنة 1891م. وجد أن المنزل المؤجر والمحول إلى كنيسة قد استغله تاجر مالطي كمخزن لأكياس الدقيق. فجهد الراهب في إخلائه وفي إعادته لما كان عليه. وتوالت اضطرابات أمور البعثة المسيحية بعد ذلك تزداد يوماً بعد يوم، وتبدو في صورة مصادمات صغيرة ما بين الجماعة المحبذة لاستمرار فرنسا والجماعة الساعية لأن يوكل أمرها إلى إيطاليا، وكان من وراء هذا كله ساسة وقناصل الدولتين.

هذا وقد نجحت إيطاليا في إقناع رئيس البعثة الفرنسسكانية بإيقاف النشاط التعليمي للبعثة في بنغازي. فيقفل المدارس ويسرح المدرسين دونما سبب ظاهر. مما أدى بفرنسا إلى المسارعة بفتح مدرسة لها تشرف عليها القنصلية، وقد فُسرت عملية غلق نشاط البعثة في هذا المجال بأنها رغبة في

إفساح المجال للمدارس التي أقامتها القنصلية الإيطالية بالمدينة لتحصل على كفايـتها مـن التلامـيذ، وهو أمر أغضب الرهبان والجالية المالطية وولّد صراعات بينهم وبين البعثة الكاثوليكية من أصل إيطالي.

وكـان فتح المدارس الإيطالية في ليبيا بصورة عامة ترمى من ورائه إيطالـيا إلـى نـشر دعايتها ولغتها وإشعار السكان المحليين بوجودها. وقد افتـتحت مدرسـة تحـت حماية حكومة إيطاليا وأرسل لها مدير ومعلمون ومعلمـات، وانتـسب إلـيها أكثر من ستين طفلاً من ذكور وإناث بعضهم مـسيحيون، وأكثـرهم من اليهود، ولكن لم تعترف بفتحها الحكومة التركية، وعرضت أمرها على وزارة الداخلية، وطلبت إذناً بالترخيص ولكن إلى الآن لم تتشرف بورود أمرها الجوابى في الموضوع.

وهـذا دليل على ضعف السلطات المحلية والسلطات المركزية التي تقـرر من جهة منع فتح مدارس أجنبية في ليبيا ومن جهة أخرى عندما تُفـتح هـذه المدارس بدون إذنها تقف حائرة لا تدرى ما تفعل خوفاً من ردود فعل الإيطاليين.

وبالـرغم من قلة تعداد الجالية الإيطالية في درنة، فإنه إلى جانب من ذُكـر قـصدتها بعـثة من الراهبات الفرنسسكانيات اللاتي قدمن من مصر بطـريق البحر واتخذن من المبنى الذي شُيِّد بأموال الحكومة الإيطالية سكناً وفتحن مدرسة، وعيادة طبية. وهكذا تتزاحم البعثات المسيحية في بلد سكانه فـي مجمـوعهم من المسلمين، وليس به سواهم وإلاّ بعض أسر لا يتجاوز تعـدادها أصابع اليد الواحدة، وهي ما بين متحمسة منحازة لفرنسا أو إيطاليا أو لإنجلترا أو للفاتيكان يصارع بعضها بعضاً. وبالطبع فليس ذلك في سبيل العمـل الإنـساني ولا لخدمـة المعتقد الديني، وإنما كل منهم يخدم مصلحة الجانب الذي ينحاز له.

ونتيجة لذلك ضج الناس وطالبوا الحكومة وهي مسلمة بدفع هذا الغزو التبشيري عن بلد جميع أهله من المسلمين، بعدما أباحت لمختلف الطوائف أن تقيم لها مراكز عبادة فيه لا يؤمها أحد سوى الرهبان وبضعة أفراد من أبناء الجاليات، فلا أقل من أن تكون لها نخوة الدفاع عن المساجد والأماكن الأخرى كالمقابر حماية لحرمتها، وحتى لا يتأذى من يؤمها للصلاة والتعبّد، وحتى تصان حرمات من مات على دين الإسلام. وعلى الرغم من سلامة المطلب ومشروعيته، فإن الباب العالي والقصر قد ترددا وماطلا، ولم يصدر عن السلطات إرادة سنية أي فرمان إلا بعد حوالي سنتين من ذلك. وقد عُلم أن ولاية طرابلس، وبالتالي متصرفية بنغازي، قد وزعت منشوراً يقضي بمنع بيع ونقل ملكية العقارات والأراضي المجاورة للجوامع والمقابر الإسلامية لغير أبناء المسلمين.

وحدثت واقعة تبدو لنا اليوم جد مستغربة ولكنها تبرهن على مدى التعصّب الديني الذي كان يتحكم في عقلية الإيطالي آنذاك، ففي 9 يوليه عام 1904م بناء على طلب السلطات القنصلية الإيطالية وصلت إلى ميناء درنة السفينة الحربية فلافي جيوا وهددت بقصف المدينة ما لم يبادر القائمقام بتسليم فتاة فقيرة إيطالية اعتنقت الدين الإسلامي بكامل حريتها ودونما إرغام، وتزوجت أحد العرب، فلم يسع القائمقام العجوز أمام التهديد إلاّ بتسليمها لنائب القنصل الذي أركبها السفينة وأعادها إلى إيطاليا.

وفي 22 – مايو– 1908 م قتل الأب جوستينو في درنة حيث وقع الحادث في داخل الكنيسة وفي حجرة نومه تسلل القاتل إليه فقضى عليه بطعنات خنجر تفاوتت عدداً في المصادر ما بين الأربع والأربعين، وأشار بعضها إلى أن القتيل قاوم قاتله بإطلاق الرصاص عليه، فقد وجد مسدسه خلواً من رصاصتين أصابت أحداهما النافذة وحطمت زجاجها واخترقت باب حاجبها المغلق آنذاك. واختفي القاتل ولم يُعثر على أي أثر يدل عليه.

اهـتمت الـسلطات التركية بالحادث على الفور وبدأت تحقيقاتها دون إبطـاء، وألقـى القـبض على عبد أبق فر من سيده بينما كان يحاول بلوغ طبـرق، فأعيد إلى درنة مشتبهاً فيه، إلا أن الشكوك اتجهت أكثر إلى راهب إيطالـي آخـر يدعى فليتشى، ولما أرادت الشرطة التحقيق معه هرب منها والـتجأ إلـى دار القنصلية الإيطالية، وتوجهت السفينة الحربية فاريسى إلى درنـة وهـددت المديـنة بالقصف إذا لم يُسلم الراهب فليتشى إليها، واحتار القائمقـام ولـم يعرف ماذا يفعل أو بمن يتصل فقرر إعطاء السفينة الراهب المطلوب. وهذان حدثان خطيران تقوم فيهما إيطاليا بالاعتداء الصريح على سـيادة تركيا على ليبيا خلافاً للعرف والقوانين الدولية، ولم تتحرك سلطات الـولاية بعمـل أي شـيء، ولا نـدرى ما إذا كانت اطلعت اسطنبول على الحادثـين الخطيرين، وحتى ولو وصل الخبر إلى الحكومة المركزية التركية فإنهـا لـن تفعـل شيئاً ولن تتخذ أي إجراء. فقد اغتيل العبد الذي نقل إلى بنغازي ولم يعرف أيضاً قاتله. ولم يتحرز نائب القنصل الإنجليزي في اتهام الراهب فليتشى بأنه قاتل جوستينو في مخدعه.

وقـد قامت قيامة إيطاليا وصحافتها لمقتل هذا الراهب واتهمت تركيا بعجـزها عـن حمايـة الـرعايا الأجانب، وبتقاعسها عن إجراء التحقيقات لاكتشاف القاتل وهددت باتخاذ إجراءات قصوى لهذا السبب، وكانت إيطاليا تعنى إرسال أسطولها أمام مدينة طرابلس وتهديدها.

هذا والحكومة التركية في سُبات عميق لا تسمع ولا ترى ما يحل بآخر ولايتها الأفريقية من اعتداء على كرامة الدولة العلية وعلى سيادتها في ليبيا.

وفي يوم 24 يوليه سنة 1908م وصلت إلى درنة بعثة الأيتو (منظمة الأرض الـيهودية) وغايـتها تقييم ما إذا كانت برقة تصلح لأن تتخذ وطناً لليهود، ولم تستغرق في تجوالها بالإقليم سوى عشرين يوماً (7/27 – 8/14)، ولـم تـر من البلاد غير ما بين درنة وبنغازي، ومع هذا، ورغم قصر مدة

الــزيارة، وضيق حيز الأرض التي زارتها البعثة، ووضوح عدم الجدية في الــبحث، فــإن الإعــلام اليهودي العالمي وبما يمارسه الصهاينة من ضغط وتحكم في حملة القلم في معظم شعوب أوروبا قد جعل من تقرير جرجورى، ومن تقارير مساعديه: داف، وايدر، وتروتير، وسلوش، أول بحث دقيق حول أراضى برقة واقتصادها وسكانها ينبغي أن يعتد به ويرتكز عليه في العصر الحــديث، ويجــدر هنا التساؤل كيف أن البعثة التي أقامت في برقة عشرين يــوماً ولــم تــتعد زيارتها منطقة الساحل كيف أنها تكتب تقريراً يتخذ منه الإعــلام اليهودي وسيلة لجعله أحسن دراسة علمية واقتصادية وزراعية عن ليبيا. لقد كانت البعثة عندما وطأت قدمها أراضى برقة أدركت أن ليست هذه هــي الأرض الصالحة لإقامة وطن قومي لليهود، وليس شعبها قابلاً للتعاون مع اليهود مستقبلاً؛ لأن اليهود جميعهم كانوا مصرين على العودة إلى القدس واتخاذها وطناً لهم.

وظلــت بــنغازي طــيلة العهد العثماني الثاني سواء كانت مستقلة أو مــرتبطة بطــرابلس عاصمة للإقليم ومقراً لحكومة الولاية فيها. فيها يقطن الباشــا ورجــال إدارتــه ومجلس الولاية المحلى، وبها مركز قيادة الحامية العثمانــية، وبها ترتبط إدارة القائمقامات الأربعة درنة – المرج – اجدابيا – جالو، وإليها تؤول كافة الدخول المالية من ضرائب وأعشار.

لقــد كان يقف على رأس الجهاز الإداري- العسكري في المتصرفية حــاكم عثماني (غير ليبى) برتبة باشا أو بك يعينه الباب العالي ويعفيه من منــصبه وفق رغبات كبار المسؤوليتين في الآستانة. ويعاون هذا الوالي أو المتصرف في القيام بمسؤولياته، ويشاركه فيها مجلس إدارة محلى يتكون من رئــيس ومن رئيس الحسابات ومدير التحريرات والمفتى والقاضي، وهؤلاء أعــضاء بحكــم مراكزهم ثم من ستة من الأعيان يعينون مدّة أربعة أعوام، يفتــرض أنهم ممثلون لجميع سكان الولاية أو المتصرفية. وباستثناء شخص

القائمقام الذي يعين من الآستانة مباشرة مع خضوعه إدارياً وعسكرياً للمتصرف ولمجلس الإدارة، فإن جميع الموظفين المحليين يعينهم المتصرف الذي يدير بجهازه كافة شؤون البلاد الإدارية والمالية والعسكرية وفق القوانين العامة وفي حدودها.

وهذا التنظيم الإداري الذي وضع أسسه الأولى خليل باشا وأتمه رشيد باشا، وإن كان من الوجهة النظرية مقبولاً وحديثاً في تسلسله الإداري، وفي مظهره الديمقراطي يشرك أعيان البلاد في إدارتها، إلا أنه من الناحية العملية ظل عاجزاً عن القيام بمسؤولياته الأساسية، فلا أمن متوفر، ولا الضرائب تُجبى بعدالة، وما يجبى منها لا يدخل خزينة الدولة بكامله. الأمر الذي أوجد في نفوس الشعب نوعاً من العداء المشوب بالخوف وعدم الاطمئنان ضد الحكومة وموظفيها وخاصة غير الليبيين منهم.

وقد قسم خليل باشا(1863م – 1868م) متصرف بنغازي السابق قسم مدينة بنغازي إلى اثنتي عشرة محلة وجعل على رأس كل منها اثنين من الوطنيين ينتخبون أو يختارون اختياراً من السكان يسمى أحداهما بالمختار ويتولى رعاية الشؤون الإدارية والقانونية للسلطة في المحلة، ويسمى الآخر بالإمام ويرعى الشؤون الدينية والذاتية والمدنية لسكان المحلة. ويخضعان معاً لرئيس البلدية ويسمى أحياناً شيخ البلاد، وهو الذي نعرفه حديثاً باسم (عميد البلدية) الذي يراعى شؤون عامة سكان المدينة ويعاونه مجلس بلدي ينتخب أعضاؤه من بين السكان.

وهذه المحلات التي قسمت إليها مدينة بنغازي هي:

1. محلة سيدي خريبيش.
2. محلة سيدي الشريف.
3. محلة سيدي بالخير.
4. محلة سيدي ابن عيسى.

5. محلة سيدي الدراوي.
6. محلة سيدي سالم.
7. محلة سيدي الشابي.
8. محلة سيدي علي الوحيشي.
9. محلة سيدي غريبيل.
10. محلة سيدي حسين.
11. محلة سيدي داود.
12. محلة الصابري.

ونلاحظ أن التسميات التي أُطلقت مُنذ البداية على الأقسام الاثنى عشر التي قسمت إليها مدينة بنغازي إنها قد تحاشت أسماء العائلات والبطون والقبائل التي ينتسب إليها السكان في أصلهم، كما تحاشت أسماء رؤساء هذه المجموعات بلجوئها إلى الأولياء أي الأضرحة الأقدم عهداً في تلك الأقسام. اللهم إلا ابن عيسى فقد نسبت إلى زاوية هذا القطب الصوفي صاحب الطريقة العيسوية الجزولية الشاذلية. وقد ظل هذا التقسيم الإداري ونظام الأئمة والمختارين قائماً طيلة العهد الإيطالي وإلى يومنا هذا.

وقد ذكر الأستاذ محمد محمد بن عامر في مجلة ليبيا السنة الثانية العدد العاشر في مقال له عن الحاج أحمد المهدوي الذي تولى رئاسة بلدية بنغازي قُرابة عشرين عاماً فقال: " وضعت لائحة لانتخاب أعضاء المجلس البلدي في كل سنتين، وانتخاب رؤساء المحلات، وبالجملة فقد أدخل على نظام البلدية وأجهزتها الإدارية إصلاحات كثيرة لم يسبق للبلدية معرفة بها قبل تولّي رشيد باشا".

ويلحق بالإدارة المركزية في الإقليم (بنغازي) مباشراً أربع مديريات أضيفت إليها مديرية خامسة سنة 1909 م وهي:

1. مديرية سلوق، وهي مديرية بطن السديدي من العواقير.

2. مديرية قمينس، وهي مديرية مطاوع من العواقير.

3. مديرية برسس، وهي مديرية بطن إبراهيم من العواقير.

4. مديرية سيدي خليفة، وقد أُنشئت سنة 1909م لأسباب سياسية ولم تنجح.

5. مديرية سلنطة، وهي مديرية البراعصة.

كان عدد سكان مدينة بنغازي في أواخر العهد القرمانلي يتراوح ما بين 2000 و5000 نسمة، وكان معظمهم من أهل مصراته وكان اليهود أكبر الجاليات أو الطوائف غير العربية من الوطنيين.

وفي سنة 1895م بلغ عدد سكان المدينة حوالي 15000 نسمة، وإن ثلاثة أرباعهم من الوطنيين، أما الربع الأخير فهم خليط من زنوج أواسط القارة، وكريتيين، وتونسيين ومصريين ومالطيين ويونانيين وأرمن وإيطاليين ويهود. أما الأتراك فإن عددهم، إذا استثنينا جند الحامية والموظفين، لا يكاد يُذكر. وفي أواخر العهد العثماني الثاني نجد أن عدد سكانها قد زاد زيادة ملحوظة، إذا ارتفع إلى حوالي عشرين ألفًا، يكونون خليطاً من أهالي مصراته وورفلة وفواتير وترهونة وغيرهم من أبناء ولاية طرابلس العثمانية، وبراعصة وعواقير ومغاربة، وغيرهم من أبناء قبائل ولاية برقة العثمانية، ومصريين وشاميين وجرابة وسفاقسيين، وغيرهم من أبناء الأقاليم العربية. وعدد من اليهود لا يقل عن 3000 نسمة كانت قد اجتذبتهم المكاسب والأرباح مُنذ نشأت هذه المدينة، إلى جانب عدد آخر من الجاليات المسيحية: مالطيين وإيطاليين ويونانيين وأرمن وغيرهم.

وكانت الثقافة محصورة في رجال العلم الذين تخرجوا من الأزهر، ومن المدارس الدينية الطرابلسية، وفي تلاميذهم الذين بدأوا يهتمون بالأدب

والحديث والشعر، ويتحصلون على بعض الكتب العربية الصادرة في مصر والتي تصل مع المسافرين بين الحين والآخر. وكان السفر إلى مصر بطريق البر شاقاً جداً ويتطلب وقتاً طويلاً. أما السفر عن طريق البحر بالذهاب إلى اليونان ومنها إلى الإسكندرية، أمر سهل ويتوقف على وجود الوسائط، في حين كانت تسافر بواخر صغيرة من بنغازي إلى الإسكندرية تحمل حيوانات أو سمناً أو صوفاً فكان يستغلها المسافرون ويسافرون على متنها. وعرفت البلاد بعض الأدباء والشعراء الذين برزوا في وقت كانت البلاد محرومة من المؤسسات الثقافية، ومن دور الكتب العامة، ومن الصحف، والمجلات والمطبوعات بصورة عامة. وكانت بعض المرابيع أمكنة ثقافية تقام فيها سهرات يدور فيها النقاش حول الشعر والأدب، وكانت شبيهة بالنوادي الأدبية إلا أن المثقفين كانوا قلة في مجموعة الشعب.

وقد اشتهر من بين شعراء ذلك العهد بوهديمة، والمغبوب، وابن شتوان، والجهاني وغيرهم. أما العلماء فلم نتصل بتراثهم العلمي وإن بقيت لهم فينا شهرة العلماء من أمثال محمد بن عامر، وبوختّالة، وبادي، والصفراني وغيرهم.

ونعود إلى الحديث عما قام به رشيد باشا وطاهر باشا من إصلاحات محدودة في بنغازي، ومن بينها إصلاح المساجد التي كانت قائمة، وما كان يحتاج إلى ترميم وإصلاح، ولعل أهم إنجاز قامت به الإدارة التركية في بنغازي في عهدها الثاني هو بناء ثكنات البركة، وقد قام بتأسيسها رشيد باشا في عهده الثاني الممتد (1889م – 1893م) ولم تتم إلا في عهد خلفه طاهر باشا. وتسع هذه الثكنات أو القصر بضعة آلاف من الجنود إقامة. وبداخله مسجد كبير تُقام فيه الصلوات بما في ذلك صلاة الجمعة. وقد اتخذه الإيطاليون معسكراً لقواتهم طيلة إقامتهم في ليبيا ومنعوا الصلاة في المسجد ودكت صومعته حتى لا يبقى شاهداً على انتهاكاتهم لحرمات الدين، واستعمل

لأغــراض أخرى غير الصلاة، وبعد الحرب العالمية الثانية اتخذته الحامية الإنجليزية معسكراً واستمرت به حتى إعلان الاستقلال وتكوين الجيش الليبي فاتخــذ معــسكراً لــبعض الكتائب والسرايا، أعيد مسجده للصلاة في احتفال مشهود، وأصبح يعرف اليوم بمعسكر الجيش بالبركة.

وإلى عهد رشيد باشا الثاني يعود فضل أكبر مشروع عمراني قامت به السلطات العثمانية، فمنذُ سنة 1889م بدأت عملية إقامة أول رصيف صناعي (غيــر طبيعـــي) بالميناء المعروف بالرصيف الداخلي القديم. وقد استمر العمــل فيه بعد ذلك عدة سنوات، ولم ينته إلا في عهد خلفه طاهر باشا، وقد كان العمل فيه كثيراً ما يتوقف بسبب قلة الإمكانيات المالية، وفراغ الخزانة. والمشروع كان من مرحلتين، إذ كان التفكير متجهاً إلى إقامة رصيف مقابل لهــذا يمتد من رأس جليانة، غير أن هذه المرحلة الثانية لم تنجز حتى نهاية العهد العثماني الثاني، واقتصرت العملية على هذا الرصيف الوحيد الذي بلغ طـــوله مائة متر، كما أنشأت الإدارة في نفس الوقت مخازن كبيرة للجمارك، وقد ظل الإيطاليون طيلة عهدهم يستعملون الرصيف والمخازن.

وإلـــى العهد العثماني الثاني تنسب عدة منشآت، لم يبق من بينها قائماً غيـــر مبنى البلدية، وهو من مآثر رئيسها الشهير الحاج أحمد المهدوي الذي يقول: " كانت دار البلدية عبارة عن محل واحد متوسط له قاعة واحدة. وقد قمـــت بناء على موافقة الوالي رشيد باشا بشراء بيت عُرض للبيع من مالكه الإيطالـــي، وهو مركزها الحالي الآن إذا استثنينا الجناحين الشرقي والغربي اللـــذين أضـــفا في العهد الإيطالي زمن عمودية حفيده المرحوم محمد طاهر المحيشي، فهدم البيت الذي اشتراه وأنشأ عمارة ذات ثلاثة طوابق، فأوجد في الطابـــق الأرضـــي محلاً جعله صيدلية للبلدية مجهزة بصيدلي قانوني وبكل أنـــواع الأدويـــة والعقاقيـــر المعروفة آنذاك ". ويقول أيضا: " كما جعل في

الطابـق الأول قاعـة متسعة للاستقبالات، وقسم باقي العمارة إلى حجرات اتخذت مكاتب للموظفين".

وكمـا بقي مبنى البلدية فقد بقي حتى الآن مبنى الجمارك القديم، بينما أنمّحت عدة مبان أخرى من مثل قصر الباشا بالبركة والمستشفي العسكري، ومبانـي البـريد التركي، ومراكز الحجر الصحي وغيرها من المباني التي أنـشأها العهد التركي هنا وهناك، وقد هدم الإيطاليون قصر الحكومة القديم وأزالوا جميع معالمه، والذي يعد أكبر أثر عمراني للأتراك في هذه المدينة، وكـان مقـر الحكومة التركية، وبه مكتب المتصرف والموظفين وبه السجن أيضاً، وقد شُيد مكانه مسرح وسينما برنيشى القائم حتى الآن.

وفـي العهد التركي أنشئت المساجد والزوايا والأضرحة التالية: جامع الشيخ، جامع الشويخات، ويعرف أيضاً بجامع ابن يونس، وأنشئ جامع باله سـنة (1860)، وجامع بوغولة المدينة (1860)، وجامع هدية (1860)، وهذا الأخير أعاد بناءه طاهر باشا في أواخر القرن الماضي، وجامع بوغولة البـركة (1870)، وجامـع بالرّوين (1870)، وجامع المكحل (1890)، وإلـى هذه الفترة يعود تاريخ الحمام التركي العام المنسوب إلى نفس الأسرة علـى مقربة من هذا المسجد، جامع الشّين بسيدي حسين (1890)، وجامع السلاك (1900)، وأخيراً جامع الرخيص (1900).

ومـن الـزوايا الصوفية: زاوية المدينة، وزاوية سيدي عبيد، وزاوية بوشـحيمه (1850)، وزاويـة القنطـري (1850)، والـزاوية الرفاعية (1860)، والـزاوية العروسـية (1860)، والزاوية السنوسية (1870)، وزاوية سيدي عثمان بحيح (1875).

وإلـى هـذا العهـد أيـضاً تنسب كنيسة اليهود (1907) والمحكمة والمدرسة اليهودية (1850) وهذا أقدم مبنى عام لهم في المدينة الحديثة مما

يمكـــن أن يفهم معه أن العهد العثماني قد شملهم برعايته وحمايته التي كانت في السابق تعتمد على الأسر القوية في المدينة[1].

وقد عُبد طريق بنغازي البركة في أواخر العهد التركي، وقد ربطت الطريق بين المنطقتين وبين سُكانهما. وكان تأثيرها عظيماً على البركة؛ إذ بـــدأ الاهــتمام بهـــا، فأصـــبحت حـــياً غنياً بالسكان وخاصة الضباط والموظفين الأتراك.

ويمكن القول عموماً بأن المدينة قد اتسعت رقعتها، وتطّور معمارها، فأصـــبحت مـــنازل بعض الأحياء وخاصة شارع القنصليات (شمال غرب المديـــنة) تـــتكون من طابقين أو أكثر من ذلك. وأنشئ بالمدينة فندق على النظام الحديث لأول مرة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي عرف باسم "هوتـــيل بـــرقة"، وقـــد أشار لوجوده والإقامة به أكثر من واحد ممن زاروا المدينة آنذاك، وكان الفندق الوحيد في المدينة.

وقـــد اهـــتمت الـــبلدية بالصحة العامة، فإلى جانب الصيدلية المزودة بالأدويـــة الموجـــودة آنـــذاك عينت البلدية طبيباً لمعالجة السكان الفقراء من الـــناس، وكان بالمدينة إلى جانب ما ذكر بعض الأطباء الذين كانوا يعالجون المرضـــى مقابـــل دفع القادر منهم، وكانوا لا يأخذون شيئاً من الفقراء. وقد عـــين رئـــيس البلدية مفتشين صحيين، ومفتشين لمراقبة الأسواق، والاعتناء بنظافة المدينة والمحلات المعدة لبيع المأكولات.

وقد تطورت مدينة بنغازي في السنوات القليلة التي سبقت الاحتلال الإيطالـــي وتوفرت بها بعض الخدمات الحضارية البسيطة. وازداد عدد سكانها بوصول مهاجرين جُدد تركوا مواطنهم الأصلية واجتذبتهم الحياة في بنغازي.

---

(1) محمد بازامه بنغازي عبر التاريخ بنغازي 1968 صفحة 312.

وكانت البواخر تصل بنغازي من طرابلس وتحمل معها الصحف التي كان يتمتع بقراءتها كل من يحصل عليها، وكان الركاب القادمون إلى بنغازي يحملون معهم أنباء طرابلس وأحداثها.

وفي عام 1902م توفي السيد المهدي السنوسي شيخ الطريقة السنوسية في قرّو بالتشاد حيث كان يقود المعارك ضد الفرنسيين وخشي القادة من أن نبأ وفاة الإمام سوف يؤثر في عزيمة المقاتلين فادعوا أن الإمام قد اختفى، وظلت هذه الإشاعة رائجة زمناً طويلاً. وكان السيد المهدي هو الذي وضع أساس الطريقة ونظمها وجعل منها شبه دولة داخل الدولة، وقد اتخذ من الكفرة عاصمة له، وقد أصبحت مركزاً مهماً في الصحراء تتفرع منها الطرق إلى الشمال والجنوب والغرب، وقد أسس السيد المهدي جامعة الجغبوب التي تخرج منها عدد من العلماء المعروفين ومن بينهم عمر المختار. وقد امتد نفوذ السنوسية في عهده إلى أقطار أفريقية كثيرة، بالإضافة إلى نفوذها وتأثيرها بين عرب برقة.

بنك روما في ليبيا :

من المعروف أن مطامع إيطاليا في ليبيا بدأت مُنذ استيلاء فرنسا على تونس، التي كانت إيطاليا تُمهد للاستيلاء عليها، بفضل عشرات الآلاف من الإيطاليين، الذين كانوا يعملون في تونس، وقد ظلت إيطاليا عشرين عاماً وهي تفاوض وترجو من الدول الكُبرى الموافقة على استيلائها على ليبيا. وكانت فرنسا آخر الدول التي وافقتها، وكانت إيطاليا تُدرك أهمية موافقتها، فكان أن سمحت فرنسا لإيطاليا باحتلال ليبيا مقابل احتلالها للمغرب. وشرعت إيطاليا مُنذ بداية القرن في التمهيد لاحتلال ليبيا، فبعثت عيوناً وجواسيس إلى ليبيا لشراء الذمم والضمائر، وبعثت إلى مصر مندوبين عنها، ليعملوا في الجامعة المصرية وخارجها، لاكتساب ودّ الشعب المصري إلى

جانب إيطاليا في حالة غزوها لليبيا. وبعد أن أدركت إيطاليا صعوبة الحل العسكري وأخطاره، لجأت إلى أسلوب التوغل الاقتصادي في البلاد الليبية إذ هو ما سيمكنها من السيطرة عليها تدريجياً بدون قتال. وارتأت الحكومة الإيطالية أن خير وسيلة توصلها إلى هذه الغاية هي فتح مصرف في طرابلس ووقع اختيارها على بنك روما ليقوم بهذه المهمة.

وفي 7- يوليه- 1907م بعث ممثل البنك في طرابلس برسالة إلى الوالي يطلب منه الإذن بفتح مصرف في شركة أربيب اليهودية، التي اشترى البنك جميع حقوقها، ورفض الوالي الطلب؛ لأن القانون التركي ينص على وجوب الحصول على تصريح إمبراطوري؛ لكي تقوم أي شركة أجنبية بنشاط في الولايات العثمانية. وبذلت إيطاليا جهودها وضغطها على تركيا، حتى قررت الحكومة إرسال رسالة إلى والى طرابلس تطلب منه التصريح مؤقتاً لبنك روما بالعمل في طرابلس، إلى أن يصدر الإذن الإمبراطوري.

وهكذا بدأ بنك روما نشاطه في ليبيا الرامي إلى الاستيلاء على جميع النشاطات الاقتصادية، بحيث تصبح البلاد مع مرور الزمن محمية إيطالية. وطلبت الحكومة الإيطالية من مدير البنك في طرابلس بأن يعمل كشركة أجنبية خاصة، لا علاقة لها بالحكومة الإيطالية، إلا أن مدير البنك تصرف على عكس ذلك، وكانت جميع تصرفاته تُنبئ بأنه كان مقدمة للغزو الإيطالي. وأدركت الحكومة التركية والشعب الليبي الغاية التي يرمى إليها البنك فناصبته العداء، وقد فتح البنك فرعاً في بنغازي، ووكالات في المدن الساحلية الأخرى. وكان نشاطه المصرفي مفيداً للتجار الطرابلسيين ولمن يتعامل معه، فقد أدخل إلى البلاد النظم المصرفية الحديثة، التي كانت لا تعرفها، ولمس التجار السرعة والدقة في التعامل مع البنك. وقد أخذوا يتعودون على النظم المصرفية الحديثة. أما في النواحي الأخرى الاقتصادية والصناعية فقد فشل البنك في مهمته. فقد أقام طاحوناً للغلال قيمته مليون

ليرة إيطالية وقدرته الإنتاجية تتفاوت ما بين خمسمائة وألف قنطار يومياً، وكان يظن البنك أن طاحونه الحديث سوف يكتسح الطواحين الأخرى ويصبح الوحيد الذي يزود طرابلس بالدقيق. إلا أن الطرابلسيين تشبّثوا بطواحينهم القديمة، ولم يطحنوا غلالهم في الطاحونة الجديدة، التي اقتصر إنتاجها على أربعة أو خمسة قناطير في اليوم، غير أن هذه الطاحونة أفادت إيطاليا بعد الغزو في طحن ما يلزم جنودها من دقيق. وأقام البنك أكثر من مصفاة للزيت، لاستخراج زيت خفيف صحي بدلاً من الزيت ذي الحموضة المرتفعة الذي يستهلكه السكان، وكانت أسعار المصفاة الحديثة مرتفعة بالنسبة لأسعار الزيت العادي المُباع في الأسواق، ولذلك لم يُقبل الناس على شراء الزيت الإيطالي، وفشل المشروع. وأنشاء البنك مصنعاً لإنتاج الثلج، وقد أقبل الناس عليه خاصة في فصل الصيف، وأنشأ مطبعة كان يطبع فيها صحيفة تنطق باسمه، كما كان يُحاول الحصول على أشغالٍ عامة، كرصف الطرق، وبناء ميناء طرابلس، وغير ذلك من المشروعات. وكان البنك يهتم بشراء الأراضي؛ لإعدادها للمتعمرين الإيطاليين القادمين، وكانت البلاد في تلك الفترة في حالة فقر واحتياج؛ مما كان يضطر الناس إلى رهن أراضيهم في البنك، ثم يعجز هؤلاء عن سداد الرهينة ويقوم البنك ببيع عقاراتهم التي يستولى عليها.

وفي بنغازي أرادت إيطاليا أن يكون اهتمام البنك فيها منصباً على الزراعة، وتربية الحيوانات، وهما النشاطان الأساسيان لسكان برقة، فقام بشراء قُرابة أربعة آلاف هكتار من الأراضي في القوارشة، ليتخذ منها مزرعة نموذجية، يقوم فيها بدراسة التربة والمزروعات، وكميات المياه المطلوبة، وخصوبة الأرض، وقد أعطت الأرض نتائج مشجعة للبنك فقام بشراء المزيد من السواني في اللثامة، والفويهات، والرحبة، وطابلينو، وغيرها من المناطق المحيطة ببنغازي، وقد بلغ عدد السواني التي اشتراها

أكثـــر من مائة سانية اضطر أصحابها إلى بيعها بسبب الفقر والحاجة، وقام البـــنك في بنغازي بشراء خمسة عشرة ألف رأس من الأغنام، ووزعها على المـــشائخ ليتولوا تربيتها بالمشاركة، إلا أن الأغنام بيعت وذهبت إلى مصر، ولم يفز البنك بأي شيء منها.

وفي طرابلس ازداد الجفاف، وازداد الفقر والحاجة، وعجز الناس عن إيجـــاد الـــبذور التي يزرعونها في أراضيهم خلال الموسم الشتوي، ووقفت الحكـــومة التركية عاجزة عن تقديم أي مساعدة، فبادر البنك في عملية ذكية إلـــى جلـــب الحبوب من إيطاليا، وتوزيعها على الناس على أن يعيدوها بعد الحـــصول على المنتوج الجديد، وقدر الناس هذا العمل للبنك الذي كان أرحم عليهم من حكومتهم الإسلامية. وفي عام 1910م ازدادت خسائر البنك، وشعر بالفـــشل في كل أعماله، إلا أنه كان يأمل في أن الغزو الإيطالي سوف ينقذه من ورطته التي وقع فيها، وأخيراً جاء الغزو وأخذ البنك يتعامل مع القوات المـــسلحة، ويـــورد لها كل طلباتها، ويقوم بتفريغ سُفنها في الميناء، إلا أن القـــوات المـــسلحة تنكـــرت له، واستولت على أجهزة تفريغ السفن بالميناء، وأُصيب البنك بلطمة كبيرة، وقامت الإدارة المركزية بطلب التعويضات عن خـــسائرها في ليبيا، إلا أن الحكومة لم تلتفت إليها. وأخيراً أقامت قضية ضد الدولـــة الإيطالية، وخشيت الحكومة الإيطالية أن يصدر الحكم لصالح البنك، فتفاوضـــت معـــه، وقدمت إليه مليون ليرة، وقد اضطر البنك إزاء خسائره الكبيرة في ليبيا إلى تخفيض رأس ماله بنسبة خمسة وعشرين في المائة.

العادات والتقاليد:

لقـــد جـــاء أبناء مصراته وزليتن وتاجوراء إلى بنغازي التي شيدوها، وجعلوا منها قرية كبيرة، جاءوا وكل واحد منهم يحمل عاداته وتقاليده، التي فُرضـــت علـــى المدينة الجديدة، وظلت سائدة إلى آخر القرن، وقد اختلطت

بعوائد وتقاليد البدو الذين سكنوا المدينة، والذين يحيطون بها. فالمساكن التي شيدوها في بنغازي كانت على نفس طراز مساكنهم في مصراته، وتاجوراء، وزليتن، وكذلك كانت عادتهم وتقاليدهم التي اختلطت بعادات وتقاليد المهاجرين الآخرين، وتكونت عادات وتقاليد خاصة بمدينة بنغازي ظلت قائمة إلى وقت قريب.

كانت حفلات عقد القران تُعقد في البيوت، ومن ليس لديه متسع في داره يلجأ إلى وضع كراسي وحُصر للمدعوين في الشارع، وبعد أن تتم مراسم العقد يوزع على المدعوين والجيران الشربات الذي يصنع في الدار، ويوزع التمر. أما حفل العرس فيقام في البيوت في وسط الحوش، وكان يدوم ثلاثة أو سبعة أيام، حسب مقدرة أهل العِرس، وتبدأ أيام العرس بالرمي، حيث تذهب النسوة على أقدامهن تحت بطانية يمسك بأطرافها أربعة من الرجال، وتتقدم موكبهنّ الغيطة والطبل، وخادمات يحملن أسبت بها ملابس العروس وذهبها والهدايا المرسلة إليها، ويسبق هؤلاء عربات تجرها الحمير تحمل الحطب، والأرز، والسمن، ولوازم عشاء المدعوين، وعلى رأس الموكب تسير الخرفان المرسلة للعروس، وترتفع زغاريد النساء السائرات تحت البطانية، وهنّ يرددن الأغاني إلى حين وصولهنّ إلى دار العروس، فيقدمن الهدايا التي جئن بها، ويقوم أهل العروس بإكرامهن. وفي يوم الحناء يقام الحفل في دار العروس، ويعدّ الطعام للمدعوين، وتجلس العروس وأمامها الدربكات، والمغنيات، والراقصات، اللاتي يواصلن الغناء والرقص إلى ساعة متأخرة من الليل. وبعد العِشاء يتحرك من دار العريس موكب نسائي، تحت البطانية إلى دار العروس؛ ليقمن بتحنيتها، وترتفع الزغاريد والدرابيك، عندها تقدم إليهم المشروبات والحلويات ويبقين فترة من الزمن ثم يعدن إلى دارهن، ثم تأتي ليلة الظهور، أي دخول العريس على عروسه فيستعد أهل العروس لإعداد العروس وإلباسها، وتجميلها، ثم يأخذون خصلة من شعرها، ويربطونها في شريط

حريري، ويعطونه لأحد صبيان العائلة، ويطلبون منه إعطاءه للعريس، فيذهب الصبي ويقدم خصلة الشعر للعريس الذي يمنحه بعض النقود، وفي العشية يتحرك موكب العروس من دارها ومعها النسوة رفيقاتها تحت بطانية حمراء، ويسرن على الأقدام، حتى دار الزوجية، فتدخل العروس، ويعد لها مكان بارز وتقام حفلات الغناء والرقص، ثم يوزع الطعام على المدعويين، فأمّا العريس فيذهب مع أصحابه لصلاة العشاء، ويخرج من المسجد وأمامه بعض من ينشد الأناشيد ويستمر الموكب حتى دار العروس، فيدخل هو ويظل أصحابه في الخارج، وتخلى له النساء الطريق فيدخل على عروسه التي يراها وتراه للمرة الأولى. وبعد قضاء حاجته يخرج إلى أصدقائه، ويتوالى العرس في دار العريس وتجرى العادة في أن يجتمع أصدقاء العريس، ويُطلق عليهم اسم (العراسة) فيجتمعون في أحد الدور، ويأتون بدرباك وزمار، ويقضون وقتاً طيباً إلى ساعة متأخرة من الليل. وفي صباح اليوم التالي يُعد أهل العروس الغداء للعريس وأصدقائه، ثم يقوم أصدقاء العريس بدعوته هو والمجموعة كل يوم إلى الغداء لمدة عشرة أو خمسة عشر يوماً، حسب عدد المشاركين. وفي اليوم الثاني للعرس يُقام حفل التسندير، حيث تجلس العروس في دارها الجديدة، ويأتي إليها المهنئون حاملين هداياهم، ويتناول الجميع الغداء، ويظلون إلى ساعة متأخرة من المساء. وفي يوم الأسبوع يقيم أهل العريس حفلاً شائقاً يتجمع فيه الأقارب والأصدقاء، ويوزع الطعام على المدعوين، وتقوم الدرباكات والمغنيات بدورهن في هذا اليوم، الذي تنتهي به مراسم حفلات الزواج. ولم تتطور هذه العادات في شيء إلا في نقل العروس من دار أبيها إلى دار الزوجية بدلاً من سيرها ومن معها على الأقدام في عربات حنطور وتلف العربة التي تحمل العروس ببطانية حمراء، بحيث لا تصل الأنظار إلى العروس وهي داخل العربة.

أمـــا حفـــلات خـــتان الأطفال فبصورة عامة تتشابه، وإن اختلفت في الإمكانـــيات، فعـــادة يُدعى الأقارب والأصدقاء إلى الغداء، فيُقدم لهم الطعام الشهي والحلويات، ويحتسون كأس الشاي ثم يذهبون إلى المكان الذي يجرى فـــيه الختان، وعادة ما يقوم بعملية الختان أحد الحلاقين، فيأتي ومعه موسه، ويقوم بعمليته، ويعقمها بقليل من العنكبوت، وإذا كان والد الطفل مقتدراً مالياً فـــإن الحفـــل يـــدوم أكثـــر مـــن يـــوم ويجيء، الناس لتهنئة الوالد والطفل ولتناول الطعام.

فأمّا رأس العام الهجري، ويُطلق عليه اسم الفتاشة، والناس لا يحتفلون بـــه، وإنما جرت عاداتهم بوضع قليل من الجير على جانبي أبواب المنازل تفاؤلاً بالعام الجديد، وهو يرجئون الاحتفال بالعام الجديد إلى يوم عاشوراء، وكـــان يـــوماً مـــشهوداً فـــي بنغازي وفي شمال أفريقيا، وقد توارث الناس الاحـــتفال به من قِبَل الفاطميين الشيعة عندما احتلوا البلاد، فتقام في المساء الـــولائم، ويخرج الأطفال إلى الشوارع حاملين القناديل، ويقوم الكبار بحمل جمـــل عاشوراء، وهو عبارة عن صندوق من الخشب مدبب يغطى بالقماش وبه فتحة من الأمام، تخرج منها عصا طويلة، يمشى بها من يضع الصندوق علـــى كتفـــيه، وتكون العصا مغطاة بالقماش، ويعلّق في آخرها رأس جمل، ويتجمع الأطفال حول الجمل، ويسيرون وراءه هاتفين له، ويتنقل الجمل من شـــارع إلى آخر، وأحياناً تتقابل الجمال في الشارع، وتظل المدينة على هذا الحـــال إلى ساعة متأخرة من الليل فيعود الجميع إلى منازلهم، وفي ثاني يوم عاشوراء يوزع الناس على بعضهم وعلى الأطفال الفول والحمص المطبوخ، ويدعون بعضهم إلى الغداء في منازلهم.

وعندما يهل شهر ربيع الأول تبدأ الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، وذلـــك بفتح المساجد ليلاً، ولإضاءتها وقراءة قصة البغدادي فيها بعد صلاة العـــشاء. وتلبس المدينة مظهراً جديداً في هذه الليالي المباركة، فالأنوار في

كل مكان، والحركة ليلاً مستمرة، والناس يزور بعضهم بعضاً. وتفتح الزوايا الصوفية أبوابها، وفي كل ليلة يتجمع فيها الناس لحضور الذكر والأناشيد الدينية، وخارج الزاوية يُقام شبه مهرجان، فتباع الحلويات، وتُقام حفلات رياضية، ويتجمع الأطفال وهم يرفعون أصواتهم باللغط والكلام، ويتردد الناس على هذه الزوايا طيلة الأيام الأحد عشر، التي تفصلهم عن يوم المولد الشريف.

وفي يوم المولد النبوي الشريف تُعدّ العصيدة في جميع البيوت احتفاء بهذه الذكرى السعيدة، وتخرج الزوايا الصوفية بدفوفها، وأعلامها، وأناشيدها تجوب الشوارع، وتزور الأماكن الهامة، وشخصيات المدينة؛ وكان بعض المنتمين للزاوية يشجون رؤوسهم بالسواطير، فتسيل الدماء على ملابسهم، وهم في الموكب، وهي عادات توارثوها من العهد الفاطمي. وقد زالت فيما بعد هذه العادة، ومُنع القيام بها. وكان الناس بعد صلاة العصر يذهبون إلى مسجد عصمان لزيارة الشعرة النبوية والتبرك بها. وتظل المدينة، وخصوصاً أطفالها، في فرح وسرور طيلة اليوم.

ويستعد أهل بنغازي استعداداً طيباً لملاقاة شهر رمضان في كل عام، فهذا الشهر المبارك يحتل مكانة وقيمة بين الناس الذين يحتفلون بمجيئه وذهابه في كل عام، ويستعد الناس قبل حلول شهر الصيام بشراء لوازمه من المأكولات، واللوز، والفول السوداني، والصنوبر، وغيره من لوازم رمضان. وقبل أن يعرف الناس وسائل الاتصالات السريعة كانوا يقضون ليلة الصيام أمام المحكمة الشرعية ينتظرون من سيأتي ويشهد برؤية الهلال. فإذا جاء أحد وشهد برؤية الهلال، أمام القاضي وزكاه شاهدان يحكم القاضي ببداية شهر رمضان، وإلا فيكون الغد هو المتمم لشعبان. والغريب أن البلاد متقاربة، ومع ذلك فهي تختلف في بداية صومها، فلو فرضنا أن الهلال رئي في اجدابيا، وقرر القاضي بداية الصيام، ويكون في بنغازي قد انعدمت رؤيته الهلال،

وأصـــبح الـــناس فاطرين وذلك بسبب قلة الاتصالات السريعة التي تربط بين مختلف البلاد. ويسرّ الناس سماع أذان المغرب، وإطلاق مدفع الإفطار؛ لأنهم يقـــبلون علـــى طعـــام شهي، وكانت أطعمة رمضان في بنغازي شهية بمعنى الكلمة، وتتألف من الشُربة اللذيذة، ومن طاجين لحم بالبطاطة، ومفروم باللحم والبـــيض، أو بـــدل الطاجـــين طـــبق مـــن الكسكسى، أو الرشدة، أو الأرز، والـــبوريك، والـــبقلاوة، والبـــراك. وتحاول النسوة تغيير المأكولات بين ليلة وأخرى، كى لا يتكرر ما أُكل في الليلة السابقة أن يُؤكل في هذه الليلة. وصلاة التراويح يحرص أغلب الناس على أداءها. وكان في دور بعض المقتدرين فقيه يصلي بالمدعوين صلاة العشاء والتراويح، ويتزاور الناس في رمضان وتظل الأنـــوار مضاءة، والحركة دائمة إلى ساعة متأخرة من الليل. وهناك من يظل متيقظاً إلى حلول وقت السحور، وهناك من ينام ثم ينهض للسحور. وعادة ما يتناول الناس في السحور مأكولات خفيفة. ويحتفل أهل بنغازي بكبيرة حلوله، وكبيـــرة النـــصف منه، وكبيرة 27 رمضان، وتقدم في هذه الكبائر مأكولات خاصـــة، ويقـــضى الناس سهراتهم الرمضانية في المرابيع، أو في المقاهي، وخاصـــة مقاهـــي الفندق، التي يكثر بها لاعبو الورق، والخاتم، وفي المرابيع تـــدوم الـــسهرة إلى ساعة متأخرة من الليل، يلعب خلالها الحاضرون الورق، وتقـــدم إلـــيهم الحلـــويات والإسفنز. ويحل العيد بثبوت الرؤية، حيث تتأهّب المحكمـــة الشرعية لاستقبال الشاهد الذي ينبئوها بنهاية رمضان. وتقام صلاة العـــيد مبكـــراً، ويذهب إليها الناس جمعات مرددين بصوت عال "الله أكبر الله أكبـــر ولله الحمد"، وبعد الانتهاء من صلاة العيد يقوم المصلون بتهنئة بعضهم بعـــضاً بهـــذه المناسبة السعيدة، ويفرح الأولاد بالعيد ويقرعون دور الأقارب والجيـــران للحـــصول على العيدية، ولم تكن في بنغازي لا ملاه، ولا وسائل تـــرفيه للأولاد، والوسيلة الوحيدة التي كانوا يتمتعون بها هي رحلة بالقوارب

إلى شاطئ جليانة والعودة. وتعد الحلويات بأشكال مختلفة لتقديمها إلى المهنئين بالعيد، ويتوافد على الدور المهنئون من أبناء البلاد.

أما عيد الأضحى فالاحتفال به يأخذ شكلاً آخر فيذهب الناس للمسجد لأداء صلاة العيد، ثم يعودون إلى دورهم للإشراف على ذبح الأضاحي، وتعليقها وتقطيعها، ويتلذذ الجميع بأكل قطعة من لحم الأضاحي المشوي في الدار. ثم يتوافد الناس بعد الظهر على بعضهم للتهنئة بالعيد المبارك. وكان بعض الناس يعدّون يوم عيد الأضحى وعيد الفطر (قِصاع) من الأرز واللحم، وترسل إلى المساجين في سجنهم، وتوزع على الفقراء، ويقوم الناس عادة يتوزيع جزء من لحوم الأضاحي على الفقراء.

كان أهل مدينة بنغازي في العهد العثماني يعشقون الإسكندرية، ويحاولون زيارتها كلما استطاعوا، وكان أصحاب الأغنام التي كانت تصدر إلى مصر إذا باعوا أغنامهم يذهبون إلى الإسكندرية، وينزلون في لوكاندة العثمانية وغيرها، ويقضون وقتاً طيباً فيها قبل أن يعودوا إلى بلدهم، وكان المقتدرون مالياً يذهبون إلى الإسكندرية للزيارة والتسوّق، وقضاء بعض الوقت في هذه المدينة البديعة. وكان المرضى المقتدرون يذهبون للعلاج في الإسكندرية.

ويرسل بعض الناس أولادهم للدراسة في الأزهر، فإذا عادوا بعد تخرجهم إلى بنغازي، قاموا بإلقاء الدروس على المواطنين في المساجد، وفي الزوايا، وفي منازلهم، وهم بذلك يقومون يؤدّون واجباً كبيراً في سبيل تعليم أبناء بلدهم إلى جانب من سبقهم. ولولا صعوبة السفر ونفقاته لما بقى فرد لم يزر الإسكندرية. أما تركيا فلم يتعود على زيارتها إلا أفراد قليلون من ذوى المصالح، فهي بعيدة عن بنغازي، والسفر إليها شاق، وتكاليفها لا يحتملها الفرد العادي. أمّا الاتصال بطرابلس فكان بطيئاً، ويقوم بعض الناس به لزيارة أقاربهم أو للتجارة. ولم ير معظم سكان مدينة بنغازي الجبل

الأخضر، ودرنة، وطبرق، وكان مشائخ الجبل، وأعيان درنة يزورون مدينة بنغازي. وكان لكل قبيلة من قبائل الدواخل أصدقاء في المدينة ينزلون في بيوتهم عندما يحلون في بنغازي. أما مدينة المرج فهي مرتبطة بمدينة بنغازي، والزيارات متبادلة بين المدينتين، وكذلك كانت مدينة اجدابيا.

أما الجاليات الأجنبية المرتبطة بمدينة بنغازي فكانت أكبرها الجالية المالطية، التي تُعد بعدة مئات، والتي استقرت بالمدينة منذ زمن بعيد، ويعمل معظم أعضائها في صناعة الفخار، وكانوا يسكنون بشارع سيدي سالم، وعمل بعضهم في الزراعة والتجارة، وكان من بينهم أثرياء وملاك. وقد بنى أحدهم مبنى في شارع النصارى(تورينو) وأقام المبنى فوق قوس يصل ما بين شارع النصارى وشارع العقيب، وقد عُرف بقوس(بيله)، وكان من أجمل آثار بنغازي القديمة، وقد أمرت البلدية بهدمه، ولا أعرف ما هو سبب ذلك. وظل المالطيون يقيمون في بنغازي حتى أخرجهم منها الإيطاليون خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك بصفتهم أعداء تابعين لبريطانيا. الجالية الإيطالية فعددها قُرابة مائة نسمة، ومن بينهم سلالات أسرى إيطاليين في العهد القرمانلى، وبعضهم يعيشون على المساعدة الحكومية، ومنهم من يعمل في التجارة. ولم تستهو الإقامة في بنغازي الإيطاليين كما كانت تود حكومتهم في إيجاد جالية إيطالية نشطة تعمر الأراضي، وتسيطر على اقتصاد البلاد. فأمّا الجالية اليونانية فليست بالجالية الكبيرة، وإنما هي جالية نشطة تمارس أعمالاً مختلفة، ومن بينها البقالة، ويقيم بعض اليونانيين في بنغازي منذ أكثر من مائة عام. وأما الجالية الأرمينية فعددها قليل، وقد جاءت مع الأتراك وأكثرهم يعمل موظفاً مع الإدارة التركية. ولا توجد جالية تركية بمعنى الكلمة، فالأتراك المقيمون ببنغازي هم موظفون في الحكومة، أو ضباط في الجيش، أو أفراد لا صفة لهم. أما الجالية التونسية والجربية والصفاقسية والمغربية فقد اندمجوا في المجتمع الليبي بحكم الدين والعروبة، وأصبحوا

جزءاً منه، ومعظمهم يمارسون التجارة بالجملة والقطاعي في سوق الظلام، وفـــي ســـوق الجريد. وتتكون الجالية اليهودية من قرابة 3000 نسمة، وهم يمارســـون التجارة بصورة رئيسية إلى جانب بعض المهن، كصناعة الذهب والفضة، وقد جاءو إلى بنغازي من المغرب وإيطاليا، ونواح أخرى من ليبيا، وأكثرهم يحملون الجنسيات الإيطالية والأسبانية والبريطانية، وتبقى قلة منهم يحملون الجنسية الليبية. وجاء اليهود إلى شمال أفريقيا أوّل مرة في عهد حكم الـــيونان لبرقة، وقد جاءوا مع الإسكندر المقدوني بعد خراب معبد سليمان، واســـتقروا فـــي قورينا، وأصبحوا جزءاً من مواطنيها، وكان عددهم كبيراً، حتى إنّهمَ قاموا بثورة ضد اليونانيين، وأحرقوا جزءًا كبيراً من مدينة قورينا، وقامت السلطات اليونانية بقمعهم، وطردهم منها فاتجهوا نحو الغرب، فاستقر جـــزء مـــنهم فـــي مدينة برنيق (بنغازي)، واتجه الجزء الآخر إلى شمال أفـــريقيا، حيث عمدوا إلى تهويد البربر، وفي بنغازي قام اليهود أيضاً بثورة ضد السلطات الرومانية، ولكن الإمبراطور أدريان أمر بالقضاء عليهم، وفر مـــن بقـــى مـــنهمَ على قيد الحياة إلى شمال أفريقيا، وواجه الفتح الإسلامي مقاومـــة شـــديدة دامـــت سبعين عاماً من قبل البربر اليهود، الذين كان آخر قـــادتهم الملك كسيلة والكاهنة، وتبعثروا بعد ذلك وانتشروا في ليبيا في حين نبذ البربر اليهودية واعتنقوا الإسلام.

أمـــا المرأة فكان دورها عظيماً في المجتمع، على الرغم من القيود التي كبلتها والأسوار التي تحجبها عن العالم. فكانت تعيش داخل الأسوار، لا ترى الشارع، ولا ترى إنساناً إلا من يدخل بيتها، وكانت تقوم بخدمة زوجها وتربية أطفالهـــا، والاهتمام بمن كان يسكن معها، وكذلك القيام بطحن الغلال، وإعداد الخبـــز، والطعـــام، وتنظيف المنزل، وإعداد الطعام للضيوف، وتلبية طلبات زوجهـــا فـــي سهراته مع أصدقائه. وكانت الطبقة الفقيرة، وبعض من الطبقة المتوسـطة لا يحـــتفظون بالـــسكر والشاي في دورهم فكانوا يشترون السكر

والشاي لكل وجبة ولكل مناسبة، وكان النساء إذا أردن إعداد الشاي للعشيات، ولـــم يجدن ثمن السكر والشاي، يقمن بأعمال يدوية كثيرة، وكنّ يبعنها لدكان الـــبقال الـــذي يـــتعاملون معه ومقابل ذلك يمدهن بما يردن من سكر وشاي. وكانـــت الفـــتاة إذا تـــزوجت لا تغادر المنزل إلا بعد عام، فيؤذن لها من بعد بالـــذهاب لزيارة أهلها. وكانت لا تخرج إلا ليلاً حتى لا يراها الناس، ثم كان يُـــسمح لها بزيارة أهلها مرة أو مرتين في العام، وكانت تُشارك في المناسبات التي تقع عند أهلها، كالزواج والموت. وعندما يكبر الأطفال ويتزوجون يؤذن لهم بالسكن في دار العائلة، ولا يُسمح لأحدهم بالحياة خارج دار العائلة إلا في حـــالات الـــضرورة. وتظل الأسرة تنتظر بلهف حتى تحمل العروس الجديدة، فـــإذا تم الحمل كانت الفتاة محل عناية واهتمام طيلة مدة حملها. وعندما تضع مـــولدها تعم الفرحة جميع الأهل والأقارب، ويتقدم المهنئون على مدى سبعة أيـــام، وتقـــدم إلـــيهم البسيـــسة، وهي خليط من عجين بالتمر ودقيق الشعير المحمـــص، وتقدّم العصيدة بالسمن والعسل. وفي يوم الأسبوع يُذبح رأس أو أكثر من الأغنام، ويوزع لحمه على الأقارب والجيران.

ومعظـــم وجهـــاء بنغازي وأعيانها لا يقومون بأي عمل، ولا يمارسون الـــتجارة، ويوجهـــون كل اهتمامهم إلى الزراعة، فكانوا يشرفون على عمليات الحرث في الخريف، وعلى عمليات الحصاد في الصيف، فإذا كان الإنتاج وفيراً بـــيع الفـــائض مـــنه، وإذا كان قليلاً احتفظ به لوقت الحاجة. وكان الواحد منهم يـــذهب وقـــت فـــراغه إلى صديق له في سوق الظلام، فيجلس عنده حتى وقت صـــلاة الظهـــر فيعود إلى داره ليتناول الغداء، ويظل في المنزل، ثم بعد صلاة العصر يتفرغ للزيارات، إذا لم يكن لديه اجتماعات، أو دعوات، أو لقاءات.

وكانـــت الحكـــومة قد أسست في اسطنبول مدرسة أطلقت عليها اسم مدرســـة العـــشيرة، وخصـــصتها لتعليم أبناء الأعيان من الولايات العربية، وكانـــت المدرسة تنقسم إلى قسمين عسكري ومدني، فالقسم العسكري يخرج

ضباطاً والقسم المدني يخرج موظفين. وقد تخرج جميع الضباط الليبيين الذين عملوا مع القوات المسلحة العثمانية من هذه المدرسة. وقد أرسل الضباط البنغازيون المتخرجون للعمل في بنغازي، فكانوا مفخرة أهلها وهم يرون أبناءهم يرتدون الزى الرسمي للضباط الأتراك، ويتصرفون مثلهم. وكان الذين يتخرجون من القسم المدني يلتحقون بوظائف رفيعة، فقد تخرج عمر منصور الكيخيا من المدرسة المدنية، وعُين بعد تخرجه قائمقاماً لجالو وأوجله. وقامت مدرسة العشيرة بخدمات جليلة للولايات التركية العربية، فقد تخرج منها العديد من الضباط والموظفين الذين تولوا أعمالاً هامة في بلادهم. وكانت السلطة تختار الطلبة من بين أبناء أعيان البلاد، وشارك الضباط الليبيون في معارك الجهاد ضد إيطاليا، وأبلوا بلاء حسناً. وشارك اثنان من هؤلاء الضباط في حرب تركيا في اليمن وهما حسين كويري، وحسين بسيكري، وقد أنعم عليهما السلطان بالباشوية، وعادا إلى ليبيا لمواصلة عملهما.

ونذكر من هؤلاء الضباط أسماء كل من:

1. صالح المهدوى.
2. حسين كويرى.
3. مادى تربل.
4. محمد الرعيض.
5. عبدالجليل العنيزى.
6. ميلاد البورى.
7. عمران نجم.
8. عمران الجاضرة.
9. حسين فليفلة.
10. خليل حباق.
11. عبدالقادر الغناي.

وأما الذين تخرجوا من المدرسة المدنية فنذكر من بينهم:

1. عمر منصور الكيخيا.
2. سعدالله بن سعود.
3. حميدة العنيزي.
4. بديعة سرور.
5. على حامد العبيدي.
6. البشير السنوسى الهوني.
7. عبدالله الشركسي.
8. بوحوية شرمدو.
9. يوسف بن شتوان.
10. منصور بن شتوان.

وخلال فصل الربيع تلبس مدينة بنغازي حُلة جميلة رائعة، تعمّ الخضرة جميع ضواحيها، وتزيّن الزهور أراضيها، فيبدو المنظر رائعاً وأخاذاً، ويقبل سكان بنغازي على التمتع بما منحتهم إياه الطبيعة من خير، فتعد الأسر البيض الملون والطعام، وتخرج إلى الخلاء، وتأخذ المدارس تلاميذها للتمتع بمنظر الربيع، وحتى كبار السن من الرجال يجتمعون ويأخذون معهم الخرفان، ويذهبون للتمتع بالربيع، وفي الربيع يكثر لحم الحولي، والزبد، ويعم الخير، ويُسر أصحاب الماشية؛ لأن أغنامهم سوف تجد المرعى، ويسر المزارعون بأن العام سيكون عام خير، وبأنّ الإنتاج سيكون وفيراً. وفي الربيع يُصبغ البيض بألوان كثيرة، ويوزع على الأطفال. وفصل الربيع هو أجمل فصل تتمتع به بنغازي، ويستهويها حتى وإن كانت كميات المطر التي سقطت شتاء أقل من الكمية المطلوبة، فأصحاب الأغنام يذهبون في هذا الفصل لتفقد حيواناتهم في الأماكن البعيدة حيث يشرف على

رعايتها شركاؤهم من أبناء قبائل الدواخل، وهناك يقضون أياماً، وهم يتنقلون من مكان إلى آخر لرؤيتها.

ويعتبر موسم الحج من المواسم الهامة بالنسبة لأهل بنغازي، فالمرشحون للحج إلى بيت الله تعالى يعلنون عن نيتهم للقيام بهذا الفرض مُنذ مدة طويلة، ويقومون بإعداد ما يلزم لهذه الرحلة المقدسة. وعليهم حينئذ أن يعدّوا لرحلتهم هذه الكسكسى، والقديد، وبعض المأكولات الأخرى، لأنهم لا يأكلون من طعام أهل مكة إلا الخبز، والفاكهة إن وجدت، وعليهم أن يعدّوا الملابس اللازمة للإحرام، والملابس العادية، وفي هذه الأثناء يتردّد عليهم الزائرون والمهنئون. وفي الموعد المحدد لسفرهم يتجمع أهل المدينة في الميناء لتوديع الحجاج المسافرين، وكان الناس يطلبون منهم الدعاء لهم أمام الكعبة والدموع ترقرق في أعينهم من شدة التأثر، فكل منهم يتمنى أن يكون هو المسافر إلى بيت الله، ولكن ظروف كل واحد تختلف عن الآخر. ويرفع العلم الأبيض على دار الحاج المسافر، ولا ينزل إلا لدى عودته أو سماع نبأ موته، وكان موسم الحج في ذلك الوقت يعرض القادمين من الخارج إلى كثير من الأمراض، ومن العادة ألاّ يعود جميع الحجاج إلى بلدهم بل يدفن بعضهم تحت تراب مكة.

كان سكان الدواخل من أبناء القبائل يأتون بنغازي، لبيع نتاجهم الحيواني والزراعي في المدينة، ولشراء ما يلزمهم من سوق بنغازي، وكان هناك تجار مستعدون لشراء الحبوب والحيوانات، التي يأتي بها أبناء الدواخل، ويعدونها للتصدير، وكانت الثقة هي السائدة في السوق، وعلى أساسها تتمّ عمليات البيع والشراء بين التجار، وأصحاب الحيوانات، والحبوب، وكان كل شيخ يأتي إلى بنغازي لبيع نتاجه يربط صداقة بأحد تجار السوق، فيذهب إليه، ويسلمه كل النقود التي باع بها حيواناته وحبوبه، ويسلمه قائمة، بما كان يريد أن يشتريه من السوق. ويجلس عادة في محل

التاجـــر يحتسى الشاي، في حين يقوم التاجر بشراء متطلباته ويأتيه بها إلى محلـــه، وقد تستغرق العملية أكثر من ثلاثة أيام، ينزل فيها الشيخ ضيفاً على التاجـــر، وبعـــد أن يقـــوم التاجر بشراء ما يطلبه الشيخ، يقوم الأخير بنقل البـــضائع، ويستعّد للسفر، ويترك ما تبقى من نقود أو معظمها عند التاجر، ويقـــول لـــه أبقيها عندك، فقد نحتاج إلى شراء أشياء أخرى فخذ ثمنها منها، وكانـــت هـــذه منتهـــي الثقة بين البائع والشاري. وكانت الكلمة هي أساس العملـــيات فـــي السوق، فالتاجر يبيع بالكلمة، ويشترى بالكلمة، ولا يمكن أن ينكـــر كلمـــته، أو يتـــراجع عنها مهما حدث، فالتاجر الكبير في السوق يبيع لتجار القطاعي بضائعه، ويسجل المبيعات في دفتره، ثم عندما يتحصل تجار القطاعـــي علـــى نقـــود يدفعها إلى تجار الجملة، وعندما يحتاج إلى بضاعة يطلـــبها منه، وهكذا تستمر العلاقة بين الطرفين إلى أخر العام، فيأتي وقت المقاصـــة، وتقـــوم على أساس دفتر التاجر. ويرضى تاجر القطاعي بكل ما يُطلب منه؛ لأنه واثق من صدق التاجر الذي يتعامل معه.

العودة إلى العمل بالدستور العثماني:

فـــي عام 1908م قام حزب الضباط المسمى بالاتحاد والترقي بانقلاب علـــى الـــسلطان عبد الحميد، وفرضوا عليه إعادة العمل بالدستور، وإطلاق الحـــريات التي قمعها. وكانت فرحة عمت جميع أرجاء الإمبراطورية؛ لأن الشعوب ملّت دكتاتورية السلطان عبد الحميد، واستبداده المطلق، وبدأ الناس فـــي التظاهر، وتأليف الأحزاب، إلا أن السلطان عبد الحميد لم يتقبل الوضع الجديـــد، ولا مـــا فُرض عليه، فأخذ بواسطة حلفائه يعد العدة لانقلاب ضد جمعـــية الاتحـــاد والترقـــي، ولم تخف تصرفاته على أعضاء حزب الاتحاد والترقـــي، فقاموا بخلعه عن العرش، وإبعاده عن تركيا، وولوا بدله السلطان محمـــد رشـــاد. اســـتقرت الأوضاع في تركيا، وبدأ العمل بالدستور الجديد،

وأُطلقـت الحريات، وقد شمل ذلك ولاية طرابلس بصورة كبيرة، ومتصرفية بـنغازي بـصورة محـدودة. فقـد قامت في طرابلس الأحزاب، وصدرت الـصحف، ودبّ نـشاط سياسـي غير معروف من قبل، وتعددّت الصحف، وأخذت تتحدث عن مشاكل البلاد، وضرورة معالجتها، وعن الخطر الإيطالي الـذي يهدد البلاد، وقامت الانتخابات لانتخاب أعضاء مجلس المبعوثان عن ولايـة طرابلس ومتصرفية بنغازي، وكانت انتخابات هادئة لا انفعالات فيها ولا خلافـات. ففـي بنغازي كانت هناك كتلتان كبيرتان، وهما كتلة الأهالي وكتلة الكراغلة، وبما أنه يطلب من بنغازي ترشيح نائبين، فقد تم الاتفاق بين الكتلتين على ترشيح الكراغلة لعمر منصور الكيخيا، وترشيح الأهالي ليوسف بـن شـتوان، وقد قاما نائبا بنغازي بدورهما في مجلس المبعوثان العثماني، ودافعـا عن حقوق متصرفية بنغازي، وارتبطا بصداقات بالعديد من النواب العرب. وفي بنغازي لم يحدث أي تغيير هام بمناسبة إعادة العمل بالدستور، اللهـم إلا انتخاب النائبين المذكورين لتمثيل المتصرفية في مجلس المبعوثان العثمانـي، فلـم تتأسس أحزاب، أو تصدر صحف لتعبر عن مشاعر الشعب وتطلعاته، بلّ ظلّ الوضع على ما كان عليه، ولم يحدث أي تطور هام على الوضع، سوى أن المغضوب عليهم من النظام العثماني السابق، كالمبعدين في فـزان قد أُطلق سراحهم، وعادوا إلى بلادهم، وانتظر الناس في بنغازي أن تُحـدث إعـادة العمل بالدستور أي تطور لصالح البلاد والشعب، فقد ظلت الأمـور علـى ما كانت عليه، وظلت الضرائب تُجبى بنفس القيمة، وظلت الـسلطة التـركية كمـا هي دون تغيير. فاستمر التهديد الإيطالي والمطالبة باحـتلال ليبـيا كما هو، واستمرت تركيا الجديدة الشابة في الخنوع لمطالب إيطالـيا والخـوف مـن تهديداتها. وكانت إيطاليا تتهم تركيا بسوء معاملة الإيطاليين والأجانب، وبالتمييز ما بين إيطاليا والجنسيات الأخرى في إعطاء الأعمال العامة، وغير ذلك وبتأخر الشعب الليبي الذي انفرد بالتخلف ما بين

جيـــرانه، وقد كان في مقدرة النظام الجديد أن يوقف إيطاليا عند حدها، وأن يهـــتمّ بتحـــصين طرابلس، ويستعدّ للدفاع عن كل ليبيا ضد احتمالات الغزو الإيطالـــي، ولكن شيئاً من هذا لم يقع، وقد سُحبت القوات الموجودة في ليبيا، وأُرســـلت إلى اليمن، وتُركت البلاد تحت حماية سبعة آلاف أو ثمانية آلاف جندي تركي مبعثرين في جميع أنحاء ليبيا. لم تكن في نية تركيا الفتاة حماية ليبـــيا ضـــد الاحتلال الإيطالي، ولا الدفاع عنها، ولذلك ظلت الأوضاع في طـــرابلس وبنغازي كما هي دون أي تغيير. وازدادت طلبات بنك روما غير الـــشرعية فـــي ليبـــيا في عهد تركيا الفتاة، وتجاوبت الحكومة التركية معها جمـــيعها، واستجابت لتغيير والى طرابلس إبراهيم باشا ومتصرف بنغازي، كل هذا تم في عهد النظام الجديد بناء على الضغط الإيطالي الذي لم تستطع حكومة تركيا الفتاة من مقاومته أو رفضه، إن التنازلات التي قُدمت لإيطاليا فـــي عهـــد الاتحـــاد والترقي أكثر بكثير من تلك التي قدمتها تركيا في عهد السلطان عبد الحميد.

لقد كانت الصحافة الإيطالية تُنادى علناً باحتلال ليبيا، وكانت تصرفات بـــنك روما داخل ليبيا تُنبئ بأنها مقدمة لذلك الغزو، ومع ذلك سحبت تركيا قواتها من ليبيا، وجعلتها عرضة للاحتلال الإيطالي وقت ما يشاء، لقد ظنت أوروبـــا بعد الانقلاب أن الشبان الأتراك سوف يعيدون إلى الرجل المريض صـــحته وعافيـــته، وأن تركيا سوف تقف على قدميها كدولة من أكبر الدول الأوروبـــية، ولكن رأت أوروبا أن النظام الجديد لا يختلف عن النظام القديم، وإن الوضع باق على ما هو عليه، ولا يُنتظر أي تطور أو تغيير في أوضاع تـــركيا الحالية. وكان أهل ليبيا يرون بكل أسف تصاعد المطالب الإيطالية، وتقـــاعس ردود الفعـــل التـــركية، وأدركوا أن الحكومة العثمانية قد باعتهم لإيطالـــيا دون أن تقبض الثمن. وكانت خيبة أمل الولايات العربية شديدة في رؤية نتائج الانقلاب الذي عوّلت عليه، واعتبرته المنقذ لتركيا والبلاد العربية

مـــن كـــبوتها. وكانت بالبلاد العربية بوادر ثورات للتخلص من هذه الدولة البالـــية التي لا تستطيع حماية نفسها، أو إصلاح أوضاعها المنهارة. وبدأت اليمن بثورتها التي شغلت جزءاً كبيراً من الجيش التركي دون أن تتمكن من القضاء عليها.

ســيطرت جمعية الاتحاد والترقي على سياسة الإمبراطورية العثمانية عقــب انقـــلاب ســنة 1908م سيطرة تامة. وكانت سياستها إهمال شأن ليبيا والتغاضي عنها عن عمد وقصد. وقد بدت هذه السياسة في مؤتمر سالونيك، ففـــي هذا المؤتمر اتخذت الجمعية قراراً يقضي بعدم الاهتمام بليبيا، وتركها للاحـــتلال الإيطالي، وعدم اتخاذ التدابير التي تصون الولاية من أي عدوان مفاجـــئ، على أن لا تُثار قضية طرابلس كلية في مجلس المبعوثان. وبذلك تخلـــت تركيا عن ولايتها في أفريقيا تخلياً مشيناً، أتبعته بسحب معظم قواتها مـــن ليبـــيا، وترك ستة أو سبعة آلاف جندي مبعثرين في جميع أنحاء ليبيا مسلحين تسليحاً سيئاً، وهم الذين أناطت بهم مهمة مواجهة القوات والأسطول الإيطالـــي. لقـــد ُظن أن جمعية الاتحاد والترقي سوف تصون كرامة تركيا وشـــرفها إلا أنهـــا مـــرغتهما في الوحل. وأشعرت إيطاليا بأنها عاجزة عن الـــدفاع عن ليبيا، وفتحت لها الطريق لاحتلالها. وقد ذُكر أن السلطان محمد رشاد عندما حدّث عن خطر إيطاليا على ليبيا قال لمحدثيه: إنكم تعنون ليبيا تلك البلاد البعيدة التي كان السلطان عبد الحميد يبعد خصومه فيها.

ويقول الدكتور محمد فؤاد شكري في كتابه "السنوسية دين ودولة :" قد صـــرح زعمـــاء هـــذه الجمعـــية وجاهروا غير مرة بأقوال تدل على أنهم لا يـــريقون دم عسكري واحد لصيانة ولاية طرابلس الغرب من إيطاليا، أو فرنسا أو غيرها من الدول.

وقـــد استطاعت إيطاليا الحصول على موافقة الدول الأوروبية بما فيها فرنسا على احتلال ليبيا، والوقوف موقف المتفرج إزاء هذا الاحتلال، وعدم مساعدة تركيا لإيقافه.

هـــذا فـــي الوقت الذي تخلى فيه العثمانيون عن كل محاولة أو تدبير للـــنهوض بالـــولاية مـــن النواحـــي الاقتـــصادية، والإداريـــة، والدفاعية، والاجتماعية، والسياسية، حتى أصبح من المستحيل على رجال هذه الجماعة مهما تفانوا في الإصلاح أن يصلحوا ما فسد للاحتفاظ بها في قبضة سلطان العثمانيـــين. ثم إنهم لو بدأوا في تنفيذ مشروع إصلاحي يهدف إلى النهوض بأهل هذه الولاية، أو يرمى إلى تحصينها من خطر العدوان، لما ترك لهم من الـــوقت ما يكفي لتنفيذه، ولأسرعت إيطاليا بالذات بغزو ليبيا، وامتلاكها قبل أن تثمـــر تلـــك المشاريع فتفلت الولاية من يدها. ولو لم تقم بهذا -وهو أمر غير محتمل- لأقامت إيطاليا الدنيا في وجه جماعة الإصلاح بمؤامراتها.

ولم يكن الأتراك إلا القليل منهم من يفهم روح الشعب الليبي، ولا يقيم وزناً لتقاليده فتكون النتيجة عكسية، بينما الظروف عصيبة، والعدو متربص، وقواته على الأبواب؛ قد يكون رجال الجمعية قد درسوا جميع هذه الملابسات ورأوا شـــتى الاحـــتمالات، وقـــد يكونوا وصلوا إلى بعضها فقط، ولكن مما لا ريب فيه أن أمراً واحداً لم يغفله، وهو موقف إيطاليا من هذه الولاية[1].

ولـــم يُدركـــوا أن كـــرامة دولتهم وشرفها يقتضيان الوقوف في وجه إيطالـــيا، مهمـــا كانت النتائج، ولكنهم لم يأخذوا بعين الاعتبار شرف دولتهم وكـــرامتها، ووقفـــوا ذليلين خانعين أمام مشاريع إيطاليا، التي قد تتسبب في انهيار الدولة العثمانية بأكملها.

---

(1) محمد بازامه بداية المأساة بنغازي 1961.

ونظر الشعب الليبي إلى جمعية الاتحاد والترقي في بادئ الأمر نظرة تفاؤل وتأييد، إلا أنه مع مرور الزمن لاحظوا عدم اهتمام الجمعية بتحسين الأوضاع في ليبيا، أو الاهتمام بها كلياً، وأدركوا من تصرفاتهم هذه، ومن موقفهم السلبي أنه إذا غزت إيطاليا ليبيا فلن يبادروا بمساعدتها ولا بمد أيديهم إليها، وشعروا أن بلادهم ستلتهمها إيطاليا عاجلاً أم آجلاً والإمبراطورية العثمانية تتفرج.

وكانت الأوضاع في برقة وقت تولى جمعية الاتحاد والترقي الحكم في اسطنبول كما كانت عليه من قبل دون أي تغيير، اللهم إلا المعركة الانتخابية لاختيار نائبين في مجلس المبعوثان التركي، والتي انتهت كما ذكرنا بفوز عمر منصور الكيخيا ويوسف بن شتوان، اللذان التحقا بالمجلس وبدآ في عملهما.

وكانت بعض الأخبار تصل بنغازي عن طريق الصحف الطرابلسية التي تصل مع البواخر، والتي بدأت تشير إلى مواقف جمعية الاتحاد والترقي من ليبيا، وعدم اهتمامها بها، أو العمل على تحسين أوضاعها المتردية، وقد اقترن مجيء الجمعية مع وجود بنك روما في ليبيا وتصرفاته غير المشروعة وطلباته غير المعقولة، وعندما وقف الولاة في وجه مطالب البنك غير المشروعة تدخلت إيطاليا، وأمرت الحكومة التركية الجديدة باستدعاء والي طرابلس ومتصرف بنغازي، وإبدالهما بآخرين ترضى عنهما إيطاليا. وكان الولاة يريدون وضع حد للغطرسة الإيطالية، وتدخلات بنك روما في جميع شؤون البلاد، ومحاولاته الاستيلاء على أكبر قدر من الأراضي؛ لإعدادها للمستعمرين الإيطاليين القادمين.

ولم تكن تركيا دولة ضعيفة فقد كان لها جيش يقارب المليون جندي، وكان لها أسطول، وفي مقدرتها الوقوف في وجه إيطاليا إذا غزت قطعة من أراضيها. ولكن المسؤولين الأتراك استبعدوا دخول تركيا الحرب من أجل ليبيا.

الضرائب في فترة الحكم التركي:

في سنة 1843م قسمت ليبيا إلى قسمين هما ولاية طرابلس ومتصرفية بنغازي. وكانت الأخيرة تحت إشراف الحكومة المركزية مباشرة، إلا في المسائل العسكرية، والبريدية، والجمركية، والشرعية التي كانت تخضع للسلطات العليا المختصة في طرابلس.

وكان حكام طرابلس وبرقة يحملون لقب "والٍ" أو "متصرف". وكان هناك مجلس إدارة يساعد المتصرف أو الوالي. وكان مجلس الإدارة متخصصاً بالأمور المالية والشرعية والمدنية.

واشتملت متصرفية بنغازي في السابق على أربع قائمقامات هي: درنة والمرج وجالو وإجدابيا. ثم اشتملت على عجاب وطبرق. وفي عام 1910 أنشئت قائمقامية أخرى في الجغبوب. واشتملت قائمقامية بنغازي على النواحي التالية: سلوق، وقمينس، واجدابيا، وتوكرا، وبرسس، وعبيب، وسيرا، وسلنطة. أما ناحية مرسى البردية فكانت تحت قائمقامية طبرق. كما كانت نواحى قبائل الزوية والمغاربة تأتى تحت قائمقامية جالو. وهكذا بلغ عدد سكان متصرفية بنغازي آنذاك 230000 نسمة تقريباً.

كانت الحكومة التركية خلال فترة الاحتلال التركي الثانية لليبيا تستطيع، خلافاً لكل ظن، أن تتكفل بمصاريف الإدارة المدنية والعسكرية اعتماداً على الضرائب المحلية، بل إن الباب العالي كان يتلقى سنوياً مبالغ طائلة من الدخل الفائض عن هذه الضرائب.

وكان مدخول الخزانة في ولاية طرابلس وفي متصرفية بنغازي يقع في أصناف ثلاثة.

أولاً: الضرائب المحصلة من طرابلس وبرقة وكانت تغطى نفقات الإدارة.

ثانــياً: الــضرائب المحصلة بالنيابة عن الحكومة العثمانية، والتي كانت تُرسل إليها مباشرة.

ثالــثاً: الــضرائب المحــصلة من مؤسسات مستقلة، غير التابعة للدوائر الحكومية.

وتحت الصنف الأول، كانت تندرج الضرائب المفروضة، مع قيمتها، كما يلي:

ضريبة الويرقو: وهي ضريبة سنوية كانت تشتمل على:

1. ضريبة شخصية، مقدارها 40 قرشاً عن كل ذكر بالغ.
2. ضريبة حيوانية، مقدراها 40 قرشاً عن كل جمل، و20 قرشاً عن كل ثور أو بقرة، و4 قروش عن كل رأس غنم، وقرشان عن كل رأس ماعز.
3. ضــريبة أشجار ومقدارها قرشان ونصف القرش عن كل شجرة نخل أو زيتون. وأعفيت كل أنواع الأشجار الأخرى من الضريبة.
4. ضريبة آبار ومقدارها 15 قرشاً عن كل بئر خاص يُستعمل للري.

الــضريبة العُشرية على المنتجات الزراعية: وكانت تختلف باختلاف المحاصــيل. وفي الواقع كان معدل المحاصيل التي تعتبر جيّدة لا يزيد على أربعــة مــن عشرة. ولذلك كانت هذه الضريبة غير محققة لما أُريد لها أن تحققــه للخــزينة. وكانــت الأعــشار المفروضــة على الحبوب تُجمع من المحاصيل. وكان يُفرض على كل شجرة نصف مجيدية، ثم رفعت هذه القيمة عام 1910 م إلى أربع مجيديّات.

ضــريبة الإعفاء من الخدمة العسكرية: لم يكن يجوز لغير المسلمين الانــضمام إلى الخدمة العسكرية، غير أن غير المسلمين كان يفرض عليهم

دفـــع "بدل العسكرية". وكان هذا في الواقع مقصوراً على اليهود الذين يُدفع بدلهم بواسطة الجمعية اليهودية. لئن كان اليهود يعترضون سنة بعد سنة على هـــذه الضريبة، فإنهم كانوا يدفعونها في كل سنة لأنها كانت ضريبة معتدلة لا تتجاوز 30 قرشاً عن كل راشد يستطيع حمل السلاح.

وفي سنة 1908، أصبحت الخدمة العسكرية إلزامية في كل ليبيا، وذلك مـــع مجـــيء حكـــومة "تركيا الفتاة". وقد سبب هذا الإجراء عدداً كبيراً من الـــثورات، وخاصـــة في متصرفية بنغازي، حيث قامت ثورة عارمة سبّبت للحكومة قلقاً كبيراً، حتى الاتفاق الذي تم الوصول إليه في مؤتمر سيدي رافع في عام 1910م، والذي حضره رؤساء وأكابر من قبائل الدرسا، والبراعصة، والحاسة، والعرفة، والعبيد.

ضـــريبة فحص المجوهرات وختمها: ومقدارها 16 بارة عن كل أوقية من الفضة، و16 بارة عن كل مثقال من الذهب. وكانت الضريبة المفروضة علـــى التـــصديق على هذه الأوزان 8 بارات عن كل أوقية فضة، أو مثقال ذهب. وكان الفاحص الذي يقوم بجمع هذه الضرائب يدعى "الأمين".

ضـــريبة تـــسجيل المبـــيع: كانت معاملات انتقال الملكية تسجل عند القاضـــي حتـــى عام 1903م، عندما صدر مرسوم يقضي بوجوب نقل هذه المعاملات إلى كاتب العدل، وتسجيلها في دفتر الحقانيّة. وكان هذا الرسم 1.5 بالمئة من قيمة الملكية المنتقلة.

ضـــريبة الأملاك المبنية والأراضي: وقد كانت هذه الضريبة مفروضة على الأجانب أيضاً، وكانت كما يلي:

10 بالمئة من المدخول عن الأبنية والأراضي المؤجرة.

8 بالمئة عن تلك التي يستعملها المالك، إن كان تخمين مدخولها 20000 قرش، و5 بالمئة عنها إن كان تخمين مدخولها أكثر من ذلك.

5 بالمئة كضريبة إضافية من أجل دائرة التوجيه المدني.

6 بالمئة من الضريبة الإضافية السابقة الذكر من أجل تأمين الإمدادات والتموينات في الجيش.

10 بالمئة من الضريبة الإضافية السابقة الذكر من أجل دائرة تسجيل الممتلكات.

ضريبة الدخل: وهي 3 بالمئة من دخل التجار، وأصحاب المحلات، أو من أرباحهم، وأُعفي الأجانب من هذه الضريبة.

ضريبة المساهمات: وقد فرضت بشكل مؤقت عام 1897م للإسهام في تكاليف الحرب ضد اليونان، غير أنها أصبحت، مع الزمن ضريبة دائمة. وكان مقدارها 6% من ضريبتي الويرقو، والأملاك المبنية.

وكان الصنف الثاني من الضرائب يُجبى ليرسل مباشرة إلى اسطنبول. وكان يشتمل على ما يلي:

الضرائب الجمركية: كانت الضرائب على الواردات والصادرات 8 بالمئة وواحد بالمئة على التوالي، وبحسب قيمتها. وكانت هذه الضرائب تؤمن حوالي 15000 ليرة تركية من بنغازي سنوياً.

ضريبة الميناء: كان مدخول هذه الضريبة قليلاً جداً نظراً لإعفاء السفن الأجنبية منها. وبما أن معظم السفن التي تطرق الميناء كانت أجنبية فلا تتقاضى الحكومة الضريبة إلا من بعض السفن التركية.

أمـا ضـرائب الـصنف الثالث فكانت تُجمع من أجل الإدارات غير الحكومـية. ومـن هـذه الإدارات: مكتب التسليف العثماني العام، ومجلس الـصحة والكرنتينا، وإدارة حصر التبغ والملح، وإدارة المنارات. وكان لهذه الإدارات السابقة مجالس إدارة ومراقبة تضم ممثلين عن الدول الأوروبية.

وكان معدل الدخل السنوي لمجلس الصحة والكرنتينا يبلغ حوالي 8000 ليرة تركية، تجمع من طرابلس وبنغازي. وكانت احتكارات التبغ والملح في "الريجـى" تـؤمن ربحـاً سنوياً صافياً مقداره 32000 ليرة تركية تقريباً من طرابلس، و15000 ليرة تركية في برقة من جهة التبغ. أما الربح الصافي من الملـح فكـان في برقة أكثر منه في طرابلس إذ كان 36000 ليرة تركية في الأولى، و4000 ليرة تركية في الثانية.

وكانت إدارة المنارات ملزمّة إلى منظمة فرنسية، وكانت النفقات فيها تسدّد من جباية 20 بارة عن كل طن، في السفن المحملة بين خمسة أطنان و 800 طن.

ومـن أنـواع المداخيل الواقعة تحت الصنف الثالث، ما كان من أجل دائـرة الأوقاف. وكانت هذه الدائرة تملك أوقافاً يعود الانتفاع بها إلى الحفاظ علـى مبانـي الأوقاف، وعلى المشاريع الخيرية. وكانت وارداتها تأتى من انـتقال مال المتوفى إليها عند عدم وجود ورثة له، أو عندما يوصى أحدهم بجزء من تركته لها. وكانت الأوقاف تستفيد من هذه الأموال حسب ما يحدده تـارك الوصية، أو حسب ما تراه الحكومة مناسباً، وكان الفائض يُرسل إلى اسـطنبول بدلاً من أن يوزع على أعمال الخير، كما ينص صاحب الوقف، وكما هي تصرفات دوائر الأوقاف.

والأوجـه التـي كانت تُنفق فيها هذه الأموال من الموازنة كانت على الـنحو التالي: رواتب الموظفين وأفراد الإدارة المدنية، ورواتب العسكريين،

وكلفـــة المحافظة على أبنية الحكومة، وكلفة دائرتي الصحة العامة والتوجيه المدنـــي، والمعاشات التقاعدية وبعض النثريات الأخرى. ولا تشمل الميزانية المذكـــورة أي بـــند أو باب يتعلق بمشاريع جديدة أو بإصلاح مدينة بنغازي وطـــرقها أو بإدخـــال الإضاءة الكهربائية إليها أو المياه الجارية أو أي عمل يتعلق بالمدينة، فالميزانية توزع على الرواتب وتُرسل إلى اسطنبول، كما أن فائض ميزانيات إدارات الأوقاف الإسلامية المخصصة لأعمال الخير تُرسل هـــي أيـــضاً إلـــى اسطنبول. فلم تتورع تركيا عن نهب هذه الولاية الفقيرة المعدمـــة وفـــرض الـــضرائب عليها وتزويد اسطنبول بالأموال التي تُجبى لـــصالحها، وهذا سبب تخلف ليبيا وتأخرها وحياتها حياة بدائية تختلف عن حياة وأوضاع الولايات العثمانية الأخرى، وخاصة البلاد المجاورة لها.

وكانـــت اسطنبول تتحمل ثلث نفقة الجيش. الفائض الصافي لبرقة في ســـنة 1908م كـــان 31418 ليـــرة تركية، ولم يكن يُصرف في صالح البلاد المحتاجة، وإنما كان يُرسل إلى اسطنبول. لم تكن طاقات البلاد متطورة إلى حد كبير، وإلى أن الرعايا الأجانب كانوا يعفون من كثير من الضرائب، وأن البواخـــر الأجنبية كانت معفاة من رسوم المرفأ. وفوق ذلك كله كان الكسب غير المشروع والابتزاز من الأمور المتفشّية[1].

وقد توسعنا في ذكر الضرائب وأنواعها ومقاديرها المجباة من الشعب الليبي الفقير والتي يُجمع جزء كبير منها ليُرسل إلى اسطنبول التي كانت في غيـــر حاجة لأموال الفقراء الليبيين، وقد عملت الحكومة التركية على تنظيم وتبويب وتصنيف الضرائب بصورة متقنة دقيقة، بحيث لا يفلت شيء يستحق الـــضريبة، وبقـــدر اهتمامها بجباية الضرائب كان إهمالها للبلاد ومصالحها وشعبها يفوق كل تصوّر.

(1) أنتونى كاكيًا ليبيا خلال الاحتلال العثمانى الثانى طرابلس 1975.

وكان سُكان الدواخل بين الحين والأخر يرفضون دفع الضريبة، فكانت الحكـــومة تجرد لهم القوات المسلحة، فتصطدم معهم في معارك حامية يسقط فـــيها القتلـــى والجرحـــى من الطرفين، ثم يسوى الموضوع وتعود القوات المـــسلحة إلى قواعدها في بنغازي، وكان رفض دفع الضرائب أشبه بثورات على النظام وعلى الوضع في البلاد. وكان سلطان الدولة العثمانية ينتهي عند مـــدن الساحل، وكانت قبائل الدواخل تتمتع بحرية كاملة، ولا تدين إلى تركيا إلا نظـــرياً، وكـــل مـــا يربط بينهما هو الضرائب التي أحياناً تدفعها القبائل وأحياناً أخرى ترفضها. إلا أنها كانت تدفع بانتظام ضريبة الزكاة إلى النظام السنوسي الذي أصبح الجميع من تابعيه.

وكانـــت تـــركيا تـــشعر بأن السنوسية تكون دولة داخل الدولة، وأنها تـــشاركها في حُكم برقة إلا أنها تقبلت الوضع بهدوء وتعاملت معه. وقد ظن أهـــل بـــنغازي أن نظـــام الإتحـــاد والترقي سوف يغير أوضاع المدينة إلى الأحـــسن، وينتشلها من تخلفها إلا أنهم أُصيبوا بخيبة أمل شديدة، عندما رأوا أن النظام الجديد لا يختلف عن سابقه، وأن الحكومة التركية مهما كان النظام الذي يحكمها لا تريد إحداث أي تغيير على الأوضاع في ليبيا.

مجـــتمع برقة مُنذ الاحتلال التركي الثاني مجتمع هادئ ومستقر. وقد تعـــود الـــناس على التعايش مع الأتراك والتعايش مع قوانين دفع الضرائب والقوانـــين المعمول بها. ولم تكن للإدارة العثمانية مطالب، وقد ترك الناس يعيـــشون حياتهم كما يريدون، إلا أنها كانت تتشدد مع من لا يدفع الضريبة. وكـــان المتبقي من الضرائب التي تُخصص للمتصرفية يكفي دفع الرواتب، والقـــيام ببعض الخدمات البسيطة، إلا أنه لا يسمح بإقامة أي مشروع لصالح الشعب. وقد حاول أكثر من وال تأمين المياه الجارية للمدينة، ولكنهم عجزوا بسبب قلة الأموال. وينطبق الأمر على أي مشروع آخر كان التفكير يجرى لتحقـــيقه. ومـــع ذلك كان الأتراك يختلطون مع العرب، ويتعاملون معهم في

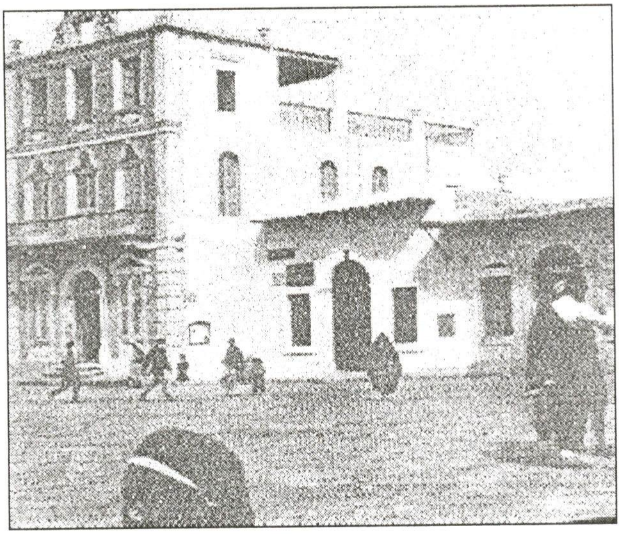
يُسر وسُهولة. وكان لبعض العرب أصدقاء من الأتراك كانوا يدعونهم إلى تناول الطعام في بيوتهم وقضاء السهرة معهم، وكان أبناء الأتراك وأبناء العرب يلعبون معاً في المدرسة الرشدية. وقد تعلم أبناء الأتراك اللغة العربية، وكانوا يتكلمون بها مع زملائهم في المدرسة.

وكان النظام التركي السائد شبيهاً بالديمقراطية، فقد كان للوالي مجلس إدارة يستشيره في الأمور الهامة، وكان رئيس البلدية وأعضاء المجلس البلدي يُنتخبون من الشعب.

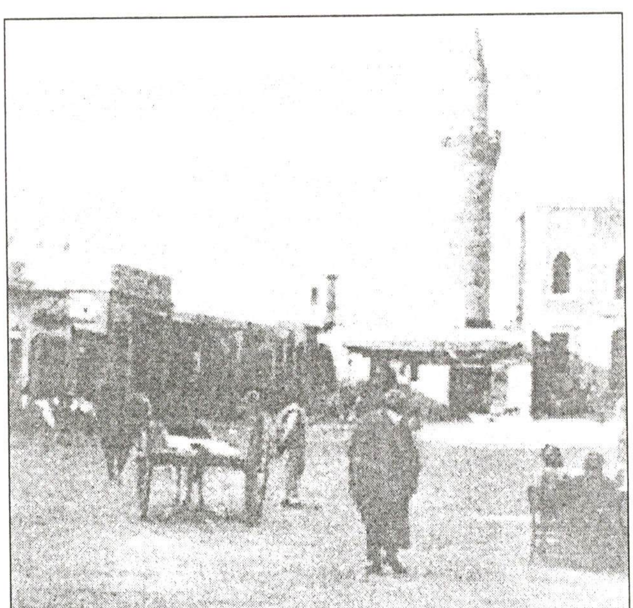
وقد ظل الأتراك مُنذ الاحتلال الثاني الذي دام 75 عاماً لا يتكلمون اللغة العربية، ولم يعملوا على تعلمها. وكانت أغلبية الشعب لا تتكلم التركية باستثناء الموظفين في الإدارة والمتعاملين معها. وكان ذلك سبباً في عدم التفاهم والاتصال والتعاون ما بين الطرفين. إلا أن بعض السيدات التركيات كُن يزرن جارتهن العربيات، ويشاركهن في شرب الشاي، ولا ندرى بأية لغة كُن يتفاهمن.

وكان طاهر باشا أقام أطول مدة كمتصرف لبنغازي إذ حكمها لمدة 12 سنة. وكان شديد الرغبة بإصلاح المدينة وتقدمها، إلا أنه لم يكن يملك الأموال للقيام بذلك. وقد أحبه أهالي بنغازي وقدروه، وتعاونوا معه تعاوناً صادقاً. وقد طلبت منه حكومة اسطنبول بناء ثكنات البركة التي شرع في تشيدها، ولم ينته منها، حيث أنه سُحب قبل إتمامها. وقد فضل طاهر باشا السكن بالبركة وبنى داراً كبيرة لسُكناه اتخذها الإيطاليون فيما بعد إدارة للزراعة، ثم هُدمت خلال الحكم الوطني، وشُيد بدلها مبنى عصري، ولم يعرفوا قيمة هذه الدار الأثرية.

خرج الأتراك من ليبيا بعد أن ظلوا بها أكثر من أربعة قرون، ولم يتركوا بها أثراً يذكرهم به الناس إلا مدرسة الفنون والصنائع في طرابلس، والثكنات العسكرية في بنغازي.



بلدية بنغازي أواخر العهد العثماني



ميدان بلدية بنغازي سابقاً أواخر العهد العثماني

الرهينة الإيطالية:

وضعت إيطاليا رهينتها على ليبيا مُنذ اتفاق مؤتمر برلين عام 1885م، وخــرجت إيطاليا من مؤتمر برلين خالية الوفاض وقد قال أحد أعضاء الوفد الفرنــسي فلــنعط ليبيا لإيطاليا. فتمسكت إيطاليا بهذه الكلمة واعتبرتها وعداً بــذلك في حين أن الدول الأوروبية لم تعترض على الموضوع. وقد عملت إيطاليا على جبهتين الأولى محاولة الحصول على موافقة الدول الكُبرى على احــتلالها لليبــيا، وعدم منافستها اقتصادياً في الفترة السابقة للاحتلال، وقد تحصلت على موافقة بريطانيا، وألمانيا، والنمسا، وروسيا، وتمكنت أخيراً من الحصول على موافقة فرنسا في آخر القرن مقابل موافقة إيطاليا على احتلال فرنسا للمغرب. وبذلك استطاعت إيطاليا تأمين موقف جميع الدول الأوروبية بما فيها روسيا. أما الجبهة الثانية فكانت إرسال العملاء والجواسيس إلى ليبيا لــشراء الــذمم، وتأمين حياد السنوسية في حال دخول إيطاليا في حرب مع تــركيا، ثــم التوغّل السلمي الذي تستولي بموجبه إيطاليا على اقتصاد البلاد والاستيلاء عليها سلمياً دون قتال.

في عام 1911م تصاعدت الحملات الإعلامية في إيطاليا، والمدبرة من رئــيس الحكــومة الإيطالية، الذي رأي الوقت مناسباً لاحتلال ليبيا، بعد أن اســتولت فرنسا على المغرب وفقاً لاتفاق عام 1902م، الذي كان ينص على أن يُــسمح لإيطاليا باحتلال طرابلس، في حالة احتلال فرنسا للمغرب. وكان علــى رئيس الوزراء جوليتى أن يعدّ الجمهور الإيطالي لتقبل دخول إيطاليا فــي حرب ضد تركيا؛ فإيطاليا لم يمض على وحدتها أكثر من أربعين عاماً، حــيث توحّدت وتحررت من الدول التي كانت تحتلها، وقد استغرقت إيطاليا وقتاً في تكوين نفسها وتوحيد البلاد، والقضاء على الإجرام المنظم، الذي كان متفشياً في الجنوب. إلا أن البطالة ظلت ملازمة لها، وكان في كل عام يغادر إيطاليا أكثر من مائة ألف إيطالي إلى الولايات المتحدة، وإلى جنوب أمريكا،

وإلـــى بعــض الدول الأوروبية؛ طلباً للعمل وللرزق؛ فإيطاليا ما زالت تنوء تحت عوامل ماضيها القريب، وغير مستعدة لدخول حرب طويلة ضد تركيا. إلا أن فئة المتشديدين والمطالبين بأن يكون لإيطاليا مستعمرات ضغطوا على الصحافة وأنشئوا صُحفاً جديدة تُطالب الحكومة بالإسراع باحتلال ليبيا، ولكي يغــروا الشعب بأن الاحتلال الليبي سيفيدهم، ويخفف من مشاكلهم، ويحسن أوضــاعهم، أرسلوا بعض الصحفيين لزيارة ليبيا، وقد عادوا ليكتبوا مقالات خيالية عن ليبيا وخيراتها، ومعادنها، وزراعتها، مما يجعلها جنة للإيطاليين الــذين ســيهاجرون إليها، وتحمس الشعب الإيطالي للفكرة متأثراً بما تكتبه الصحف، واندفع يؤيد الاحتلال، والعمل العسكري.

وكانت أخبار هذا الإعلام وما ينشره تصل طرابلس، وكانت الصحف الطرابلــسية تنــشرها وتُعلق عليها، وكانت هذه الصحف تصل بنغازي عن طــريق المــسافرين، ويطلع عليها أهل المدينة ويُدركون الخطر الذي يتهدد بلادهــم. ونظروا إلى الحكومة التركية فرأوها ساكنة غير آبهة باستعدادات إيطاليا لغزو ليبيا، فلم تُرسل جندياً واحداً، ولا قطعة سلاح، ولا مدفعاً للدفاع عن هذه الأرض المهددة، وظن الناس أن سكوت الحكومة التركية دليل على أنهــا قــادرة على حماية ليبيا بالوصول إلى تفاهم مع إيطاليا يجعل الأخيرة تــصرف النظــر عن احتلالها لليبيا. وكانت ردود فعل تركيا على حملات الــصحف الإيطالــية الصمت وعدم المبالة، إلا أن الشعب الليبي جميعه كان يعــيش في ضيق وخوف من تحول الحملات الصحفية إلى غزو فعلى لليبيا، وكان الناس في طرابلس وبرقة يعلمون أن القوة التركية الصغيرة الموجودة في ليبيا والمسلحة تسليحاً سيئاً لا تستطيع الوقوف في وجه القوات والأسطول الإيطالــي. وكانت إشاعات غزو إيطاليا لليبيا تتردد أكثر من عشر سنوات، ولم يكن أحدٌ يصدقها أو يأبه بها، غير أن هذه المرة كانت هناك دلائل كثيرة

تُشير إلى أن إيطاليا قد تقوم باحتلال ليبيا ومن هذه الدلائل تهيئة الرأي العام للحرب، وحملة الصحافة الإيطالية.

في جلسة لمجلس البرلمان الإيطالي (شهر يونيه 1911م) نُوقشت المسألة الليبية، فكان الإجماع على وجوب احتلال ليبيا من المعارضة قبل الأمطار، وكان الاندفاع شديداً، ولم يرتفع غير صوت واحد متزن وهو الأمير كايتانى عضو مجلس روما، وصاحب حوليات الإسلام، فهو مستشرق، وثرى، وقد جمع مجموعة من المستشرقين، وطلب إليهم وضع تاريخ الإسلام عاماً بعد عام، وقد وصل إلى العام الأربعين، وهو نهاية حُكم الخلفاء الراشدين، ويقع التاريخ في أربع مجلدات، ويتناول تاريخ الإسلام من بداية الرسالة الإسلامية إلى مقتل على ابن أبى طالب والدراسة هامة، وإن كان بها بعض الأشياء غير المقبولة، وهي تعتبر مرجعاً هاماً في تاريخ الإسلام. وقد ألقى في البرلمان كلمة بليغة حذر فيها الإيطاليين من مغبة تسرعهم باحتلال ليبيا، وحذرهم من مقاومة الشعب الليبي والسنوسية التي تسيطر على الصحراء، ولها قوة عسكرية كبيرة. إلا أن أغلبية أعضاء المجلس كانوا متحمسين لاحتلال ليبيا، ووافقوا على قرار الحكومة لهذا الاحتلال.

وقد أحاط رئيس الوزراء جوليتى استعداداته الحربية بسرية تامة، واختفي عن الأنظار لفترة وامتنع عن مقابلة الصحفيين. وكانت إيطاليا متأكدة أن تركيا لن تقاوم، وضربت حصاراً بحرياً على سواحل طرابلس لمنع وصول مساعدات عسكرية إلى ليبيا. واستيقظ الضمير التركي لحظة، فقررت الحكومة إرسال باخرة تحمل سلاحاً إلى ليبيا، وقد استطاعت الباخرة درنة من الإفلات من الحصار الإيطالي والوصول إلى طرابلس، حيث أفرغت حمولتها التي وُزعت على السكان في الحين والساعة؛ وظلت تركيا تنتظر ماذا ستقوم به إيطاليا دون تحريك ساكن أو اتخاذ أي إجراء. وفي يوم 17 سبتمبر 1911م، أرسلت إيطاليا إلى سفيرها في تركيا إنذاراً، وطلبت منه

تسليمه إلى الصدر الأعظم وانتظار رد تركيا قبل مرور 24 ساعة. وهذا نص الإنذار:

"لم تتوقف إيطاليا أثناء عدد من السنين عن تذكير الباب العالي بالضرورة القصوى لوضع حد لتلك الفوضى والإهمال اللذين تركت فيها طرابلس وبرقة من جانب الحكم التركي، حتى تتذوق هذه المناطق نفس التقدم الذي تم في أقطار أُخرى في الشمال الأفريقي. وهذا التعديل تتطلبه المقتضيات العامة للمدينة، ويعد مصلحة حيوية من الدرجة الأولى بالنسبة إلى إيطاليا نتيجة لقرب تلك الأراضي من الشواطئ الإيطالية".

"رغم المسلك الذي انتهجته الحكومة الملكية في وقوفها دائما بجانب الحكومة الإمبراطورية العثمانية في كثير من المسائل السياسية حتى الأيام الأخيرة، ورغم الاعتدال والصبر اللذين تذرعت إيطاليا بهما، فإن حكومة الإمبراطورية لم تتجاهل رغبتها المتعلقة بطرابلس فحسب بل أن -وهذه أدهي وأمر- كل محاولة من جانب الإيطاليين في تلك المقاطعات كانت تجد دائما أعتى وأظلم مقاومة منظمة."

"و قد تقدمت أخيراً حكومة الإمبراطورية التي أبدت (في السابق) مناوأتها الشديدة ضد كل حركة مشروعة في طرابلس وبرقة بخطوات في الساعات الأخيرة، فعرضت على حكومة المملكة الدخول في مفاوضات معلنة عزمها على منح إيطاليا جميع الامتيازات الاقتصادية التي تتفق والمعاهدات السارية، وتحفظ على تركيا شرفها ومصالحها العليا. ولكن الحكومة الإيطالية لم تعد تعتقد أنها في وضع يمكنها من الدخول في مثل هذه المفاوضات التي أوضحت تجارب الماضي عدم جدواها، والتي بدلاً من أن تكون ضماناً للمستقبل ستنقلب هي الأخرى إلى قضية جديدة للنزاع والاحتكاك".

"ومن جهة أخرى فإن الأخبار التي تلقتها الحكومة الملكية من قناصلها في طرابلس وبرقة تصور الحالة هناك في أقصى حالات الخطورة نتيجة للحركة السائدة ضد الإيطاليين، والتي خلقها فيما يبدو الضباط وهيئات أخرى من السلطات المحلية".

"هذه الحركة العدائية تعد خطراً رهيباً ليس على الإيطاليين وحدهم، وإنما على جميع الأجانب من أي جنس، وقد بدءوا -قلقاً على سلامتهم- يبحرون من طرابلس تاركين لها مرغمين".

"إن وصول ناقلات عسكرية إلى طرابلس لم يَفت إيطاليا أن تلفت نظر الحكومة العثمانية إلى نتائجه الخطيرة التي لا يمكن إلا أن يزيد في خطورة الحالة وتفرض على حكومة المملكة الاحتياط للأخطار الناجمة عن ذلك."

"وقد قررت الحكومة الإيطالية -وقد رأت نفسها مضطرة إلى التفكير في شرفها ومصالحها- الإقدام على احتلال طرابلس وبرقة عسكرياً، وهذا الحل هو الوحيد الذي يمكن لإيطاليا قبوله، وتنتظر الحكومة الإيطالية من حكومة الإمبراطورية العثمانية إعطاء الأوامر اللازمة، حتى لا تلقى أية مقاومة من الممثلين العثمانيين، ومن الممكن اتخاذ الاحتياطات التي لا بد وأن تنتج من تنفيذ ذلك دون أي عراقيل. وستتخذ فيما بعد القرارات اللازمة لتسوية الحالة التي ستنتج عن هذا".

"لدى السفارة الملكية (الإيطالية) بالآستانة أمر بالتماس الرد الجازم في الموضوع من الحكومة العثمانية في حدود 24 ساعة من تقديم هذه الوثيقة إلى الباب العالي، وفي حالة عدم الرد تجد الحكومة الإيطالية نفسها مضطرة إلى اتخاذ الخطوات الرامية إلى تثبيت الاحتلال".

"علـــى سيادتكم (أن تضيف الخطاب الموجه إلى دى مارتينو) : أن جواب الباب العالى داخل الأربع وعشرين ساعة المحددة يجب أن يصلنا عن طريق السفارة التركية بروما كذلك".

أنطونيو دى سان جوليانو

وزير الخارجية

وذكر سفير فرنسا الذي زار الصدر الأعظم لدى تقديم الإنذار، أنه تكلم مع حقي باشا وانجر بهما الحديث إلى إيطاليا وطرابلس، فقال السفير فأشرت علـــى حقـــي باشا أن يرضي إيطاليا ويحل المسألة ودياً، فقال له حقي باشا لا نبالي بإيطاليا ولا يهمنا أمرها؛ ويعلم الله وحقي باشا أن هذا تمويه لا أكثر ولا أقل.

وخـــرج السفير الفرنساوي من عنده، فالتقى بسفير إيطاليا دى مارتينو داخـــلاً عليه، وفي جيبه الإنذار، وكان قد علم قبل ذلك أنه سيقدم اليوم إنذاراً لحقـــي باشـــا بشأن احتلال طرابلس، فأنتظره حتى خرج، فسأله عما جرى بينهما فقال:

"أنى أخرجت البلاغ من جيبي، وقدمته لحقي باشا طالباً منه أن يقرأه، فتناوله منى باسماً، وألقاه أمامي، وقال: شكوى أخرى لكم يا حضرة السفير! إني سأنظر فيها، وأجيب حضرتكم بعد أيام قليلة؛ فتبسمت وقلت: إنها أهم من شكوى عادية؛ فأرجو من حضرتكم أن تتفضلوا بقراءتها الآن؛ لأن الحكومة قـــد ضـــربت فـــيها أجـــلاً للجواب. ففض الظرف وقرأ ما فيه، ولما رأيت علامات الاضطراب قد بدت على وجهه، ودعته وانصرفت".

وكـــان حقي باشا سفيراً لتركيا بروما وصديقاً لإيطاليا، ومن المعجبين بحـــضارتها، وكثيـــراً ما تدخل لدى الباب العالى للضغط عليه بتلبية مطالب إيطالـــيا فـــي ليبـــيا، ولم تكن الحكومة التركية تتوقع أن تعلن عليها إيطاليا الحرب بهذه السرعة، إلا أنها تلقت الإنذار بارتباك وقلق شديدين، ولم تعرف أيّ طريق تسلك.

وعُقـــد اجـــتماع فـــي مقر رئاسة الوزراء حضره حقي بك، وبعض الـــوزراء، وخالـــد ضـــياء بك رئيس الديوان السلطاني. وقد أبلغهم الصدر الأعظـــم إن إيطاليا أرسلت إنذاراً إلى تركيا تطلب فيه احتلال ليبيا، وأعطت أربعـــة وعـــشرين ساعة لتلقى ردنا على هذا الإنذار. ويقول رئيس الديوان السلطاني: " لقد دُهشت من سماع هذا الخبر، إنها لمشكلة يجب حلها في 24 ســـاعة، أمـــا أن نتـــرك ولاية عظيمة، أو أن نقتحم حرباً مجهولة العواقب، وربما تكون نتيجتها كارثة. لقد أُخرجنا من الجزائر، ومن تونس، وأخيراً من مـــصر، والآن ستـــضيع إيالة أخرى من أيدينا أنها طرابلس الغرب؛ أن هذه الأقطار التي تعد من أحسن بقاع الأرض ضاعت منا نتيجة إهمالنا لشؤونها، واليوم تقع نفس الخاتمة والحظ المشئوم على آخر أيالة لنا في شمال أفريقيا، وتـــستهدف لـــنفس الخطـــر. يجب الوصول إلى حل سريع في وقت ضيق لا يـــتجاوز 24 ساعة. لا بد من الوصول إلى حل للحيلولة دون هذا الخطر. يجب خلق معجزة. من في استطاعته إيجاد هذا الحل السريع؟".

"هـــؤلاء هـــم رجال الدولة الذين يجدون حلولاً لجميع المشاكل قد عجـــزوا وهـــم الآن حـــيارى يلتجئون إلى القصر، فهل يرجون مخرجاً للمشكلة التي عجزوا عن حلها..! ليس في طرابلس إدارة يحق أن تسمى حكومة، ولا جنود يطلق عليهم قوة عسكرية يمكنها أن تواجه وحدها دولة مهاجمـــة كإيطالـــيا. ومعنى الحرب مع إيطاليا إعطاء فرصة لها لتدمير سواحل ليبيا بأسطولها".

"مـــرت ســـاعة مـــن الذهول احتوت علينا جميعاً، لقد وجد الصدر الأعظم في نفسه بعض القوة فقال لي: بلغ سيدي بالحادث بصورة لا تثير شـــعوره، واطلـــب مـــن السلطان أن يستدعى (سعيد باشا) ذلك الشيخ السياسي لنأخذ رأيه".

"تـــشرفت بمقابلـــة مولاي. فبادرني بسؤاله قائلاً : ماذا حدث؟ فبلغته خلاصة الخبر من غير أن أتعرض لعواقبه ومشكلاته ومصاعبه، وأخبرته أن إيطالـــيا تطلـــب احتلال طرابلس. فقال: طرابلس الغرب تلك الأرض البعيدة المجهـــولة، حيث فزان التي كان أخي المخلوع عبد الحميد يبعد إليها أعدائه المعارضـــين؛ ثـــم فكـــر قليلاً وقال : ماذا سيفعلون؟. قلت إنهم رغبوا في الاســـتعانة بـــرأي ســـعيد باشـــا، فإن وافقتم فسأدعوه للمقابلة السامية. قال الـــسلطان: حـــسنٌ جداً. أوافق على حضوره إنه رجل تولى رئاسة الوزارة مرات عديدة، وحنكته التجارب. أرسل ياوراً من القصر لدعوة سعيد باشا".

"كان رجال القصر والوزراء وعلى رأسهم السلطان ينتظرون قدوم هذا (الذئب السياسي)".

"وأخيراً جاء سعيد باشا متكئاً على عصاه يمشى الهوينا، ودخل القصر تعباً. قابلناه أنا وحقي باشا وزملاؤه الوزراء، وأخذنا نمشى وراءه على هيئة طابـــور. ثم التففنا حوله، ودرنا بهذا الشيخ، وأملنا أنه سيخرج لنا من جعبته الحـــل المطلوب بعد اليأس!.. شرع على باشا في محادثة سعيد باشا في دار رئيس كتبة الديوان وأفهمه القضية، وطلب منه ما يجب عمله، وكنت حاضراً في هذه المحادثة".

"فقـــال سعيد باشا : أنا لست من المسؤولين على كل حال، إنها مهمة التدبيـــر التـــي تلائم الوضع تقع عليكم مباشرة، كيف ومن أين لي أن أبدي

رأيـــي فـــي هذه المهمة، ومن أين لي إيجاد حيلة؟ إنها من اختصاص أولئك الذين قد أحيطوا بكل ادوار الموقف علماً وهم أنتم.

فقال حقي باشا: حضرتكم بالطبع لستم من المسئولين، ولكننا نستفيد من توجـــيهاتكم، وإرشاداتكم لحل الموقف؛ نحن كلنا تلاميذ مدرستكم؛ إننا نعتمد علـــى كياستكم وتجاربكم ودهائكم السياسي؛ وزاد حقي باشا في آخر محاولة له مخاطباً سيعد باشا: إما الحرب وإما التسليم، لا بد من أحد الأمرين".

"فأجـــاب سعيد باشا بقوله: هل يمكن القيام بالحرب؟ وإذا كان لا يمكن فهـــل يجـــوز التـــسليم ؟ وإذا علمنا أنه لا يمكن الحرب ولا التسليم فهل من المحال إيجاد حل بين الحرب والتسليم؟".

"عندما سمع حقي باشا هذا السؤال الأخير عده جواباً للخروج من هذه الـــورطة، وكأنه أقتنع بأن الأمر الذي حار فيه هو وزملاؤه، هو إيجاد حل وسط بين الحرب والاستسلام"[1].

واعتبـــرت إيطالـــيا الـــرد التركي غير مُلبٍ لطلباتها، وقررت إعلان الحرب على تركيا.

كان المجتمع البنغازي بعيداً عن الأحداث الدولية، وغافلاً عن تفاصيلها بـــسبب عدم وجود صحافة أو وكالات أنباء، وكان يتحصل على الأخبار كما ســـبق وأن ذكرنا، من المسافرين القادمين من طرابلس، ومن الصحف التي كانـــوا يحـــضرونها معهـــم. إلا أن الـــناس كانـــوا على علم بنوايا إيطاليا واســـتعداداتها لاحـــتلال ليبيا. وكانوا يشفقون على مدينتهم التي لا قلاع لها ولا مدافـــع، ولا أيـــة وســـيلة أخرى دفاعية. فهي معرضة لقنابل الأسطول الإيطالي وقت ما يشاء؛ وكان الناس يفكرون في مصيرهم؛ ولا يعلمون ماذا يفعلـــون، حيث إن السلطات التركية التي تحكمهم أقل منهم علماً بالأحداث؛

---

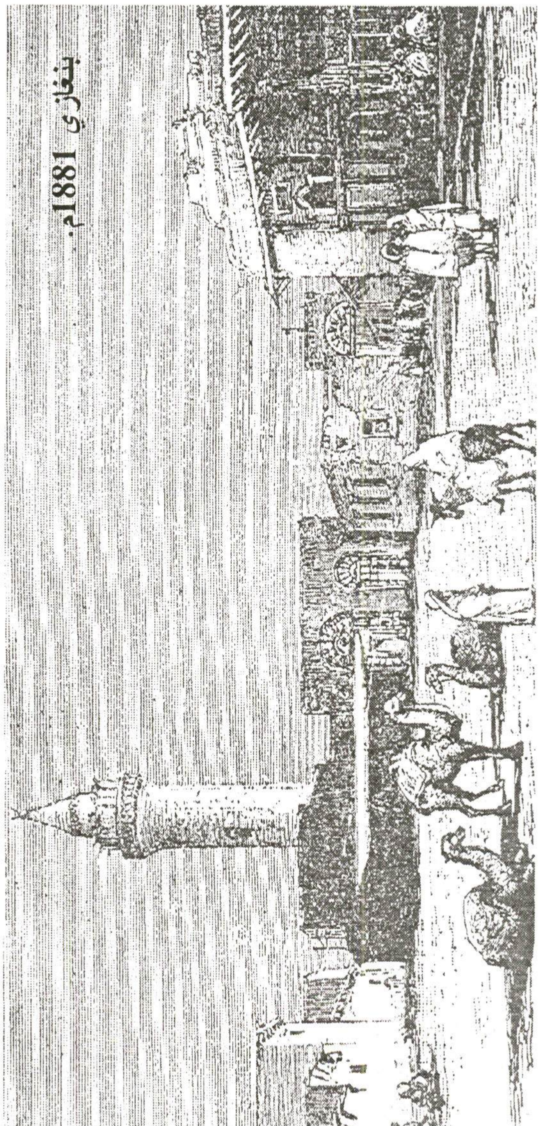
(1) محمد بازامة ـــ بداية المأساة ـــ بنغازي 1961م. الصفحة 59.

وكان الناس يعلمون أن القوة التركية في كل برقة عبارة عن بضعة مئات من الجـنود، وبـضعة مدافـع من الطراز القديم، وهي القوة المنوط بها حماية بنغازي والدفاع عنها ضد أساطيل إيطاليا وقواتها المسلحة.

وفي يوم 4 أكتوبر احتل الإيطاليون طبرق، وبعدها طرابلس، ووصلت أخـبار هـذا الاحتلال إلى بنغازي فازداد قلق الناس وخوفهم، وظلت تنتظر المقدور بانزعاج ووجل. وكان أغلب الناس مُصرين على الدفاع عن مدينتهم مهمـا كـان الأمر، وقد جاء إخوتهم من ضواحي بنغازي ليشاركوهم حماية المدينة والدفاع عنها. إلا أن الأسطول الإيطالي طال انتظاره، ولم يصل مياه بنغازي إلا بعد مرور خمسة عشر يوماً على احتلاله طبرق.



بنغازي 1860م.



بنغازي 1881م.

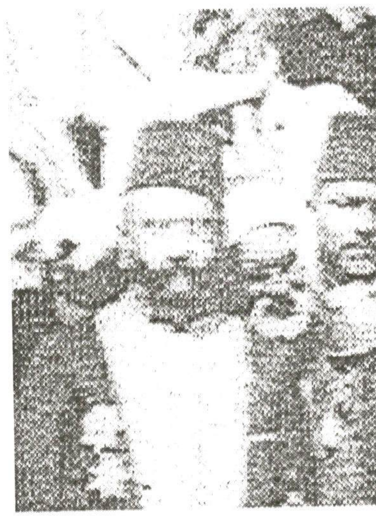
الأعيان



سالم باشا المحشي

عمـــيد أســـرة المحيــشى والثرى المعروف في بنغازي، وأكبر تُجار القـــوافل للسودان. ولد في بنغازي، ودرس فيها، وامتهن التجارة ونجح فيها، وشرع في إعداد القوافل للتجارة مع السودان، وكانت قافلته أكبر القوافل التي تـــتجمع حولها القوافل الأخرى، ثم تتجه إلى جالو، حيث تنظم إليها القوافل القادمـــة من مصر، وطرابلس، وتأخذ بعد ذلك طريقها إلى الكفرة، فالواداي. وكـــان عضواً في مجلس الإدارة، ومن رجال بنغازي المرموقين، وقد خدم تجـارة القــوافل، وبــرقة بصورة عامة خدمة جبارة، تعجز عن القيام بها الحكــومات، وهــي حفــره لبئر في الصحراء. لقد كانت القوافل الذاهبة من الكفــرة إلــى الواداي تواجه مشكلة نقص المياه في هذا الطريق، وكثيراً ما

يموت الناس وتنفق الحيوانات عطشاً بسبب قلة المياه، وكان هذا العامل يشكّل الخطـــر الأكبـــر على القوافل، وهي في طريقها من الكفرة إلى الواداي. فقد قـــرر ســـالم المحيشي حفر بئر في منتصف الطريق، واستعد لذلك بإرسال قـــوافل إلى المكان الذي وقع عليه الاختيار لحفر البئر، وإرسال قوافل تحمل الرجال والعتاد، وأجهزة الحفر، والمؤن والمياه، التي تكفي العاملين في حفر البئـــر لعدة أشهر، وكانت قافلة أخرى تنطلق من بنغازي حاملة معها العمال والعـــتاد، والمؤن والشراب، متجه إلى مكان حفر البئر، لأخذ مكان العاملين هـــناك وعـــودة الذين سبقوهم إلى بنغازي، وهكذا استمر العمل قافلة تذهب، وقافلـــة تعـــود إلى أن عُثر على المياه في قاع البئر العميق. وزُفت البشرى بوجود المياه إلى السيد المهدي في الكفرة فحمد الله على ذلك وطلب أن يُطلق اســـم السارة على البئر الجديدة. وهذه أكبر مأثرة خلفها سالم باشا المحيشي يذكـــرها لـــه التاريخ واليوم والغد. وقد منحه السلطان لقب الباشاوية لأهمية أعماله في بنغازي ولمساعداته للإدارة العثمانية، وقد توفي ودفن ببنغازي.



سليمان باشا أمنينه

سـليمان باشا أمنينه من أكبر وجهاء مدينة بنغازي ومن أكبر أسرها، وقد ولد وتربى بها وأصبح من أعيان بنغازي، وكان عضواً بمجلس الإدارة ومسموع الكلمة من المسئولين الأتراك، وكانت داره دار كرم، فهي دائماً عامرة بالضيوف الذين يأتون من مختلف الجهات، ويقيمون في الدار، ويتناولون الطعام، ويقضون ليلهم بها حتى موعد سفرهم، وقد نزل السيد محمد بن على السنوسي بدار أمنينه عندما زار بنغازي لأول مرة، وقد التقى هناك بالشيخ بوبكر بوحدوث شيخ قبيلة البراعصة وزعيم قبائل الحرابي بالجبل الأخضر، الذي أعجب به ودعاه للسفر معه إلى البيضاء حيث استقر، وبنى زاويته الأولى، وبدأ في نشر دعوته، وقد صاحب سليمان باشا الصادق المؤيد مبعوث السلطان إلى السيد المهدي السنوسي في رحلته إلى الكفرة للاتصال بالسيد المهدي، وبعد الاحتلال الإيطالي اعتقل الإيطاليون سليمان باشا أمنينه، كما اعتقلوا غيره من أعيان البلاد، وأبعدوهم إلى الجزر

الإيطالــية القريبة من صقلية، وقد أصابته الملاريا في منفاه فمرض وتوفي ودفن هناك عام 1916م.



الشيخ منصور الكيخيا

الــشيخ منــصور الكيخيا زعيم قبيلة الكراغلة في بنغازي، ومن أكبر وجهاء المدينة ورجالها المرموقين العاملين والنشطين في سبيل صالح المدينة وسُكانها. كان عضواً بمجلس الإدارة، وحكيماً من حُكماء بنغازي، يُدعى لحل

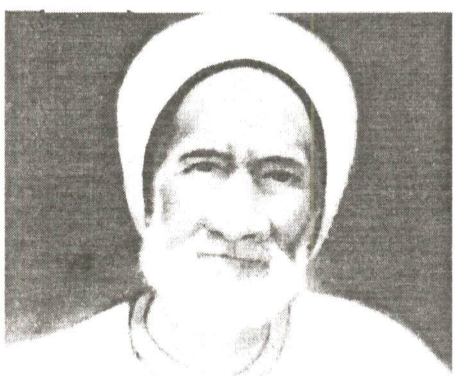
المشاكل والخصومات بين الناس والقبائل. وقد ولد وتربى وتعلم في بنغازي وتوفي بها. اعتقله الإيطاليون بعد احتلالهم لبنغازي، وأبعدوهُ إلى إيطاليا مع أسرته، ومن هناك سافر إلى مصر، حيث أقام بعض الوقت، ثم عاد إلى بنغازي حيث ظل أكبر شخصية سياسية في برقة يلجأ إليها الإيطاليون والعرب، ويستشيرونها في حل مشاكلهم. وقد تقدم به السن وظل معتكفاً بداره حتى فاجأته المنية عن عمر يناهز التاسعة والتسعين، ودفن في بنغازي.



الحاج أحمد المهدوي

الحاج أحمد المهدوى من أعيان بنغازي، ومن أكبر أسر المدينة ومشاهيرها في الفترة الأخيرة من العهد التركي، وقد انتخب رئيساً لبلدية بنغازي التي ظل رئيساً لها لمدة تُقارب العشرين عاماً، وهي أطول مدة

قضاها رئيس لبلدية بنغازي في منصبه. وكان رجلاً يحترمه الشعب وتحترمه الإدارة، فقد قدم لمدينة بنغازي في عهد رئاسته للبلدية خدمات لا تُحصى، فقد اشترى داراً جديدة للبلدية من ثلاثة طوابق، وأسس الصيدلية التي كانت تقدم الأدوية للمحتاجين بدون ثمن، ونظم الأسواق واعتنى بنظافتها وبالسهر على نوعية المأكولات التي تُباع، واعتنى بالطرق والأماكن العامة، وبذل كل ما في جهده لراحة وتحسين مدينة بنغازي، وهو جد شاعر الوطن أحمد رفيق المهدوي، ونسيب سالم باشا المحيشي. وقد توفي ودفن ببنغازي.



الشيخ محمد بن عامر

الشيخ محمد بن عامر من عُلماء برقة المبجلين والمعروفين. وقد تولى القضاء في بنغازي في أواخر العهد العثماني، وتواصل عمله فيه حتى بعد احتلال إيطاليا إلى أن توفاه الله. وكان شخصية من شخصيات بنغازي التي يُعتد بها، وكان محترماً من الحكومة التركية التي أسندت إليه مهمة الإفتاء إلى جانب القضاء، كما كان محط تقدير واحترام سُكان بنغازي جميعاً. وقد توفي في بنغازي ودفن بها.



الزروق الرعيض

عمـــيد أسرة الرعيض، وأحد أعيان بنغازي المرموقين، وكان يمارس مهــنة أهل بنغازي التقليدية زراعة الحبوب وتربية المواشي، وكان يُعد من أثــرياء بــنغازي، وقد تولى رئاسة بلدية بنغازي في عام 1874م كدليل على المكانــة التــي كان يحظى بها بين مواطنيه الذين اختاروه لأهم منصب في المدينة تقديراً لهُ. وقد ألقت السلطات الإيطالية القبض عليه في عام 1914م، وأُرســل مــع غيــره من أعيان بنغازي إلى الجزر الإيطالية الواقعة شمال صقلية، حيث قضى ثلاث سنوات في سجونها، وقد أفرج عنه في عام 1917م، حــيث عاد إلى بنغازي، وواصل ممارسة حياته التقليدية، واهتمامه بسياسة بلاده وشؤونها إلى أن توفاه الله ببنغازي ودفن بها.

السيد صالح دغيم

مـــن أعيان بنغازي المعروفين، وقد تولى رئاسة بلدية بنغازي ما بين عامي 1906م و1908م، وكان نشطاً اهتم بشؤون المدينة وتنظيمها ونظافتها. وكانـــت الـــبلدية فـــي عهـــده تقوم بمراقبة الأسواق والطعام وأمور الصحة الأخرى. وبدأت منذ يومئذ تحتل مكانتها تدريجياً، كبلدية مدينة متحضرة.

الشيخ السنوسي الساقزلي

مـــن أعيان بنغازي ومن رجال العلم، وكان فقيهاً معروفاً، وله تلامذة كثيـــرون يـــتلقون العلم منهُ، وكان ينتمي للطريقة السنوسية، وعلاقته قوية بالسنوسيين، وكان محبوباً ومحترماً من أهل المدينة الذين كانوا يقدرون علمهُ ونشاطه في سبيل تعليم الغير، وقد عاش ببنغازي وتوفي ودفن بها.

الصالحين بن زبلح

من أعيان بنغازي المرموقيين وكبير أسرة بن زبلح ووجيهاً من وجهاء بـــنغازي. كـــان رجـــلاً فاضلاً ومحبوباً من بني مدينته الذين كانوا يقدرونه ويحتـــرمونهُ، وقد مارس كغيره من الأعيان مهنة الفلاحة وتربية المواشي، وكـــان من أثرياء المدينة، وكان كريماً، ودارهُ مفتوحة للضيوف. وحدث أن توقفت باخرة في بنغازي تحمل سياسيين من خصوم السلطان عبدالحميد ممن أمر بإبعادهم إلى فزان، وعندما وصل خبرهم إلى أسماع الصالحين بن زبلح ذهـــب إلـــى المتـــصرف مع بعض الأعيان، وطالبوا أن يستضيفوا الساسة

الأتـــراك في دورهم حتى تستعد الباخرة للإبحار، ونزل أكبر عدد منهم في داره، وقد عاش في بنغازي وتوفي ودفن بها.

سعيد نجم أم العلو

كبير عائلة نجم ومن أعيان بنغازي المعروفين، وكان يُمارس الفلاحة وتـــربية المواشـــي كأعـــيان البلاد الآخرين، وكان محط تقدير واحترام من الناس، وقد جاهد في الحرب هو وأسرته ضد إيطاليا، وأبلى فيه بلاء حسناً، وقد توفي بسيدي خليفة ودفن بها.

رجب علي حسن البيجو

ولد في بنغازي عام 1825م، وكان من أعيان البلاد وشيخ قبيلة بلالة، وشـــاعرًا بالعامـــية، وقـــد شـــغل الوظائف التالية في العهد التركي : مديرًا لإجدابيا، وشيخاً لمدينة بنغازي، وقائم مقام لإجدابيا ومدير الحاسة وقائم مقام البراعـــصة، ومديـــر ناحية برسس، وقد توفي في درنة عام 1910م تقريبًا، وكـــان وجيهًا من وجهاء بنغازي البارزين، ومن رجالها العاملين، وقد أدى خدمات جليلة للبلاد في مختلف المناصب التي احتلها.

الفصل الثاني

العشر سنوات الأولى من الاستعمار الإيطالي

بنغازي في انتظار العدو:

جندت إيطاليا وسائل إعلامها لإثارة المشكلة الليبية وتحريض الحكومة علـــى احـــتلال ليبيا، وصعدت الصحف حملاتها من أجل إقناع الرأي العام بضرورة وفائدة احتلال ليبيا، وسافر بعض الصحفيين إلى طرابلس، وعادوا مـــنها ليكتبوا بأنهم وجدوا أمامهم أرضاً خصبة تُنتج كل شيء من النباتات، وباطـــنها يحـــتوى على كنوز كثيرة، وهي أرض الميعاد التي خصصها الله لإيطالـــيا. وكان رئيس الوزراء جوليتي يغذى هذه الحملة من وراء الستار؛ لأنه قرر غزو ليبيا بعد أن قامت فرنسا باحتلال المغرب، وذلك معناه إطلاق يـــد إيطالـــيا في احتلال ليبيا. ونُوقش موضوع الاحتلال في مجلس النواب الإيطالي، وأيد المجلس بأجمعه القيام بالغزو ما عدا نائب واحد، وهو الأمير كيتانـــى ـــ كمـــا ذكرنا سابقاً ـــ الذي حذر المجلس من مغبة هذه المغامرة، وأنذرهم بأن العرب والسنوسية سوف يقاومون القوات الغازية.

وكـــان الإيطالـــيون يتـــصرفون في ليبيا كأنها محمية إيطالية، فكانوا يتحدّون الولاة، ويطلبون تغيير الوالي الذي يحاول أن يدافع عن كرامة الدولة ومصالحها، ويتجاهلون القوانيين التي تتعارض ومصالحهم، وكان بنك روما ومن ورائه القنصلية الإيطالية وكر هذا النشاط وهذه الاستفزازات.

فرضـــت إيطالـــيا حـــصاراً بحرياً على سواحل ليبيا، ووصلت ميناء بـــنغازي فـــي الأول مـــن أكتوبر باخرة إيطالية لإجلاء الرعايا الإيطاليين والأجانـــب عـــن المديـــنة، وقد رحل على متنها القنصل الإيطالي وموظفو القنـــصلية الإيطالية، وموظفو بنك روما، والمدرسون وأسرهم، ولم يبق من الإيطاليـــين ببـــنغازي ســـوى الرهبان، وبعض المتخلفين الذين تجمعوا في الكنـــسية الكاثوليكـــية الواقعة في شارع النصارى (شارع عمر بن الخطاب

حالياً)، وانضم إليهم بعض المسيحيين الآخرين، وقد تعهد متصرف بنغازي بحمايتهم ووضع حرساً عليهم، أما قناصل ورعايا الدول الأجنبية الأخرى، فقد رفضوا الرحيل، وفضلوا البقاء بالمدينة.

وبعد رحيل الإيطاليين اقترب الغزو، وزاد التوتر والقلق بين الناس وخاصة بعد أن وصلت الأخبار باحتلال طرابلس وطبرق، وبات الناس يترقبون أطلال البوارج الإيطالية عليهم من وقت لآخر.

كانت فترة الخمسة عشر يوماً التي فصلت بين احتلال طبرق وطرابلس، واحتلال بنغازي من أسوء الفترات التي عرفتها بنغازي، فقد ظلت المدينة تنتظر إطلال البوارج الحربية عليها طيلة هذه المدة الطويلة، وسكانها في رعب ووجل، وهم يتوقعون كل يوم وصول الأسطول الإيطالي والقوات الغازية. وكانوا يعلمون أن البوارج ستحمل معها الموت والدمار، ويعلمون أن المدينة مفتوحة، ولا تملك أي وسيلة من وسائل الدفاع، ولم ينصب الأتراك حولها مدفعاً واحداً. وقد شُل تفكيرهم عن القيام بأي عمل يحمى مدينتهم من الكوارث المقبلة. وكانوا ينتظرون العون والمساعدة من حكومتهم، إلا أن تركيا وقفت مثلهم حائرة لا تحرك ساكناً، وقد أعلنت إيطاليا عليها الحرب، وباشرت في احتلال سواحل ليبيا، فلم تتحرك، أو تقاوم، أو تدافع عن آخر ولاياتها الأفريقية.

وانتقلت إلى المرج واجدابيا بعض العائلات التي لها أقارب في هاتين المدينتين، وكان البعض يطالب بإخلاء المدينة من النساء والأطفال، إلا أن البعض الآخر لا يحبذ ذلك، بسبب عدم توفر السكن في القرى المحيطة ببنغازي لإيواء عشرين ألف من سكان بنغازي، وكان اليهود أكثر إصراراً على عدم إخلاء المدينة.

وجـــاء أبناء القبائل المجاورة لمدينة بنغازي بخيولهم وأسلحتهم للدفاع عـــن المدينة إلى جانب أبنائها، ونزلوا ضيوفاً على السكان، وكانوا يتجولون طـــيلة الـــنهار فـــي شوارع بنغازي بخيولهم وأسلحتهم، إلا أنه عندما طال انتظارهم لوصول العدو قرروا العودة إلى أوطانهم، على أن يعودوا ثانية بعد وصول الأعداء، وقد هجر الأولاد مدارسهم، وبعض الموظفين هجروا دوائر عملهم، فالجميع أدرك أن العهد التركي قد انتهى، وأن البلاد قادمة على عهد جديـــد لا تعـــرف ماهيـــته؛ فالانتقال من حكم دولة إسلامية إلى حكم دولة استعمارية مسيحية ليس من السهل تصوره.

وكانت المرأة في مستوى الأحداث، وكانت أكثر الجميع صبراً وهدوءاً، فقـــد واصـــلت عملها في تربية أبنائها والعناية بزوجها بهدوء، وكان تفكيرها مـــتجهاً إلى اليوم الذي ستندلع فيه المعارك في شوارع بنغازي، ولا تعلم ماذا ســـيحل بهـــا وبأبنائها، إلا أنها كانت تشجع الرجال على المقاومة والدفاع عن الـــوطن، وكان أعيان المدينة يتصلون بالمتصرف ليسألوه هل وصلته تعليمات مـــن اسطنبول، وكان يجيبهم بالنفي فيزدادون هماً وكآبة، ولحسن الحظ ظلت المؤن متوفرة في المدينة، وأغلب المحال التجارية مفتوحة، وفيما ظلّت عيون الناس تتجه صوب البحر في انتظار بوارج العدو.

واجتمع المتصرف بأعيان المدينة والقادة العسكريين لتدارس الوضع، واتفقـــوا علـــى مقاومـــة الاحتلال بالقوة، وأن يشترك في الدفاع عن المدينة الجـــنود الأتراك وأبناء مدينة بنغازي، وأبناء القبائل المجاورة، ومرت الأيام بعـــد احتلال طبرق وطرابلس دون أن تطل إلى بنغازي البوارج الإيطالية. وكانـــت المديـــنة في الأيام القلية التي سبقت الغزو خلية نحل تعج بالرجال والفرســـان والمـــسلحين، وقد وزعت على المواطنين الأسلحة الموجودة في المخازن، وقد اخذ فريق منهم يحفر الخنادق وينظم المقاتلين ويرشدهم، وكان يتولّى الإشراف على ذلك ضباط ليبيون وأتراك.

وقد أثير في الاجتماع الذي ضم الوالي وأعيان المدينة موضوع إخلاء المدينة من السكان؛ خشية على النساء والأطفال والشيوخ من تأثيرات قنابل الأسطول، وعمليات إيطاليا العسكرية، إلا أن بعض الناس وفي طليعتهم اليهود اعترضوا على ذلك، وفضلوا البقاء في المدينة، وقد تقرر أيضاً في هذا الاجتماع الدفاع عن المدينة، وإذا ما احتلها العدو انتقل المجاهدون إلى الضواحي لمواصلة القتال بعيدين عن مرمى مدافع الأسطول الإيطالي.

إطلال البوارج على مدينة بنغازي:

وفي مساء 18 أكتوبر عام 1911م بدأت تظهر في مياه البحر طلائع الأسطول الإيطالي، التي أخذت تقترب من الساحل وتأخذ مواقعها القتالية، وكانت تتكون من أربع بوارج، وسبعة طرادات، وعدد من الناسفات، وتسع بواخر ناقلة للجنود، وقد وصل في الصباح إلى ميناء بنغازي قارب على ظهره ضابط إيطالي، وقد طلب مقابلة أحد المسؤولين عن المدينة، وسلمه إنذاراً باستسلام المدينة خلال 24 ساعة، وإلاّ فإن الحرب ستشتعل بعدها إذا لم يتم تسليم المدينة، وحدد الساعة السادسة صباحاً من اليوم التالي موعداً لنهاية فترة الإنذار، وتداول قائد الحامية مع الأعيان، واتفقوا على تجاهل الإنذار، والاستعداد لمقاومة القوات الإيطالية، التي ستحاول النزول إلى اليابسة.

واصل الجنود والمتطوعون طيلة اليوم العمل في حفر الخنادق، وإعداد المتاريس، وتعبئة الأكياس بالرمال وتوزيعها على مواقع الدفاع، وقد ساهم معظم رجال المدينة في هذه الأعمال، وساعدهم إخوتهم أبناء القبائل المجاورة، الذين جاءوا للمشاركة في الدفاع عن المدينة.

وقضت بنغازي ليلة رهيبة كئيبة لم يعرف خلالها النوم طريقه إلى الجفون، وكان الناس في شبه ذهول عاجزين عن اتخاذ أي قرار، أو مبادرة

تدفـــع عن أبنائهم ونسائهم الأخطار، التي تمثلها مدافع الأسطول المصوبة إلـــيهم، إلا أنهـــم كانوا مصممين على الدفاع عن مدينتهم، وحماية نسائهم، وأولادهم، ومواجهة العدو الغازي مهما كان الأمر. وكان الكثير من السكان لـــم يـــشاهد فـــي حياته بارجة حربية كبيرة، أو سمع طلقة مدفع إلا مدافع الإفطـــار فـــي رمـــضان، ومع ذلك فقد كان الناس على إدراك بما أحدثته أســـاطيل أوروبا وأمريكا من دمار وخراب في طرابلس من خلال حملاتها البحرية المتكررة عليها.

وكانت الليلة قاتمة، والسماء ملبدة بالغيوم، والأرض غارقة في الوحل، وكان كل شيء في المدينة يشير إلى ما سوف يأتي به الغد من موت ودمار، وكـــان الـــرجال والشبان يعدّون أسلحتهم وأنفسهم للقتال، يدفعهم إيمانهم إلى الـــثقة بأنفسهم وبأنهم المنتصرون، وأنّ العدو سوف يرد على أعقابه، ولولا هذا الإيمان لما وقف هؤلاء الأبطال ببنادقهم البسيطة في وجه أسطول إيطاليا وأســـلحتها المتطورة. وتجمع السكّان في الأزقة والشوارع للتداول في كيفية حماية الأسر والمساكن، وتمّ تكليف المسنين بالقيام بهذه المهمة؛ لأن القادرين على حمل السلاح سيتوجهون إلى جبهة القتال.

وغـــصت المـــساجد بالمـــصليين بعد أذان الفجر، وبعد صلاة الفجر ارتفعـــت أيـــدي المصلين تبتهل إلى الله أن ينصرهم، ويرد عدوهم، ويحفظ مدينـــتهم، وذهـــب المقاتلون من المساجد إلى دورهم؛ لتوديع أهلهم وأبنائهم وداع من يتوقع أن لا يعود، ثم التحقوا بالمواقع المخصصة لهم في الخنادق.

وكانـــت المرأة الليبية في مستوى الأحداث، فلم تضعف، أو تبكي، أو تبدى مخاوفها، بل شجعت الأمهات فلذات أكبادهن على المشاركة دفاعاً عن الـــوطن، وزودتهـــم بالمـــاء والغـــذاء، وبقين في دورهن يتتبعن الأحداث، وينتظرن ما خبأه لهن القدر.

وكـــان ببنغازي قرابة ثلاثة آلاف يهودي، ومئات من الأجانب وأبناء البلاد العربية المجاورة، الذين لزموا بيوتهم وتولى أبناء المدينة حمايتهم، وقد تجمـــع كمـــا ذكـــرنا العديد من المسيحيين من مالطيين، وأرمن، وإيطاليين وغيـــرهم في الكنسية الكاثوليكية، وقد تولت الشرطة وأبناء المدينة حمايتهم والسهر عليهم، حتى دخول القوات الإيطالية، ولم يصب أحد منهم بأذى سوى أذى قنابل الأسطول الإيطالي، التي قتلت عدداً كبيراً منهم. وكان أهل المدينة يشعرون بمسؤولياتهم تجاه الأقليات والأغراب، فتركوا في كل الأماكن التي كان بها مسيحيون وأجانب مجموعات من المسلحين لحمايتهم.

ووصـــف الـــراهب جيرونـــي من أعضاء البعثة الكاثوليكية ببنغازي أحداث الليلة الواقعة بين 18 ـــ 19 أكتوبر، فكتب: " مر يوم 18 أكتوبر ببطء ثقـــيل تحت سماء قاتمة وملبدة بالغيوم، وخيم على السكان سكون مريع، كان يعبـــر عـــن قلقهم الذي كانوا يحاولون إخفاءه، وهم في انتظار انقشاع ظلام الليل وشروق شمس يوم 19 أكتوبر.

وعـــندما لاح ضوء النهار بدأ يتساقط المطر، كما لو أن الطبيعة كانت مترددة في اتخاذ قرار غير مقتنعة به. وكانت المناظير المكبرة من البوارج تقوم بفحص أحياء المدينة بحثاً عن العلم الأبيض إشارة الاستسلام، إلا أنها لم تجده، وكانت الدقائق تمر ببطء ورهبة كما تمر على المحكوم عليه بالإعدام، ومـــرت الـــساعة السادسة ثم الساعة السادسة والنصف، ثم السابعة والسابعة والـــربع، ولـــم يحدث شيء، وفي الساعة الثامنة ارتفع على سارية البارجة (فيتوريوايمان ويلى) علم أحمر، وكان إيذاناً ببداية قصف المدينة" [1].

(1) GIVANNI GERONE- SPIGOLATURE BENGASINE- FIRENZE 1-11-1913.

معركة جليانة :

في تمام الساعة الثامنة من صباح يوم 19 أكتوبر 1911، فتحت البوارج والسفن الحربية الإيطالية نيرانها على المدينة الصغيرة الوديعة العزلاء، التي لم تعرف طيلة تاريخها المديد قصفاً أو غزواً من البحر، وإن تعودت على الحروب وعلى الغزوات البرية، وقد كان هدف قنابل الأسطول الميناء وشاطئ جليانة وثكنات البركة، ووصف الكابتن مارينو قائد إحدى ناقلات الجنود عملية القصف التي كان يتابعها بالمنظار المكبر، فكتب يقول بسخرية وتشفٍ لا إنساني:

" كنا نتابع من فوق ظهر السفينة بالمنظار المكبر مراحل قصف بنغازي، وقد رأينا بوضوح رجلاً يلوح بيديه من فوق مئذنة جامع وكأنه يخطب في الجمهور الذي تجمع حول المسجد، ولم يغب هذا المنظر عن البارجة الإمبرالية فأطلقت قذيفة أصابت الرجل في الصميم فانهار مع المئذنة، وسط سحابة من الدخان والنيران، على جميع المؤمنين المجتمعين قرب المسجد وبعد أن زال الغبار والدخان وصفا الجو، رأيت وسط الأنقاض عدداً كبيراً من القتلى والجرحى"(1).

شرعت القوات الإيطالية صباح يوم 19 أكتوبر في عملية النزول على شاطئ جليانة في الجور الواقع بين رأس جليانة ورأس بوشيبة، وكان البحر هائجاً، فقامت زوارق الطوربيد أو الناسفات بجر الزوارق الناقلة للجنود، وبدأت عملية الإنزال دون أية مقاومة ، وكان المجاهدون قد تجمعوا في الصابري، ومنطقة الميناء ظناً أن الإنزال سيقع في أحد هاتين المنطقتين،

---

(1) فرانشيسكو مالجيري، الحرب الليبية، ترجمة وهبي البوري، الدار العربية للكتاب، طرابلس 1978 ص 126.

غيـــر أنـــه عندما رأوا اتجاه الزوارق نحو جليانة ارتفعت الأصوات تنادى بالاتجاه إلى جليانة.

وكان الإيطاليون قد واصلوا عمليات إنزال الجنود والمدافع والعتاد إلى الشاطئ، وأقاموا خمسة جسور للإنزال، وذلك دون أن تواجههم أية مقاومة، وقـــد ظنوا أن قنابل الأسطول قد حققت هدفها، وأن احتلال المدينة سوف يتم دون قـــتال. وعندما أراد الجنود توسيع قاعدة عملياتهم بالاتجاه نحو الشرق، انقضت عليهم مجموعة من المجاهدين كانوا مختبئين بين النخيل، فاضطربت صـــفوف الإيطاليـــين، وتراجعوا في ذعر إلى البحر، وتركوا مدافعهم التي أنـــزلوها إلى اليابسة قبل قليل، هذا في الوقت الذي شرع فيه بقية المجاهدين الـــذين هـــرعوا إلـــى جليانة في الهجوم على الأعداء وألحقوا بهم الخسائر واضطروهم إلى الرجوع إلى البحر في حالة اضطراب وفزع.

واضـــطر الجنـــرال أميلـــيو إلى الاستنجاد بالأسطول فضرب مواقع المجاهـــدين بحـــدة وفصل بينهم وبين القوات الإيطالية التي أصابت القنابل بعـــضها أيـــضاً، وتواصل القتال وتواصل وصول المجاهدين إلى المنطقة، واستطاعت القيادة الإيطالية أن تستمر في عمليات الإنزال وراء ستار النيران الذي أقامته مدافع الأسطول ، وقد قارب عدد الجنود الذين نزلوا إلى الأرض خمسة آلاف جندي.

وجاء في تقرير الجنرال (بريكولا) قائد الحملة الذي رفعه إلى وزارة الحربية الإيطالية ما يلى: - " صدرت الأوامر للجنرال (أميلو) قائد اللواء الـــرابع أن يتولى قيادة طلائع قوات الإنزال، وأن يتحرك إلى جنوب السبخة نحـــو البـــركة بعد تنظيم قواته. وعند وصول الزوارق الأولى الناقلة للجنود (الفـــوج الـــثالث والستين مشاة) أصدر الجنرال أميلو الأمر لمشاة البحرية بالـــتقدم إلى ما وراء الخط الأول من التلال؛ لتوسيع قاعدة الإنزال للاستفادة من المنخفضات الواقعة بين التلال كمكان لتجمع الجنود، وكان جنود البحرية

متمركــزين إلى الشمال بالقرب من رأس جليانة، وكان تحركها نحو الشرق إيذاناً باشتعال القتال، حيث أطلق عليها العدو نيرانه المكثفة من مواقعه، في طــوايا الأرض مــا بين السباخ والبحيرة المالحة، وكانت تحجبه عن نظرنا عقــبات طبيعية وخنادق معدة بصورة جيدة، لم تستطع ملاحظتها حتى ذلك الــوقت لتشابهها بلون الأرض، وقد أصيب البحارة بخسائر محسوسة في هذا الــصدام الأول، وكـــان من حسن الطالع أن الجنود الأتراك لم يحتلوا مرتفع رأس جليانة وقت الإنزال، ولو أنهم فعلوا ذلك لكان في إمكانهم السيطرة من ذلــك الموقــع علــى كــل الشاطئ وإصابة جنودنا في الوقت الحرج قبل اســتطاعتهم اســتعمال السلاح. وتمكنت المجموعات المعادية التي سارعت بالمجيء إلى جليانة، أن تهاجم بنيرانها جانب قواتنا وأن تركز هجماتها على مدافع جنود البحرية الذين كانوا بالقرب من المقبرة المسيحية. وشرعت سفن الأســطول بقــصف رأس جلــيانة بــشدة، وقد اضطر رجال المدفعية إلى الانسحاب وترك مدافعهم"[1].

وقد تجمع مقاتلو بنغازي، ومقاتلو القبائل، والجنود الأتراك تحت قيادة الضباط الأتراك والليبيين الذين وزعوهم على الخنادق ومواقع القتال، وكان شباب بنغازي الذين شاركوا في المعركة قد تدربوا على استعمال السلاح في الأيام التي سبقت الغزو على أيدي الضباط الأتراك والليبيين. وقام الوطنيون وجــنود الأتراك بمقاومة إنزال قوات العدو بجليانة وعرقلة هذا الإنزال، إلا أن مدافــع الأسطول تصدت لهم، ومكنت القوات الإيطالية من إتمام عمليات إنــزالها، والاستعداد للقتال، ومع ذلك ظلت القوات الإيطالية ملازمة أماكنها علــى ساحل جليانة حتى الساعة الرابعة، عندما بدأ زحفها نحو الشرق تحت حماية قنابل الأسطول.

---

(1) باولو ماطيزى، الأرض الموعودة ، النص الإيطالي 1976 ص 167.

وقاد العقيد موكاقاتا قوة هدفها الالتفاف حول السبخة (سبخة الكيش)، والوصول إلى البركة من الجنوب، في حين اتجهت القوة الرئيسية شرقاً في اتجـــاه مواقع المجاهدين. وكانت مدافع الأسطول توالى قصفها لهذه المواقع بحـــدة متـــزايدة، وقـــد اصـــطدمت القوة الأولى بفرسان العرب الذين كانوا يواصـــلون مهاجمتها لعرقلة زحفها، ويدخلونها معه في معارك خاطفة، أما القوة الثانية بقيادة الجنرال (أميلو) فقد واجهت مقاومة عربية تركية عنيفة، فقـــد فـــيها الغـــزاة العديـــد من كبار الضباط والجنود رغم دعم الأسطول لتحركاتها، واستمر القتال ضارياً حتى المساء، ووصف الجنرال بريكولا في تقريره المذكور فقال : " كانت عملية إخراج العرب من خنادقهم عملية شاقة جـــداً، وقـــد أصيب بجراح خطيرة الضابطان الكبيران العقيد (كانجيتانو) والكومـــندان (فـــرانك)، كما قتل قائدا سريتين وعدد من الضباط والجنود، والتحمت قواتنا أكثر من مرة مع العدو بالسلاح الأبيض".

وتمكنت القوات الإيطالية قرب غروب الشمس، بعد صراع دام طيلة الـــيوم أن تصل ثكنات البركة بعد أن أخلاها الجنود الأتراك، وقد دمرت القنابل جزءاً منها ورُفع عليها العلم الإيطالي، ولم تصل القوات الإيطالية إلـــى ثكـــنات بـــنغازي إلا بعد معارك طويلة دامية مع المقاومين العرب والأتـــراك، الـــذين كبدوهم خسائر فادحة في الأرواح، ولم تتمكن القوات الإيطالية من التغلب على المقاومة العربية إلا بفضل مدافع الأسطول، التي حمـــت زحـــف القوات الإيطالية نحو البركة. وبعد احتلال ثكنات البركة قامـــت القـــوات الإيطالية بالاتجاه نحو سيدي داود، إلا أن القوات الليبية اعترضـــت طـــريقها، ودخلت معها في معارك قصيرة. وعندما وصلت القـــوات الإيطالـــية (ســـيدي حسين) واجهتها مقاومة شديدة من مدينة بنغازي، كما أطبق عليها المجاهدون من الجوانب والخلف. ورأي الجنرال بريكولا أن موقفه كان حرجاً، وأن قواته كانت معرضة للهزيمة والإبادة،

فاتصل بالإميرال (أوبرى) وطلب منه قصف مدينة بنغازي لإجبار المقاومين فيها على الانسحاب.

وفتحت البوارج والطرادات نيران مدافعها على ضوء الأنوار الكاشفة على المدينة الصغيرة العزلاء بدون تمييز أو تحديد لأهداف معينة ، فتساقطت عليها القذائف حاملة معها الموت والدمار، وتحولت المدينة إلى جحيم اختلطت فيه الأنوار الكاشفة ودوى المدافع والتفجيرات بأصوات المستغيثين والمنكوبين.

وشعر المقاتلون بحجم المصيبة فقرروا مغادرة المدينة شفقة ورحمة بالناس، واجتمع بعض الأعيان برئيس البلدية الحاج أحمد الجهاني، وتداولوا في الأمر والبحث عن الوسيلة التي ترفع عن الناس هذا البلاء، واختلفت الروايات حول الطريقة التي تم بها إشعار قيادة الأسطول بأن المدينة أصبحت خالية من المقاتلين. فالرواية الشعبية تقول: إن بعض الأعيان استقلوا قارباً وتوغلوا قليلاً في البحر، وكان معهم قنديل وعلم أبيض، وقد رأتهم البارجة الإميرالية فأمرت بإيقاف القصف، وتقول الرواية الإيطالية إن بعض الأعيان زاروا الكنيسة الكاثوليكية، واجتمعوا بكبير رهبانها، وطلبوا منه إشعار الأسطول بخروج المقاتلين وبالكف عن قصف المدينة ، فخرجوا صوب الشاطئ ومعهم مصباح كبير وعلم أبيض، ووقفوا على الشاطئ في مواجهة الأسطول، وكانوا يلوحون بالمصباح، ثم يرفعون العلم الأبيض حتى رأتهم البارجة، وتوقف القصف، والرواية الثالثة تقول إن مجموعة من الناس صعدوا فوق القصر الحكومي ورفعوا عليه العلم الأبيض، وانتهت بذلك مأساة بنغازي في تلك الليلة المريعة.

ونود أن نورد هنا ما كتبه الراهب جيرونى لأحداث تلك الليلة الرهيبة:
" بعد انتهاء القصف ساد سكوت وهلع وموت أعقبه ارتفاع أصوات أُناس مرعوبة، كانت تستغيث وتدعو وتصلى، وتلعن باللغات العربية والتركية

والمالطية، لقد كانت فترة مطر الحديد والنار قصيرة، إلا أنها كانت كافية لزرع الدمار والموت، وكان السائر في الطرق في تلك الليلة تعترضه أشلاء ممزقة على الأرض، وأشباح بشرية ممددة على الأرض تطلب المساعدة وتستغيث. وفي الليل جاء إلى البعثة الكاثوليكية موكب من أعيان العرب والأتراك، وبعد حديث قصير عادوا ومعهم راهبان وملاية بيضاء ومصباح وقد رفعوا المصباح والعلم الأبيض فوق سارية قصر الحكومة وكف القصف بعد أن رأت البارجة الإمبرالية العلم الأبيض، وأدركت القيادة أن المدينة التي هشمتها القنابل قد استسلمت، وأن الرجال الذين قرروا الدفاع عنها انسحبوا في ظلام الليل إلى خارج المدينة شفقة ورحمة بالأطفال والنساء والعجزة الذين لم تميز القوات الإيطالية بينهم وبين المقاتلين"[1].

ويدل ما كتبه الراهب جيرونى عن ليلة بنغازي المأساوية، أن الشوارع كانت مليئة بجثث القتلى الذين كانوا يستغيثون طالبين النجدة ولا أحد كان في إمكانه نجدتهم، فقد قُتل في تلك الليلة سبعة مالطين في الكنيسة الكاثوليكية، وسبعة في القنصلية البريطانية كما سبق وذكرنا، وكان هذا عدد الأوروبيين الذين قُتلوا في تلك الليلة، أما القتلى الليبيين فلم يهتم أحد بعددهم أو معرفة أسمائهم، وظلوا مجهولين إلى اليوم، فإن الاهتمام كله اتجه نحو الأوروبيين، ولم يفكر أحد في معرفة عدد القتلى في تلك الليلة الرهيبة من الليبيين. فإن الاهتمام كله كان موجهاً لمعرفة عدد القتلى من الأوروبيين وقد نال المالطيون النصيب الأكبر من هذه الضحايا، ولم نعلم بموت أوروبيين آخرين، إلا أنه وقع بعض الجرحى في القنصلية البريطانية.

---

(1) فرانشيسكو مالجيرى، الحرب الليبية، ترجمة وهبى البورى، الدار العربية للكتاب، طرابلس 1978 ص 126.

ولا شك في أن القنابل التي أُطلقت بصورة عشوائية وطالت الكنسية الكاثوليكية ومسكن القنصل البريطاني، لا شك أن تأثيرها كان أكبر وأفظع عندما طالت الدور العربية الهشة.

وقضى سكان بنغازي ليلة حزينة في انتظار الاحتلال الإيطالي البغيض، وما تخبئه لهم الأيام، وقضى الناس ليلتهم في البحث عن القتلى والجرحى الذين أصابتهم قنابل الليلة الرهيبة والعمل على دفنهم وتضميد جراحهم. كانوا في قلق على أبنائهم الذين هبوا للدفاع عن وطنهم، وقد واصل من تبقى منهم على قيد الحياة واجبه في أطراف المدينة.



إنزال الجنود البحارة الطليان عند جليانة 10/19/

من أثار القصف الإيطالي الأول لمدينة بنغازي 1911/10/19م.



درنة: أنور بك القائد التركى ومعه رئيس أركانه مصطفي كمال (أتاتورك) يستعرضان المجاهدين.



بنغازي تحت الاستعمار الإيطالي :

ودخــل جــنود المشاة في صباح يوم 20-10-1911م المدينة بقيادة النقيب بيانكو، واحتلوا النقاط الإستراتيجية والضرورية للدفاع عنها، وقد لــزم العــرب مــنازلهم، وساد المدينة جو من الكآبة الممزوجة بالغضب والحذر من الغزاة، وظل النقيب بيانكو يعمل في الإدارة العسكرية ويهتم بــصورة خاصة بالشؤون السياسية التي جعلته يختلط بالناس، وقد أُشتهر بين العرب، وقد قال فيه الشاعر :

يــا بــيانكو واعــر علــيك ســكونه

العــرب يامــا تعــانى دونــه

وصــدقت نبوءة هذا الشاعر؛ لأن الغزاة لم يستقروا أو يهنئوا إلا بعد عشرين عاماً من القتال والمعاناة.

وفي هذه الظروف المأساوية برز الحاج أحمد الجهاني، الذي بذل كل جهــده للتخفيف عن سُكان المدينة مما ألم بهم، فقد انتقل إلى القيادة الإيطالية وقابــل الجنــرال بــريكولا وطلب منه معاملة السُكان وفقاً لما جاء في بيان الجنــرال كانــيفا القائد العام للقوات الإيطالية في ليبيا، باحترام الدين ودور العبادة، والممتلكات الخاصة وحُرمة المنازل والتقاليد والعادات، وقال له: إنه مسؤول عمّا يقع داخل المدينة وليس بمسؤول عما يقع خارجها.

وفــي روايــة أخرى ذكرها الراهب جيرونى المذكور سابقاً، أنّ لجنة مؤلفة من عرب وأوروبيين انتقلت إلى البارجة الإميرالية صباح يوم21-10-1911م، حــيث استقبلها الأميرال (أوبرى)، وقد طلب منه الأعيان العرب العمــل بمــا جاء في منشور الجنرال (كانيفا)؛ احترام الدين ودور العبادة، وحرمة المنازل، وتقاليد البلاد وأعرافها.

ولزم عرب بنغازي بيوتهم، وأغلقوا متاجرهم، إلاّ أنهم كانوا يتجولون في حيهم، ويتفقدون أصدقاءهم وجيرانهم، ويواسون من كان له شهيداً، ويواسون المرضى والجرحى، إلا أنّ الدوريات الإيطالية بدأت تجولها في الحي وتفتيشها عن السلاح، الأمر الذي أجبر الناس على البقاء في منازلهم دون الخروج إلى الشارع.

ولم تنعم قوات الاحتلال بفرحة استيلائها على المدينة، ولا بالراحة التي كانت تنشدها، ففي الوقت الذي كانت فيه القيادة الإيطالية منهمكة في إقامة الاستحكامات والوسائل الدفاعية، لاتقاء هجمات المجاهدين، تعرضت مراكزهم في الصابري حوالي الساعة الثانية بعد الظهر إلى هجوم عنيف ألحق بالقوات الإيطالية خسائر فادحة، واضطرها إلى التخلي عن مواقعها والتراجع، وقد أسرعت القيادة بإرسال النجدات والمدفعية؛ لإيقاف الهجوم الذي هدد مواقعها تهديداً خطيراً. وقد بلغ عدد الجرحى رقماً كبيراً، اضطرت معه القيادة إلى إنشاء مستشفي صغير في المنطقة لمعالجتهم، وقد حلّ محلّه المستشفي الكبير الموجود حالياً في الصابري، وهو (مستشفي الجماهيرية)، والذي خدم بنغازي طيلة العهد الإيطالي وحتى الآن.

وهز هذا الهجوم القيادة الإيطالية وأربكها، وقد أدركت مدى الأخطار المحيطة بها، وأنه باحتلال بنغازي لم تتوقف الحرب، فأصدرت الأوامر بانسحاب جنودها من جليانة التي خُصصت لتخزين الذخيرة والمواد الغذائية بحراسة سرية مشاة وسرية بحرية، فردمت الذخيرة تحت الأرض، وتركت المواد الغذائية، كما قررت أيضاً التخلي عن ثكنات البركة وانسحاب من بها من الجنود إلى سيدي حسين، وقضت القوات الإيطالية أولى لياليها في بنغازي في حالة من التوتر الشديد والخوف، وفي يقظة وحالة تأهب قصوى.

دارت فوق رمال جليانة أول معركة كبيرة خاضتها القوات الإيطالية في ليبيا، وفوق رمال جليانة أدركت إيطاليا أن النزهة العسكرية التي وعدت

بها الشعب الإيطالي تحولت إلى حرب طاحنة، ستكلفها ضياع الآلاف من أبنائها، وخسارة المليارات من أموالها، وتلطيخ سمعتها العسكرية والمعنوية بالخزي والعار.

وفي جليانة عرف الإيطاليون أن خصمهم صاحب الأرض وليس الأتراك، وأن الدفاع عن الوطن تهون في سبيله جميع التضحيات، وقد دافع عن بنغازي في ذلك اليوم أبناؤها وإخوانهم من أبناء القبائل المجاورة، وكان سلاحهم الإيمان والثقة بالنفس والبنادق القديمة، ودامت المعركة ست عشرة ساعة، لم يستطع خلالها العدو احتلال المدينة، إلا بعد أن دكت قنابل أسطوله دورها على رؤوس سكانها، ولم يضع احتلال بنغازي حداً للحرب، فقد ظلت القوات الإيطالية ثمانية عشر شهراً محاصرة في المدينة، كما كانت الوقت نفسه محاصرة في طرابلس، ودرنة والخمس. كانت خسائر الغزاة باهظة، رغم تكتمهم عليها، وحصرها في بضعة عشرات؛ خشية ردود فعل الشعب الإيطالي إذا ما علم بحقيقة خسائره، وكان الجنرال بريكولا أبعد الصحفيين عن بنغازي، ومنع وجود أي صحفي بها، سواء كان إيطالياً أم أجنبياً، وذلك لمنع تسرب أخبار حقيقة الخسائر والمصاعب التي كانت تواجهها إيطاليا في ليبيا، وقد دأبت الحكومة الإيطالية طيلة حربها في ليبيا على إخفاء خسائرها ومصاعبها، والتظاهر بالنصر والقوة خاصة في العهد الفاشستي.

وانضم معظم المقاتلين في جليانة بعد احتلال بنغازي إلى الأدوار، التي تكونت في بنينا، والفعكات، والكويفية، وذلك لمواصلة الجهاد ضد الغازي، وكانوا على اتصال بعائلاتهم، بل كانوا يستطيعون التسرب والدخول لرؤية أحبائهم، وكانت هذه القوات الوطنية تحاصر الإيطاليين في المدينة، وتحول دونهم ودون الخروج منها ومهاجمتها كل ليلة، ففرضت على القوات الإيطالية على مدى 18 شهراً القبوع في المدينة تحت حماية الأسطول والتحصينات.

وأمــر الحـــاج أحمـــد الجهاني عميد البلدية في اليوم الأول للاحتلال الخـــبازين بفـــتح مخابزهم وإعداد الخبز للمواطنين، كما طلب من السلطات الإيطالـــية العمـــل على توزيع بعض الزاد على فقراء المدينة، وفتح رئيس الـــبلدية بمـــساعدة السلطات العسكرية محلاً لبيع المواد الغذائية، وشرع في تقـــديم بعض الخدمات للناس ومساعدتهم، وكانت الدوريات الإيطالية تجوب الـــشوارع وتفتـــيش المارين، وتطلق بين الحين والآخر أعيرة نارية إرهاباً للـــناس، وبدأت دكاكين البقالين والجزارين وباعة الفحم والغاز تفتح أبوابها تلبية لحاجة المواطنين، وكانت تسمع من المدينة أصوت الرصاص والقنابل المتـــبادلة بـــين القوات الإيطالية والمجاهدين، وقد حصنت القوات الإيطالية المديـــنة من جليانة إلى الصابري، وأقامت المدافع على طول الخط الدفاعي لمـــنع المجاهـــدين مـــن الاقتراب من المدينة، وظلت البوارج بمياه بنغازي مـــستعدة للـــتدخل وقـــت ما يُطلب منها. وكان المجاهدون يقومون في الليل بالهجوم على بنغازي، إلا أن الوسائل الدفاعية وقنابل الأسطول كانت تحول بينهم وبين الدخول إلى المدينة.

وقـــد ســـمع الناس في دورهم صوت المنادين بضرورة تسليم الليبيين جمـــيع الأســـلحة التي بحوزتهم، ومن سيخالف الأمر سيواجه الموت فوراً وبدون محاكمة، وقرر الليبيون جمع ما بحوزتهم من أسلحة وتسليمها وإخفاء الجـــيد منها للطوارئ، وفي اليوم التالي بدأ الناس بتسليم أسلحتهم وقد هددت القوات الإيطالية بتفتيش البيوت أيضاً بحثاً عن السلاح.

وكـــان المجاهـــدون في كل ليلة يهاجمون بنغازي والمراكز الدفاعية الإيطالـــية الأخـــرى، ممـــا جعل القوات الإيطالية في حالة استنفار وتأهب لمـــواجهة العـــدو، واضـــطرت إيطاليا إزاء الهجمات الخطرة التي يقوم بها المجاهـــدون ضـــد مديـــنة بنغازي إلى بناء قلاع محصنة واحدة بالشويليك، والثانـــية بالفـــويهات، والثالـــثة باللثامة، وكانت هذه القلاع مُزودة بالمدافع

والرشاشات، وعدد كبير من الجنود. وبالرغم من وجود هذه القلاع والخنادق المحيطة ببنغازي فقد اضطرت القيادة الإيطالية إلى بناء سور بارتفاع ستة أمتار حول المدينة، مزوداً بالمدافع والرشاشات وجميع وسائل الدفاع، وكان به ثلاث بوابات واحدة بميدان الجزائر حالياً للخارجين والداخلين من البركة وسيدي حسين، والبوابة الثانية بسيدي حسين، والبوابة الثالثة بالصابري، وهي كثيرة الحركة، وتُفتح البوابات من الصباح إلى الغروب، وتطّلع الشرطة على أوراق الداخلين والخارجين من هذه البوابات؛ وقد أسرعت إيطاليا في اتخاذ هذه الإجراءات الدفاعية المشددة حول مدينة بنغازي بعد وقوع معركة الشاطئ وسيدي المصري في طرابلس يوم 23 أكتوبر عام 1911م، والتي انهزمت فيها القوات الإيطالية شر هزيمة، وقد وقعت قواتها بين المهاجمين من الأمام والمواطنين الآخرين من الخلف، وقد أثرت هذه المعركة في القوات الإيطالية تأثيراً دفعها إلى الانتقام بوحشية من السكان، وإلى إبعاد الآلاف منهم إلى إيطاليا؛ لقد كانت هذه المعركة كابوساً مفجعاً للقوات الإيطالية في بنغازي، التي كانت تخشى أن يتكرر ما حدث في شارع الشاطئ وسيدي المصري في بنغازي أيضاً.

وشرع الإيطاليون في الاستعانة بالعمالة الليبية في بعض الخدمات، وكانوا الفئة الأولى التي عملت مع إيطاليا، وتقاضت رواتبها منها، ثم شرع الإيطاليون في اختيار بعض العناصر للعمل مع الشرطة الإيطالية، ومساعدتها في التعامل مع العرب والتفاهم معهم، وقد أطلق على هذا النوع من الشرطة الليبية اسم (ضابطيه)، وقد اتسعت دائرة هذه الشرطة وتدربت وكانت عوناً لإيطاليا في حفظ النظام طيلة فترة استعمارها. وبدأ النقيب بيانكو في الاتصال بالعرب لمعرفة أفكارهم وآراءهم ومطالبهم، وقد عمل على تعيين بعض الليبيين في وظائف صغيرة، أو كتراجم، لمن كان يعرف الإيطالية.

وشرعت إيطاليا بعد أن استقرت أوضاعها في المدينة في العمل على تكـوين وحدة عسكرية ليبية، وطلبت المتطوعين فجاءتها أعداد كبيرة بسبب البطالة ونـدرة العمل، وقد أحب الكثير من الناس التطوع في الجيش؛ لأن العمـل فيه غير شاق، ويضمن لمن يتطوع الإقامة واللباس والطعام. وكانت السلطات الإيطالية في بنغازي غير مرتاحة لعرب المدينة. ومن هذا المنطلق بـدأت إيطاليا حُكمها بمدينة بنغازي، وقد طالبت القيادة تعزيز الحامية الإيطالية في بنغازي، لاتقاء أي هجوم يحدث على المدينة من الخارج، وقد لبت الحكومة الإيطالية طلب القيادة، وزودتها بقوات وصل عددها إلى قُرابة 25 ألف جندي، وقد اتخذت السلطات جميع الاستعدادات لمواجهة أي احتمال.

كانت السلطات الإيطالية تدرك إدراكاً كاملاً شعور سكان المدينة نحوها، وتعاطفهم مع أبنائهم وإخوانهم المجاهدين واتصالاتهم السرية بهم، وكان شبح معركة شارع الشاطئ وسيدي المصري ماثلاً باستمرار في أذهانهم، فضاعفوا إجراءاتهم الأمنية وتوسعوا في عمليات البطش والإرهاب لتأكيد قوتهم ووجودهم.

وكان ازدحام المدينة الصغيرة بهذا العدد الكبير من الجنود والعتاد يـزيد من قلق السكان العرب، وخوفهم على أبنائهم المشاركين في المقاومة خارج الأسوار، وقد تحول دور بنينا في تلك الفترة إلى مدينة صغيرة عامرة بالأسـواق والنشاط ، وعلى صلة ببنغازي، وكان كل من الجانبين على علم بأخبـار الآخـر، وكان وجود المعسكر بالقرب من بنغازي يغذى الأمل في نفوس الناس بقرب ساعة الخلاص.

وكان يقود معسكر بنينا (البكباشى عزيز المصري) وهو ضابط كبير فـي الجـيش التركي ومن أصل مصري، وقد تولى فيما بعد منصب وزير الدفاع في مصر، واشتُهر بأنه من كبار الوطنيين المصريين، وقد كان رجلاً حازمـاً، فقـام بتنظـيم دور بنينا وتدريب الجنود، والاستعداد للهجوم على

بنغازي. وقد جاء عزيز على المصري من تركيا بصحبة أنور باشا، ونورى باشا، وكمال أتاتورك كضباط، أرسلتهم الحكومة التركية لتنظيم المقاومة، وقد تولى عزيز المصري قيادة جبهة بنغازي في حين تولى أنور باشا قيادة جبهة درنــة، وحاصــر المديــنة حــصاراً شديداً، وقد أراد أنور باشا خلق تنظيم عــسكري بين الليبيين فاختار عدداً من أبناء المشائخ والأعيان، وأرسلهم إلى تركيا لتلقى تعليمهم العسكري، وقد انخرط بعض هؤلاء في الجيش التركي، وعــاد بعضهم إلى برقة، وقد استعانت السلطات الإيطالية ببعضهم في العمل في المديريات والتدريس، ونود أن نذكر منهم ما يلي:

1. غيث اقدوره.
2. عبد المالك بن على.
3. بريغيث البرغثي.
4. رمضان الطيار.
5. محمد أرحيم بو جازية.
6. موسى عبد المولى الفريج.
7. حسن بوعبد ربه عبد السلام.
8. سعد محمد البرعصي.
9. محمد بوبكر الحاسي.
10. شريف محمد البرعصي.
11. عبد الله عمران العوامي.

مــر عــام على الاحتلال الإيطالي لبنغازي، وقد بدأت المدينة تستعيد نــشاطها وحــياتها الأولــى، وأخذ الناس يباشرون عملهم وتجارتهم، إلا أن

الكثيــرين ظلوا بدون عمل أو مورد، ففتحت السلطات باب العمل لهم، فوجد الكثيرون العمل في الميناء، وفي بناء سور المدينة وتبليط الطرق، كما عمل آخرون في الإدارة العسكرية، ولدى الشركات والمتاجر الإيطالية، التي بدأت تنتشر في المدينة، وأعطت الإدارة إلى بعض المقاولين العرب بعض أعمال البناء وإزالة الأنقاض. وشاهد سكان بنغازي لأول مرة الجنود المرتزقة من شرق أفريقيا بملابسهم الغريبة، وطرابيشهم الحمراء مثل أكواز الذرة، وكانوا يسيرون ويقاتلون وهم حُفاة بدون أحذية، وكانوا بداية تدفق عشرات الآلاف منهم ممّن حاربوا مجاهدينا بالنيابة عن إيطاليا مقابل ثمن بخس لدمائهم.

وســمحت الــسلطات الإيطالية لبعض الأسر بالسفر إلى الإسكندرية، وتذرع آخرون بتأدية فريضة الحج إلى بيت الله لمغادرة البلاد، وتابع السكان العــرب حياتهم وعلاقتهم الاجتماعية، وسهراتهم في المرابيع، واشتد شعور التــضامن والتعاطف فيما بينهم، واستمرت المدارس القرآنية تؤدى رسالتها، واســتمر الأطفال والصبية يملأون الشوارع بضجيجهم ولعبهم ومشاحناتهم، وكأنهم في عزلة عن الأحداث المحيطة بهم.

معاهدة لوزان:

ارتكــبت تــركيا أكبر عمل مشين بالشروع في مفاوضات لوضع حد لحالة الحرب القائمة بينها وبين إيطاليا، والتي لم تخضها، ولن تشترك فيها، ولــم تحترق بلظاها، فعلى أي شيء تُفاوض تركيا إيطاليا، وهي لم تُحاربها، ولــم ترفع السلاح ضدها، إلا أنها كانت رغبة حزب الاتحاد والترقي، الذي كان يُريد أن يُعيد علاقاته بإيطاليا، ويستفيد من احتلالها لليبيا.

وقــد شــرعت إيطاليا في مفاوضات في الوقت الذي كان فيه الجيش الإيطالــي في أسوأ حالته، وكان المجاهدون الليبيون ومعهم الأتراك في قمة

انتـــصاراتهم، فقـــد حاصروا القوات الإيطالية في مدن طرابلس، والخمس، وبنغازي، ودرنة، وسيطر العنصر الوطني على بقية أنحاء ليبيا.

وكـــان المفـــاوض التركي يرمى إلى حصول تركيا على فوائد مالية وسياســـية مـــن توقـــيعها علـــى المعاهدة مع إيطاليا في حين لم تهتم مطلقاً بالليبيـــين، ولا بأوضاعهم ومصيرهم وحربهم القائمة، كان المفاوض التركي يحـــاول الحصول على امتيازات ومصالح من إيطاليا، متناسياً الشعب الليبي صاحب البلاد التي كان يتفاوض عليها.

وفوجئت بنغازي وكل ليبيا بنبأ توقيع معاهدة الصلح بين تركيا وإيطاليا يوم 15 أكتوبر 1912م، ودهش الليبيون لهذا النبأ، الذي جاء في وقت كانت القـــوات الإيطالـــية محاصـــرة فـــي المـــدن الساحلية، وكانت المبادرة بيد المجاهـــدين، وزاد الـــناس حيـــرة غموض المعاهدة، والتناقض بين فرمان السلطان الذي يمنح ليبيا الاستقلال الذاتي، وبين المرسوم الإيطالي الذي يؤكد الـــسيادة الإيطالية على البلاد، وفي الوقت الذي قابل فيه الإيطاليون المعاهدة بفـــرح وســـرور، فقـــد قابلها الوطنيون بسلبية وخيبة أمل شديدين. وقد ظن الإيطالـــيون أن الحـــرب قـــد انتهت، وأن ليبيا أصبحت من ممتلكاتهم، وأن مـــشاريعهم الاســـتيطانية ســـوف تتحقق، وأصدر الجنرال بريكولا منشوراً باللغتين العربية والإيطالية، هذا نصهُ:

"منشور إلى أهل بنغازي وملحقاتها

يكون معلوماً للعموم:

قد انعقد الصلح فيما بين جلالة ملك إيطاليا وجلالة السلطان، فالحمد لله الـــذي أراد أن تعـــود الراحة عليكم وعلى عائلاتكم وعلى بيوتكم، منذ سنة مضت على احتلالنا لسواحل هذه البلاد بشرناكم بأن مجيئنا لهذه الديار يكون لكـــم ولأراضـــيكم منـــبعاً للإقبال والغناء، وفي ظرف هذه السنة قد شاهدتم

التبديلات بالمدينة والتنظيمات والأحوال العمومية والتغيرات لمستقبل جزيل الخيرات للجميع بموجب اهتمام وعناية الحكومة التي هي أم لرعاياها، نحن أوعـــدناكم بالعـــدل والاحتـــرام، وفعـــلاً احترمنا ديانتكم وعائلاتكم وعاقبنا الخاطـــيء المخالف للقانون وعاملنا الصالحين والخاضعين بالخير والكرم ، والتزمنا بإظهار بسالة جنودنا المنقادين للظفر بقدرة الله تعالى، وظل الذين لم يقدموا على ما فوض لنا بإجراءات في هذه الأراضي واعترضوا على زحفنا من شاطئ البحر إلى الداخلية.

وهكـــذا الحكومة العثمانية قد قررت بإبطال العداوة لنا واعترف جلالة ســـلطان تركيا بفرمان صادر منه سيصير إشعاره لكم في وقته بأنه حيث لا يمكـــنه أن يمد لكم يد المساعدة القوية بفرض سلطته على بلاد بنغازي التي الآن وإلـــى أقـــصى الأجيال تسلط عليها حكومة جلالة ملك إيطاليا الشريف المظفر حفظه الله وأبقاه دائماً بمنه تعالى رعاياه تسلطاً تاماً.

يا أهالي بنغازي وملحقاتها:-

ان يـــوم عقد الصلح هو نهار عفو وسرور، ولهذا نبشركم بأن جلالة الملـــك المعظـــم لإظهار حُسن التفاته لكم، وقد أمر بعفو تام لأهالي بنغازي وملحقاتها الذين اشتركوا في مقاومتنا أو قاموا بفعل قابل للعقاب بمدة الحرب، وبـــناء لذلك لا يمكن محاربة رجال من أي خلقة أو مقام كان أو شخصية أو بمالـــه أو بحقـــوقه لأجـــل الأفعال السياسية والعسكرية التي يكون فعلها أو الأفكار مضادة لنا بمدة الحرب.

فاعلمـــوا إذاً وانـــشروا بكل ناحية كانت بالقرب أو البعد هذه البشرى حتـــى يمكن للجميع التقدم لنا بكل ثقة بالخدمة إذا كانوا شغالين وبالتجارة إذا كانوا تجاراً وللحرث إذا كانوا مزارعين.

وبركة الله تحل بكم.

بنغازي في يوم 19 أكتوبر 1912م موافق إلى 8 ذي القعدة 1330هـ
قومندان جيش احتلال بنغازي
وملحقاتها الجنرال بريكولا"

لن تضع معاهدة لوزان حداً للحرب ما بين إيطاليا والمجاهدين، وقد ظل الجنود الأتراك يقاتلون إلى جانب إخوانهم الليبيين، ولم يمتثلوا للأمر الصادر إليهم من حُكومتهم بالانسحاب، والتقدم إلى القوات الإيطالية لترحيلهم، وقد أحدث ذلك خيبة أمل كبيرة لدى القوات الإيطالية التي كانت تعتقد أن معاهدة لوزان ستضع حداً للحرب، وتمكن إيطاليا من بسط سيادتها على ليبيا.

ولكن الجنود الأتراك لم يصلوا المدينة، وظل الإيطاليون في انتظارهم أياماً كثيرة، ثم انتابهم القلق لهذا التأخير، فقاموا بإرسال رسول إلى بنينا ليستطلع الأخبار، ويحيطهم علماً بموعد وصول الجنود الأتراك، إلا أن الرسول لم يعد إلى بنغازي، وتواصلت هجمات المجاهدين على المراكز المتقدمة الإيطالية، فأدرك الإيطاليون وقتئذ أن معاهدة لوزان لم تضع نهاية للحرب المستمرة بين الطرفين، وتواصل القتال وتواصلت المعارك دون هوادة، وكانت القلاع والمراكز الإيطالية المحيطة ببنغازي هدف المقاتلين في كل ليلة، وقد أصُيب سكان بنغازي بخيبة أمل من قراءة منشور القائد الإيطالي وتساءلوا عن مرسوم السلطان الذي أعطاهم الاستقلال الذاتي، فإيطاليا لا تعترف باستقلال للعرب، ولا بحقوقهم، وإنما تريد استعمار البلاد استعماراً كاملاً.

وفي العام الأول من الاحتلال ارتكبت إيطاليا في المدينة فظائع وعمليات قمع لإرهاب الناس، فقد نصبت مشنقة بقرب الفندق البلدي وكانت كل يوم تشنق عليها بعض المواطنين الذين تظل جثثهم تتأرجح لساعات

طويلة ليراها أكبر عدد من المواطنين، ولم تؤثر معاهدة لوزان في الأسلوب الإيطالـــي في معاملة الليبيين ولا في وسائل القمع التي يتبعونها، فقد ظل كل شـــيء علـــى ما هو عليه داخل المدينة وخارجها. وفي محاولة من الجنرال اميلـــيو لإقناع الناس بأن معاهدة الصلح شرع في تطبيقها وأن السلام سيعم البلاد، أصدر المنشور التالي المؤرخ في 30 أكتوبر 1912م:

"بـــناء للصلح الذي أراد الله أن يحصل بين حكومة جلالة ملك إيطاليا حفظـــه الله وحكـــومة جلالـــة ســـلطان تركيا، وبانتظار جلاء الأتراك عن الأراضي الليبية التي احتليناها حسبما تأتيهم الأوامر بذلك من حكومتهم.

قد أمرنا بتصريح المرور من وإلى البلاد فهذا يمكن للجميع بكل حرية المواصـــلة لأهل بنغازي مع الداخلية وللقبائل مع البلدة، يكون عموماً أنه لا يمكن لأحد الدخول للبلدة مسلحاً ماعدا المشائخ المعروفين في الحكومة وغير ممكن لأحد أيضاً إدخال سلاح أو ذخيرة حربية للمدينة ذاتها.

الدخـــول والخروج من وإلى المدينة يكون من أبوابها من وقت الفجر لغاية غياب الشمس.

بنغازي في 30 أكتوبر 1912م

جينرال اميلو

قومندان جيش احتلال بنغازي وملحقاتها".

ففـــي اليومين الأولين من فتح أبواب المدينة غادرها العديد من النساء والأطفال الذين حجزتهم الحرب داخل المدينة والعديد من الناس الذين خرجوا لـــتفقد حـــيواناتهم وزراعتهم وأقاربهم، وقد جاد الله بالأمطار الغزيرة التي دفعـــت الكثير من الناس إلى الخروج لحرث أراضيهم، أما الذين جاءوا إلى المديـــنة فكانـــوا قلـــة مـــن سكان سيدي حسين والبركة الذين جاءوا لشراء

حاجياتهم من السوق وزيارة الأصدقاء والأقارب، وكان فتح الأبواب فرصة للعديـد من الشبان الذين كانوا يتلهفون إلى الانضمام لصفوف المجاهدين في دور بنينا.

استمرت الأوضاع على ما هي عليه بعد التوقيع على معاهدة لوزان ولـم يصل الخطوط الإيطالية جندي تركي واحد يطلب إعادته إلى بلاده، فقد نصت المعاهدة على سحب تركيا لجميع جنودها، وأن تتولى إيطاليا ترحيلهم إلى بلادهم، إلا أن الوقت مرّ ولم تتحقق هذه المادة، فقد ظل الجنود الأتراك إلـى جانـب إخـوانهم العرب يشاركونهم القتال ضد المغتصب، وتواصلت المعارك والهجوم على وسائل الدفاع عن بنغازي.

وأخذ الشعور يسود الإيطاليين بأن الحرب لم تنته، وأن معاهدة لوزان لم تحل شيئاً، وأن البلاد ستواجه المزيد من أعمال القمع والإرهاب الإيطالي، وظلت بنينا قلعة وطنية صامدة تتحدى الغزاة وتقض مضاجعهم رغم استسلام تـركيا، وعـاد دوى المدافع وطلقات الرصاص يُسمع في المدينة وتجددت الآمال في نصرٍ قريب.

الهجوم على معسكر بنينا:

كانت بنغازي تراقب بشئ من الوجل الاستعدادات العسكرية ووصول جـند جـدد، وأسلحة، ومواد حربية، وتدريبات العساكر الموجودين يومياً، وكانت تعلم أن هذه الاستعدادات تُتخذ للهجوم على معسكر بنينا وكان به عدد كبير من أبناء المدينة، وكانت أخبار معسكر بنينا التي تصل المدينة مطمئنة فالقـوات الوطنـية علـى اسـتعداد لمـواجهة الأعداء ومعنوياتهم عالية، واستعداداتهم جيدة وخاصة أن المعسكر كان يقوده ضابط محنك وهو عزيز المـصري. ووالى الإيطاليون تدريباتهم واستعداداتهم اليومية إلا أنهم كانوا متخوفين من أهل المدينة أن يثوروا على الجنود الباقين فيها في حالة قيامهم

بحملة عسكرية على بنينا لذلك كانت استعداداتهم العسكرية تتم في سرية تامة كي لا يشعروا بها العرب.

وشعر سكان المدينة في النصف الثاني من شهر مارس باستعدادات عسكرية غير عادية لإعداد حملة كبيرة على المجاهدين في دور بنينا. وفي يوم 1 أبريل 1913م أوقفت السلطات الإيطالية العمل في الميناء وغيرها من الأماكن التي يعمل بها العرب وأمرت بإغلاق المتاجر، وأمرت الجميع بالبقاء في بيوتهم إلى حين صدور أمر جديد، وتحركت الحملة بجنودها ومدافعها الثقيلة، وفرسانها وآلياتها في اتجاه بنينا، التي قدر عدد المدافعين عنها بثلاثة آلاف رجل مسلحين بالبنادق، ولديهم أربعة أو خمسة مدافع قديمة ، ودارت معارك حامية في الخويبية والجخ الكبير، والجخ الصغير، وسواني عصمان، وعلى طول الطريق المؤدية إلى بنينا، وقاتل المجاهدون قتال الأبطال، وحاولوا أكثر من مرة الالتفاف على جناحي العدو إلا أن طلقات المدفعية الثقيلة كان لها الغلبة على طلقات البنادق، واقتحم الإيطاليون والمرتزقة الإرتريون المتاجر والدور، كما استولت القوات الإيطالية على ما تركه المجاهدون من أسلحة وذخيرة ومؤن بعد أن تعذر عليهم نقلها، وأضرم الإرتريون النار في القرية والمعسكر ودمروها تدميراً كاملاً؛ واستطاع الإيطاليون بعد هذه المعركة أن يفكوا الحصار عن بنغازي؛ إلا أن أبواب المدينة ظلت تغلق وتفتح في مواعيدها المحددة والمعارك تدور حول المدينة. وقد تقبل عرب بنغازي بحزن وأسى تدمير معسكر بنينا الذي تشتّت جنوده وعاد الكثير منهم إلى بنغازي، فقد وضع الناس أملهم في هذا المعسكر الذي أملوا أن يقوى ويشتد ساعده ويتوسع، ثم يحتل بنغازي، إلا أن هذا الأمل قد زال، وأصبح عليهم لزاماً التعايش مع الإيطاليين لعدة سنوات أخرى.

استطاعت القوات الإيطالية توسيع رقعة احتلالها بعد معركة بنينا، واستولت على المناطق الساحلية المحيطة ببنغازي، وتوغلت حتى المرج،

وأدى ذلك إلى تخفيف إجراءات الخروج والدخول إلى بنغازي، والسماح للناس باستئناف حياتهم العادية، وبزرع أراضيهم، ورعاية مواشيهم، وتبادل السلع والمنافع مع سكان الدواخل. وتجمع المجاهدون في الجبل الأخضر وفي جنوب بنغازي، وحول المدينة. وقد سافر الضباط الأتراك المذكورون سابقاً إلى بلدهم وأسندت إلى أنور باشا وزارة الحربية، وقد ظل دائماً على صلة بالليبيين ويتتبع أخبارهم، وتولى الليبيون بعد سفر الأتراك الدفاع عن وطنهم، معتمدين على أنفسهم، وأسسُوا مراكز عسكرية في الجبل الأخضر وأماكن أخرى من برقة، واستعدوا لمواجهة الإيطاليين ومهاجمتهم.

مجتمع بنغازي والتطورات الجديدة

بدأ انتعاش بنغازي الاقتصادي بورود المحاصيل الزراعية والحيوانات من الدواخل إلى الأسواق المحلية، وتحويل قيمتها إلى مشتريات، ويعود بها الموردون إلى مناطقهم، وكانت ميناء بنغازي تعج بالسفن التي كانت تأتى بلوازم الجيش واحتياجاته، وبالمواد الغذائية والملابس وحاجيات السكان.

وبدأت في هذه الفترة أيضاً تنتعش حركة التصدير والتوريد في حدود ضيقة، فصدرت بعض الحيوانات والسمن إلى مصر، والجلد والصوف إلى إيطاليا، إلا أن كابوس الحرب والقلق ظل مخيماً على سكان المدينة العرب. وقد شرعت سلطات الاحتلال في تطوير الجزء الجنوبي الغربي من المدينة الذي اختاروه لسكنهم، فقاموا برصف بعض الشوارع كالشارع الممتد من ميدان الملح (شارع جمال عبد الناصر) إلى بداية شارع عمر بن العاص، وشارع جليانة (عبد المنعم رياض)، والطريق التي تربط منطقة الميناء بميدان البلدية (شارع عمر المختار)، وحولوا ميدان الملح إلى ميدان وحديقة مشجرة أطلق عليها أسم ميدان الملك، وشيدوا فندقاً ضخماً كان يقع في مكان مصرف الجماهيرية الرئيسي الحالي، أطلق عليه اسم فندق إيطاليا، وقد دمرته القنابل خلال الحرب، وشيدوا مجموعة من المساكن بشارع جليانة لسكن كبار الضباط والموظفين، ولا يزال معظم هذه المساكن قائماً حتى الآن، وشيدوا سكناً للوالي على الطراز الاستعماري على البحر، وقد طوروه في منتصف العشرينات ببناء الجناح المطل على شارع جمال عبد الناصر وهو الذي قضى فيه موسوليني ليلة خلال زيارته لبنغازي عام 1937م، ثم اتُخذ مقراً للجامعة الليبية الجديدة، وشيدوا مبنى للإدارة الإيطالية في المكان الذي يقع فيه مبنى الإسكان والمطل على الحديقة العامة، وقد دمرت الحرب هذا المبنى ثم أعيد بناؤه من جديد، وقامت السلطات الإيطالية ببناء مقر

لقــيادتها العسكرية ومعسكراتها وخدماتها العسكرية في الفراغ الواقع ما بين أسوار المدينة و(شارع عمرو بن العاص)، ولا يزال مقر هذه القيادة تشغله حالياً القنصلية الإيطالية.

وانتــشرت فـــي الحي الغربي من المدينة المقاهي والمتاجر والمطاعم الإيطالــية، وكان هناك عام 1913 عشرون مطعماً، وثلاثة عشر مقهى وستة أفــران، وعدد من الجزارين والخياطين، والمصورين، والبقالين، والحرفين الإيطاليين. وفتحت أول دار عرض في تاريخ بنغازي (سينما) في الطرف الجنوبـــي من شارع عمر بن الخطاب، أطلق عليها أسم قاعة إيطاليا، وكانت فـــي بدايـــة عهدها بها درجتان الأولى حيث يجلس المشاهدون على كراسي مـــريحة، والثانـــية وكـــان معظم زبائنها من العرب فقد كانوا يجلسون على الأرض، ثـــم أنشأوا فيما بعد مسرحاً صغيراً يقع في مكان فندق عمر الخيام حالـــياً، أطلق عليه اسم مسرح النهضة، وقد ألتهمته النيران بعد سنوات، كما أنـــشأوا مسرحاً آخر في الميدان الواقع وراء مبنى الإسكان أطلق عليه اسم المسرح الوطني وقد دمرته الحرب، وأعدوا لأطفالهم أول مدرسة إيطالية في الحديقـــة الـــواقعة جـــنوب العمارات الثلاث، كما أنشأوا مصيفاً على شاطئ جليانة قرب خزانات البترول السابقة خُصص للإيطاليين فقط.

هذا في حين ظلت المدينة العربية على ما هي عليه بدون تطور اللهم إلا إدخال بعض التحسينات على المنازل القائمة، فقد ظل العرب في أحيائهم، والأســـواق في ضجيجها، وميدان البلدية غاص بالناس، وسهريات المرابيع متواصلة والأعراس تأخذ طريقها كالعادة بدون تغيير، إلا في موكب العروس فبدلاً من أن تذهب إلى دار الزوجية على قدميها تحت بطانية كانت تُزف في عـــربة حـــنطور تلـــتف حـــولها البطانية الحمراء، وقد ازداد الإقبال على المـــدارس، وأنـــشأت الإدارة الإيطالية مدرسة عربية إيطالية في آخر سوق الجريد، انضم إليها مئات من التلاميذ، وكان سكان الأحياء العربية لا يذهبون

إلـــى المـــنطقة الغربية إلا إذا كانت لديهم عمليات في دوائر الحكومة أو في المصارف، وكان هناك فاصل يفصل ما بين العرب والإيطاليين الذين كانوا لا يخـــتلطون ببعـــضهم إلا في أوقات العمل. وقد تطور المجتمع الليبي في تجارته ووارداته وصادراته وعلاقاته بالعالم الخارجي، في حين ظل متمسكاً بعاداته وتقاليده وحياته التي تعود الناس عليها، وقد استمرت الكتاتيب القرآنية تـــؤدى رســـالتها وتـــسد الفراغ الذي أوجده غياب المدارس، وكانت دكاكين البقالة والجزارين وباعة الفحم والغاز لا يخلو منها شارع من شوارع المدينة العـــربية، وتواصل جلوس الشيوخ على (الدكانه) أمام المساجد في انتظار الأذان، وتجمعهـــم للعـــب (الشيزا) خلال النهار في أزقة المدينة، وكانت المرابيع كعادتها ملتقى للأصدقاء والجيران حيث يقضون جزءاً من الليل في تـــبادل الحديث واحتساء الشاي ولعب الورق البريء وكانت أوضاع بلادهم فـــي ظـــل الاحتلال ومعارك المجاهدين تستأثر بأغلب أحاديثهم واهتمامهم، وكـــان أكثـــر ما يقلق الناس ويثير شجونهم حالة البؤس المخيمة على أهالي المديـــنة وتـــزايد عدد الفقراء الذين أقاموا قرى من الأكواخ في حي سيدي حسين وفي الصابري وعجزوا عن الحصول على ما يسدون به رمقهم.

وأعـــدت ســـلطات الاحـــتلال معسكراً في رأس عبيدة لإيواء الفقراء والمتشردين، ووصل عدد ضيوفه وفقاً للمصادر الإيطالية إلى ألفي شخص. ويتـــضح من إحصائية نشرتها إدارة النفوس ببلدية بنغازي أن 1448 عربياً توفـــوا عـــام 1913 أي نسبة 75 من المائة وهي نسبة عالية، وكان من بين المتوفين 648 طفلاً تحت الخامسة ماتوا بسبب سوء التغذية.

يتضح من إحصائية نشرت عام 1913م أن عدد الإيطاليين المدنيين بلغ 1850 نسمة من بينهم 600 امرأة وطفل و200 ما بين موظفين ورجال أعمال، أما الباقون فكانوا خليطاً من الحرفيين والجزارين والحوذية والحلاقين وخدم المطـــاعم والمقاهي والبيوت وعمال عاديين وباعة متجولين وحمالين، وجاء

معظمهم من صقلية وجنوب إيطاليا وتونس، وكان 35% منهم أميين في حين كـــان معظـــم الباقـــين مـــن أنصاف المتعلمين، وكانت هذه النوعية طليعة الإيطاليين الذين احتلوا ليبيا لتعليم شعبها وانتشاله من التخلف.

وتدفـــق هذا السيل من طلاب الرزق الإيطاليين على بنغازي دون أن تعد لهم سلطات الاحتلال السكن أو العمل، وبما أن المنطقة الغربية لا يتوفر فيها السكن لهؤلاء القادمين أما بسبب ارتفاع الأجور أو عدم توفر المساكن، فانتشروا للبحث عن السكن في الأحياء العربية وبصورة خاصة في الذراوي، والـــشابي، والوحيـــشي، وســـيدي سالم، وكانت الأزمة الاقتصادية قد دفعت بأصحاب المنازل الكبيرة إلى اقتطاع أجزاء منها وتأجيرها للإيطاليين وتأجير غـــرفة في بيت عربي تسكنه عدة أسر فقيرة، وعاش الإيطاليون مع العرب يشربون مياه (الوراد)، ويستمدون ضوءهم الليلي من مصابيح الكيروسين الـــصغيرة، ويـــشترون خضرواتهم ولحمهم وخبزهم من البقالين والجزارين والأفـــران العربية، ونتج عن سكن الإيطاليين بالأحياء العربية أن فُتحت بها الحانات ومحلات البقالة والحرفيين الإيطاليين، وكان لفتح الحانات الإيطالية في الأحياء العربية وقع سيء على المواطنين، فقد بدأ بعض العمال والشباب يـــتعودون على الجلوس في هذه الحانات وشرب الخمور، وقد أثر ذلك على الأوضـــاع الاجتماعية حيث أن الموظف أو العامل لا يكاد دخله يكفي نفقات أســـرته، وقـــد أصبح اليوم يصرف جزءاً كبيراً من هذا الدخل في الحانات الإيطالية. وكان على السكان العرب أن يتحملوا هذه الجيرة الكريهة، إلا أن النـــساء الإيطالـــيات البسيطات كن يزرن جاراتهن العربيات ويجلسن على الأرض ويحتـــسين معهن الشاي، في حين كان الأطفال يلعبون معاً وأحياناً يتـــشاجرون، ولـــم تحدث أية ألفة ما بين الرجال، وظلت الكراهية والنفور يفصلان بينهما إلا في حالات قليلة.

وتـــصرفت الحكومة الإيطالية في البلاد كأنها أرض إيطالية وتجاهلت سُـكانها العرب تجاهلاً كاملاً فقد كانت دوائر البريد والمصارف والضرائب والجمــارك وجمـــيع دوائر الحكومة لا تستعمل إلا اللغة الإيطالية كما لو أن جمـــيع سكان المدينة كانوا من الإيطاليين، وكانت جميع المعاملات تتم باللغة الإيطالـــية ولـــم تُستعمل اللغة العربية سوى في المحكمة الشرعية أو دائرة التـــسجيل العقاري، وكان العرب يمثلون الأكثرية الساحقة من سكان المدينة، وكـــان علـــى إيطالـــيا أن تـــراعيهم وتحترم لغتهم كما هو الحال في جميع المـــستعمرات الأخـــرى. وكان هذا العمل مقصوداً ويرمى إلى القضاء على اللغـــة العربية التي لا تُعلم في المدارس إلا إلي الفصل الثالث ابتدائي بحيث أن المتخـــرج منها لا يعرف كيف يكتب رسالة باللغة العربية. وكان التعليم الإيطالي في هذه المدارس محدوداً أيضاً وينتهي عند الفصل الثالث الابتدائي، هـــذا في حين كان الأطفال الإيطاليون يتعلمون في المدارس الابتدائية حتى الفـــصل الـــسادس ثم ينتقلون إلى المدرسة الإعدادية والثانوية فيما بعد. وقد بـــرهنت إيطالـــيا علـــى أنها جاءت ليبيا لتعمل على زيادة تخلفها وتأخرها، وتجاهل لغتها وعاداتها ومصالحها، وكانت الحكومة الإيطالية تتصرف كأنها في بلدٍ إيطالي متجاهلة سُكانه تجاهلاً كاملاً، فكان جميع الموظفين في دوائر الحكـــومة، وفي الجمارك، والبريد، والمصارف من الإيطاليين إلى جانب قلة مـــن صـــغار الموظفـــين العرب التابعين للإيطاليين. وكان التعليم أهم شيء أهملـــته الـــسلطات الإيطالية، فقد فتحت مدرسة إيطالية عربية لتعليم أطفال العـــرب، وهـــي تمتد إلى ثلاث سنوات ابتدائي لا غير، يتخرج منها الطفل لـــيظل فـــي الـــشارع، وذلك إلى جانب مدرسة الفنون والصنائع التي تمتاز بوجود ثلاث سنوات إعدادية، هذا في حين أن الحكومة التركية قد أسست من عـــام 1885م المدارس الابتدائية والثانوية وكان بعض الخرجين من المدرسة الثانوية يُسافرون على نفقة الدولة إلى تركيا؛ لإتمام تعليمهم سواء في الميدان

العسكري أم الميدان المدني. وتخرج من تركيا العديد من الضباط الليبيين وكبار الموظفين.

وقد ظلت المدينة العربية على ما هي عليه متربة صيفاً وموحلة شتاء، ولم تعرف الكهرباء أو المياه الجارية والمجارى ورصف الطرق إلا في بداية العشرينات، أي بعد أكثر من عشر سنوات على بداية الاحتلال الإيطالي، وكانت شوارعها تضاء بمصابيح الكيروسين، وفي كل مساء ينطلق عمال البلدية وكل واحد منهم يحمل سلماً على كتفه وصفيحة كيروسين بيده، ويمر على المصابيح واحداً واحداً فينظفها ويعبئها بالوقود ويشعلها لتلقى بضوئها الضعيف على الشارع والسكان، وكان بعض الناس حتى مع وجود هذه المصابيح البدائية يحملون مصابيحهم بأيديهم عندما كانوا يتجولون ليلاً، أما الحي الإيطالي فكان يضاء بمصابيح غازية.

ظهور الطاعون:

لم تكتف بنغازي بكل الأحداث المؤلمة والكوارث المفجعة التي أصابتها حتى ابتلاها الله بداء فتاك خطير وهو الطاعون، وقد شعرت السلطات أن عدد الوفيات في تزايد غير عادى، فبدأت تُنقب عن السبب حتى اكتشفت ظهور الطاعون في سيدي حسين في مخازن دقيق الجيش، وقد انتقل بسرعة إلى زرائب السودانيين بالصابرى، ثم أخذ ينتشر تدريجياً بين أحياء المدينة، واتخذت السلطات الإيطالية الإجراءات اللازمة لمكافحة الوباء، وذلك بتطهير منازل المرضى، وحرق ملابسهم، وحوائجهم، وحجز أهلهم في المعزل الذي أقيم بجليانة. ولم تكن هذه الإجراءات سهلاً تقبلها في مجتمع بنغازي المحافظ الذي لا يسمح للمرأة بالخروج ولا للغريب برؤيتها. إلا أن الخوف من الإصابة والموت جعل الناس تتقبل الإجراءات الصحية وزيارة الأطباء، والعزل في جليانة، وقد خصصت الحكومة طبيباً لكل حي لمتابعة

المرض والقضاء عليه، وقامت السلطة بحرق حي الزرائب بكامله وأعطت ثياباً جديدة وخياماً جديدة لسكانه، واقترحت عليهم اختيار مكان آخر بين نخيل الصابرى.

بدأ ظهور الحالات الأولى من الوباء في درنة في منتصف عام 1913م، حيث اكتشفت الإصابات الأولى في مخازن دقيق الجيش بجمرك درنة، ولحقت الإصابات الأولى بالجنود والمدنيين الإيطاليين، ثم تسرب الوباء إلى مدينة درنة، وإلى القلاع العسكرية الواقعة خارج الأسوار، وتمت محاصرة الوباء والتغلب عليه، وإن ظل يظهر في مراكز منعزلة خارج المدينة.

كما ظهرت إصابات منعزلة في سيدي خليفة، وقمينس والخروبة، وساد بنغازي في هذه الفترة جو رهيب مفزع ضاعف من بؤسها وشقائها، وأعد مكان للعزل في جليانة ضم مئات العائلات، ومئات المرضى من جميع الطبقات، وكان البعض يخفون جثث الموتى، ويحاولون دفنها خفية لتجنب التعرض للإجراءات الشديدة التي تعقب اكتشاف المرض لحصره وإيقاف انتشاره، وكان الجير من الوسائل الأساسية لمكافحة المرض، فكان يستهلك منه قرابة مئة طن في الشهر.

كان من الضروري حرق الملابس والأثاث في الدار التي يحل بها المرض، وكانت الحكومة تدفع تعويضاً للناس لشراء ملابس نظيفة وبعض اللوازم. وأعلنت حملة للقضاء على الفئران بأن تعطى مكافأة لكل من يقتل فأراً قدرها عشرون أو ثلاثون سنتاً، إلا أن الحملة لم تجد تجاوباً يذكر.

دلت الإحصائيات على أنه من بداية العام 1914 إلى منتصفه ظهرت 429 حالة اشتباه، وبلغت الإصابات المؤكدة 246 إصابة، مات منهم 189 شخصاً، بنسبة 75% بالإضافة إلى الذين أصيبوا وماتوا، ولم يبلغ عنهم، وكانت الإصابات المؤكدة في الزرائب 53 إصابة مات منهم 17 شخصاً

فقط أي بمعدل 33% ويعود ذلك إلى قوة البنية والاحتمال الأفريقي، وعاد الــوباء إلــى القرية السودانية الجديدة في شهر يونيو 1914م، حيث مات ثمانــية أشخاص، أما الإيطاليون فقد أصيب منهم ستة أشخاص فقط، ولم يمت أحد منهم.

وقــد انتشر الوباء بقوة في المناطق المحيطة ببنغازي كما ذكرنا، ففي دريانــة علــى ســبيل المثال كان يموت العشرات في كل يوم، وفي سيدي بوفاخــرة مات ثلاثة أرباع سكان المنطقة، ومع الأسف لم يحص عدد الذين أصيبوا وماتوا خارج المدينة، وربما لم يجدوا أي عناية أو رقابة طبية، وكان من نتائج الطاعون أن أمرت السلطة الإيطالية بتبليط أرضية الجمارك و800 دكان في جميع أنحاء المدينة، وكذلك تبليط أرضية الفندق البلدي والسجون وغيرها من المؤسسات العامة وتغيير الخشب بالأسمنت وذلك في نطاق حملة القضاء على الفئران والنظافة.

وعاد الطاعون مجدداً عامي 1917و 1922 ولا نملك بأيدينا إحصائيات لمعــرفة عدد الإصابات والموتى، وقد اخبرنا بعض المعمرين الذين عاشوا تلــك الفتــرة أن الإصابات والوفيات كانت كثيرة، وللعلم فإن الطاعون الذي حــصد رقاب المئات من أهل بنغازي وضواحيها كان مصدره الفئران التي قدمت إلى البلاد مع الجيش الإيطالي.

وقــد دفــع الفقر والضيق والمرض واستبداد العدو بالسكان إلى زيادة ترابطهم وعطفهم، وأصبح السكان كالأسرة الواحدة الكبيرة، فكانوا يشاركون بعــضهم الأفــراح والأحزان، ويساعدون الفقراء ويأخذون بيدهم وكانت من المناظر المألوفة في الأحياء العربية أن يهب الجيران لمساعدة جارهم الفقير، فــي بــناء داره أو إصلاحها، وكان القادرون وقت الحرث لا يترددون في حرث (مطيرة) لجيرانهم الفقراء.

أيام الشدة:

لـــم يكـــد عـــرب بنغازي يتخلصون من الطاعون وما فعل بهم، حتى كشرت السلطات الإيطالية عن أنيابها، وبدأت حملة اضطهاد وقمع، فقبضت علـــى أعـــيان الـــبلاد ورموزها وشخصياتها البارزة بدون مبرر ولا سبب، ونقلتهم على بارجة حربية إلى الجزر الواقعة شمال صقلية، حيث سجنتهم في ســـجونٍ غيـــر صحية تحت الأرض، وعاملتهم معاملة سيئة لا تليق بوجهاء مدينة تم اعتقالهم. وكان طعامهم قليلاً ورديئاً، ولولا أن بعض أثرياء بنغازي كانـــت تـــصلهم الأموال من ذويهم فينفقونها على المحتاجين، وقد مات من أعـــيان بنغازي ثمانية نذكر منهم: سليمان أمنينه، وبوشناف بسيكري، وعلى كـــشبور، وعلى بوقرين، وميلاد مفتاح زيو، وغيرهم ممن توفي من مشائخ القـــبائل، وعدد من مشائخ قبائل البادية الواقعة تحت السيطرة الإيطالية. ولا نـــدرى مـــا السبب في القبض على هؤلاء الأعيان وإبعادهم إلى إيطاليا، في الوقت الذي كانت الأوضاع العسكرية نسبياً هادئة، وكانت الحرب العالمية قد أُعلـــنت وإيطاليا تستعد لدخولها، ولا شك أن الفكرة كانت الخوف من ردود فعل المجاهدين واقتحامهم لمدينة بنغازي، فأرادت إيطاليا أن يكون بيدها هذا العدد من أعيان البلاد كرهائن، لأن عدداً من هؤلاء الأعيان لم يُشاركوا في عملـــيات عدائية ضد إيطاليا، ولم يكونوا موضع اتهام. وفي ما يلي نعطى قائمة غير كاملة بأسماء المبعدين:-

1. سليمان أمنينه
2. الزروق الرعيض
3. السنوسي جبر
4. عبد الهادي مختار السوادي.
5. محمد بوزيد الكوافي.
6. منصور البابور.

7. منصور أطلوبة.
8. رجب على يوسف.
9. مصطفي أرخيص.
10. عبد الله مخلوف.
11. حسن بو ليفة.
12. بوشناف بسيكري.
13. على كشبور.
14. ميلاد مفتاح زيو.
15. على بوقرين.
16. حسين كويري.
17. صالح عبد الله بريمة.
18. مفتاح قادربوه.
19. محمد بن كاطو.
20. محمد عابد عبد المولى.
21. ساسي بن محمد شتوان.
22. حسن بو قعيقيص.
23. عبد السلام حجل.
24. سالم الزوبيك.
25. على بن زبلح.
26. السنوسي البناني.
27. أحمد صوان.
28. الفرجاني دربي.
29. مفتاح الإمام.
30. محمد جبريل.

31. عوض شمسه.
32. السنوسي المازق البيجو.
33. احمد الطائع البيجو.

وظــل المبعدون في منفاهم يعانون السجن وقسوته إلى ما بعد دخول إيطالــيا الحــرب العالمية الثانية، فصدر الأمر في عام 1917م بالإفراج عن المــبعدين الليبيين، فعادوا إلى ديارهم، وقد سُجن مع المبعدين الليبيين شاعر مــن البطــنان يدعى فضيل حسين الشلماني الذي وصف في قصائده وصفاً رائعــاً حياة المساجين والمذلة والمهانة التي كانوا يتعرضون لها، وذكر أن أثــرياء المــبعدين من بنغازي كانت تصلهم أموالٌ من أهلهم وكانوا يغدقون على بقية المبعدين من خيراتهم.

وفــي عام 1914م اشتعلت الحرب العالمية الأولى بين ألمانيا والنمسا مــن جهة وفرنسا وألمانيا من جهة أخرى، وظلت إيطاليا على الحياد إلى عــام 1915م، عندما أعلنت الحرب على ألمانيا والنمسا وتركيا، وشاركت فــيها، وصــاحب دخول إيطاليا الحرب نقص المواد الغذائية بسبب تجنيد الفلاحين وقد أنعكس ذلك على بنغازي التي كانت تصلها المؤن من إيطاليا، بــل كــادت أن تنقطع بسبب حرب الغواصات، وفي هذا الوقت قد وقعت عملية هجوم القوات الليبية على مصر وإغلاق الحدود ما بين مصر وليبيا وانقطــاع وصــول المؤن والسلع الأخرى من مصر إلى ليبيا. وقد اشتدت الحالــة علــى الــناس بــسبب قلة الغذاء وكانت السلطات الإيطالية توزع التمويــنات عندما تصلها على جندها أولاً، ثم توزع ما تبقى على الليبيين بالتقنين. وفي هذه الأثناء توقفت جميع العمليات العسكرية، واتخذت القوات الإيطالــية موقــف الدفاع، وتوقفت عمليات الإرهاب والقمع ضد الليبيين، فعاش الناس في هدوء واستقرار، إلا أن حالة التموين العامة كانت تؤثر في المديــنة، كما أن الجفاف أضاف إلى كل هذا الوضع تأثيراته المخيفة، فقد

مــرت بنغازي بأيام شدة وجوع ونقص في الغذاء، فلجأ الناس إلى أكل كل شيء يعوضهم عن الغذاء العادي.

وكانت إيطاليا بدخولها الحرب تريد تخليص أراضيها، والتي ما زالت تحــتلها النمــسا، والتي رفضت باستمرار إعادتها إلى إيطاليا، وكانت حرب جبهات حركتها قليلة وخسائرها كثيرة. ولحقت بها هزيمة نكراء في كابورتو كــادت أن تخــرجها مــن الحرب لولا تدخل حلفائها، وقد ضاق الإيطاليون الجــوع والقلة خلال أعوام الحرب الأربعة، وقد اضطرت إيطاليا إلى سحب بعــض قواتها من ليبيا، وإيقاف القتال على جميع الجبهات الليبية. وساد ليبيا هــدوء واستقرار وهدنة غير معلنة. وكان الجنود الإيطاليون قد ضاقوا من الملــل بــسبب عــدم الحركة أو الحرب. وكانوا يذهبون إلى الحي العربي للــتحدث إلــى العرب والاختلاط بهم، وقد سادت الألفة بين الطرفين. وكان العرب في تلك الفترة يجتازون مرحلة من أشد المراحل بسبب نقص الطعام الــذي لا يــصل إلــيهم بسبب تعرض الغواصات الألمانية للسفن الإيطالية وإغراقها بما فيها، ومن بينها السفن التي كانت تحمل المؤن إلى ليبيا.

وساد الهدوء بنغازي خلال فترة الحرب العالمية وزاد تعاون الناس مع الإيطاليــين المقيمين في البلاد، ومع ضباط الجيش الذين كانوا يتجولون في الأســواق العــربية لــشراء مــا يهمهم، وفُتحت أبواب المدينة للراغبين في الخــروج أو القادمين من الدواخل ممّن كانوا يحملون نتاجهم الزراعي لبيعه إلى سكان المدينة، وانتهت سنوات الشدة هذه بانتهاء الحرب العالمية وخروج إيطاليا منها منتصرة.

دور أمساعد والهجوم على مصر:

قد أقامت القيادة الوطنية برئاسة السيد أحمد الشريف السنوسي مركزها الرئيسي في أمساعد، على الحدود ما بين مصر وليبيا، ولا ندرى لماذا اختار

السيد أحمد الشريف هذا الموقع القصي من برقة، ليكون موقع قواته الرئيسي، ربما ليكون قريباً من مصر التي كانت تمده بالمؤن والسلاح والرجال للمقاومة، وقد دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا والنمسا، وتحركت قواتها في الشرق الأوسط نحو قناة السويس، وقامت بمهاجمتها بُغية الوصول إلى مصر، إلا أنها واجهت مقاومة شديدة من القوات البريطانية؛ فجاء إلى أمساعد نورى باشا شقيق أنور باشا، ومعه مجموعة من الضباط الأتراك والألمان والعرب، وكان مجيئهم لعرض المساعدات على السيد أحمد الشريف السنوسي، واتخذوا من ميناء البردية قاعدة لغواصاتهم، التي كانت تنقل للمجاهدين بعض السلاح والمعونات، وأمتزج الضباط الأتراك بالقادة المحليين، وكثُر ترددهم على السيد أحمد الشريف، ثم بدأوا يُطالبون بالجهاد إلى جانب قوات الحليفة التي تتولى الهجوم على مصر، ومعنى ذلك قيام القوات الوطنية بمهاجمة مصر، وهي البلد الشقيق المفتوح دائماً على ليبيا ليمدها بخيراته. وبدأ النقاش يدور بين قادة المجاهدين حول القيام بهجوم على مصر، وكان الأمر بيد السيد أحمد الشريف الذي تردد كثيراً ما بين مهاجمة مصر، وإغلاق حدودها على ليبيا، وما يتبع ذلك من كوارث، وبين الوفاء لخليفة المسلمين ومساعدته عند الشدة، وصدرت الأوامر بالزحف على مصر، وحتى الآن لا أحد يعرف هل الهجوم تم بأمر السيد أحمد الشريف أم بدون أمره، وانسحبت القوات البريطانية أمام المهاجمين، حتى خط مرسى مطروح فاتخذتها قاعدة دفاعية، واحتل المجاهدون الليبيون سيدي براني وسيّوه، وبعض الواحات المصرية، ولكن الهجوم لم يفد القوات التركية المهاجمة لقناة السويس، لأن القوات الإنجليزية بقناة السويس لم يتحرك منها جندي واحد، وأمرت القيادة البريطانية بإرسال فرقة مصفحة من البلقان إلى ليبيا، حيث قامت بطرد المهاجمين الليبيين المحمولين على الإبل والخيل، وقد احتلت القوات البريطانية من جديد سيدي

براني والسلوم، وأغلقت الحدود ما بين مصر وليبيا. وكان العام عام جفاف والناس في حاجة إلى المؤن، التي كانت تصلهم من مصر، وقد أغْلقت في وجوههم المدن الساحلية، والحدود المصرية وأصبحوا يواجهون الجوع بدون معين.

وقام السيد إدريس السنوسي الذي خلف السيد أحمد الشريف في رئاسة الطريقة السنوسية بالاتصال بالإنجليز، لوضع حد للحرب، وفتح الحدود، وطلب منه الإنجليز إبعاد السيد أحمد عن البلاد، والدخول في مفاوضات تشمل الإيطاليين أيضاً، وقد التقى الليبيون والبريطانيون والإيطاليون في الزويتينة، واتفقوا على وضع حد للقتال، وفتح الحدود مع مصر، وبدأت السلع التموينية تصل من مصر إلى برقة، فتخففت البلاد من ذائقتها، ثم جاد الله بعام مطير فانتعشت البلاد، وعادت تقريباً إلى طبيعتها.

وحدث أن وقع صدام مسلح بين المواطنين الليبيين والفرنسيين في غرب ليبيا، فأرسلت فرنسا أربع طائرات لتأديب العرب، فأسقط المجاهدون إحدى الطائرات، وأسروا طياريها، وكان أحدهما كولونيلاً، فاستنجدت فرنسا بإيطاليا لمساعدتها في هذا الأمر، فرفضت إيطاليا الخروج لمقاتلة الليبيين من أجل فرنسا، ودارت مفاوضات بين الفرنسيين والليبيين؛ لإطلاق سراح الكولونيل الأسير والتوقف عن القتال.

وعادت الأوضاع بين مصر وليبيا إلى طبيعتها، فبدأ تدفق السلع المصرية على ليبيا، وتصدير الأغنام والأبقار والإبل إلى مصر. وقد تنفس الناس الصعداء لفتح الحدود المصرية التي تؤمن لهم وصول الغذاء، وتدفقت على المدينة الخضراوات ومنتجات الدواخل، وزالت المجاعة تدريجياً، وعاد الناس إلى سابق عهدهم، وبدأ النشاط يدب في المدينة التي خيم عليها الكساد والإهمال لعدة سنوات.

وخلال الحرب أقام الألمان والأتراك قاعدة للغواصات الألمانية في مصراته، كانت تزود المجاهدين بالسلاح وبما كانوا يحتاجونه. وبذلك أصبحت ليبيا طرفاً في القتال بعد هجوم القوات الليبية على الصحراء الغربية المصرية، وقيام قاعدة عسكرية كبيرة في مصراته إلى جانب ألمانيا وتركيا، وقد قامت الطائرات البريطانية والفرنسية بالغارة على هذه القاعدة أكثر من مرة، إلا أن القوات الإيطالية ذات الشأن ظلت معتكفة في المدن الساحلية، ولا تخرج لقتال أحد بما فيه القاعدة المعادية في مصراته، وكانت مصراته خارجة عن السيادة الإيطالية، وقد أصبحت مركزاً هاماً للنشاط الوطني العسكري.

وفي عام 1918م وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها. وخرجت إيطاليا منتصرة على النمسا، ولكن مهشمة في داخلها بسبب الاضطرابات، ومظاهرات الشيوعيين الذين كانوا يريدون أن يستولوا على المصانع في مدينة ميلانو الصناعية، وقد خسرت إيطاليا في الحرب أكثر من مليون رجل ما بين قتيل ومعاق، إلا أن إيطاليا فازت من الحرب بتحرير أراضيها التي كانت تحتلها النمسا، وضمها لمدينة (تريسته) إليها. وارتأت إيطاليا في ظروفها الراهنة عدم إمكانها خوض حرب على ليبيا، والاتجاه إلى المفاوضات مع العرب لوجود حلول سلمية يرضاها الطرفان، وبدأت إيطاليا المفاوضات مع الزعماء في طرابلس ومع إدريس السنوسي في برقة، وتوصلت معهم إلى تفاهم واتفاقيات صدر على أساسها القانون الأساسي الذي منح الاستقلال الذاتي لكل من برقة وطرابلس، إلا أن إيطاليا زادت عدد حامياتها العسكرية إلى أن وصلت إلى 80000 جندي في طرابلس.

وقد توصل الجانب البرقاوي إلى عقد أتفاق في عكرمة نص على منح برقة الاستقلال الذاتي، وتمتع واحات جالو والكفرة بالسيادة، وأن تكون اجدابيا مقراً لإدارة هذه الواحات، واتخذت كافة الإجراءات لتنفيذ هذا الاتفاق،

وذلـــك بتكوين حكومة وطنية تضم الكفرة وجالو وأوجلة وعاصمتها اجدابيا، في حين ظلت بقية أراضى برقة خاضعة للحكم الذاتي اسمياً، وخاضعة عملياً لقوات المجاهدين، وقد نص الاتفاق المبرم ما بين الإيطاليين والزعامة الليبية أن يحتفظ الليبيون بألف جندي مسلح، وأن ينزع عن بقية المجاهدين السلاح، وأن تجرى إيطاليا مخصصات شهرية للأمير وكبار رجاله، ومشائخ الزوايا الـــسنوسية، وقد لاقى هذا الاتفاق ارتياحا وقبولاً في مدينة بنغازي، فقد رأي فـــيه أهلها أنه خطوة هامة نحو استقلال البلاد الكامل. وأعربوا عن رغبتهم فـــي العمـــل من أجل توطيد أركان الوضع الجديد ونجاحه، غير أن الجانب الوطني لم يستطع الوفاء بما نصت عليه الاتفاقيات، وخاصة فيما يتعلق بنزع الـــسلاح عن المواطنين، لقد كان الناس يرفضون رفضاً باتاً تسليم أسلحتهم قـــبل أن يتضح وضع البلاد، ويتأكدوا من نوايا الإيطاليين نحوهم، وقد كان هذا الأمر السبب الرئيسي في الخلاف ما بين الوطنيين والحكومة الإيطالية، وعدم الإمكان من تطبيق اتفاقية الحكم الذاتي.

عـــم الـــسرور والفـــرح مدينة بنغازي، التي أصبحت عاصمة للدولة الجديدة، وشعر الناس بالحرية، وبزوال الاستعمار الذي جثم على قلب البلاد 10 ســـنوات، رأت خلالها ألواناً من القمع والظلم والاضطهاد، وعاش الناس فـــي جـــو جديد لم يعرفوه منذ عشر سنوات، جو الحرية والانطلاق والتمتع بجميع الحقوق. وعاشت البلاد في موجة سياسية لم تعرفها من قبل، فقد كان النـــشاط يـــدور حول انتخابات ممثلين للبلاد في مجلس النواب، الذي تقرر إنـــشاؤه، والـــذي سوف يمثل البلاد بأجمعها، وجرت المعركة الانتخابية بين المرشـــحين فـــي بنغازي. وكانت الجماهير تستمع إلى كلماتهم في المساجد، والمـــنازل وقـــد حمـــى وطيس المعركة، واشتد وأسفر عن اتفاق بين قبائل المدينة على ترشيح السادة الآتي ذكرهم:-

1. محمد المحيشي.

2. محمد منصور الكيخيا.
3. حسين بسيكري.
4. صالح المهدوي.
5. محمد عبد الله أمنينه.
6. محمود بن شتوان.

وكان نواب دواخل برقة النواب الآتي ذكرهم:

1. السيد صفي الدين السنوسي.
2. حسين نجم.
3. خليفة بورحيم.
4. حسين الشهاوي.
5. عبد القادر بوبريدان.
6. محمد دلاف.
7. عبد الله عبد الجليل سويكر.
8. يادم بوجلاوي.
9. سعيد المالح.
10. سليمان سعيد العرفي.
11. بوشديق مازق.
12. الفرجانى دربي.
13. أحمد صوان.

14. أحمد البناني.

15. على عجيبة المشيطي.

16. عثمان العنيزي.

17. ياسين بوالمبري.

18. عمر الأصفر.

ونأسف لأن القائمة لم تشمل جميع أسماء النواب لتعذر حصولنا عليها.

وللحقيقة والتاريخ فإن مجلس النواب البرقاوي كان أول مجلس نواب عرفته البلاد العربية، ففي الوقت الذي كانت برقة تتمتع بمجلس نوابها المنتخب وبحريتها، كانت جميع البلاد العربية باستثناء اليمن والحجاز خاضعة للاستعمار الأوروبي.

وترقب الناس باهتمام متزايد ما سيُسفر عن المعركة الانتخابية، ومتى يُعقد مجلس النواب وتتألّف الحكومة الجديدة. وهي أحداث لم يكن أحد يتوقعها، أو ينتظرها في ظل النظام الجائر الذي كان يسود البلاد. وقد أصبح الأمل يداعب الناس في الحصول على الاستقلال التام، وخروج الإيطاليين من البلاد وربما إيجاد دولة ليبية موحدة تضم جميع أراضى ليبيا، وأدرك الناس أن ما يتمتعون به اليوم هو نتيجة لتضحية آلاف الشهداء الذين سقطوا في ميادين الوغى دفعاً عن هذه الأرض الطيبة.

وتمت الانتخابات في جو ديموقراطي رائع، وأنتخب أعضاء المجلس من بنغازي، ودرنة، والمرج، واجدابيا، وبقية برقة، وقد شيدت الحكومة الإيطالية مبنى جميلاً على الطراز الشرقي لمجلس النواب الجديد، وقد استعمل هذا المبنى فيما بعد أمانة للحزب الفاشستي ثم دمرت الحرب جزءاً منه، ثم أزالته السلطة الوطنية وأقامت بدله مبنى أخر. وعُقدت الجلسة الأولى

وانــتخب السيد صفي الدين السنوسي رئيساً للمجلس، وانتخب نائبه وأعضاء المكــتب، وشُكلت بعد ذلك الحكومة، وشرع المجلس في أعماله كأي مجلس آخــر فــي أي دولــة مــستقلة. وقد خُصص في مجلس النواب ستة مقاعد للإيطاليــين وغيرهم من غير العرب، وخاض المعركة الانتخابية مرشحون إيطاليون في دوائر عربية، ونجحوا مثل السيد أولمى الذي ترشح في المرج وأصبح نائباً عنها في مجلس النواب.

ومــن جهــة أخــرى كانت هناك فئة متشددة من المجاهدين، لا تريد الــصُلح مع إيطاليا، وتريد استمرار القتال، وكانت تُعارض كل ما تم الاتفاق عليه، ولم تخالط الإيطاليين أو تقترب منهم، واعتبرت نفسها لا تزال في حالة حــرب مع إيطاليا، ولذلك كانت تحرض الناس والمجاهدين على عدم تسليم ســلاحهم ، ووجــدت الإدارة الإيطالــية نفسها في وضع صعب، حيث أن الاتفاقيات التي تم توقيعها لم تُحترم، وخاصة في ما يتعلق بنزع السلاح عن المقاتلــين، إلا أن الوالي الإيطالي آنذاك (جاكموا دى مارتينو) كان متفهماً للأوضــاع القائمــة فــي إيطاليا، وكان رجلاً مرناً فأخذ يتعامل مع القضية بمــرونة وتفهــم، وعندما رفض المجاهدون حل معسكراتهم، اقترح الوالي تــشكيل معسكرات مشتركة تضم إيطاليين وليبيين على السواء، وتم تشكيل هذه المعسكرات إلا أن الأزمات لم تنته.

واســتمرت الخلافات في الدوائر العليا بسبب إصرار الإيطاليين على نــزع الــسلاح مــن السكان وإصرار السكان على عدم تسليم سلاحهم قبل وضوح الرؤية السياسية، ومع هذا فقد استمر مجلس النواب في أعماله كأي بلد آخر، يوجه النواب الأسئلة للحكومة والحكومة ترد عليها، بالرغم من أن معظــم الــنواب كانوا يواجهون هذه التجربة لأول مرة، وكان بعض النواب غيــر راضــيين عن الوضع، فقرروا القيام بالمعارضة في المجلس، وكانت مراكز المجاهدين العسكرية تكون بدورها مجالاً لمعارضة الوضع.

وشاركت إيطاليا في مؤتمر الصُلح في (فيرساي) بفرنسا، وطالبت بنـــصيبها في المستعمرات الألمانية والولايات التركية، التي انتزعت من ألمانيا وتركيا، واقتسمتها بينها كل من فرنسا وبريطانيا، ودار جدال طويل إلا أن فرنـــسا وبـــريطانيا أفهمتا إيطاليا بأنها نالت حقها باستيلائها على مدينة تريسته وإعادة أراضيها المحتلة إليها. وخرجت إيطاليا من المؤتمر خالـــية الوفاض، وغاضبة على حُلفائها، إلا أنها لم يكن لها حيل ولا قوة بـــأن تفعـــل شيئاً. وظلت هذه العقدة ملازمة لها حتى قيام الفاشستية التي تبنت الموضوع بقوة وإصرار.

وفـــي هـــذه الفترة أصبح السفر ميسوراً إلى جميع أنحاء العالم، وعاد الراغبون في السفر إلى الإسكندرية بمواصلة رحلاتهم. وكان بعض الليبيين يـــزورون إيطاليا للسياحة أو لأشغال. وتحسنت المواصلات البحرية ما بين طـــرابلس وبـــنغازي، وبـــنغازي والإسكندرية، وتدفقت البضائع من مصر، وكـــريت، وإيطاليا، وتونس، وطرابلس، على بنغازي، واستمرت الصادرات مـــن اللحوم، والحبوب، والسمن، والعسل، والصوف، والجلد، تأخذ طريقها إلـــى الـــبلاد المصدرة إليها، وقد انتعشت الأسواق بوصول منتجات الدواخل إلـــيها وبيعها، واستعمال ثمنها في مشتريات من أسواق بنغازي، وكثرت في المـــنطقة الغـــربية من المدينة المقاهي والمطاعم والمتاجر الإيطالية، وازداد عـــدد سكانها من الإيطاليين، وأصبحت مدينة أوروبية صغيرة قائمة بذاتها، هذا في حين ظل العرب بأحيائهم، وأسواقهم وتجارتهم يتعاملون كما كانوا في الماضي دون أي تغيير، اللهم إلا زيادة السلع الواردة من إيطاليا، والتي بدأت تغمر الأسواق.



مجلس نواب برقة سنة 1921م.

ولـــم تؤســـس إيطاليا مدارس لتعليم الليبيين باستثناء المدرسة العربية الإيطالية الابتدائية الموجودة بنهاية سوق الجريد، وكان أبناء العرب ما زالوا يـــتعلمون القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية في الكتاتيب الملحقة بالمساجد. وفي عام 1920م أنشأت إيطاليا مدرسة الفنون والصنائع لأبناء الليبيين، حيث كـــان يتلقى التلامذة التعليم الابتدائي والإعدادي على مرحلتين، مدة كل منها ثـــلاث سنوات، بالإضافة إلى تعلم الطالب أحدى الحرف الآتية:- الميكانيكا، والحـــدادة،و النـــسيج اليدوي، والنجارة، وتجليد الكتب، وتطريز الجلود، وقد ضمت هذه المدرسة في أول عهدها معظم أطفال بنغازي الذين أتموا تعليمهم فيها وأصبح بعضهم من أبرز رجال المجتمع، ويعود الفضل في نجاح هذه المدرســـة وإعـــدادها لجـــيل مـــثقف إلى الأساتذة الأفاضل الشيخ السنوسي المرتضى وحسين أشرف ومحمد باكير بادى وحسنى فوزى الأمير، وكانت المدرسة في العام الأول من عمرها تقدم وجبة غذائية وهي نفس الوجبة التي كانـــت تقـــدم للجنود الإيطاليين المجاورين للمدرسة، أي فنجان من الشربة وقطعة خبز، وكان مرض التراكوما منتشراً بين التلاميذ، وقد خصص طبيباً لزيارة المدرسة مرة كل أسبوع لمعالجة التلاميذ المصابين بالتراكوما، وكانت أعمـــار التلامـــيذ تتراوح ما بين 6 سنوات و12 سنة، وكان المرحوم سالم المكحـــل يتولـــى التربية البدنية، وكان له الفضل في نشر الرياضة وتشجيع التلامـــيذ علـــى ممارســـتها. وقـــد وضع مخطط أتفق عليه ما بين العرب والإيطاليين يقضى بإنشاء مدارس إعدادية ومدارس ثانوية ودراسات جامعية تُنـــشر تدريجـــياً، إلا أن إيطالـــيا غادرت ليبيا ولم تنشئ مدرسة واحدة من المدارس المتفق عليها في القرار المذكور.

وببداية عام 1920م وبعد عودة الهدوء إلى البلاد بدأت الأُسر المهاجرة إلـــى الإسكندرية وغيرها تعود إلى البلاد للحياة في هذا الجو الجديد، وكانت

هــذه الأسر قد هاجرت في بداية الاحتلال، وقد خصصت الحكومة الإيطالية باخرة لنقل هذه الأسر من الإسكندرية إلى بنغازي، وقد عادت هذه الأسر إلى ذويها إلا أن أغلبها لم يجد عملاً ولا مالاً لبدء حياته الجديدة في بنغازي، إلا أن أقاربهم أخذوا بيدهم وساعدوهم على الاستقرار ووجود العمل، وعاد إلى الــوطن أيضاً بعض العلماء والمثقفين الذين كانوا يعيشون في مصر؛ وذلك للمــساهمة في النهضة الجديدة التي تمر بها البلاد، وقاموا بنشاط سياسي في معركة الانتخابات وكونوا مجموعة ثقافية نشطة، وقد أسس عوض بو نخيلة ناد ثقافي سياسي كان يلتقي فيه المثقفون والسياسيون، وبدأت تخرج بنغازي من حياتها التقليدية القديمة وتعتنق الأوضاع الجديدة التي حلت بالبلاد، وأسس محمــد طاهــر المحيشي صحيفة الحقيقة التي لم تعمر طويلاً، ونشط الناس سياسياً وثقافياً في هذا المناخ الجديد المشجع، وأصبحت المرابيع في سهرات الليل تُناقش فيها مشاكل البلاد السياسية والثقافية، وشعر الناس في هذه الفترة بالحرية وبالخلاص من النظام الاستعماري، فلم تعد هناك عمليات قبض على الــناس وسَــجنهم لاتهامهم بأنشطة سياسية، ولم يعد الناس يخشون الشرطة الــسرية التــي طالمــا عانــوا منها، ولم يعد الناس يشعرون بتميز ما بين الإيطاليين والعرب، لقد كان الجميع يعاملون على قدم المساواة، وفي الدواخل كانــت الــسلطة بــيد الوطنيين الذين كانوا يتحركون في حرية كاملة، وقد تخلــصوا نهائــياً مــن وطأة الاستعمار الإيطالي. إلا أن عناصر المعارضة اســتمروا في معارضتهم بصورة معتدلة، وقد انتقد شاعرهم مجلس النواب بقصيدة مطلعها:

مــــبعوثان وشــــيخ مــــشايخ

كــــــــايخ في كــــــــايخ

يفــــرغ غــــير أوكــــال طــــبايخ

و مــع وجود الخلافات فقد سارت الحياة في برقة كلها هادئة مستقرة دون مــشاكل أو قــضايا، فمــشاكل البلاد كانت تعالج على مستوى عال لا يعرف به المواطنون. وقد فتح أهل بنغازي بيوتهم لاستضافة نواب الدواخل، والمــشائخ الموجــودين فــي المديــنة وكان معظمهم يشاركون في سهرات المرابيع، وأنشطة الحركة الثقافية في بنغازي بوجود المثقفين الذين عادوا من مــصر. وانتشر الشعر بين الناس، وكان أحمد رفيق في مقتبل عمره يقرض الــشعر، ويشجع الناس على تعلمه، وقد حدث في تلك الفترة أن فاز الأتراك على اليونانيين، فألف أحمد رفيق نشيداً كان يردده التلاميذ في المدارس وفي الشارع، وهذا مطلعه:

صـــــلوا يـــــا أهـــــل الكمـــــال
علـــى الـــنبي باهـــي الجمـــال

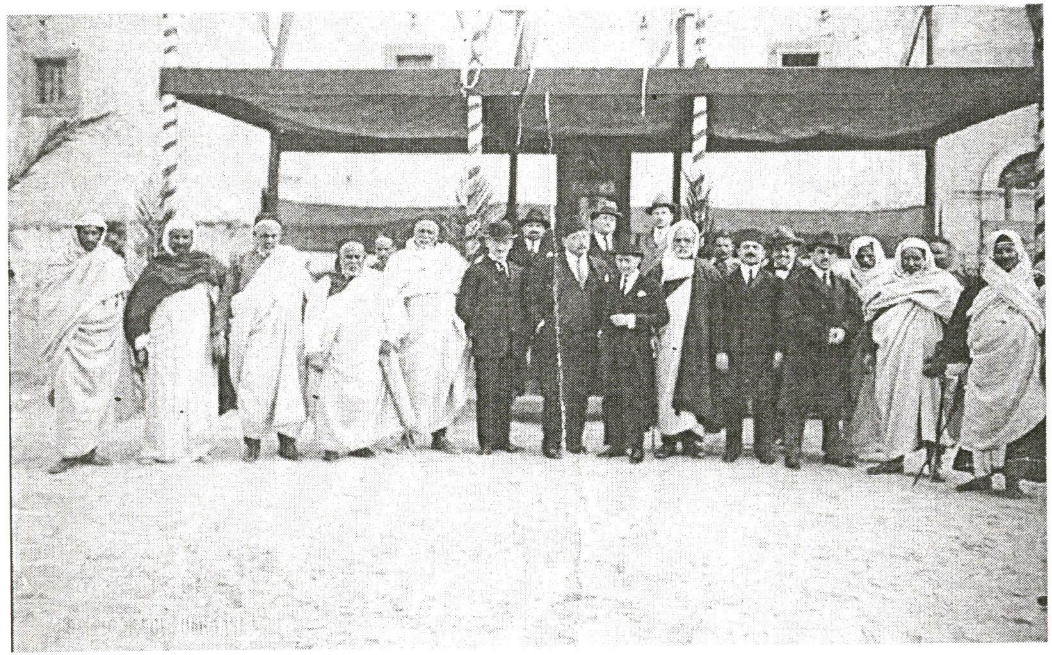
نـــــسأل المـــــولى تعـــــالى
يحفـــــظ الغـــــازي كمـــــال

و أصبحت سهريات المرابيع لا تخلو من نقاش في الشعر أو الأدب.

وانتعش الاقتصاد انتعاشاً ملحوظاً، وتنوعت السلع في الأسواق، وكان ســوق الظلام المسيطر بمحتوياته من ذهب وفضة وحرائر وسجاد ونفائس، وكان الضباط والجنود الإيطاليون وغيرهم من الأجانب يأتون السوق لشراء الهــدايا لأقــاربهم، وتحــسنت السيولة، وجاد الله على البلاد بالغيث العميم، وازدهرت البلاد وتحسنت أحوال الناس، وخاصة الطبقات الفقيرة.

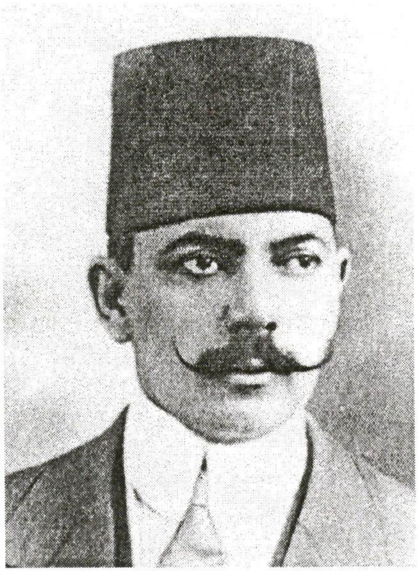
انــتهت السنوات العشر الأولى من الحكم الإيطالي، وقد مرت بنغازي بمختلف الحالات والانفعالات، فمن سنوات الاحتلال الأولى وما صاحبها من قمــع وقــسوة وشنق للناس، إلى حالة الطاعون الذي حصد مئات الأرواح، وتــسبب في حالة انزعاج عامة لمواطني المدينة، ومن الطاعون إلى دخول

إيطاليا الحرب وما جر ذلك على البلاد من مجاعات مر بها المواطنون، ومن حالات هدوء واستقرار في الوضع بصورة عامة وتوقف العمليات العسكرية، الأمـــر الـــذي تسبب في ارتياح الناس وعدم تخوفهم من أي شيء، وانتهت الحـــرب بكـــل آلامهـــا، وحـــل مكانهـــا وضع جديد يبشر بالخير والهناء والاســـتقرار، وبقرب حصول البلاد على استقلالها التام، وتحمل أهل المدينة هذه الأحداث المؤلمة، وهذه الكوارث التي حلت بهم بصبر وهدوء، كما أنها قابلت المتغيرات الجديدة بالرضى والقبول والآمال الكبيرة، فقد شعروا لأول مرة بالحرية، وبعدم وطأة السلطات الإيطالية عليهم، فاندفع الجميع يساهمون في الأوضاع الجديدة، ويشاركون فيها بحماس وقوة، وكان سرورهم عظيماً عـــندما رأوا انعقاد مجلس النواب وتشكيل الحكومة، وبداية عهدٍ جديدٍ يبشر بكل خير.



وضع الحجر الأساسى في بناء بلدية بنغازي – 1923م
وتضم الصورة مجموعة من أعيان بنغازي.

الأعيــان



عمر باشا الكيخيا

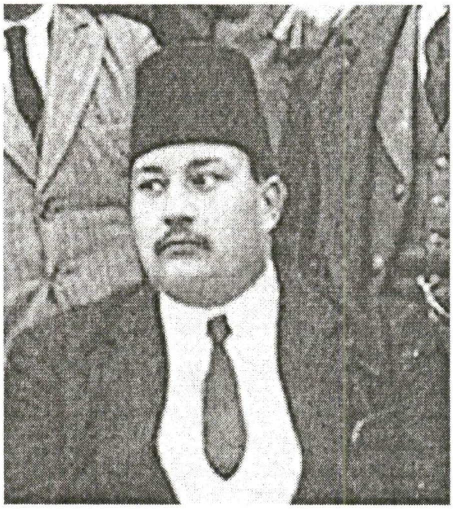
هـــو ابن منصور الكيخيا المعروف، وقد تلقى تعليمه في تركيا وعاد مـــنها بعد إتمام تعليمه إلى بنغازي، حيث عُين قائمقاماً لجالو وأوجله، وفي عام 1905م صاحب السيد الصادق المؤيد مبعوث السلطان إلى السيد المهدي السنوسي في رحلتهِ إلى الكفرة، وظل في هذا المنصب إلى أن سقط السلطان عـــبد الحميد، وعاد العمل بالدستور، وتولى جمعية الاتحاد والترقي مسؤولية البلاد، وقد طُلب من برقة إجراء انتخابات تشريعية لانتخاب عضوين يمثلان الـــبلاد في مجلس النواب العثماني، ووقع الاختيار على عمر منصور باشا، والـــسيد يوسف شتوان، اللذين سافرا إلى اسطنبول، والتحقا بمجلس النواب. كانـــت فتـــرة دخـــول عمر الكيخيا إلى مجلس المبعوثان العثماني فترة قلقة ومـــضطربة بالنسبة لليبيا، فقد ارتفعت أصوات إيطاليا مطالبة باحتلال ليبيا،

ووقفت الحكومة التركية حائرة لا تعرف ماذا تفعل. وقام النواب الليبيون ومن بينهم عمر الكيخيا بلفت نظر الحكومة بالاهتمام بليبيا، وتسليحها والدفاع عنها في هذه الفترة الصعبة، وكان من جراء مداخلاتهم أن قامت الحكومة التركية بإرسال الباخرة درنة محملة بالسلاح إلى طرابلس، وبعد الاحتلال الإيطالي ظل عمر باشا خارج ليبيا وعلى اتصال بالقيادة الليبية، وقد عرضت عليه الحكومة التركية منصب والى البصرة، فاعتذر عن قبوله، ثم عرضوا عليه منصب وال على فلسطين، فاعتذر عن قبوله أيضاً. وعندما بَدأ التفاوض ما بين المجاهدين وإيطاليا لإيجاد تسوية سياسية ترضى الطرفين قام عمر باشا بالدور الرئيسي في هذه التسوية، وقد عينه الوالي مستشاراً له. وبعد قيام النظام الفاشستي وإلغاء الاتفاقيات مع الليبيين، قُبض على عمر باشا وأُتهم بخيانة إيطاليا، وأحيل إلى المحاكمة وحكم عليه بخمسة عشر سنة قضى معظمها في إيطاليا، وعاد إلى ليبيا في أواخر الثلاثينات، وظل ملازماً لداره إلى أن دخلت إيطاليا الحرب العالمية فقبض عليه الجنرال غرازيانى وأبعده إلى إيطاليا، حيث ظل حتى نهاية الحرب. وعاد إلى ليبيا في وقت كانت القضية الليبية الشُغل الشاغل لجميع الليبيين. فعينه الأمير رئيساً لديوانه، ثم رئيساً للوزارة البرقاوية، وبعد الاستقلال ترأس مجلس الشيوخ الاتحادي، الذي تركه ولزم داره حتى وفاته سنة 1962م ودفن في بنغازي.



صالح باشا المهدوي

شخـصية من أبرز شخصيات بنغازي وأكثرها نشاطاً وحيوية، تلقى تعليمه الأولى في بنغازي، ثم أُرسل إلى تركيا للالتحاق بالكلية العسكرية التي تخـرج مـنها ضابطاً، ثم عاد إلى بنغازي وعين عضواً بآخر مجلس إدارة تركي في البلاد، فشارك المجاهدين الدفاع عن البلاد. وعندما احتلت إيطاليا الوطن كان صالح المهدوي في طليعة المدافعين عن هذا الوطن، وقد شارك فـي دور بنينا، وعاد إلى بنغازي حيث شارك في أعمال التسوية السياسية، وقـد انتخب نائباً في البرلمان البرقاوى، وكان صاحب نشاط سياسي بارز. ورشـح نفـسه لرئاسة بلدية بنغازي ففاز بها، وتولاّها بجدارة. وكان صالح المهـدوي مـن الشخـصيات المحببة إلى أهل بنغازي، وكان كثير الاهتمام بالمدينة وأوضاعها ومصيرها. فعندما تولى رئاسة البلدية وجه اهتماماً خاصاً للمدينة والعناية بها وتحسينها. وتوفي ببنغازي ودفن بها.



محمد طاهر المحيشي

ابـن سـالم باشا المحيشي المعروف، وهو سياسي نشط وأحد أعيان بـنغازي المـرموقين، ومثقف لعب دوراً هاماً خلال فترة التسوية السياسية، ودخـل مجلـس النواب البرقاوي كعضو فيه. وكان رجلاً مثقفاً واعياً يريد الخيـر لـبلاده وقـد أسس صحيفة الحقيقة التي لم تدم طويلاً، وأسس حزباً سياسـياً شمل بعض الإيطاليين أيضاً، وقد أنتخب رئيساً لبلدية بنغازي خلفاً لصالح المهدوي، فاهتم بالمدينة اهتماماً كبيراً، وقام ببناء سوق الظلام الجديد فـي موقع السوق القديم، وقد بُنى بطريقة تحول دون حدوث الحرائق، لأنه شُـيد بالأسـمنت المسلح والأبواب الحديدية، وكانت خير هدية قدمها محمد طاهـر المحيـشي إلى مدينة بنغازي، وقد أصبح هذا السوق مفخرة بنغازي ومحـل اعتـزازها، وأصدر في عام 1924م جريدة بريد برقة، وكانت أول جريدة عربية تصدر في بنغازي بانتظام، وقد ظلت هذه الجريدة تصدر حتى نهايـة العهـد الإيطالـي، وكانت جريدة أسبوعية تتألف من أربع صفحات،

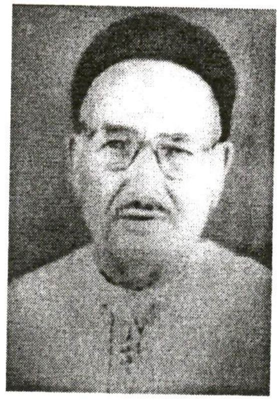
وكانـــت تقوم بنشر بعض المقالات الأدبية والأشعار، وقد امتدت حياتها إلى نهايـــة حياة الإيطاليين في بنغازي. وقد توفي محمد طاهر المحيشي في عام 1928م بالأراضي المقدسة خلال تأديته لفريضة الحج، ودفن هناك.



محمد الساقزلي

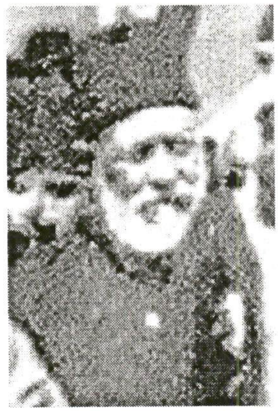
بـــدأ حياته السياسية بالقيام بمهمة سكرتير الأمير خلال فترة التسوية، ولعـــب دوراً هامـــاً في أحداث تلك الفترة. وبعد فشل التسوية وتنكر إيطاليا لوعـــودها وإلغـــاء جمـــيع الاتفاقيات المبرمة مع الجانب الوطني عاد محمد الـــساقزلي إلـــى بـــنغازي، حيث أعْتقل في عام 1924م، وأُرسل إلى سجون إيطالـــيا مع غيره من الأعيان والمشائخ، وقد ظل في سجنه إلى عام 1927م عـــاد إلى الوطن مع غيره من المساجين، وبعد عودته من المنفي فتح مكتباً للأشغال العامة، وظل ملازماً داره إلى أن جاء غرازياني كنائب لوالى برقة، فقـــبض علـــيه وأرسله إلى السجون الإيطالية مرة أخرى، وبعد عودته من

إيطاليا كانت إيطاليا قد انهارت وأيامها في ليبيا معدودة، فشهد آخر أيامها في بنغازي. وعندما تحصلت برقة على الاستقلال الذاتي، تولى رئاسة الحكومة البـــرقاوية بعد استقالة عمر باشا الكيخيا، ثم تولى رئاسة الديوان الملكي، ثم أُســندت إلــيه رئاسة الحكومة الاتحادية بعد سقوط حكومة محمود المنتصر الأولى. ولم يظل كثيراً في رئاسة الوزارة حيث فاجأته قضية المحكمة العليا وقـــرارها بـــأن الملك يملك ولا يحكم. وقد هز هذا القرار ليبيا بأجمعها لأنه يمـــس صلاحيات الملك الحالية، وقد سأل الملك محمد الساقزلي عن رأيه في قرار المحكمة فأجابه بأن قرار المحكمة يجب أن يُنفذ، وبعد ساعة طُلب منه تقـــديم اســـتقالته. وتاريخ ليبيا الحديث يحتفظ لمحمد الساقزلي موقفه الشجاع الـــذي قال للملك إن قرار المحكمة العليا يجب أن يُنفذ، ولو كان فيه مساس بـــصلاحياتك، ثم أُسندت إلى محمد الساقزلى مهمة بناء مدينة المرج الجديدة التـــي أعطاها وقته ونشاطه وأتمها على أكمل وجه، وشيد فيها مسجداً فخماً زاد المدينة جمالاً وبهاءً. وتوفي في بنغازي ودفن فيها.



أحمد جربوع

من أعيان بنغازي وتجارها الكبار، وكان محبوباً من أهل مدينته ومحط تقدير واحترام من سكانها، وقد قبضت عليه السلطة الإيطالية في عام 1930م بتهمة أن له أقارب مع المجاهدين، وهي تهمة ثبت بطلانها فيما بعد. وقد أُرسل إلى معتقل العقيلة هو وجميع أفراد أسرته، وقاسى كما قاسى غيره حياة العذاب والاضطهاد بهذا المعتقل، ففي الفترة الوجيزة التي أقامها في المعتقل فقد زوجته واثنين من أولاده. وقد أخذ في العقيلة يساعد الناس بأمواله، وكان يطلب من بنغازي تزويده بالأموال جديدة ليواصل مساعدته للفقراء والمحتاجين من المعتقلين، وقد حفظ له المعتقلون هذا الصنيع، وذكروه دائماً بالخير. وعندما اتضحت براءته من التهمة التي بموجبها أُرسل إلى العقيلة أطْلق سراحه، وعاد إلى بنغازي كسير الخاطر باكي العين على أعزائه الذين تركهم تحت رمال العقيلة، والحاج أحمد جربوع ليس له نشاطٌ سياسي، وإنما هو حاضر في كل اجتماع يتعلق بالمدينة ومصيرها، وبعد عودته من المنفي أخذ يُمارس تجارته بصورة محدودة إلى أن توفاه الله في بنغازي ودفن فيها.



الحاج أحمد الجهاني

من أعيان ومثقفي بنغازي، فقد عمل في الدوائر التركية، وكان معروفاً بعلمه وثقافته، وقد عُين في آخر العهد التركي عميداً لمدينة بنغازي خلفاً للحاج صالح دغيم، وقد تولى هذا المنصب بجدارة، واستمر فيه إلى أن حل الاحتلال الإيطالي. فوقف لمساعدة أهل المدينة وبالضغط على السلطات العسكرية الإيطالية في توزيع المؤن والأدوية على السكان، وكان هو الذي قام في ليلة قصف بنغازي بقنابل الأسطول بالمشاركة بإشعار الأسطول الإيطالي بأن المدينة قد استسلمت. والحاج أحمد الجهاني له مواقف كثيرة مع السلطات الإيطالية لصالح أهل المدينة وإعادة حياتها إلى طبيعتها، وقد ظل رئيساً لبلدية بنغازي إلى أن توفاه الله عام 1914م، وعينت إيطاليا رئيس بلدية إيطالي بديلاً له. وكان الحاج أحمد الجهاني عالماً جليلاً، ومثقفاً كبيراً، يجلهُ ويحرمهُ أهل مدينتهِ الذين بذل كل جهدٍ لتحقيق مصالحهم عندما تولى رئاسة بلدية بنغازي.



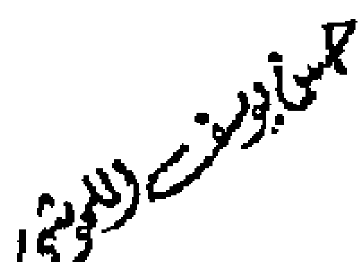
السيد صالح البيجو

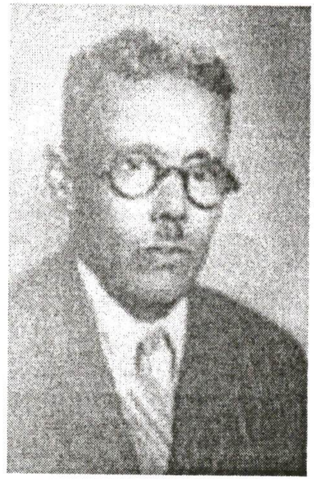
أحد أعيان مدينة بنغازي التي تعلم فيها وتخرج منها، وتقلد عدة وظائف إدارية وقضائية في العهدين العثماني والإيطالي. وكان طيب القلب شهماً غيوراً عفيفاً باراً بأهله عطوفاً على أصدقائه. وكان يحظى بتقدير واحترام مواطنيه، وقد انتقل إلى رحمة الله في عام 1938م ودفن ببنغازي.



السيد بوشناف بسيكري

السيد بوشناف بسيكري من أعيان بنغازي ورجالها المعروفين بالوطنية والحزم وقد شارك في عمليات الجهاد، وكان محترماً ومحبوباً من أهل مدينتهِ التـــي لم يألوا جهداً في الدفاع عنها وعن مصالحها، قبض عليه الإيطاليون وأبعـــدوهُ إلى إيطاليا مع أول مجموعةٍ من أعيان بنغازي أُبعدت إلى إيطاليا فـــي عام 1914م، وفي عام 1917م عندما أُطلق سراحُ أعيان بنغازي وعادوا إليها، لم يعد معهم بوشناف بسيكري لأنهُ لقى حتفهُ في المنفي ودفن هناك.





عوض بونخيلة

عـــوض بونخيلة من أسر بنغازي المعروفة ومن أعيانها، تلقى تعليمهُ الأولـــى والثانوي في بنغازي، ثم التحق بتركيا للتعليم والعيش بها نظراً لأنهُ كـــان ينفرُ من العيش في ظل الاستعمار الإيطالي، وعندما أصدرت إيطاليا القانون الأساسي ومنحت البلاد الحكم الذاتي عاد عوض بونخيلة إلى بنغازي فـــي عام 1920م وذلك للمشاركة في حياة البلاد السياسية الجديدة، وقد أسس فـــي بنغازي نادياً ثقافياً تحول فيما بعد إلى نادي سياسي يهتمُ بشؤون البلاد، وأصدر في نفس الوقت صحيفة(الوطن) التي كان يُعالج من على صفحاتها القـــضية الوطنـــية والتي لم تعمر طويلاً، وعاش عوض بونخيلة فترة الحكم الذاتي وأعطاها نشاطهُ وأفكارهُ إلا أنهُ عندما تنكرت إيطاليا لعهودها، وعادت للحرب غادر البلاد عائداً إلى تركيا التي ظل مقيماً فيها إلى أن توفاه الله.

يوسف بن شتوان

مـــن أعيان بنغازي وكبار مثقفيها وساستها، اهتم بالسياسة مُنذ شبابه، وعُين عضواً في أول مجلس بلدي لبنغازي برئاسة (عبد الرحمن أمنينه)، وقـــد أُنتخب عن الأهالي في عام 1908م نائباً عن برقة في مجلس المبعوثان العثماني، وقد ظل مقيماً في تركيا إلى وقت الاستقلال الذاتي، فجاء من تركيا إلى بنغازي للمساهمة في الأوضاع الجديدة وتحقيق ما يصبوا إليه الليبيون، وغـــادر بنغازي بعد تنكر إيطاليا لعهودها. وفي تركيا أسندت إليه الحكومة التركية مناصب هامة في مجال التعليم والثقافة، وكان يوسف بن شتوان من أشهر ساسة بنغازي ومثقفيها ومن خيرة رجالها العاملين، وقد ظل مقيماً في تركيا إلى أن توفاه الله بها حيث دفن فيها.

حسن بوقعيقيص

من وجهاء بنغازي وأثريائها، كان يُمارس مهنة تربية الحيوانات على نطـــاق واســـع، ويُعـــد مـــن أكبر أصحاب الأغنام في برقة. وقبضت عليه الـــسلطات الإيطالـــية في عام 1924م، وأُبعد إلى الجزر الإيطالية الواقعة في شمال صقلية مع غيره من أعيان بنغازي، وقد ظل في السجن ثلاث سنوات إلـــى أن أُطلـــق سراحه عام 1927م، فعاد إلى بنغازي ليجد أن كل ثروته قد استولى عليها الإيطاليون. وعاش بقية حياته في بنغازي التي مات ودفن فيها.

محمود بن شتوان

من وجهاء بنغازي ومن رجالها المحبوبين، تلقى تعليمه في تركيا، ثم عـــاد إلى ليبيا ليواصل نشاطه السياسي والاجتماعي. وقد رشح نفسه لمجلس

النواب البرقاوى، وفاز بالمنصب الذي تولاه عن جدارة، وقام في المجلس بدوره كاملاً وأعطاهُ كل جهدهِ وإمكانيتهِ، وقد قبضت عليه السلطات الإيطالية في عام 1924م، وأبعدته مع غيره من الأعيان إلى إيطاليا، حيث قضى ثلاث سنوات في سجونها، وعاد إلى بنغازي في عام 1927م، ومُنذ ذلك الوقت لزم داره ومارس حياتهُ العادية، ولم يشترك في أي نشاط سياسي، وظل محل تقدير واحترام من مواطنيه إلى أن توفاه الله في بنغازي التي دفن فيها.

السيد ميلاد مفتاح زيو

من أعيان بنغازي المعروفين وشيخ قبيلة الشويخات، وكان له نشاط تجارى وزراعي، وحياة مرموقة في بنغازي، ونشاط سياسي واجتماعي معروف، وقد ألقت عليه السلطات الإيطالية القبض في عام 1914م، وأبعدته إلى الجزر الإيطالية مع غيره من الأعيان، حيث توفي ودفن هناك.

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الفصل الثالث

العشر سنوات الثانية من الاستعمار الإيطالي

برقة في وضعٍ جديد:

بدأ العقد الثاني من الاستعمار الإيطالي والبلاد تتمتع بأوضاع سياسية جديدة، فقد تأسس مجلس النواب وبدأ أعضاؤه يناقشون المشاكل المعروضة عليهم، وكان بالمجلس نوابٌ إيطاليون يشاركون زملاءهم الليبيين الأفكار والعمل.

وكان والى برقة دى مارتينو يحاول في هذه الفترة الحساسة أن يُشعر الناس بنوايا إيطاليا الطيبة، وحرصها على رخائهم وخيرهم، والمحافظة على عقيدتهم وتقاليدهم، فأصدر قراراً عام 1921م ينص على أن أي مشروع اقتصادي تزيد قيمته على خمسمائة ألف ليرة يجب أن يطرح للاكتتاب، وأن يخصص ربع رأس المال لليبيين، ويظل الاكتتاب مفتوحاً لمدة ستة أشهر.

ويبدو أن الهدف من هذا القرار تشجيع التجار الليبيين على المشاركة في الشركات المساهمة، وتطوير الاقتصاد المحلى التقليدي، وكانت الخزينة الإيطالية تدفع بسخاء رواتب ومخصصات إلى المشائخ والزعماء ومشائخ الزوايا والموظفين وغيرهم من المستفيدين، الأمر الذي أوجد في بنغازي رخاء مصطنعاً وبوادر نهضة اقتصادية، وقد ارتفع حجم الصادرات والواردات من 70 مليون ليرة في عام 1921م إلى 244 مليون ليرة في عام 1924م. وتأسست في نفس العام غرفة التجارة والصناعة والزراعة التي انضم إليها عدد كبير من التجار الليبيين، والتي اقتصرت فيما بعد على التجار الإيطاليين.

ولفت نظرناً صدور مرسوم الوالي يوم 11-6-1921م يأمر بمنع النساء المسلمات من الخروج إلى الشوارع وهن يرتدين الملابس الأوروبية، وهو مرسوم غريب حقاً إلا أنه يبدو أن بعض النساء الخليعات

كـــن يخرجن سافرات بالملابس الأوروبية، وقد بادر الوالي بإصدار هذا المرســـوم الـــرادع لإظهار حرص الحكومة على المحافظة على التقاليد والقيم الأخلاقية الإسلامية.

وكـــان الوالـــي دى مارتيـــنو يحـــاول إرضاء العرب والتقرب إليهم، وإشـــعارهم بنوايا إيطاليا الطيبة، ودفع الطمأنينة إلى قلوبهم، بحيث يقومون بتنفيذ الاتفاقيات المبرمة مع إيطاليا دون أية صعوبة، إلا أن الليبيين تقبلوا كل ما منحته لهم إيطاليا بسرور، إلا أنهم كانوا غير واثقين من استمرار نواياها الطيـــبة ومعاملتها الحسنة لهم، وكانوا عندما يصل الأمر إلى تسليم سلاحهم يرفضون ذلك رفضاً باتاً.

وكـــان الوالي دى مارتينو يواجه صعوبات كبيرة في تنفيذ جميع بنود الاتفاقـــيات المبرمة مع الجانب الليبي، الذي كان يرفض تسليم السلاح بينما كانت السلطة الوطنية الحقيقية تمتد على الكفرة وجالو واجدابيا التي اتخذوها عاصمة لهم، بينما تظل بقية أراضى برقة تحت السيادة الإيطالية التي منحتها الحُكم الذاتي. وكان الموضوع الآخر الصعب هو نزع السلاح عن المجاهدين واحتفاظهم بألف مسلح فقط، وشعر أهل برقة لأول مرة بالراحة والحرية، فلم يعـــودوا يـــشعرون بـــوطأة الحكـــم الإيطالـــي، ولا بوسائل قمعه، فقد كان الإيطاليون يحاولون تسيير الأمور بالمشاركة مع الوطنيين، وقد نجحت هذه الفكرة في بنغازي واصطدمت بالعقبات خارجها.

توفـــي الوالي دى مارتينو يوم 23-11-1921م، وكان لوفاته رنة آسى بـــين العرب الذين عرفوه وتعاملوا معه باعتباره الحاكم الإيطالي الذي عمل مـــن أجـــل السلام والتقارب والتعايش العربي الإيطالي، وشارك في جنازته العديد من أهل البلاد وتلامذة المدارس، واعتقد البعض أن غيابه عن الساحة السياسية سوف يؤثر في الوضع السياسي الهش القائم الذي كان يبذل جهوده للإبقاء عليه.

وازدادت فـي هـذه الفترة مساهمة العنصر الوطني في إدارة شؤون الـبلاد، فتولـى العديـد من الليبيين مناصب إدارية في الدواخل (متصرف وقائمقام ومدير)، كما انضم إلى الإدارة المركزية والقضاء عدد من الشبان الذين تعلموا في بنغازي أو أتموا تعليمهم في مصر.

وانتعشت الثقافة في تلك الآونة وخاصة بعد عودة بعض الخريجين من مـصر، وكانـت تصل المدينة بعض الصحف المصرية والروايات الأجنبية المعـربة، وغـدت سـهرات المرابيع وجلسات المقاهي يتخللها الحديث عن الـشعر والأدب العربـي، وقد ساعد على ذلك جو الحرية والهدوء والآمال المعقودة على تطور الأوضاع السياسية لما هو أفضل. وقد عاد إلى البلاد من المهجـر في هذه الفترة الأساتذة عوض بو نخيلة، ورفيق المهدوي، وساسي بن شتوان، وكان هؤلاء يسعون إلى نشر الثقافة في البلاد وتوطيدها، وإنشاء المؤسـسات الخاصـة بهذه الغاية. وقام الأستاذ عوض بونخيلة بتأسيس ناد ثقافـي ضـم العديد من المثقفين ثم تحول تدريجياً إلى ناد سياسي تُبحث فيه وتُناقش القضية الوطنية.

مـرت بـنغازي بمـا يقارب من أربع سنوات من الهدوء والنشاط الـسياسي والانـتعاش الاقتـصادي، في ظل تسوية سياسية غير واضحة المعالم، كانت مسرحاً لصراع بين قوتين غير متجانستين تتناقض أهدافهما، ومراميهما، وقد اتفقتا على الإبقاء على هذا الوضع ما دام يخدم أغراضهما ولو بصورة مؤقتة.

وشـعر الإيطاليون في عام 1922م أن الزمام أخذ يفلت من أيديهم، وأن السيادة التي حققوها كانت سيادة على الورق، وأن فكرة نزع السلاح مـن المقاتلين أصبحت على ضوء الواقع حلماً بعيد التحقيق. وقد أرسلت رومـا والياً بديلاً ل(دى ماتينو) الجنيرال (بونجوفانى) بصفته حاكماً عسكرياً للبلاد.

وكانــت الأوضـــاع في إيطاليا لا تزال مضطربة، والمعارك ما بين الشيوعيين والشبان الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الفاشست دائرة في الشوارع وفي المصانع، وقد نظم الفاشست صفوفهم وازداد عددهم وأصبحوا يتغلبون علـــى الشيوعيين إلى أن قضوا عليهم، فقرروا الذهاب إلى روما والاستيلاء علـــى الحكم، وقد ذهبوا فعلاً إلى روما وطلب الملك من زعيم هذه الجماعة (موســـولينى) أن يُـشكل حكومة جديدة، وكان الفاشست يمينيين متطرفين يؤمـــنون بالتوســـع الاســـتعماري وبالسيادة على الشعوب الأخرى، وكانت الأوضاع في ليبيا لا تروقهم فقرروا الخلاص منها.

ووصــف (ليـــسونا) وزير المستعمرات في العهد الفاشستي الوضع الإيطالـــي فـــي ليبـــيا فـــي تلـــك الفترة وهو وصف يشاركه فيه الكثير من المـــسؤولين فـــي تلـــك الحقبة فكتب يقول:ـ "إن الاتفاقيات التي أبرمت مع الليبيين والتنازلات التي قدمناها كانت تعنى تنازلنا الكامل عن حقوق السيادة، واعتـــرافنا بحق الليبيين المطلق في الاستقلال الذاتي، وهو ما يوازى تنازلنا عن الشواطئ الليبية"[1].

وبوصـــول الوالي الجديد بونجوفانى وقيام النظام الفاشستي في إيطاليا بدأت إيطاليا في التنكر لتعهداتها ومواثيقها التي عقدتها مع الليبيين، وأوعزت الحكومة المركزية إلى والى برقة ببداية التغيير.

ومـــن المعلـــوم أن معظـــم الزعماء والمشائخ كانوا غير راضين عن التسوية التي كانت تؤمن لإيطاليا السيادة على البلاد، وقد عملوا على عرقلة تنفـــيذ الاتفاقـــيات وخاصــــة نزع السلاح وحل التشكيلات العسكرية، وعقد اجـــتماع عـــام 1921م باجدابيا ضم قرابة مائة شيخ وزعيم، وذلك لتدارس الوضع الراهن والمشاكل القائمة مع إيطاليا، وقد أصدر المجتمعون بياناً حدد

(1) ليسونا، أفريقيا الشمالية في سياسة البحر الأبيض المتوسط.

وضع إيطاليا في برقة، وطالب بأن يكون وجودها في المناطق الساحلية فقط، وأن يقتصر نشاطها على التجارة والاقتصاد، وعقد في نفس الفترة في ترهونة اجتماع ضم زعماء ومشائخ طرابلس، وأصدروا بياناً مماثلاً لبيان اجدابيا، وكانا البيانان رسالة صريحة إلى إيطاليا.

وكتب في هذا الصدد (لوبيلو) من كبار موظفي الإدارة الاستعمارية في برقة فقال:- " لم يتقبل السنوسيون بالرضا القانون الأساسي، واعتقدوا أن إرادة مائة من المشائخ تكفي لتغيير الفكرة الأساسية في القانون الممنوح، وقد التقى في اجدابيا مشائخ القبائل غير الخاضعة لنا مثل المغاربة، والعواقير، والمنفة، والعبيد، والبراعصة، وذلك للتوقيع على بيان جاء فيه أن الشعب سواء بالقانون الأساسي أو بدونه لا يسمح للوجود الإيطالي إلا في المناطق الساحلية فقط، وأن تقتصر الممارسات الإيطالية على التجارة، وأرسل المجتمعون صورة من وثيقة العصيان هذه إلى الحكومة"[1].

وأدركت إيطاليا أن التفاهم مع الليبيين الذي دام أربع سنوات قد زال، وأن البلاد مقبلة على حرب جديدة لاستتباب الأوضاع وعودة السيادة الإيطالية، ووضع حدٍ للعصيان والتمرد الليبي.

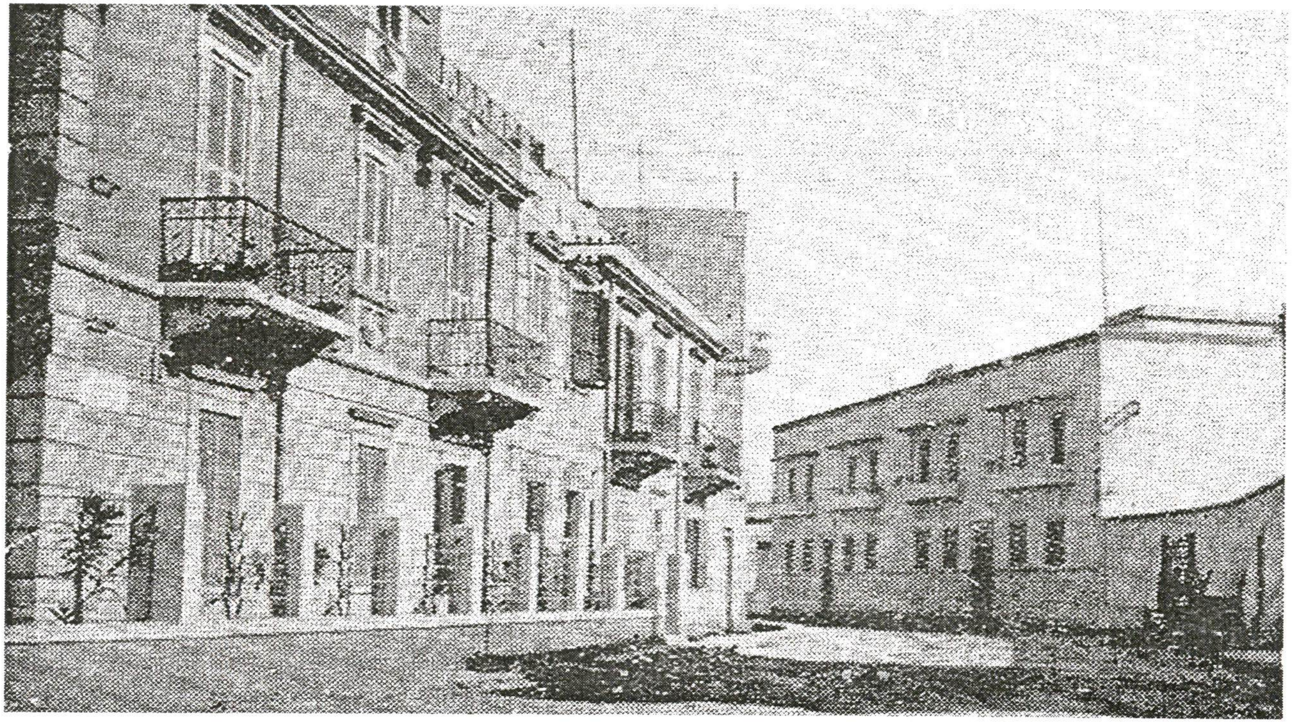
وتلبد الجو بين الطرفين، وازدادت المشاكل التي استعصى حلها بسبب تعنت الطرفين، وتمسكهما بمواقفهما، وتعذر التفاهم بين الوالي العسكري الجديد والقيادة الوطنية، التي شعرت بأن الإيطاليين كانوا يعدون العدة للانقضاض على البلاد من جديد، واقتنعت روما بأن التسوية التي تمت أصبحت في طريق الانهيار، وخاصة بعد أن تنكروا لالتزاماتهم ووعودهم وأشعلوا نيران الحرب في طرابلس عام 1922م، ولاحظ الناس في ميناء بنغازي وصول قوات جديدة، وأسلحة وعتاد حربي، ونشطت داخل المعسكرات وخارجها الاستعدادات والتدريبات العسكرية، واقترن ذلك

(1) لوبيلو – العقد الأول على احتلال إيطاليا لبرقة_ مجلة المستعمرات يناير 1925.

بوصـــول الوالي الجديد الجنرال (بونجوفانى)، وألقي الوالي الجديد القبض علـــى عمـــر باشا الكيخيا ممثل بنغازي السابق في مجلس النواب العثمانيِ، والـــرجل الذي لعب الدور الرئيسي في التسوية السياسية التي تحققت. وقدم للمحاكمة وحُكم عليه بخمس عشرة سنة سجناً يقضيها في سجون إيطاليا.

وذكر الجنرال (دى غاسبرى) قائد القوات الإيطالية ببرقة، أن القيادة العـــسكرية مـــنذ منتـــصف شهر فبراير 1923م، وهي تقوم في سّرية تامة بالإعـــداد للعملـــيات الحـــربية، التي تقرر القيام بها في وقت واحد في كل المستعمرة. وكانت روما، تمشياً مع مبادئ الفاشستية، لا تقبل وجود دولة في مستعمرتها، بل كانت تريد أن يكون النظام في ليبيا استعمارياً محضاً، ولذلك أعطـــت الأوامـــر لوالى برقة بالقيام بعمليات عسكرية لتوطيد سيادة إيطاليا وســـيطرتها على ليبيا، وقامت القوات الإيطالية بصورة مفاجئة غير متوقعة بمهاجمة المعسكرات المشتركة، وإلقاء القبض على الزعماء الليبيين بها، كما جـــردت حملـــة لاحـــتلال اجدابيا التي دارت حولها معارك شديدة مع قوات المجاهدين، الذين انسحبوا منها إلى أماكن أخرى، وامتد الاحتلال إلى جميع مواقـــع برقة الساحلية، وأعلنت حالة الحصار في جميع أنحاء برقة، وعادت الحرب من جديد بعد بضعة سنوات من الهدوء والسكينة، وعادت البلاد إلى وضعها السابق قبل صدور القانون الأساسي أي إلى حالة من الترقب والعداء بين الطرفين.

ودُهـــشت بنغازي لتطور الأوضاع، واشتعال الحرب، وتلاشى الآمال المعقـــودة على الحرية والاستقلال، وعادت معها الأوضاع القديمة لأوضاع القمع والبطش والإرهاب.



أحد شوارع مدينة بنغازي في العهد الإيطالي.

العودة إلى الحرب:

لم تربح إيطاليا حرباً دخلتها باستثناء حربها ضد الحبشة عام 1936م، فالجـــندي الإيطالـــي لـــيس بجندي محارب، فهو يكره العسكرية والحروب، ولذلك رأت إيطاليا أن حربها في ليبيا سوف تكلفها الكثير من أبنائها، وسوف يُحـــدث هـــذا ردود فعلٍ عكسية في إيطاليا. عمدت إلى الاستعانة بالمرتزقة الإرتـــريين وأنـــشأت معـــسكرات في إرترية لتدريبهم وإعدادهم للقتال، وقد تهافـــت على هذه المعسكرات إرتريون وصوماليون، وبعض اليمنيين الذين كانـــوا فـــي حاجـــة إلـــى عمل، وجاء إلى ليبيا عشرات الآلاف من هؤلاء المرتـــزقة الذين حاربوا الليبيين نيابة عن إيطاليا وقد قُتل منهم الكثيرون في ليبـــيا، غير أن ذلك لم يؤثر في إيطاليا التي كانت تدفع ثمن دمائهم رخيصاً، وبهـــذه الطـــريقة اســـتطاعت إيطاليا أن تواجه المقاومة عشرين عاماً، وأن تقضى في النهاية عليها، لا بفضل قواتها المرتزقة، وإنما بواسطة نقل السكان المحيطـــين بالجـــبل الأخـــضر وقطـــع المؤن والمساعدات عن المجاهدين وحصارهم من جميع الجهات.

اســـتيقظ أهل بنغازي على واقع جديد، لا يبشر بخير، واقع يعبر عن الـــسياسة الفاشـــستية الجديدة التي لا تقبل التعايش مع العرب، وتريد السيادة المطلقة والحكم الإيطالي المباشر، وأدرك العرب بعد احتلال اجدابيا يوم 21 أبـــريل أن الـــبلاد قادمـــة على مآسٍ جديدة؛ لأن الإيطاليين كما عرفوهم لن يـــتورعوا عن القيام بأي عمل وحشي، مهما كانت فظاعته، مادام يحقق لهم مآربهم، إلا أنه مع ذلك، كان هناك شعور قوى بأن الإيطاليين سيفشلون كما فـــشلوا مـــن قـــبل في ثني عود الإرادة الوطنية، وسيعودون من جديد إلى التفاوض والتفاهم.

ووقف (بونجوفانى) أمام مجلس النواب المحلى الذي كان في دورة انعقاد، وتحدث إلى النواب مبرراً الأسباب التي دفعته إلى احتلال المعسكرات الوطنية وأعلن:- " بأن الحكومة الإيطالية قررت وضع المنطقة الجبلية والساحلية تحت إدارتها المباشرة، وإذا ما قام الليبيون بإخلاء الجبل الذي يجب أن تكون سيادتنا عليه كاملة، واعترفوا بسيادتنا على مناطق الحكم الذاتي وفقاً للاتفاقيات المبرمة، فإنه في الإمكان تحاشى الحرب".

وأرسل (بونجوفانى) قبيل احتلال اجدابيا برسالة إلى القيادة الوطنية جاء فيها:- " لقد قررت الحكومة وضع منطقتي الجبل والساحل تحت إدارتها المباشرة ، ولا أعتبر نفسي مسؤولاً عن الدماء التي أريقت في الهجوم على المعسكرات وفي المعارك التي تلتها؛ لأن الضرر الذي وقع كان لصالح البلاد ومن أجل سلامتها وازدهارها".

وجمع (بونجوفانى) وجهاء وأعيان بنغازي بدار البلدية في اليوم الأول من شهر مايو، وتلا عليهم بياناً تضمن قرار الحكومة الإيطالية بإلغاء جميع الاتفاقيات والالتزامات التي تمت بين إيطاليا والجانب الليبي، وإلغاء جميع الحقوق والمزايا المترتبة عليها، وألقى بتبعية ومسؤولية ما حدث على الجانب الليبي، ولم يذكر (بونجوفانى) البديل للقانون الأساسي وللاتفاقيات التي ألغيت، غير أن الحاضرين أدركوا أن إيطاليا ستعود بالبلاد إلى الحكم المباشر المطلق، وبما يتفق والشعارات الفاشستية التي لا تعترف بأي حق للشعوب المستعمرة.

قررت إيطاليا الفاشستية تدمير الحكم الذاتي الذي منحته الحكومة الليبرالية السابقة لليبيا، والعودة بالبلاد إلى وضعها السابق كمستعمرة لتحقيق أغراضها فيها. والقيام بحرب للقضاء على حركة العصيان والتمرد، وبسط سيادتها الكاملة على ليبيا. وكانت إيطاليا منذ احتلالها ليبيا تنظر إلى ليبيا باعتبارها امتداداً لإيطاليا وموطناً لمئات الآلاف من المستعمرين. ولم تفكر

إيطاليا أبداً في مصير الليبيين أو في حقوقهم المشروعة في أرضهم. وقد وجدت الحكومة الفاشستية أن الحكم الذاتي في برقة كان معارضاً لأفكارها وسياستها، إلا أنها وجدت في الخلافات القائمة بين الطرفين، وصعوبة تطبيق الاتفاقات المبرمة مبرراً لإلغاء الاستقلال الذاتي، فأوعزت إلى واليها الجنرال (بونجوفانى) بتخريب كل ما تم، والقيام بحربٍ للقضاء على الثورة والتمرد في البلاد لاستتباب الأمر لإيطاليا.

وطربت روما للانتصارات التي حققها (بونجوفانى)، وظنت أنها بسطت سيادتها على شرق ليبيا. وأن العرب لن يرفعوا رؤوسهم بعد الآن، وأوعزت روما لبنوجوفانى بأن يبسط السيادة الإيطالية على البلاد بأجمعها وأن يخضع جميع السكان لسلطان إيطاليا. وقابل مجتمع بنغازي بالألم والأسى احتلال اجدابيا وتدمير نظام الحكم الذاتي الذي منحته إيطاليا لليبيين وسحبته منهم بعد أقل من أربع سنوات، والذي بعث فيهم الأمل لأن هذا الاستقلال المحدود سيؤدى بالبلاد إلى الاستقلال الكامل والخلاص نهائياً من إيطاليا واستعمارها، وقد شعر الناس بأن إيطاليا ستعود في معاملتها معهم إلى سياستها القديمة المبنية على الرعب والبطش والقتل. وأن أحداثاً مؤلمة جديدة تنتظر البلاد. وعمت الكآبة والحزن المدينة، ونتظر الناس ماذا سيحل بهم. وغادر بنغازي العديد من الساسة والشخصيات، الذين جاءوا إلى البلاد ليشاركوا في الوضع الجديد، ويساعدوا إخوانهم في تحقيق الحكم الذاتي. وعمت الكآبة مجتمع بنغازي الذي قل نشاطه وحركته، وأصبح يترقب الإجراءات الإيطالية القادمة.

وقبيل احتلال اجدابيا كان موجوداً بها الشيخ خالد القرقني الزعيم الطرابلسي المعروف، فأرسل ببرقية من اجدابيا إلى وزراء خارجية إحدى عشرة دولة، وهي: الولايات المتحدة، فرنسا، انجلترا، اليابان، رومانيا، بلغاريا، البلجيك، سويسرا، الدانمرك، السويد، النرويج، وجاء في البرقية ما

يلي:- " نأمل تدخلكم باسم الإنسانية والعدالة لوضع حد للفظائع المشينة التي تـــرتكبها إيطالـــيا ضــــد الشعب الليبي، والتي تدفع الشعوب أكثر فأكثر إلى الانـــتقام، وتفقد بذلك حروب الاستقلال طابعها الوطني، وتتحول إلى مذابح بربـــرية وحرب إبادة يملؤها الحقد والتشفي، إن أملنا عظيم في أن حكومتكم سوف تلفت نظر إيطاليا إلى وضعنا الحربي الحالي من أجل احترام القانون الدولـــي باعتبارها تواجه حكومة شرعية اعترفت بها، ولا تواجه ثواراً كما تدعـــى، وأؤكد لكم أن الشعب الطرابلسي الذي يواصل مقاومته منذ 12 سنة، لا يـــرغب ســـوى الحـــصول على حقوقه الطبيعية الضرورية لبقائه المادي ولضمان شخصيته واستقلاله".

ولم تجد برقية الشيخ خالد القرقني أي صدى لدى الحكومات الموجهة إلـــيها، أو أدنى اهتمام، لأنها جميعها كانت مؤيدة لإيطاليا في احتلالها لليبيا، ومتغاضـــية عما ترتكبه هذه الدولة ضد الليبيين من جرائم وأعمالٍ وحشية، وقد انتشرت أخبار ما تفعله إيطاليا في ليبيا من أعمالٍ غير إنسانية في البلاد العـــربية، وقامـــت صـــحافتها بمهاجمة إيطاليا واستنكار أعمالها، وقد كتبت صحيفة (الأخبار) في القاهرة في عددها الصادر يوم 4-6-1923 مقالاً جاء فـــيه: " إن إيطاليا التي تردد بأعلى صوتها، وتدعى الكرم والتمسك بمبادئ الـــشرف والحرية، كان عليها أن تأخذ المثل من الدول المجاورة، التي تتبع تـــيارات الـــشعوب العـــصرية، وتقوم بإرضاء طلبات هذه الشعوب بدلاً من اللجوء إلى الحديد والنار، لإخضاع شعب اعترف بالسيادة الإيطالية، ويطالب بتحسين أوضاع الإدارة الإيطالية، إن التاريخ سيحفظ لإيطاليا بهذه الصفحات الـــسوداء عندما يسجل التاريخ الاستعماري، وإن إيطاليا بسلوكها هذا تبرهن على أنها غير ناضجة لإدارة شؤون شعوب أخرى".

ولم تفد هذه الصيحات والاحتجاجات بشيء؛ لأن الدول الأوروبية كان فـــي صالحها استمرار وانشغال إيطاليا الفاشستية في حرب ليبيا، ومن جهة

أخـــرى كانت لا تريد أن يحقق الليبيون أي انتصار؛ خشية من تأثيراته على الــشعب العربـــي في مصر وشمال أفريقيا، ولذلك اتخذت من إيطاليا موقف التـــرقب والانتظار، غير آبهة بما ترتكبه الفاشستية من وحشية وفظائع ضد الشعب الليبي.

واغتـــر الجنـــرال (بونجوفانـــى) بقوته، وبما حققه من انتصارات محـــدودة علـــى مراكـــز المجاهدين في المنطقة الساحلية من برقة واحتلاله لاجدابيا، وأراد أن يستغل حالة الذهول التي فاجأت الناس بهذه الأعمال بعدما هـــدأت الـــبلاد واستقرت أوضاعها، وبدأت تعيش في سلام. فأراد الجنرال (بونجوفانـــى) أن يُـــوطد سيادة إيطاليا على البلاد، وذلك باحتلال البريقة الواقعة إلى الغرب من اجدابيا، وبذلك يتخذ منها قاعدة متقدمة للسيطرة على ســـاحل خليج سرت الشرقي. وأعد لذلك كتيبة إرترية قوامها (500) رجل ســـار بهم في يوم 8-6-1923م من اللقطيفية في اتجاه البريقة، التي وصلتها بعد يومين دون أن تواجه أية مقاومة. وأراد (بونجوفانى) تعزيز قواته التي احـــتلت البريقة بقوات مصفحة وقوات جديدة، لكي يباشر من البريقة احتلال بقية المناطق المحيطة بها والقضاء على جذور المقاومة في البلاد، وتحركت القوات الآلية من اللقطيفية في يوم 10-6-1923م في اتجاه البريقة.

وقـــد أعد المجاهدون بقيادة (قجة عبد الله) و(صالح ليطوش) كميناً فـــي بئـــر بلال لقافلة السيارات، فأبادوها تقريباً، ولم تنج منها سوى بضعة ســـيارات لاذت بالفرار، وأسفرت المعركة عن مقتل قائد القافلة النقيب تلغر، وأربعة ضباط آخرين ومقتل (40) جندياً إيطالياً، و(32) إرترياً، و(25) جـــريحاً، وتـــرك الإيطالـــيون علـــى أرض المعركة ست سيارات مصفحة و(17) سيارة و(18) رشاشاً و(80) بندقية ومدفعاً.

وقـــد انزعج الجنرال (بونجوفانى) بهذه الكارثة التي أصابت قواته وهدت أحلامه، وهو الذي لم يتعود على قتال الليبيين بعد، فأصدر أمراً إلى

قائد الكتيبة الإرترية التي احتلت البريقة بأن يعود إلى اللقطيفية، وأن يبحث وهـو في طريقه عن المجاهدين الذين قضوا على قافلة بئر بلال ويعاقبهم أشـد عقاب، غير أنه بمجرد ابتعاده عن البريقة فوجئت قواته بالمجاهدين يحيطون بها من كل جانب ويصبون عليها نيرانهم. وقد أبادوا الكتيبة وقتلوا قائـدها الميجر (ميليلى)، وفر من بقى منهم على قيد الحياة إلى البريقة، وكانت خسائر إيطاليا في المعركتين (12) ضابطاً إيطالياً و(420) جندياً إيطالـياً وإرتـرياً، بالإضافة إلى كميات كبير من الأسلحة والذخيرة التي اغتنمها المجاهدون.

وكانت هذه المعركة وهذه الهزيمة الإيطالية التي جاءت بعد هدوء دام أعـواماً قـد هزّت إيطاليا الفاشستية وأشعرتها بأن حربها مع الليبيين ليست بالبساطة التي تعتقدها، وأنها سوف تُكابد كثيراً في هذه الحرب.

وقـد وصـلت أخبار هذه الهزائم إلى روما فأزعجتها وأربكتها، وهي التـي كانـت تـتوقع القضاء على الثوار، وتوطيد السيادة الإيطالية في أيام قلائـل، أما الجنرال (بونجوفانى) فقد كاد يفقد صوابه من هول ما حدث، وما تعرضت له خطته المرتجلة ، وقد أدركت روما والجنرال (بونجوفانى) أنهم يواجهون عدواً مصراً على قتالهم، وإيقاف تقدمهم في بلاده، وإجبارهم علـى الـتفاوض معـه، ومنحه حقوقه المشروعة، التي اعترفوا له بها في الـسابق. وأراد (بونجوفانى) أن ينتقم من كل سكان المنطقة التي وقع فيها الهجـوم علـى قـواته، فقام بإرسال طائرات تقوم يومياً ولمدة ثلاثة أشهر بضرب السكان المقيمين في المنطقة التي وقع فيها القتال، وقد صب الجنرال بونجوفانـى جام غضبه على السكان المسالمين المقيمين في المنطقة الممتدة مـن البريقة إلى بئر بلال، وذلك بضربهم يومياً بالطائرات لمدة ثلاثة أشهر، وقـصف المنـتجعات بمـا فيها من نساء وأطفال وبمن فيها من المزارعين والرعاة بالقنابل والرشاشات والغازات السامة، ولم ينكر (بونجوفانى) إلقاء

الغازات على المدنيين، فقد جاء في تقريره الذي رفعه إلى رؤسائه: "كان من بين غارات الانتقام، غارات يوم 23 يوليو، حيث قامت طائرات (كابرونى) و(س.ف) بهجمـــات متتابعة، رغم نيران العدو الشديدة على مجموعة من الخـــيام يـــبلغ عددها (250) خيمة، وعلى العديد من قطعان الحيوانات في المـــنطقة الـــواقعة بـــين البـــريقة وبئر بلال، وأصليناها بنيران الرشاشات والغازات السامة بصورة ناجحة"(1).

وعـــزا الجنرال (بونجوفانى) أسباب الهزيمة إلى رياح القبلي، التي حالـــت دون الطائـــرات والتحلـــيق، وإلى الرياح المعاكسة التي حالت دون الـــسفينة برينيـــشي وخروجها من ميناء بنغازي لمساندة القوات البرية، كما ينـــسبه إلى عدم الدقة في تقدير قوة المجاهدين، إذ أعدوا قواتهم كما زعموا على ضوء المعلومات المتوفرة لديهم، والتي كانت تشير إلى وجود انقسام في صفوف المغاربة، وأن ليس في المنطقة سوى قوة واحدة بقيادة قجة عبد الله لا تـــزيد عـــن 150 مـــسلحاً. وهـــي تبريرات تكشف بوضوح فشل القوات الإيطالـــية في المواجهة عندما تقوم على قوات متكافئة، وقوّة غير متفاوتة، لا تـــستخدم فـــيها الطيـــران ولا البحرية، وهما العاملان الحاسمان في كل الانتـــصارات الرخيـــصة التـــي أحرزتها القوات الإيطالية في معاركها ضد المجاهدين الذين لا تتوفر لهم مثل هذه الوسائل.

وكـــان وقـــع هـــزيمة بئـــر بلال وبوقرادة على المسؤولين في روما وبـــنغازي مـــؤلماً، فقد فاقت كل تصوراتهم، ولم يتوقعوا أن تُصاب قواتهم الكبيـــرة بهزيمة مماثلة كان لها وقعها لدى القيادة الإيطالية في بنغازي وفي رومـــا، لاعـــتقادهم بـــأن عملـــية تدمير معسكرات المجاهدين التي أمر بها (بونجوفانـــى)، واحـــتلال اجدابـــيا قد ألحقت بالمجاهدين ضربة عسكرية

---

(1) تقريـــر القـــيادة العـــسكرية ببـــرقة عن سير العمليات الحربية، محفوظات وزارة الخارجية الإيطالية_ رقم إشارى 122/30 ملف 271.

ومعـــنوية لن يستطيعوا بعدها الوقوف على أقدامهم، وقد جاء في سلسة كتب (إيطاليا في أفريقيا) التي أصدرتها وزارة الخارجية الإيطالية بعد الحرب ما يلـــي: " لقد كان وقع هزيمة بئر بلال وبوقرادة مؤلماً للغاية فقد أبيدت تقريباً جميع الوحدات الإيطالية بعد معارك عنيفة".

وقـــد أخفت السلطات الإيطالية كعادتها أنباء هذه الهزيمة عن الشعب والـــصحافة الإيطالـــية خشية ردود فعلها. وخشى (بونجوفانى) أن يسترد المجاهدون اجدابيا، فأمر بسحب حامياته من فضيلة وقمينس وسلوق، ليعزز بها قواته المرابطة في اجدابيا.

وكان لنبأ انتصار المجاهدين في بئر بلال والبريقة رنة وفرح وسرور في مدينة بنغازي، وجميع أنحاء ليبيا، هونت من الآثار القديمة المؤلمة التي خلفهـــا احـــتلال اجدابيا، وإخلال إيطاليا بوعودها وتعهداتها. ولم تخف عن الإيطاليـــين تأثيـــرات هذا الحدث على السكان وعلى هيبتهم وخشوا اندلاع الـــثورة مـــن جديـــد في جميع أرجاء برقة، وقد كتب الكولونيل قاينى: " إن هـــزيمة بئر بلال والبريقة كان لها تأثيرها الضاري بالنسبة للعرب وساهمت بقوة في إذكاء روح الثورة والمقاومة ضدنا"[1].

وكـــتب الجنـــرال غرازيانـــى يقول:- " لقد اقترنت أعمالنا العسكرية بهزائم مؤلمة وموجعة مثل بئر بلال والبريقة التي تفاخر الليبيون بها ودفعتهم إلى توسيع عملياتهم استعداداً للمعارك القادمة"[2].

وقد ظل الوجدان الاستعماري الإيطالي يزرح تحت وطأة هذه الهزيمة المنكـــرة ويلتمس لها التفسيرات والتبريرات، ويعمل بكل الوسائل على محو أثارهـــا الماديـــة والمعـــنوية، وخاصة بعد أن تضاعفت المقاومة في منطقة

---

(1) أ.قاينى ، تاريخ المستعمرات الإيطالية، تورينو 1934 ص 376.
(2) رودولفو غرازيانى ، برقة الهادئة، ترجمة إبراهيم بن عامر ، بنغازي 1975 ص 32.

اجدابـــيا، وأخذ ضغطها يزداد على المواقع الإيطالية الأمامية التي تعرضت لهجمـــات مباشـــرة زعزعت الهيبة الإيطالية في المنطقة، مما أدى بهم إلى تقديـــر النـــتائج الخطيرة المترتبة على ذلك، فأخذوا يستعدون لحملة واسعة النطاق على المنطقة بقصد القضاء على حركة المقاومة.

ولـــرد اعتـــبار الجـــيش الإيطالي قررت القيادة الإيطالية إعادة احتلال البـــريقة عن طريق البحر تحاشياً من اصطدام قواتهم بقوات المجاهدين خلال مـــرورهم مـــن البـــر. واقتصر في المرحلة الأولى على النزول البحري في البـــريقة، على أن يتم تنفيذ الهجوم على المواقع التالية (بئر بلال) في مرحلة تالية بالتنسيق مع القوات الكبيرة المرابطة في اجدابيا. وكان هدف هذه الحملة:

1. محو أثار الهزيمة السابقة في بئر بلال والبريقة.
2. دفن قتلى الإيطاليين والإرتريين التي ظلت بالعراء.
3. محاولة استرداد بعض المعدات الآلية.
4. تأكيد السيادة على هذه المنطقة الهامة.

وتحـــركت الـــسفن الإيطالـــية من ميناء الزويتينة تحمل فوق ظهرها (1800) جـــندي و(200) دابـــة وكافة التجهيزات اللازمة، وذلك يوم 20 أغسطس، ونزلت في مرسى البريقة فجر 21 أغسطس. وقام الطيران بتغطية عمليات النزول. وبدأت القوات في اليوم نفسه بجمع جثث القتلى من المواقع القريبة (موقعة أبى قرادة).

وفي يوم 25 أغسطس اشتبكت هذه القوة في معركة عنيفة مع دور قجة بـــن عـــبد الله، وكـــان يـــتألف من حوالي 300 مجاهد، باعتراف المصادر الإيطالية. ومن الواضح أن هذه القوة لا تتكافأ من حيث العدة والعتاد والعدد مع القوة الإيطالية.

وفـــي فجـــر 3 سبتمبر تحركت من اجدابيا قوة كبيرة بقيادة الكولونيل أزونى وتتألف من 59 ضابطاً و172 جندياً إيطالياً و2351 من الإرتريين و7 مصفحات و108 عربة نقل و571 دابة متجهة نحو بئر بلال، وقد تمكنت هذه القـــوة الكبيرة من الاستيلاء على بئر بلال يوم 3 سبتمبر، بعد معركة عنيفة اســـتمرت أربع ساعات، رغم عدم تكافؤ القوة، وتمكن المجاهدون من إحباط تطويقهم وتحولوا إلى مواقع أخرى.

وهكذا أشعلت إيطاليا نيران الحرب بعد أن ظلت شبه راكدة منذ بداية الحـــرب العالمـــية الأولـــى، وقد خرجت إيطاليا منتصرة من الحرب بفضل مـــساعدة حلفائها لها، وانتصارها في الحرب جدد مطامعها في استعمار ليبيا عن طريق القوة، ثم جاءت الفاشستية بمبادئها ونظرياتها المتطرفة لتؤكد حق إيطالـــيا فـــي استعمار ليبيا استعماراً كاملاً لا يشاركها فيه أحدٌ، وقد أصرت الفاشـــستية علـــى القـــضاء على الثورة الليبية بأي وسيلة وأي ثمن؛ لتؤمن ســـيادتها على ليبيا التي ستجعل منها منفذاً للآلاف من مواطنيها الذين كانوا يهاجـــرون في كل عام طلباً للعمل، وكان يعزُّ على القادة الفاشست أن تعجز عـــن إخمـــاد ثـــورة في مستعمرتهم الأولى، ولذلك قرروا القيام بعملٍ كبيرٍ لتحقيق رغباتهم.

وقررت روما عزل الجنرال (بونجوفانى) لعدم قدرته، على مواجهة الموقـــف العـــسكري الذي يتطلب قائداً أكثر خبرة ومقدرة. واختارت روما الجنرال (مومبيلى) المعروف بكفاءته وقدراته العسكرية، لتولى ولاية برقة وللقضاء على الثورة المشتعلة فيها ضد إيطاليا، وقد زودته بمزيد من الجنود الإرترية المرتزقة.

ولـــم يـــتوقف انتقام إيطاليا عند من كانوا يواجهونها بقوة السلاح، بل امـــتدت إلى مدينة بنغازي وأهلها، وبالرغم من أن المدينة لا تضم أكثر من ســـدس ســـكان بـــرقة، إلا أنها كانت تستأثر بالكثير من المفكرين والساسة

ورجـــال العلم، والضباط السابقين، وكان تأثيرها واضحاً في جميع الأحداث التي مرت بها البلاد.

وكانـــت هجمة الحقد والانتقام الإيطالية على مدينة بنغازي قاسية وفي منتهـــي الـــتجاوز، فقد عادت إيطاليا إلى القبض على أعيان ووجهاء مدينة بـــنغازي بحجـــة أنهـــم كـــان لهم ضلع في التسوية السياسية، التي لم تعمر إلا قلـــيلاً، وقـــد قبضوا على العديد من الأعيان الذين سبق والقبض عليهم، وأُبعـــدوا إلـــى إيطالـــيا، وأضافوا إليهم عدداً آخر من الأعيان والشخصيات الـــبارزة، وهذه التسوية التي يعاقبون من كان له ضلع فيها هم الذين قدموها وطـــبقوها، وكانـــوا سُعداء بها، وضمت المجموعة المقبوض عليها مشائخ القـــبائل وأعيان المدينة، والنواب السابقون، وكبار التجار ورجال الأعمال، ورجـــال العلم، وشخصيات أخرى لها مكانتها في المجتمع، ونقلوا على ظهر باخرة حربية إلى جزيرة أوستيكا الواقعة شمال صقلية، وكانت هذه الجزيرة والجزر الأخرى التي اعتقل فيها الليبيون بداية من عام 1912م معدة من قبل لسجن كبار المجرمين، وقطاع الطرق، والمافيا الذين عاثوا فساداً في جنوب إيطاليا بعد وحدتها، وقد ضاقت بهم سجون شبه الجزيرة آنذاك. ولم تقتصر موجة الحقد على مدينة بنغازي وحدها، فقد طالت مدينة درنة ومشائخ القبائل الخاضعين للسيطرة الإيطالية في تلك الفترة.

وقـــد تـــضايق الإيطاليون من مدينة بنغازي بصورة خاصة، واتهموا أهلهـــا بالتمرد، وكانوا يدركون جيداً الدور الذي كانت تلعبه هذه المدينة في أحداث البلاد العسكرية والسياسية ومساهمة أبنائها في قتالهم منذُ بداية الغزو، وتعـــاطفهم الكامـــل مـــع المجاهـــدين وتقديم المساعدة والعون لهم بمختلف الوســـائل، وقـــد ذكـــر الجنرال غرازياني:- "أعيان بنغازي يؤيدون الثوار، وكانوا يمدونهم بالمساعدات في الخفاء في حين كانوا يضللوننا بالتظاهر أنهم يباركون خطواتنا، وكان محمد الحداد وهو أحد أعيان بنغازي ومن تجارها،

يتعاون مع الثوار وعن طريقه تتم حركة إمدادهم بالمؤن والأسلحة، وكان يستضيف في داره الثوار ويقدم لهم ما يلزمهم"[1].

وكان الحاج محمد الحداد وطنياً غيوراً اهتم مُنذ بداية الاحتلال بمساعدة المجاهدين وتأييدهم، وكان في الفترة الأخيرة يجمع الزكاة من سُكان المدينة، ويحتفظ بهذه الأموال في داره إلى أن يأتي إليه المجاهدون ويستلمونها. وكان أيضاً يعمل على توفير السلاح وإرساله للمجاهدين.

وقد تحاشى الكتاب والمؤرخون الإيطاليون التعرض لعمليات إبعاد الليبيين إلى إيطاليا إلا بصورة عابرة، بحيث تعذر علينا الحصول على قوائم بأسماء المبعدين وأعدادهم، والدوافع التي كانت تكمن وراء هذا الإبعاد، وفيما يلي نقدم قائمة غير كاملة بأسماء الأعيان ووجهاء مدينة بنغازي الذين أبعدتهم إيطاليا عام 1924م، إلى الجزر الإيطالية الواقعة شمال صقلية، والتي سبق للمبعدين في عام 1914م أن عرفوها وسُجنوا بها.

1. السنوسي جبر.
2. مفتاح المهدى زيو.
3. محمد منصور الكيخيا.
4. عبد الله مخلوف.
5. حسن بوليفة.
6. مصطفي الساقزلى.
7. صالح عبدالله بريمة.
8. مفتاح قادربوه.
9. عبدالوهاب محجوب.
10. سالم بن موسى.
11. محمد بن كاطو.

(1) ر. غرازياني، المصدر المذكور ص 147 – 153..

12. يوسف لنقى.
13. محمد الساقزلى.
14. محمد عابد عبد المولى.
15. مصطفي طروش.
16. عبد الله بالعون.
17. محمد إبراهيم أمنينه.
18. محمد عبد الله أمنينه.
19. محمود شتوان.
20. بوعجيلة الطيرة.
21. محمد مصطفي بوقعيقيص.
22. عبد الحفيظ محمد بوقعيقيص.
23. صلاح فاضل.
24. حيدر بن إدريس.
25. مبروك المهشهش.
26. محمد بن عيسى العبار.
27. طاهر بالقاسم.
28. يوسف بن صريتى.
29. محمد خليفة الأطرش.
30. محمد عيسى الفيتورى.
31. منصور طلوبه.
32. على بن زبلح.
33. السنوسي البنانى.
34. محمد محمد الجفوان.
35. أحمد صوان.

36. الفرجانى دربى.
37. محمد جبريل.
38. سليمان جبريل.
39. اسماعيل جبريل.
40. أحمد محمود الأدغم.
41. صالح قادربوه.
42. بوبكر المطردى.
43. على مصطفي الزواوى.
44. ابرهيم على بحيح.
45. عيسى بوبكر المهشهش.
46. الحاج حسين التركى.
47. محمد بن على بن حمودة.
48. سالم عمر بن حمودة.
49. على بن حميدة الكيش.
50. على محمد فرحات.
51. على الشماع.
52. محمود الحسناوى.

وقــد عــومل هؤلاء المبعدون بقسوة وإذلال، ورداءة ما يقدم لهم من الطعــام مما دفعهم إلى التظلم إلى حكومة بنغازي بسبب قلة الطعام ورداءته وحولت الحكومة الرسالة إلى روما، فوقعت بيد موسولينى، فقال: إن هؤلاء المجــرمين لا نزيدهم طعاماً بل نُنقص ما يتناولونه الآن إلى النصف، وفعلاً خُفــض مــبلغ العشر ليرات المخصص لإطعام كل مُبعد إلى خمس ليرات، وظل هؤلاء المبعدون يتعذبون في السجون الإيطالية، إلى أن تم العفو عنهم فــي عام 1927م، فعادوا إلى بلادهم ليواصلوا نشاطهم الاجتماعي والسياسي كما كانوا يفعلون في السابق.

تجديد مدينة بنغازي:

تواصلت الحياة في بنغازي بصورة رتيبة، وانتعشت التجارة وعمليات التصدير والاستيراد، واستمرت الحرب ما بين المجاهدين بقيادة عمر المختار والقوات الإيطالية بصورة روتينية.

وفــي عــام 1924م أصـــدر محمد طاهر المحيشي أول جريدة عربية تصدر في بنغازي، وأطلق عليها أسم (بريد برقة) وكانت تصدر في أربع صفحات، تنشر فيها الحكومة إعلاناتها، وقراراتها، وقوانينها، وتنشر الجريدة فــي نفــس الوقت بعض الأخبار المحلية والمواضيع الأدبية. وقد ظلت هذه الجريدة تُنشر، وقد تولاها عمر فخري المحيشي بعد وفاة شقيقه محمد طاهر إلى نهاية العهد الإيطالي في ليبيا.

وفي نفس العام أسست الحكومة مدرسة للبنات بشارع عثمان بحيح، وذلك لتعليم البنات العربيات الآتي كان لا يُسمح لهن بالخروج خارج الدار بعد العاشرة من أعمارهن، وتظل الفتاة مسجونة في دار أبيها لا ترى الناس ولا الــشارع إلا بعــد زواجها، وكان المطلوب من هذا المجتمع المغلق أن يــبعث ببــناته إلى المدرسة، فقامت المدرسة على بنات الجاليات العربية والقريتلية وقليلٌ من الأسر الليبية المتفتحة. وقامت الخوجة حميدة العنيزى المدرسة الأولى بالمدرسة بدور كبير، في سبيل إقناع الأسر الليبية بإرسال بناتهن إلى المدرسة، ولم يمض على تأسيس المدرسة أكثر من عامين حتى كانت العائلات الليبية اقتنعت بضرورة تعليم البنت، وإرسالها إلى المدرسة، وقــد خرجت الفتاة الليبية من سجنها تسير في الشوارع، وهي في طريقها إلـــى المدرســـة، وترى الناس، وترى العالم الذي تعيش فيه، والذي كانت محرومة من رؤيته.

لقد تطور المجتمع الليبي في هذا العقد وتطورت المرأة فأصبحت تخرج في تحفظ لزيارة أهلها وجيرانها، وخرجت البنت من الدار، والتحقت بالمدرسة، وتقبل الرجل مرغماً هذه التطورات التي وصلت داره، وبدأ التأثير الإيطالي يصل إلى البيوت، فقد أصبحت المكرونة من الأطباق الشائعة بين العرب، وبدأ العرب يستعملون في أطعمتهم الخضراوات القادمة من إيطاليا، والفواكه ومختلف الأطعمة الإيطالية. وبدأت تتطور المساكن في الحي العربي، حيث أصبحت تأخذ شكلاً حديثاً مشابهاً لمباني البحر الأبيض، حيث تطل نوافذها على الشارع، وهو الأمر الذي لم يعرفه العرب سابقاً، وامتد التأثير الإيطالي إلى داخل البيوت العربية، فشيدوا فيها الحمامات، والمطابخ الحديثة، فُرشت أراضيها بالبلاط الملون، بدلاً من الحجر المالطي القديم. وشملت موجة التطور هذه الزى، فقد أصبح موظفو الحكومة وغيرهم من الشباب يرتدون جميعهم الملابس الأوروبية، وفُرض على الفراشين، والسائقين، والخدم في الدوائر الحكومية، ارتداء زى موحد يميزهم عن بقية الناس. وبالرغم من هذا التطور والتأثير الإيطالي، فقد ظلت المدينة العربية محافظة على تقاليدها، وعادتها، وأسلوب حياتها، وسهراتها، وتجارتها، وكتاتيبها القرآنية.

وكان الجنرال (مومبيلى) مهتماً بالحرب، والقضاء على ثورة عمر المختار، فنظم قواته وزادها في العدد، ومعظمها من الإرتريين، وبنى قلاعاً في الأماكن الإستراتيجية، ومطارات، وأخذ يُطوق المجاهدين بالجبل الأخضر من جميع الجهات، ولم يهتم الجنرال مومبيلى ببنغازي، ولا بإصلاحها، أو تحسين وجهها، بل كان مهتماً بالكنائس، فقد بنى كنيسة بالبركة، وأخرى بطبرق، والمرج، والقوارشة، وفي سبيل القضاء على الثورة أنشأ الجنرال مومبيلى قوة متحركة، مزودة بكافة الأسلحة، والرجال المدربين لملاحقة الثوار. وقضى قرابة العام يُعد قواته لمعركة فاصلة مع المجاهدين، غير أن

المعـــركة لـــم تؤد إلى نتيجة حاسمة رغم القتال العنيف الذي دار، والخسائر الكبيرة التي لحقت بالطرفين. فقد فشل في القضاء على قوات عمر المختار، وخـــرج مـــن المعـــركة خاوي اليدين، وظلت قوات الثوار في مواقعها تهدد وتهاجم المراكز العسكرية الإيطالية. وقد أثر هذا الفشل في الجنرال مومبيلى، وفي القيادة الإيطالية، وفي وزارة المستعمرات الإيطالية، التي ضاقت ذرعاً بهـؤلاء المجاهدين وبطريقة القضاء عليهم، وعلق الجنرال تيورتسي الوالي الذي خلف مومبيلى على هذه المعركة فقال:- " بعد عام من الجهود المكثفة التـــي قامـــت بها القوات الإيطالية، فقد اتضح أن هذا الأسلوب كان يستنزف قوانا وقوى العدو، وينتهي دون أن يأتي بالثمار المنشودة"(1).

وكانت روما تتبع أعمال الجنرال مومبيلي وتحركاته باهتمام، وعندما تأكـــدت مـــن فشله في القضاء على المجاهدين أمرت بعزله وتعيين الجنرال (تيروتـــسي) بـــديلاً لـــه، وهو من المقربين لموسولينى، ومن كبار رجال الحزب. وقد كُلف بالقضاء على الثورة التي طال أمدها، وحالت دون إيطاليا ودون تنفيذ مشاريعها الاستيطانية. وفي عهد الجنرال تيروتسي فُتح مصرف صـــندوق توفيـــر برقة، الذي أسندت إليه منح القروض لتعمير المدينة، وقد قـــررت الحكـــومة على أن من يبنى منزلاً أو عمارة وفقاً للشروط المطلوبة يتحـــصل علـــى قـــرض من صندوق التوفير بنصف قيمة المبنى، وتقدم له الحكـــومة بعد نهاية المشروع نصف القيمة الآخر كهبة، وانطلق الإيطاليون يقترضـــون الأمـــوال مـــن البـــنك ويبنون العمارات في شارع عبد الناصر وشوارع المدينة الأخرى، وفي سيدي حسين والبركة، ولم يستفد العرب من هـــذا القرار؛ لأنهم كانوا ينفرون من دفع الفوائد، واستفاد عربي واحد وهو مـــصطفي الـــسلاك من هذه التسهيلات، فبنى عمارة في ميدان الشجرة. وقد ازدهـــرت المديـــنة بالمباني والشوارع الجديدة وجميعها بالحي الغربي. أما

(1) أ. تيروتسى ، برقة الخضراء، ترجمة خليفة التليسى، طرابلس 1919 ص 29.

الحـــي العربي فلم يصل إليه أي تطور أو تغيير إلا في حالات محدودة، في شارع الشابي المؤدى إلى ميدان البلدية، فقد كان هذا الشارع يتألف من مبان قديمـــة، وبـــه ســـوق نشطة، وقد قررت بلدية بنغازي هدم المباني القديمة، وتعـــويض أصـــحابها، وإعطائهـــا لمواطنـــين إيطاليين، إذا عجز أصحابها الأصـــليين عن بنائها بالصورة المطلوبة من البلدية، وبُنى الشارع بالأقواس حتى ميدان البلدية، وكان أجمل شارع في بنغازي وصار يحتوى على أرقى الدكاكين لبيع الملابس والاحتياجات الأخرى، وامتدت يد الإصلاح إلى ميدان الـــبلدية، فأعيد بناء المباني المواجهة للبلدية، وأقيمت عمارات حديثة جميلة، ووصلت يد الإصلاح إلى بنغازي الوسطى، أي شوارع قصر حمد، والبزار، والعقـــيب، وغـــريبيل، وغيرها من الشوارع القريبة، فهدمت بعض المساكن القديمة، وشُيد مكانها منازل جديدة عصرية.

وبدأت تنتشر في بنغازي بعض الصناعات التي يشرف عليها إيطاليون، ومـــنها صـــناعة الأحذية، وصناعة المياه الغازية، وصناعة النسيج، وصناعة طوب المباني، وصناعة البيرة، وأنشئت مدبغة للجلود، وغيرها من الصناعات الـــصغيرة. وقد تأسست شركات ملاحة تملك بواخر تعمل على طول السواحل الليبـــية، وكان صاحب إحدى هذه الشركات يهودي ليبي يدعى هارون، وكان يملك أكثر من باخرة تعمل ما بين بنغازي والإسكندرية، وعلى طول الشواطئ الليبية. وأقام (إيجينو بالة) شركة ملاحة ضمت بعض البواخر، وأقام حوضاً لصنع القوارب والسفن الصغيرة، وقد استطاع أن يصنع قاطرة سفنٍ صغيرة، وهبت على البلاد في تلك الفترة موجة إصلاحات وتجديد، غطت على الحرب والعملـــيات الحـــربية، التـــي كانت تسير بصورة روتينية. وقد اهتم الجنرال (تيروتسي) بتعمير البلاد أكثر من اهتمامه بالحرب.

وقد شعر سكان المدينة الإيطاليون، وجلهم من أنصاف المتعلمين، أنهم أصـــبحوا بفـــضل الفاشستية سادة، وأنّ العرب أصبحوا في مستوى أقل من

مـــستواهم، ويجـــب أن يكـــون التعامل معهم من هذا المنطلق، فتعالوا على جيرانهم العرب، وأغلظوا لهم القول، وأبى بعضهم دفع إيجار المساكن التي يـــستأجرونها، واضطر العرب إلى رفع شكواهم إلى المحاكم الإيطالية، التي كانـــت أحـــياناً تنصف المشتكي، وأحياناً أخرى تنحاز إلى جانب الإيطالي، وعمل الموظفون الليبيون في دوائر الحكومة تحت إمرة الإيطاليين، فلم يُعطَ ليبـــي واحد أي مسؤولية في عمله، وكان الليبيون أكفاء ومقتدرين أكثر من الموظفـــين الإيطاليـــين أنفسهم، إلا أن روح العنصرية والتمييز طغت على الإيطاليين، فعاملوا الليبيين بصورة عامة معاملة دنية.

وحاربـــت إيطالـــيا اللغـــة العربية، فمنعت استعمالها في جميع دوائر الحكـــومة، بمـــا فـــيها البريد، والجمارك، واقتصر استعمالها على المحكمة الـــشرعية، وإدارة تسجيل الأملاك، وأمتدت هذه الحرب إلى المدارس الليبية الابتدائية، التي كان يُدرس فيها القرآن ومبادئ اللغة العربية، في حين كانت تُـــدرس بقية المواد باللغة الإيطالية. وعادت النعرة الإيطالية القديمة التي تعد ليبيا أرضاً رومانية استعادتها إيطاليا، وستحولها الفاشستية إلى جزء منها، إلا أن اضطهاد الليبيين، وهذه الروح الانتقامية، وشعاراتها، وغرورها، لم تؤثر كثيراً في مدينة بنغازي حيث كانت تصطدم بالواقع الملموس وهو أن الليبيين لـــم يستـــسلموا بعـــد ومازالوا يرفعون السلاح في وجه إيطاليا ويلحقون بها الهزائم ويبسطون سيادتهم على جزء كبير من البلاد.

ومـــن الملاحـــظ أن حي البركة انتعش في هذه الفترة، وزاد ارتباطه بالمديـــنة، وقد تكاثرت فيه العائلات الإيطالية، ومعظمها أسر الضباط الذين كانوا يعملون بالمعسكر التركي، وقد استأجروا بعض المساكن، وشيد بعضهم مـــساكن جديدة، واستولوا على مساكن الضباط الأتراك الذين غادروا البلاد، وقام العرب أيضاً ببناء مساكن جديدة، وكونوا سوقاً كبيرة، وبعثوا في البركة الحـــياة والنشاط؛ فازدهرت وانتعشت أسواقها، وزاد عدد سُكانها ومساكنها،

وأصبحت ضاحية تُنافس مدينة بنغازي، وتولد عن وجود الإيطاليين انتشار المتاجر والحانات والمقاهي الإيطالية، وقد عُبدت الطرق ما بين البركة وبنغازي، وأنشئ خط حافلات يربط المنطقتين ببعضهما.

وكانت عمارة حسنى بك، التي تقوم مقامها اليوم عمارة الصفطية، كانت أجمل ما في البركة بطرازها الشرقي الجميل، وكانت تكثر في البركة البساتين والسواني والخضرة مما يزيد الموقع بهاء وجمالاً. وتمتاز البركة عن بنغازي بجوها الجاف الصحي، حيث لا توجد بها الرطوبة الموجودة في بنغازي، وكان يتوقع الإيطاليون أن يكون مستقبل بنغازي في البركة، وقد سبقهم الأتراك الذين عرفوا قيمتها فاتخذوها سكناً لهم، وشيدوا فيها أكبر معسكراتهم، وكانوا يريدون إقامة الميناء في بحيرة الكيش وتحويل الجمارك وملحقاتها إلى البركة، وكان أشهر بساتين البركة سانية البيباصية (الرهبان)، وقد اشتروها عام 1871م، وحولوها إلى مزرعة مزدهرة اشتهرت بالفواكه ومياهها العذبة، وقد جمع الرهبان فيها بعض الأيتام السودانيين، فعلموهم ودربوهم وأدخلوهم في النصرانية، إلا أن معظمهم عندما بلغ سن الرشد عاد إلى الإسلام.

أما سيدي حسين فقد شملته يد العمران، وأنشئت فيه المباني الحديثة، وخططت شوارعه، وبُنى فيه حي إسكابلي كمساكن للعمال الإيطاليون، وهو قائم اليوم ومن أشهر أحياء بنغازي، وشمل التطور الأسواق العربية، فسوق الظلام الجديد بحوانيته العارضة للذهب، والفضة، والحرائر، والسجاد، وكل شيء نفيس، ظل على ما كان عليه دون أي تغيير، اللهم إلا في أنواع الحرائر الواردة من إيطاليا، ومن طرابلس، ومن تونس، وكان بحق مفخرة بنغازي، إذ يقع في قلب بنغازي التاريخي، إلى جانب المسجد العتيق وبلدية بنغازي، أما سوق الجريد فقد شمله التطور، ولم تعد معروضاته مقتصرة

علـــى المواد الغذائية، بل أصبحت به متاجر لبيع المواد المنزلية، والملابس، والأحذية، وغيرها من السلع.

وفي عام 1928م شيدت الحكومة الإيطالية مسرح البرينيشى، الذي كان عـــبارة عن دار أوبرا، وكان أجمل مبنى في بنغازي في تلك الفترة، وشيدت أيضاً فندق برينيشى الحديث الواقع قبالة البحر، وكان أكبر وأجمل فندق في بـــنغازي، وقد هدمت القنابل خلال الحرب المسرح والفندق، وأنشئ في هذه الـــسنة أيـــضاً الملعب البلدي المقام بالقرب من الفندق، والذي كانت تُقام به مباريات كرة القدم، وأنشئ في هذه السنة أيضاً الفندق البلدي الذي اتسع لبيع جميع الخضراوات الواردة من الضواحي، وللغلال والمنتجات الأخرى، وقد ظـــل أكبـــر سوقٍ في بنغازي حتى اليوم، وأنشئت في تلك الفترة الكاتدرائية المسيحية الضخمة، التي كان يُراد منها طبع بنغازي بطابع المسيحية، فكانت الكاتدرائـــية بـــضخامتها، وارتفاعهـــا، ومكانتها تغطى على أي مسجد في المديـــنة، وخاصـــة أن مساجد المدينة بُنيت جميعها في العهد التركي، وهي صغيرة ومتواضعة، لا تصل أبداً في ضخامة مبانيها إلى مستوى الكاتدرائية التي شُرع في بنائها، وأنشأ الإيطاليون مصيفاً في جليانا خاصاً بهم.

وكـــان ميناء بنغازي من المشاكل الكُبرى التي شغلت جميع الحكومات ووزارة المـــستعمرات، وجرت محاولات كثيرة لحلها، دون فائدة، وكان الحل المطلوب هو بناء ميناء جديدة كبيرة، وهو الأمر الذي يتطلب صرف ما يزيد على 200 مليون ليرة إيطالية، وكانت الحكومة الإيطالية غير مستعدة لصرفها علـــى بنغازي. وقد ظل الميناء على وضعه الذي تركه عليه الأتراك دون أي تعديل أو تغيير، وكانت البواخر تقف على بعد ستة أو ثمانية كيلوا مترات من الميـــناء، وتـــذهب إليها القوارب لتفريغ حمولتها، وكان الركاب القادمون من إيطالـــيا إلـــى بـــنغازي علـــى ظهر البواخر إذا كان البحر هائجاً ينزلون إلى اليابـــسة، بوضـــعهم في شبكة كبيرة ترفعها الرافعة وتظل تتأرجح في الهواء

بسبب هيجان البحر، حتى يمسك بطرفها من كان في القارب، ويُنزلونهم به ثم ينقلونهم إلى بنغازي، كانت أحياناً هذه العملية لا يمكن القيام بها بسبب هيجان البحـــر فـــتعود الباخرة إلى إيطاليا بما عليها من ركاب وبضائع. وتسبب هذا الوضع في ارتفاع نفقات السلع المستوردة بزيادة 25% بالنسبة لطرابلس. ولم تُحل مشكلة ميناء بنغازي، وذلك بإنشاء ميناء جديدة إلا في منتصف الثلاثينات عـــندما قـــررت إيطاليا بناء ميناء جديدة وتحمل صرف نفقاتها، وقد شُرع في بناء الميناء في عام 1935م وانتهي العمل فيه تقريباً عام 1940م، عندما اشتعلت الحـــرب العالمية الثانية، وتضافرت طائرات البريطانيين والألمان والإيطاليين على قصف هذا الميناء وتخريبه، وهو لم يستعمل بعد إلا قليلاً.

وفـــي عام 1928م أنشأت إيطاليا منتزهاً في الفويهات (جنينه الحيوانات حالياً) كان الناس يقصدونه في العطلات والأعياد للتنزه والترفيه، وأصبح ذلك المنتـــزه مـــن معالم بنغازي المعروفة، وأنشأت الإدارة العسكرية عام 1928م معـــسكر (دوقا دأوستا) إلى الجنوب من البركة، ومازال هذا المعسكر قائماً حتـــى الآن، وشـــقت طريقاً تربط المعسكر بالبركة من الشمال، وبالمنتزه من الجنوب، وشجرت هذه الطريق التي كانت تعتبر أجمل طريق في بنغازي.

وعملـــت الحكـــومة الإيطالـــية على الاستفادة في تحويل مغارة الليثي القـــريبة من بنغازي إلى منتزه، وقد شيدت إلى جانبها مقهى كبيراً وأضاءت المغـــارة وأعدت قطاراً خاصاً ينقل الزائرين في أيام العطلات، وقد أصبحت هذه المغارة ونهر الليثي الذي يجرى في أعماقها من معالم بنغازي المعروفة.

وواصـــل الجنـــرال تيروتـــسي حـــربه ضد عمر المختار، وتعددت المعارك، وزاد هجوم المجاهدين على المراكز الإيطالية وتهديدهم لها، وبات خـــروج القـــوات الإيطالـــية لملاحقة المجاهدين بدون جدوى، لقد كان عمر المخـــتار عملاقاً في وجه إيطاليا وقواتها وقادتها، فقد أذلهم وهزمهم، وألحق بهم الخزي والعار. وكان من بين المهام التي كُلف بها الجنرال تيروتسي هي

إبعـــاد العناصــــر المناوئة للحزب، والتي أطلُق عليها أسم الطابور الخامس. وكانـــت هذه العناصر المعادية للفاشستية تتعاطف مع العرب، وتُساعد على تـــزويد المجاهـــدين بالـــسلاح والذخيـــرة، وكـــان هؤلاء من كبار التجار، والموظفـــين والمثقفـــين الإيطاليـــين، وكـــان الـــنظام الفاشستي قضى على المعارضـــة في إيطاليا، وأخذ يتتبعها في المستعمرات. وقدر عدد الإيطاليين المقيمين في بنغازي في تلك الفترة بأربعة آلاف نسمة وهم خليط غريب غير مـــتجانس من الإيطاليين الذين دفعهم الفقر والحاجة إلى المجيء إلى بنغازي مـــنذُ بداية الاحتلال، وكان من بينهم الكثير من الانتهازيين الذين وجدوا في الانتماء إلى الحزب الوسيلة للتسلق، والحصول على المناصب والكسب غير المشروع، وكان كما سبق وذكرنا توجد إلى جانب هؤلاء أقلية نيرة رفضت المـــشاركة في الغوغائية الفاشستية واحتفظت بعقيدتها وشعاراتها، وقد وقفت هـــذه الفـــئة من الحزب موقفاً سلبياً ألصق بها تهمة الماسونية والخيانة، وقد تعاون بعض أفرادها سياسياً واقتصادياً مع العرب، وظلت الصلات قائمة بين الطـــرفين حتـــى بعـــد قيام النظام الفاشستي والقطيعة مع أهل البلاد، وأتهم تيروتـــسي هـــذه الفئة من الإيطاليين بأنهم :- "كانوا يصفون سياسة الحزب القـــوية الحازمـــة فـــي بـــرقة بأنهـــا سياسة تسلط واضطهاد تضر بالعرب ولا جـــدوى مـــنها". وقـــد أقصى تيروتسي الكثير من هؤلاء الإيطاليين من المناصـــب الحـــساسة، وأبعد بعضهم إلى إيطاليا، وكان بعضهم أعضاء في الحزب الدستوري الذي كونه محمد طاهر المحيشي عام 1920م.

وفـــي خضم هذا الصراع الإيطالي- الإيطالي، طفحت على وجه الماء بعـــض الحقائق التي فضحت التركيبة السياسية والعسكرية الإيطالية في برقة وتناقـــضاتها وعيوبها، فقد اتضح أن بعض رجال الأعمال الإيطاليين كانوا في هذه الفترة يتعاونون مع المجاهدين ويستوردون المؤن والسلاح والذخيرة باسم الجـــيش الإيطالي،ثم يسربون هذه المواد كلها أو بعضها إلى القوات المجاهدة

فـــي أمـــاكن بعـــيدة متفق عليها، وكانت هذه الصفقات تتم في سرية تامة في مـــرابيع بـــنغازي وفي الدواخل، ولو أن هذه الحقائق لم تكشف عنها مصادر إيطالـــية رسمية لصعب تصديقها، وأكدها الجنرال غرازياني نفسه الذي عبر عـــن الأمر واستهجنه فقال: " من المخجل أن يسلك بعض الوطنيين الإيطاليين هذا السلوك المعيب في حق حكومتهم، ووطنهم، ومن أجل الإثراء عن طريق تهـــريب المؤن، والأسلحة للثوار، وآسف لتكرار هذا الكلام في حق الوطنيين الإيطاليـــين، وأضع يدي على هذه النغمة الحساسة الحزينة التي تجرح كرامة بلـــدنا، وعلمنا، وتحز في إحساسنا ونفوسنا، إلا أنه كان من واجبي أن أعري هـــذه الشرذمة بحيث يطلع عليها أي مواطن في البلاد، وخارجها ليأخذ عبرة مـــن هذه الأعمال الهدامة التي تبثها السنوسية في طريق تقدمنا، حتى وصلت بهـــا الوقاحة بأن تؤثر على قلوب بعض الضعفاء لتستغلها لصالحها، ولصالح الثوار، إن هؤلاء الضالين وصلت بهم الخيانة بأن يدّعوا بأنهم موالون للقوات الـــزاحفة؛ بيـــنما الأســـلحة والذخيرة والمؤن كانت تُباع إلى الثوار علناً أمام الخاص والعام، وتحت ستار مواد للقوات الإيطالية"[1].

وقـــد لاحقـــت الـــسلطات الإيطالـــية هـــذه العناصر المعادية لها واضطهدتها؛ ثم أبعدتها تدريجياً إلى إيطاليا، حيث تم اعتقالهم، أو وضعوا تحت المراقبة الشديدة.

طُـــبعت إيطاليا في سياستها في ليبيا بطابع التغيير، وعدم الاستقرار، والتنكـــر لوعودها، ومواثيقها، وكان الجنرال (كانيفا) في بداية الاحتلال قد أصـــدر بياناً باحترام إيطاليا للدين، والعادات، والممتلكات، وحرمة المنازل، والحـــريات الشخـــصية، إلا أنها سرعان ما تنكرت لهذه المبادئ وخالفتها؛ واســـتمرت فـــي سياســـتها إعطاء المواثيق والعهود ثم التنكر لها، وعندما اضطرتها أوضاع الحرب إلى منح طرابلس وبرقة الاستقلال الذاتي بموجب

(1) رودولفو غرازياني ، برقة الهادئة، المصدر السابق الذكر.

القانـــون الأساسي الذي أصدرته بطوعها دون أي إكراه، شعر أهل ليبيا أنها صـــادقة بوعـــودها وأنها أدركت حقيقة الوضع، وهو حتمية إعطاء الليبيين حقـــوقهم، وإلا فإن الحرب بين الطرفين ستستمر إلى ما لا نهاية؛ غير أنها مـــنحت باليمـــين ما كانت مستعدة أن تأخذه باليسار. ففي طرابلس لم يُطبق القانون الأساسي وظلت إيطاليا في مفاوضات مع الزعماء إلى أن فاجأتهم في عـــام 1922م باحـــتلال مـــصراته عسكرياً؛ وفي برقة تشكل مجلس النواب، وقامـــت الحكـــومة الجديدة، وسارت الأمور على ما يرام، لكنّ إيطاليا كانت مبيتة القضاء على هذا الوضع متى استقرت أوضاعها، واستطاعت عسكرياً أن تُحـــارب المجاهدين، وقد أشعلت إيطاليا الحرب في طرابلس ثم في برقة مما يدل على أنها كانت مُبيتة لهذه الحرب التي تريد بها أن تقضى على أية مقاومة ليبية.

وفـــي تطـــور الحـــياة في بنغازي بدأ بعض الشباب يتخلى عن النشاط الاقتصادي التقليدي ويدخل مجالات اقتصادية جديدة لم يعرفها من قبل، كعملية الـــنقل بالـــسيارات مـــن بنغازي إلى اجدابيا، ومن بنغازي إلى المرج والجبل الأخـــضر؛ فقـــد قـــام فئة من الشباب بشراء سيارات نقل كبيرة مرتفعة الثمن وعملـــوا عليها لنقل البضائع من بنغازي إلى اجدابيا، ومن بنغازي إلى المرج والجـــبل الأخضر. واحتكروا العمل على هذين الخطيين ونجحوا نجاحاً باهراً، ثـــم انتقلوا من عمليات نقل البضائع إلى مجالات اقتصادية أخرى أكثر أهمية وأصـــبحوا فـــيما بعد من أثرياء بنغازي. وأما العمال الليبيون الحرفيون الذين كانوا يشتغلون مع العمال الإيطاليين، فقد بدءوا يشتغلون على حسابهم الخاص في الكهرباء والبناء والحدادة والنجارة وغيرها من الأعمال بيد أنه بعد اكتشاف البترول بالبلاد حوّل عامل الكهرباء إلى تاجر المواد الكهربائية وتحول عامل البناء إلى مقاول والحداد إلى تاجر في المواد المنزلية، والنجار إلى تاجر أثاث، وهكذا فقدت بنغازي عمالها القادرين وبدأت تستعين بالعمالة الأجنبية.

وقـد قـام الجنـرال تروتسي بإعداد حملة عسكرية كبيرة ضد الثوار للقضاء عليهم نهائياً، وكان عمر المختار قد أمر أتباعه بالتحول إلى المناطق الـواقعة في جبل العبيد بعد المعارك التي خاضوها ضد الإيطاليين في يناير 1927م ، بالنظـر لما توفره من إمكانيات للتجمع، وإعادة التنظيم والاستفادة من المراعى الرائعة في هذه المنطقة الخصبة؛ وقد بلغ الخبر القيادة الإيطالية التـي قـررت القيام بحملة ضد الأدوار المقيمة في تلك الجهة، وقام الميجر (باسي) قائد المنطقة بإعداد حملة كبيرة لملاحقة المجاهدين في أرض العبيد والقـضاء علـيهم، وخـرج فعلاً بقوة مكونة من 12 ضابطاً و744 جندياً، وسـيارات، ومـصفحات، ومدفعـية، وكـان معظم الجنود من الإرتريين. وتحـركت هذه القوة عند الساعة التاسعة من مساء يوم 27 مارس عام 1927 فـي اتجاه جردس العبيد التي وصلتها عند الساعة السادسة من صباح اليوم التالـي، ثم واصلت زحفها عبر الغابات الكثيفة المنتشرة في المنطقة، ولكنها مـا أن اقتربت من أم الجوابي حتى بدأت تواجه مقاومة، على طول الطريق التي كانت تسلكها القوات الإيطالية حتى بلغت منخفض الرحيبة حيث جرها المجاهـدون إلـى معـركة مـن أعنف وأنجح المعارك التي جرت في هذه المـرحلة مـن الجهاد (28 مارس 1927)، واستطاع العدو أن يحتل بعض المواقع المرتفعة، إلا أن المجاهدين عادوا بعد ذلك إلى شن هجومهم المضاد فـي اتجاه أمامي مع حركة التفاف شعر بعدها القائد الإيطالي باستحالة بلوغ أهدافـه، فأصدر الأمر بالانسحاب. ولكن المجاهدين لم يمهلوهم حتى يحقق هـذا الانسحاب، واستغلوا فرصة التفكك الذي بدأ في قوات العدو ومعرفتهم الكاملـة بالمواقع التي ساعدتهم على تحقيق حركة التفاف عن طريق الغابة بحـيث تمكنوا من الإحاطة بقوات العدو، وعزل بعضها عن البعض الآخر. وكـبدوها خـسارة فادحة وحققوا انتصاراً رائعاً لقواتهم؛ وتعترف المصادر الإيطالـية بالهزيمة النكراء التي تعرضت لها قواتهم في هذه الموقعة الهامة؛

ويعترف الجنرال تروتسي بالهزيمة المنكرة والخسائر الكبيرة التي بلغت ستة ضباط، وثلاثمائة وأربعين جندياً قتيلاً، ويقول إن الصراع كان ملحمياً وقد جرى جسداً لجسد. وكانت معركة الرحيبة من أعظم المعارك التي انتصر فيها عمر المختار على أعدائه في هذه المرحلة والتي كانت لطمه لغرور إيطاليا وكبريائها.

وعلق الجنرال تيروتسي والى برقة والذي وقعت المعركة في عهده فقال: "لقد لاحظت بعد مرور ساعات على انتهاء القتال عجزنا التام عن القيام برد فعل سريع بسبب تآكل جهازنا العسكري، وفي هذه الملاحظة المؤلمة تكمن أهمية الحادث"(1).

وكتب الكولونيل كانيفارى – قائد الكتيبة الليبية السابعة – يقول: "كانت العمليات العسكرية تدور بتثاقل بصورة مصطنعة، بسبب تآكل جهازنا العسكري ونقص السلاح، فقد كانت المخازن خاوية، والإدارة في حالة فوضى حقيقية"(2).

ووصف الجنرال غرازيانى الوضع العسكري في تلك الفترة فقال: "كانت قواتنا ضعيفة ولم تستطع فرض سيادتنا على الأرض، فتحركت قوى الثورة طليقة اليد تتصرف في صفوف الشعب، وتضمها إلى جانبها رغم إخلاص بعضها لنا"(3).

وكتب الجنرال ميتزيتي –الذي خلف الجنرال تشي في قيادة قوات برقة بعد إقالته– يقول: "إن معركة الرحيبة قد كشفت عن عيوب الجهاز العسكري الإيطالي في برقة وعن كفاءة ودقة تنظيم الثوار"(4).

---

(1) اتيليو تيروتسى ، برقة الخضراء ص 97.
(2) أ. ديلبوكا، ص 110.
(3) رودولفو غرازيانى ، برقة الهادئة، ص 33.
(4) أ. ديلبوكا، ص 110.

العودة للمفاوضات:

صعد نجم موسولينى وارتفع وارتفعت معه إيطاليا إلى مصاف الدول الكُبرى، وارتفعت مطالبه لبريطانيا وفرنسا بنصيب إيطاليا من المستعمرات التي استولت عليها الدولتان الكبيرتان في آسيا وأفريقيا، وشرع موسولينى في تسليح إيطاليا وتزويدها بقوة طيران قوية ولم تكن بريطانيا وفرنسا تخشيان قوته، إنما كانتا لا تريدان الحرب وتحاولان تجنبه بأية طريقة. واندفع موسولينى في مشاكسة بريطانيا وفرنسا، وحاول أن يتخذ من البلاد العربية الخاضعة للدولتين مجالاً لإيذاء فرنسا، وبريطانيا، وقد أنشأ قنصلية في القدس كانت على اتصال بزعماء العرب الذين تحركوا في تلك الفترة مطالبين بالحرية والاستقلال، وكانت هذه الدول العربية في حاجة إلى مساندة دولة كبيرة، إلا أنهم كانوا ينفرون من إيطاليا بسبب ما تقترفه من أعمالٍ وحشية في ليبيا، وأدرك موسولينى أنه من الضروري له أن يقضى على الثورة الليبية بالمفاوضات، أو بالقوة وبسط سيادة إيطاليا عليها، لأن استمرار الثورة يُضعف من وضعه الدولي ويحول بينه وبين التقارب مع البلاد العربية.

ومن المعروف أن إيطاليا دخلت الحرب العالمية إلى جانب الحلفاء وخسرت أكثر من مليون رجل ما بين قتيل ومعاق، وخرجت من الوليمة صفر اليدين، فقد اقتسمت فرنسا وبريطانيا المستعمرات الألمانية والولايات العثمانية ولم تقدم لإيطاليا شيئاً مكتفية بما تحصلت عليه من أراضٍ كانت تحتلها النمسا وضم مدينة (تريسته) إليها، إلا أن إيطاليا استمرت في العهد الفاشستي في المطالبة بحقها من المستعمرات، ووصل بها الأمر إلى أن طالبت حتى بتونس وبدأ العداء المُعلن بينها وبين فرنسا وبريطانيا، وقد قرر موسولينى بعد هزيمة الرحيبة السير في اتجاهين محاولة إيجاد حل سلمى أو استعمال القوة الغاشمة.

وشرع فعلاً بإرسال مندوبيه إلى القاهرة والرياض للاتصال بالزعامات الليبية والتفاوض معهم حول وجود حل للمشكل المستعصي يرضى الطرفين، ويـــضع حداً للحرب القائمة، غير أن موسولينى لم يكن في مفهومه التنازل عـــن أي جزء من ليبيا، أو تقديم امتيازات أو حقوق لليبيين بل كان يريد أن تبقـــى ليبـــيا أرضاً إيطالية تستوعب ما يفيض من المهاجرين الإيطاليين إلى الخارج؛ ولم يفكر أبداً في أن الليبيين يحاربون من أجل حرية بلادهم وتأمين ســـيادتهم عليها ولذلك فشل المفاوض الذي التقى بالزعامة الليبية في القاهرة وبحـــث معه إمكانية العودة إلى المفاوضات ووضع حدٍ للحرب دون أن يقدم شـــيئاً للجانـــب الليبي أكثر من وعود مادية بمنح رواتب ومخصصات إلى مشائخ الزوايا السنوسية وإلى الرجال المقربين من الأمير السنوسي والإعفاء من الضرائب، واحترام الأسرة السنوسية، أما حاكم إرتريا الذي التقى بالسيد أحمد الشريف السنوسي في السعودية فقد عرض عليه السلام والصلح ووضع حدٍ للقتال ولكنه لم يتحصل منه على أي وعد.

وقد تسربت هذه الأخبار من القاهرة إلى بنغازي فانتعشت آمال الليبيين فـــي حـــدوث تطور جديد في الحياة السياسية ليخلصهم من الوضع المزري الـــذي كانـــوا يعيـــشون فيه، وتمت الاتصالات في سرية تامة، لأنها كانت تتعارض وسياسة الفاشست المعلنة، وتجاوزت الأحداث المتلاحقة هذا الحدث ثم طواه النسيان، وظل سراً دفيناً حتى أفرجت إيطاليا عن وثائقها السرية بعد الحـــرب، وأتـــضح من هذه الوثائق أن موسولينى أوفد إلىّ القاهرة (ماريو موريـــنو) وهو من كبار موظفي وزارة المستعمرات، وممن كانوا يجيدون اللغـــة العـــربية وذلك للاتصال بالزعامة الليبية في مصر، وأسند إلى حكام إرتريا مهمة الاتصال بالسيد أحمد الشريف بالسعودية، ودارت مفاوضات بين الطـــرفين لم تسفر عن أية نتيجة إيجابية، وبعد أن رأي موسولينى أن مسعاه السلمي قد فشل اتجه إلى المسعى العسكري وبالنظر إلى أنه أرسل ثلاثة ولاة

عسكريين إلى برقة، وقد فشل جميعهم في القضاء على ثورة عمر المختار، فقـــرر اللجـــوء إلـــى المارشال بادوليو رئيس أركان حرب القوات المسلحة الإيطالـــية الذي كان من رجال الملك المخلصين، وكان موسولينى لا يطيقه ولا يـــثق فـــيه، وإنما شدة الحاجة دفعته إلى الاستعانة به. وأقال موسولينى الجنـــرال تروتسي بعد أن خسر معركة الرحيبة التي تردد صداها في محافل رومـــا، وأقـــنعت هذه الهزيمة الدوائر الإيطالية بأن أسلوب الحرب الجاري لا فائدة منه، ولذلك قرر موسولينى اللجوء إلى المارشال بادوليو والتخلي عن تروتسي والقيام بتجربة جديدة.

وأظهرت الوثائق السرية المذكورة تضارب اتجاهات السياسة الإيطالية بـــين المحـــبذين للـــتفاوض والمـــصرين علـــى القتال، وكان وكيل وزارة المـــستعمرات "لانـــزا دى صـــكاليا" على رأس المقتنعين بفائدة المفاوضات والمـــشجعين علـــى إجـــرائها، وقـــد أبدى وجهة نظره هذه في رسالة إلى موســـولينى في شهر أغسطس 1925م جاء فيها: " إذا كانت فكرة الاتفاقيات أصـــبحت مـــستبعدة وإمكانيات التفاهم مرفوضة، ففي هذه الحالة ليس أمامنا سوى القيام بحرب لا هوادة فيها تتواصل حتى تدمير السنوسية، غير أن هذا الهدف: (تدمير السنوسية)، لا يمكن تحقيقه إلا بعد مواجهة حرب عصابات طويلة ومرهقة تمتد لسنوات كثيرة، وهذه الحرب ستكون مرهقة أيضاً بالنسبة لإعدادنا العسكري والقوات الكبيرة التي يجب أن نحافظ عليها في المستعمرة، وإن حـــرب العصابات هذه ستجعل من الصعب بل شبه المستحيل القيام بأي تنظـــيم إداري أو اقتـــصادي في البلاد وستحول أيضاً دون عمليات التطوير الاستعماري حتى ولو كان في مراحله الابتدائية"(1).

وكان الوزير الإيطالي على حق لأن الحرب استمرت ست سنوات أخرى وحالت دون إيطاليا وتحقيق مشاريعها الاستيطانية والزراعية وأهدافها التوسعية.

---

(1) محفوظات وزارة الخارجية الإيطالية ، ليبيا ، رقم إشارى 8/150 ملف 28 وملف 27.

وكانت معركة الرحيبة التي خسرها تروتسي أمام عمر المختار، التي تكـبدت إيطالـيا فـيها خسائر باهظة قد أثارت غضب وزير المستعمرات (فيدرزونـى) الذي كتب في رسالة منه إلى موسوليني: "إن استعمار ليبيا وسيلة لا غاية، فيجب علينا أن نقوم بتوطين مئات الآلاف من الإيطاليين في ليبـيا لنحولها واقعياً لا قانونياً إلى أرض إيطالية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي الوسيلة لضمان سيادتنا عليها"[1].

ولا شك أن شهادات القادة الإيطاليين المذكورين وردود فعل الحكومة الإيطالية والحملات الفاشلة التي قام بها الجنرال ميتزيتى ضد المجاهدين بعد معركة الرحيبة كانت جميعها تبرهن بكل وضوح على فشل القوات الإيطالية وعجزها في التغلب على المقاومة الوطنية أو بسط سيادتها على المنطقة التي ظـل المجاهـدون يسيطرون على أجزاء منها، كما ظلت المبادرة العسكرية بأيديهم وولاء الشعب لهم.

والعجـيب في الأمر أن الإيطاليين اكتشفوا عجزهم وعيوب تنظيمهم العـسكري بعـد سـبعة عـشرة سـنة من الاحتلال والقتال والمفاوضات والمعاهـدات ولم يستطيعوا خلالها فهم الأسباب التي من أجلها كان الشعب الليبـي يقـاوم، ولا إدراك استحالة تحقيق أحلامهم التوسعية ما دام أصحاب الأرض يتصدون لهم ويحولون دونهم ودون بسط سيادتهم عليها.

وقـد تبلورت في ذهن القيادة الإيطالية فكرة استحالة القضاء على الـثورة بـدون خلق فراغ شامل حولها وقطع جميع الصلات بين السكان المدنيين والمقاومة.

وكانـت فتـرة ولايـة تروتـسي فترة هادئة خالية من عمليات القمع والاضطهاد التي طُبعت بها السياسة الإيطالية في الماضي، وكان عهده عهد

---

(1) ا. ديلبوكا، ص 124.

إنجـــازات، وقـــد ذكــرنا بعــضها فيما سبق، وكان رجلاً لا يُحب العنف. واستقرت الأمور في عهده وساد التعاون بين الطرفين.

اشترط بادوليو على موسولينى كي يتولى حُكم ليبيا أن يتقاضى راتبه الذي كان يتقاضاه عندما كان سفيراً في تشيلي، وأن لا تقل ولايته عن خمس ســنوات وأن يُعطـــى لقب شرف، وأن يحتفظ بمنصبه رئيس أركانٍ للقوات المسلحة الإيطالية. وقبل موسولينى شروط بادوليو على مضض، وأمر بإقالة تيروتـــسي مـــن ولايـــة برقة ، والجنرال دي بونه من ولاية طرابلس وفيد رزونـــى من وزارة المستعمرات، وعين بادوليو والياً على طرابلس وبرقة، وقد فقدت برقة بذلك استقلاليتها وأصبحت تابعة لطرابلس وإن كانت محتفظة بحكومـــتها، ووصـــل بادولـــيو طرابلس يوم 1929/1/24م وبدأ ولايته بإلقاء خطـــاب سيئ كله تهديد ووعيد للعرب؛ وفي خطاب آخر للإيطاليين يطمئنهم ويعـــدهم بكـــل خير، وقد عين الجنرال سيشليانى نائب الوالي في برقة؛ وقد قـــرر المارشال بادوليو محاولة الاتصال بالمجاهدين للتفاوض معهم وإيجاد صـــيغة مقـــبولة لـــدى الطرفين تضع حداً للقتال وتحافظ على سيادة إيطاليا الكاملـــة علـــى ليبـــيا؛ وقد كلف الجنرال سيشليانى نائبه في برقة بالاتصال بالمجاهـــدين في سبيل حدوث لقاء بينه وبين عمر المختار وبحث الأوضاع القائمة للوصول إلى حلٍ يجنب البلاد القتال والخسائر؛ وأمره في نفس الوقت بـــسحب الحاميات المتقدمة ووضع خطة دفاعية فقط في برقة، وإعادة تنظيم قواته والشروع في حوار مع المجاهدين لإيجاد تسوية سليمة لا تتعارض مع مصالح إيطاليا.

وكـــان بادوليو يدرك فعالية تنظيم عمر المختار العسكري وخطورته ويعـــرف المـــصادر التـــي كانـــت تمده بالرجال والمال والمعلومات لتأمين اســـتمرار المقاومة، كما كان يعلم أن القوات الإيطالية بوضعها الراهن كانت عاجزة عن القيام بأي عمل عسكري حاسم، وقد وصف الوضع الذي وجد فيه

برقة في تقريره لوزير المستعمرات جاء فيه:"وجدت في برقة وضعاً مختلف عن طرابلس، فقد كان عمر المختار شديد النشاط وقادراً على مهاجمة أي من مراكـــزنا متى شاء، ووجدت قواتنا في برقة في حالة تسيب وتفكك وموزعة على العديد من الوحدات التي كانت تفتقر إلى التنسيق الأساسي، وعاجزة عن القـيام بـأي عمـل هجومي لافتقارها إلى الوسائل التسويقية وبسبب هبوط معـنوياتها لـشهور متواصـلة من الحصار... السكان المدنيون يتظاهرون بالخـضوع لنا بينما هم في الواقع مع الثوار، ويتواصل هذا الواقع المزري منذ سنوات، وقد بذل ثلاثة ولاة جهودهم وطاقاتهم للتغلب عليه دون جدوى، وهـذا بالإضافة إلى روح التشاؤم السائدة والسلبية بين الموظفين العسكريين والمدنيين وتفشى الفساد في الإدارة"[1].

كـان بادولـيو قد قرر السير في طريقين محاولة الوصول إلى سلام بدون قتال يوفر على إيطاليا النفقات الباهظة والخسائر في الأرواح، وإذا لم يـتم التوصـل إلى هذا الهدف فيجب القيام بحرب شعواء تقضى على الثوار والـسكان ومـصادر رزقهـم، وشرع في السير في الطريق الأول، وذلك بالإيعاز إلى نائبه في برقة بالتمهيد للقاء بينه وبين عمر المختار.

ولـم يسلك بادوليو طريق السلام لاقتناعه به، وإنما كما كتب جورج روشات: "كان يرمى إلى الحصول على نجاح شخصي بوضعه حداً للقتال في غضون شهور قليلة ولم يكن يفكر في اقتسام حقيقي للسلطة مع الليبيين وإنما كان يحاول من وراء السلام تحقيق تغلغل تدريجي داخل البلاد يحقق لإيطاليا أهدافها بدلاً من اللجوء إلى الطرق التقليدية المستندة على السلاح"[2].

وكانت الدوائر الاستعمارية وعلى رأسها وزير المستعمرات دى بونو تعـارض التفاوض مع المجاهدين أو تقديم أية تنازلات لهم، ومن المعتقد أن

(1) التقرير موجود بمحفوظات وزارة الخارجية الإيطالية تحت رقم 150/12 ملف رقم 50.
(2) ب. بييرى وجورج روشات- بادوليو- تورينو- 1974- ص 592.

بادوليو لم يقدم على فكرة التفاوض دون أخذ الضوء الأخضر من موسوليني. وكانت فكرة التفاوض مع المجاهدين لا تلقى ترحيباً من وزارة المستعمرات الإيطاليـــة ولا من الدوائر الإيطالية المسئولة، إلا أن بادوليو قام بهذه المهمة مستنداً على الضوء الأخضر الذي أعطاه له موسوليني.

وسُـــر سكان بنغازي وبقية البلاد لهذه المبادرة الطيبة، وتطوع بعض أعـيان بنغازي بالانضمام إلى بعض مشائخ القبائل للاتصال بعمر المختار وإقناعه بالحوار مع الإيطاليين، وقد قام بعض مشائخ القبائل بالاتصال بعمر المخـتار وإقناعهِ بنوايا إيطاليا الطيبة بوضع حدٍ للقتال والتفاوض من أجل وجود حلٍ يرضى الطرفين.

ووافق عمر المختار على فكرة الالتقاء بممثلي الحكومة للوصول إلى تسوية سلمية تعيد إلى البلاد استقرارها وللعرب حقوقهم المشروعة؛ ودامت الاتــصالات التمهيدية بين الطرفيين طيلة شهري إبريل ومايو سنة 1929م، وأوقــف الإيطالــيون فـــي هذه الفترة العمليات العسكرية، كما أوقف عمر المخــتار نــشاطه الحربي، وخيم على البلاد جو من التفاؤل والأمل بأن هذا الجــو الجديــد لــربما يعيد البلاد إلى أوضاعها السابقة في عام 1920م، أي بحــصولها علـــى الاســتقلال الذاتي، وكان العرب قد أدركوا أن الإيطاليين عجــزوا عن القضاء على الثورة، وأنهم مضطرين إلى التفاوض وإيجاد حلٍ سلمى يعيد إلى البلاد استقرارها وسلامها وهدوءها.

انعكست هذه الأحداث إيجابياً على سكان بنغازي العرب الذين سيطرت هذه الأحداث على تفكيرهم ومناقشاتهم وتتبعوا سر الاتصالات باهتمام كبير، وقــد شــعروا فجأة وكأنهم عادوا إلى أوضاع عام 1919م، وقامت السلطات الإيطالــية بإيقــاف عملــيات التجسس على الوطنيين والاعتقالات وملاحقة النــشطين، وصرحت بدخول الصحف والمجلات والكتب العربية إلى البلاد التي كان يتداولها الناس بينهم؛ ووصلت أنباء هذه الأحداث الجديدة إلى مصر

فجـــاء مـــنها مجموعة من الشباب الذين أتموا تعليمهم وغيرهم من الشباب المهاجـــر للمـــساهمة في الأوضاع الجديدة التي ظنوا أنها ستعيد البلاد إلى أوضـــاع عـــام 1920م؛ ومـــن المعروف أن عدداً من شباب بنغازي المتعلم رفـــض الحـــياة في ظل الاستعمار الإيطالي الجائر وانتقل لمصر إما لإتمام تعليمه، وإما للحياة هناك.

وقـــد كون هؤلاء مع الطلبة الليبيين الآخرين وبعض المهاجرين شبه معارضـــة ليبـــية ضد الوجود الإيطالي في بلادهم، فكانوا يزودون الصحافة المـــصرية بأخـــبار الجهـــاد ومقاومـــة الاحتلال الإيطالي وبما كان يرتكبه الإيطاليون من أعمال قمع وحشية ضد أهل البلاد، وكانوا يقومون في الوقت نفـــسه بإمداد أقرانهم ببنغازي بما تكتبه الصحافة المصرية عن ليبيا وتطور قـــضيتها على المستوى العربي؛ ومن المعروف أيضاً أن شخصيات مرموقة مصرية أمثال الأمير عمر طوسون، وعبد الرحمن عزام باشا، وصالح حرب باشـــا، وأحمد حسنين باشا، وحمد الباسل باشا، وبعض الشخصيات المصرية الأخرى، والضباط المصريين الذين شاركوا في الجهاد الليبي، كانوا يوالون الاهـــتمام بمقاومة الشعب الليبيون ويقومون بالضغط على الحكومة المصرية كـــي لا تستجيب لمطالب إيطاليا بتضييق الخناق على المهاجرين الليبيين أو مـــنع وصول الإمدادات والمؤن إلى شرق ليبيا، وكان المهاجرون والشباب الليبي على صلة بهؤلاء الزعماء المصريين ويتعاونون معهم في كل ما يفيد القـــضية الليبـــية، وكانـــت هذه الشخصيات المصرية وغيرهم من الوطنيين المـــصريين والمهاجـــرين الليبيين وراء الحملة التي قامت بها الصحافة ضد الحكومة المصرية بسبب تنازلها عن الجغبوب ، وقد حملت زيور باشا رئيس الحكومة المسؤولية أمام الوطن والتاريخ.

وقـــد قـــبل عمـــر المخـــتار بعد إلحاح الأعيان والمشائخ عليه مقابلة المارشال بادوليو وتسليمه شروط المجاهدين للوصول إلى سلام يؤمن للبلاد

الاستقرار والهدوء والحياة الطيبة، وقد طلب عمر المختار من الأعيان الليبيين أن يطلبوا من إيطاليا أن تعبر عن حُسن نواياها بإطلاق سراح السيد الرضا السنوسي، وقد استجابت إيطاليا لهذا الطلب وأطلقت سراح السيد الرضا الذي وصل بنغازي يوم 1929/3/12م.

والتقى عمر المختار بممثلي الحكومة الإيطالية في يوم 1929/3/20م بدار علي باشا العبيدي حيث التقى بمتصرف درنة "داود ياشى" بحضور عدد من الأعيان ومشائخ البلاد، وقد تبادلا وجهات النظر واتفق الطرفان على مواصلة الحوار للوصول إلى صيغة اتفاق ترضى الطرفين تتم الموافقة عليها في لقاء أعلى ما بين عمر المختار وحاكم ليبيا العام "بادوليو"، وتواصلت اللقاءات بين عمر المختار وممثلي الحكومة الإيطالية أكثر من مرة وذلك في سانية القيقب يوم 1929/3/27م، وفي قلعة الباكور يوم 6/4، وفي بئر المغارة بوادى القصور يوم 4/20، وشارك في هذا الاجتماع السيد الرضا وعدد من المشائخ والأعيان، وكان النقاش يدور في هذه الاجتماعات حول مطالب المجاهدين دون أن يفصح الطرف الإيطالي عن نوايا إيطاليا أو مخططاتها بالنسبة لهذه المفاوضات، ولذلك لم يخرج منها الطرفان بشيء ملموس؛ غير أن "داود ياشى" في لقائه مع عمر المختار يوم 5/27 بالقرب من القيقب قدم الشروط التي تقبل إيطاليا على أساسها السلام وإيقاف القتال. وهذه الشروط هي:

1. عودة الزعماء السنوسيين وأعضاء الأسرة السنوسية للبلاد على أن يكونوا تحت إشراف الحكومة وأن تتم عودتهم بترخيص من الحكومة الإيطالية بصفتهم مهاجرين يرغبون العودة إلى الوطن.
2. يستمر الاعتراف بأوقاف الزوايا وممتلكاتها وتصرف رواتب لمشائخها.
3. استرجاع أملاك الأسرة السنوسية الخاصة بعد التحقق من صحة ملكيتهم.
4. إعفاء الزوايا وأملاك السنوسيين من الضرائب.

- تسليم المجاهدين نصف سلاحهم مقابل ألف ليرة عن كل بندقية، على أن ينضم النصف الآخر من المجاهدين الذين احتفظوا بسلاحهم إلى تنظيمات تنشئها الحكومة لفترة من الزمن يتفق عليها، إلى أن يتم إعداد المكان المناسب لإقامتهم وتموينهم ومراقبتهم.
- إبعاد الإخوان السنوسيين عن الأدوار، وتتعهد الحكومة الإيطالية بأن تصرف لهم المرتبات اللائقة بمراكزهم.

وهذه الشروط لا تتضمن أي حق مشروع للسكان يؤمن حياتهم ومستقبلهم، فهي عبارة عن منح مادية تقدمها إيطاليا لزعماء السنوسية وبعض المشائخ، وقد رفضها عمر المختار جملة وتفصيلاً.

وقد طلب داود ياشى اجتماعاً آخر مع عمر المختار، إلا أن الأخير رفض الاجتماع معه بعد أن عرف شروط إيطاليا التي قدمتها له في الاجتماع السابق؛ غير أن الوسطاء والمشائخ ضغطوا على عمر المختار كي يلتقي مرة أخرى بداود ياشى، وقد تم اللقاء في قندولة، وقد حضره الفضيل بو عمر، وعبد الحميد العبار، وآخرون، ورافق عمر المختار مئة وخمسون فارساً لحراسته، وقد حضر الاجتماع عدد من المشائخ والأعيان وتوصل الجانبان في هذا الاجتماع إلى اتفاق مبدئي لم تفصح عنه المصادر الإيطالية، غير أن عمر المختار الذي اعتاد على غدر الإيطاليين وتنكرهم لعهودهم طلب حضور ممثلين عن مصر وتونس ليشهدوا على ما تم الاتفاق عليه، فاعترض داود ياشى على ذلك، وأكد أن إيطاليا ستفي بالتزامتها ولا تتنكر لها، فثار في وجهه عمر المختار وسرد عليه قائمة طويلة من سوابق إيطاليا في الغدر والنكث بالعهود والتسلط والتقتيل، وانفض الاجتماع دون الوصول إلى نتيجة.

وأخيراً بعد هذه اللقاءات التمهيدية التي تبلورت فيها مطالب الطرفين، التقـــى عمر المختار بالجنرال سيشليانى نائب الوالي في برقة، في يوم 6/13 بقلعـــة الباكور، وقدم عمر المختار شروطه التي لم نعثر على نصها في أي مصدر إيطالي، وكانت تدور كما يؤكد أكثر من مصدر حول عودة البلاد إلى وضـــع شـــبيه بوضـــع عـــام 1919م، أي اقتسام البلاد بين الطرفين وعودة السنوسية؛ وتباحث عمر المختار وسيشليانى شروطهما لإيقاف القتال وإعادة الـــسلام إلى البلاد، وقد اقترح سيشليانى على عمر المختار أن يلتقي بالحاكم العـــام لليبـــيا المارشـــال بادوليو وحُدد لهذا اللقاء يوم 6/19 بسيدي أرحومة بالقرب من المرج.

ذكـــر الدكتور فؤاد شكري: " أن الشروط التي عرضها المختار أساساً للاتفـــاق النهائـــي مع الطليان متفقة في جوهرها مع ما كان الطليان أخذوا العهـــود والمواثيق على تنفيذه، عندما أصدروا القانون الأساسي لقطر برقة عام 1919م، وأبرموا اتفاقية الرجمة، وهي شروط تكفي للمحافظة على كيان العـــرب واحتـــرام عقائـــدهم الدينية ولغتهم العربية وتصون أوقاف الزوايا، وتخـــول المختار في أخذ الزكاة الشرعية من العرب القاطنين حول المراكز الإيطالية بالسواحل، وإرجاع الممتلكات التي اغتصبتها الحكومة من الأهالي، علاوة على ذلك طلب عمر المختار العفو الشامل عن جميع من عدتهم إيطاليا مجـــرمين سياسيين، سواء أكانوا في الداخل أم في الخارج، وإعطائهم مطلق الحـــرية فـــي حمل السلاح وجلبه من الخارج إذا امتنعت الحكومة عن بيع الـــسلاح لهـــم، وفضلاً عن ذلك فقد نصت هذه الشروط على أن يكون للأمة رئيس تختاره بنفسها، ويكون لهذا الرئيس مجلس من كبار الأمة له الحق في الإشـــراف على مصالحها، كما يكون للقاضي الإسلامي وحده القول الفصل بـــين الوطنيين، وسحب كل المراكز التي استحدثتها إيطاليا في أثناء الحرب، بما في ذلك مراكزهم في الجغبوب وجالو".

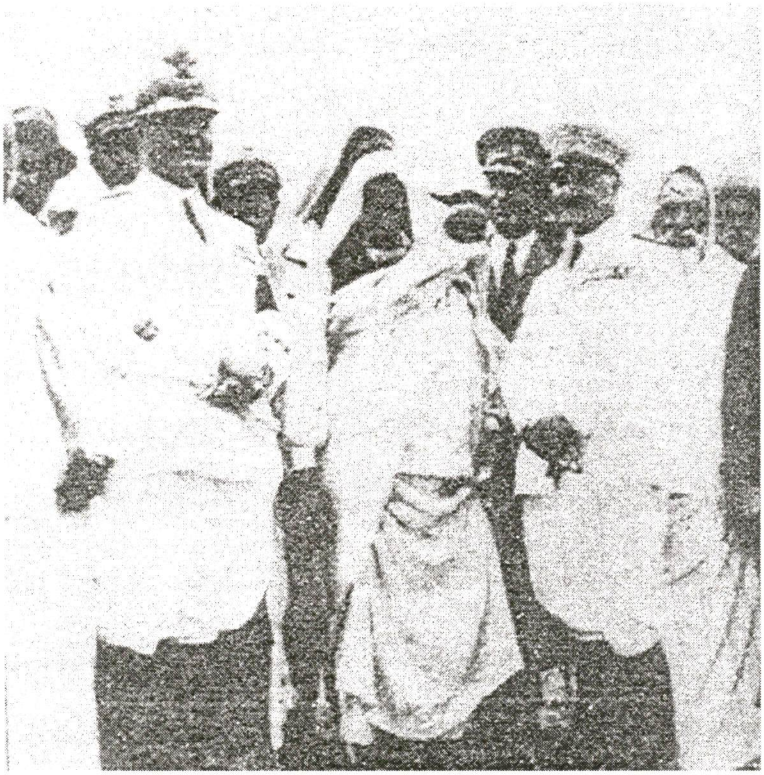
وقد أورد الدكتور شكري صيغة أخرى مقاربة لشروط عمر المختار تعكس تقريباً ما دار في المفاوضات، وما نشره الإيطاليون، وهذه الشروط حملها على العبيدي إلى داود ياشي بصفتها مطالب رؤساء المجاهدين، وكانت تتلخص في: "اعتراف الحكومة بزعامة السنوسية الدينية في البلاد وأوقافها وتدفع الرواتب لمقدمي الزوايا والمشائخ، على أن يقبل المجاهدون نظير ذلك تسليم نصف ما لديهم من أسلحة بالثمن الذي يحددونه لها، وهو ألف ليرة إيطالية للبندقية الواحدة، وإقامة أعضاء الأسرة السنوسية في المدن بعيدين عن الأدوار، وفضلاً عن ذلك فقد طالب المجاهدون بإعادة المهاجرين من برقة إلى أوطانهم، والواضح أن الغرض من هذه المطالب التمهيدية تنظيم شؤون البلاد على أساس الاتفاقيات المبرمة في عكرمة والرجمة وإعادة العمل بالقانون الأساسي الذي ألغاه الإيطاليون بعد الانقلاب الفاشستي"[1].

وفي يوم اللقاء في سيدي أرحومة بين الزعيمين وصل عمر المختار على رأس أربعمائة مقاتل الذين جاءوا لحراسته، وقد طوقوا المنطقة بالكامل واتخذوا احتياطات أمنية مشددة للمحافظة على رئيسهم، ووصل بادوليو وسيشلياني وحاشيتهما في أربع سيارات، وواجه عمر المختار المارشال بادوليو مواجهة الند للند، وكان يصحب عمر المختار الفضيل بو عمر وعبد الحميد العبار وبعض قادة المجاهدين؛ كما حضر الاجتماع عدد من المشائخ والأعيان الذين شاركوا في الوساطة، ودار النقاش حول السلام وشروطه وحول التنازلات التي قدمها الطرفان، وقرأ الفضيل بو عمر شروط المجاهدين، وتمسكهم بحضور مندوبين عن مصر وتونس كشهود على الاتفاق، ولم يتكلم بادوليو أو يذكر شروط إيطاليا أو يعلق على شروط المجاهدين أو يشارك في النقاش الجاري، وقد تسلم مطالب المجاهدين ووعد برفعها إلى رؤسائه للإطلاع عليها واتخاذ قرار بخصوصها، وأضاف بأن

(1) فؤاد شكرى ، السنوسية دين ودولة، المذكور، القاهرة ص 298.

المفاوضـــات قـــد تستغرق بعض الوقت وطلب بعقد هدنة لمدة شهرين قابلة للـــتجديد، تتوقف خلالها جميع العمليات العسكرية وتفتح الأبواب والأسواق للمجاهـــدين، وتـــبادل الطرفان الهدايا في نهاية الاجتماع، فقدم بادوليو لعمر المخـــتار ومساعديه ساعات ذهبية وأهدى عمر المختار بادوليو فرساً عربياً أصـــيلاً، وأخـــذت الصور التذكارية للمجتمعين، وقد نشرتها مجلة اللطائف المـــصورة المـــصرية فـــي وقته، وكانت جميع الدلائل تبشر بأن الطرفين صـــادقان في نواياهما، وأن البلاد تجاوزت محنة الحرب والمعاناة، ولم يأت المجاهـــدين لـــتقديم الطاعة والاستسلام - كما ادعى بادوليو - بل للتفاوض والمطالبة بحقوقهم.

وقـــد بدا من الاجتماع الكبير بين حاكم ليبيا العام وعمر المختار ومن المناقشات التي دارت وتحفظ الإيطاليين عن إبداء رأي صريح أن الإيطاليين كانـــوا غيـــر صـــادقين في مفاوضاتهم وأنهم قد بيتوا الخيانة لعمر المختار ورجالـــه وذلـــك بفـــتح الأسواق للمجاهدين، وإقامة هدنة بين الطرفين لمدة شهرين يستطيع الإيطاليون وأعوانهم التأثير على المجاهدين الذين يأتون إلى الأســـواق والتغلغل بين قوات عمر المختار لدفعهم إلى الاستسلام وإغرائهم بالأموال وقضاء حياة هادئة ميسورة.



عمر المختار وبادوليو بعد اجتماع سيدي أرحومة 1929م

عـــاد بادولـــيو بعـــد اجتماع سيدي أرحومة إلى بنغازي، وأبرق إلى رؤســـائه ليخبـــرهم أن عمـــر المختار ورجاله قد ألقوا أسلحتهم واستسلموا لإيطالـــيا، وســـافر إلـــى طرابلس وعقد فيها مؤتمراً صحفياً أعلن فيه الخبر نفـــسه، ودهش سكان روما للخبر، وعجب له سكان ليبيا وتألموا، وكان أكثر الجمـــيع تعجـــباً ودهـــشة أعضاء الوفدين العربي والإيطالي، الذين شهدوا الاجتماع ولم يسمعوا من عمر المختار تنازلاً أو استسلاماً بل كان متشدداً في طلـــباته، وكـــان يطالب بحضور مندوبين عن مصر وتونس، ليشهدوا على الاتفـــاق، وكان عمر المختار -عندما غادر الاجتماع- في انتظاره أربعمائة فـــارس مسلح لحراسته والمحافظة عليه. ولا ندرى لماذا بادوليو أرتكب هذه

الكذبــة الــشنيعة بإعلان استسلام عمر المختار، وهو يعلم والجميع يعلم بأن عمر المختار لم يستسلم وظل على رأس قواته المسلحة. ربما كان يتوقع كما أقــنعه مساعدوه أنه بعد فتح الأسواق ودخول المجاهدين إليها، وقيام العملاء بإغراء المجاهدين بالأموال والسلع كي يتخلوا عن الجهاد هي التي دفعته إلى إعلان استسلام عمر المختار للقوات الإيطالية.

وانتقل عمر المختار وقواته بعيداً عن المراكز الإيطالية، وظلت البلاد يخــيِّم الصمت على البلاد، وظلت الهدنة قائمة والقتال بين الطرفين متوقفاً. وقــد اســتطاع الإيطالــيون أن يــستدرجوا حــسن الرضا قائد إحدى فرق المجاهــدين، وكــان شاباً صغيراً في الثامنة عشرة من عمره فانصاع إليهم، وظلــت قواته بقرب المراكز الإيطالية وظل في حوار معهم ولم يقبل اللحاق بقوات عمر المختار.

وعــندما طال سكوت الإيطاليين وعدم تعليقهم على المفاوضات التي دارت ومطالب المجاهدين التي قُدمت، أرسل إليهم عمر المختار رسالة يطلب فــيها مواصلة المفاوضات، وتنفيذ ما تم الاتفاق عليه؛ فلم يجيبوه وظلوا في صــمتهم؛ وكــان الإيطالــيون بعد الهدنة وفتح الأسواق للمجاهدين، قد بثوا عملائهــم بــين المجاهدين لإغرائهم بالأموال والراحة والحياة الطيبة لترك القــتال مــع عمر المختار؛ وعلق الإيطاليون أهمية كبيرة على هذا الانقسام الــذي حــدث بين قوات عمر المختار وقوات حسن الرضا واعتقدوا أن بقية المجاهدين الذين بقوا مع عمر المختار سوف ينسحبون، ويأتون إلى المراكز الإيطالــية حــيث نعمــوا فــيها بالــراحة والطعام الجيد والقرب من الأهل والأصدقاء، وظن الإيطاليون أن تحقيقهم لهذه الانتصارات قرَّب حركة عمر المختار من نهايتها.

وبعــدما أدرك عمــر المختار تلاعب الإيطاليين، ومراوغتهم لكسب الــوقت، وتحقيق أهدافهم عن طريق الدس والفتنة، بعث رسالة إلى الجنرال

سيشلياني يوم 9/25 يشكو فيها من مماطلة إيطاليا في إتمام الاتفاق، وقيام رؤساء المفاوضات، والموظفين بتوزيع الأغذية، والأموال لشراء الضمائر، وحمّل الحكومة الإيطالية مسؤولية ما سيحدث وطلب اجتماعاً جديداً مع سيشلياني، فأجابه هذا الأخير بأنه إذا أراد أن يجتمع به عليه أن يتوقع شيئاً آخر غير ما جرى عليه الحديث يوم 6/13؛ وقد دل الموقف الإيطالي وعدم الاتصال بعمر المختار على سوء نية إيطاليا المبيتة وعدم جديتها في المفاوضات، التي كانت ترمى منها جر المجاهدين إلى الأسواق، والتغلغل في صفوفهم وإغرائهم بالتخلي عن القتال، وقد ظنوا أن انفصال حسن الرضا ورجاله عن عمر المختار بداية انهيار المقاومة وعدم تماسُكها؛ إلا أن عمر المختار قام بإرسال رسالتين إلى بادوليو وسيشلياني يوم 10/9 أنذراهما فيهما أن الهدنة لن تجدد بعد 10/24 وأن القتال سيستأنف بعد ذلك.

عندما تأكد عمر المختار من تلاعب إيطاليا وعدم جديتها ومحاولتها القضاء على المقاومة عن طريق الفتنة، والإغراءات المادية، والوعود المزيفة، وتجاهل مطالبه وعدم الرد على رسائله، قرر عدم تجديد الهدنة والعودة إلى السلاح، وقد أراد أن يطلع الليبيين، وأبناء الأمة العربية على ما حدث خلال المفاوضات، وتحميل الإيطاليين مسؤولية فشلها، ومسؤولية استئناف القتال، فأصدر بياناً مفصلاً يوم 1930/10/20م نشرته صحيفتا المقطم والأخبار القاهريتين، وضمّنه مجمل الحوار الذي دار بينه وبين بادوليو في سيدي أرحومة والذي صحح فيه الوقائع التي كان الإيطاليون يذيعونها على غير حقيقتها، وكشف مراوغاتهم وعدم جديتهم وخداعهم ومحاولتهم تدمير المقاومة عن طريق شراء الضمائر والدسيسة وشق الصفوف، وأشار البيان إلى أن لقاء سيدي أرحومة اقتصر على الاتفاق على عقد هدنة لمدة شهرين قابلة لتجديد، وعلى تقديم طلبات المجاهدين، بناء على طلب بادوليو، والتي تتلخص في الآتي:

1. عفو عام عن جميع من قاموا بأعمال سياسية في الداخل وفي الخارج، وإطلاق سراح المساجين لأسباب سياسية.
2. سحب جميع الحاميات الإيطالية التي أقيمت خلال حرب عامي 1922-1923 بما فيها حاميتي جالو والجغبوب.
3. الحق في تحصيل الزكاة من العرب القاطنين بقرب الحاميات الإيطالية وعلى الساحل.

ووجَّه عمر المختار من خلال بيانه نداء إلى المجاهدين والليبيين كافة جاء فيه:" فليعلم - إذن- كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما بث الفتن والدسائس بيننا لتمزيق شملنا وتفكيك أواصر وحدتنا ليتم الغلبة علينا واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة ولكن بحمد الله لم توفق إلى شيء من ذلك.

وليشهد العالم أجمع أن نوايانا نحو الحكومة الإيطالية شريفة، وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحرية، وأن مقاصد إيطاليا وأغراضها ترمى إلى القضاء على كل حركة قومية تدعو إلى نهوض الشعب وتقدمه، فهيهات أن يصل الطليان إلى غرضهم مادامت لنا قلوب تعرف أن في سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وغال".

وانزعجت روما لفشل المفاوضات التي كان يؤمل منها بادوليو استسلام المجاهدين، وأرسل وزير المستعمرات رسالة إلى بادوليو جاء فيها: " لقد تحقق مع الأسف كل ما كنت أتوقعه وذكرته في رسالات سابقة، أبعث إليكم بهذه المعلومات التي وافق عليها رئيس الحكومة:

1. قطع جميع المفاوضات مع الثوار والقيام بمهاجمتهم.
2. مراقبة العناصر السنوسية مراقبة شديدة دون أي اعتبار.

3. عدم الحديث عن الاستسلام دون أن يكون الأمر واقعياً.
4. شنق جميع المشائخ الذين يقعون بأيدينا.
5. ضـــرورة التكــتم علـــى هذه الهزيمة السياسة والعمل على عدم تسرب أخبارها.

سيـــشلياني قـــد فشل ويجب إقالته دون أن يشعر الناس أن إقالته كانت نتيجة لفشله"[1].

واشتعل القتال من جديد بين الطرفين بعد أن قام المجاهدون بقتل أفراد دوريـــة إيطالـــية بدون علم عمر المختار، فقد قامت إيطاليا وقعدت للحادث واتهمـــت المجاهدين بالخيانة والإخلال بتعهداتهم، وأرسل الجنرال سيشلياني أربـــع طائرات لمعاقبة عمر المختار ورفاقه، وقد استطاع المجاهدون إسقاط إحدى الطائرات وأسر طياريها الاثنين.

وقـــد جند الجنرال سيشلياني قواته الكبيرة وأرسلها للقضاء على قوات عمر المختار، ودارت معارك حامية بين الطرفين إلا أن عمر المختار وقواته اســـتطاعوا الإفـــلات من عملية التطويق وفشلت الحملة كما فشلت سابقاتها؛ وكانت هذه أول معركة يخوضها المارشال بادوليو ضد عمر المختار وكانت نتيجتها كنتائج معارك إيطاليا السابقة.

وبعد اشتعال القتال بين الطرفين قامت القوات الإيطالية بمهاجمة دور (حـــسن الرضـــا) الموالي لهم ودارت معركة حامية بين الطرفين استشهد خلالهـــا مـــا يُقارب الثمانين مجاهداً، واستطاع الباقون شق طريقهم من بين القـــوات الإيطالـــية واللحـــاق بقوات عمر المختار، ألقت السلطات الإيطالية القبض على (حسن الرضا) وأبعدتهُ إلى إيطاليا حيثُ توفاهُ الله.

---

(1) أ.ديلبوكا ـ ص 161.

وكـــان مجـــتمع بـــنغازي العربي يتتبع باهتمام سير المفاوضات منذ بدايتها، وكانت حديث الناس الشاغل في المرابيع والأسواق والمقاهي، وكانوا يرجون خيراً من نهايتها واتفاق بين الطرفين يغير أوضاعهم القائمة، غير أن فـــشل المفاوضات واستئناف الحرب قد خيب آمالهم وأصابهم بنكسة شديدة. فقـــد اســـتمعوا إلى خطاب المارشال بادوليو عند حلوله بالبلاد وأدركوا أن الرجل سيعامل العرب بشدة وقسوة بسبب استمرار القتال.

ودرس بادولـــيو المعلـــومات التي تحصل عليها من المجاهدين الذين انـــضموا إلى جانبهم وأدرك أن بقاء عمر المختار واستمرار الثورة مرهون بوجـــود السكان المدنيين على مقربة منه، فهم الذين يغذونه بالمؤن والرجال والـــسلاح والمعلـــومات، وأبـــرق بادوليو إلى وزارة المستعمرات ينبئها فيه بعزمه على نقل جميع السكان بالجبل الأخضر والبطنان إلى صحراء

سرت لقطع الإمدادات عن الثوار، ووافقته الوزارة على ذلك؛ وكان بادولـــيو قـــد استغنى عن الجنرال سيشليانى بناء على رغبة الوزارة التي حملـــته وزر الفشل الذي تحقق واختارت الجنرال غرازيانى لمنصب نائب الوالي ببرقة.

وعمل غرازيانى في طرابلس سنوات كثيرة وحارب مجاهديها واشتُهر بالقسوة والغدر وعدم الاحتفاظ بكلمته، وقد وصل غرازيانى بنغازي واستلم عملـــه وشـــارك بادولـــيو في الإجراءات التي ستتُبع لنقل السكان من الجبل الأخـــضر إلـــى صحراء سرت؛ وأنتهي العقد الثاني من الاستعمار الإيطالي والبلاد على أبواب مآسي وكوارث كثيرة لا حدود لها.

عاشت مدينة بنغازي الفترة الممتدة ما بين عامي 1923 و1929 مع المتغيـــرات والأحـــداث والتناقضات التي اتسمت بها تلك الفترة، وحافظت علـــى تقالـــيدها وعاداتها وأسلوب الحياة الذي تعودت عليه، وتمسك الناس

بملابسهم، ومأكلهم، وأعيادهم، ومواسمهم الدينية، وصلاتهم الاجتماعية، دون أن يؤثر فيها احتلال سبعة عشر سنة، ولا أساليب الحياة الإيطالية الجديدة، وقد ظل السوق الممتد من ميدان البلدية حتى مشارف الصابري شريان الحياة النابض في المدينة، ومركز ثقل الاقتصاد والمال في برقة كلها، وظل ميدان البلدية بجامعه العتيق ومقاهيه ومقر البلدية ومتاجره قلب المدينة التاريخي ورمز عروبتها.

وكانت الثقة قانون السوق النافذ الذي كان يلتزم به التجار العرب واليهود والأجانب، ولم تكن في البلاد مؤسسات اقتراض تجارية فقد قام أصحاب رؤوس الأموال، والتجار الكبار بتمويل النشاطات التجارية والزراعية وتربية الحيوانات، وكان يحكم عمليات التمويل هذه الاتفاق الشفوي بحضور شاهدين أحياناً، وكان الممول يعتبر نفسه شريكاً في العمليات التي يقوم بتمويلها وينال آخر العام نصيبه من الأرباح.

وترقب أهل بنغازي تطور الأحداث باهتمام وتخوف كبير، فالمجيء بالمارشال بادوليو وبالجنرال غرازياني لقيادة البلاد ومواجهة الثوار لدليلٌ على أن إيطاليا ستستعمل طرق جديدة وأساليب أشد من الأولى في مقاومتها للثوار، ومعاقبتها للشعب الذي يساند الثوار. فالجميع يعلم بأن الثورة قائمة بفضل المساندة التي تقدمها لها القبائل المحيطة بالجبل الأخضر، التي تتلخص في تقديم الرجال والأموال والمؤن والسلاح إذا وجد، وكان الثوار يتقاضون من السكان الزكاة في آخر العام وكان السكان يدفعون الزكاة عينية أي بعدد من الحيوانات تُترك في مكان متفق عليه ويأتي الثوار لأخذها والذهاب بها إلى مصر حيث يبيعونها ويشترون بثمنها المؤن، والسلاح، والذخيرة، والكساء، ولوازمهم الأخرى. ولم تستطع القوات الإيطالية منع دخول المجاهدين مصر أو المجيء منها محملين بكل ما كانوا يحتاجونه. وكان السكان يمدون الثوار بالمعلومات عن تحرك القوات الإيطالية وأعدادها

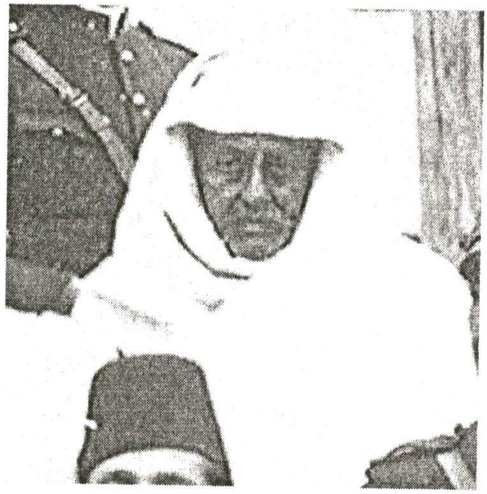
وتسليحها؛ وكان السكان يخفون المجاهدين عندما يتخلون عن مواقعهم ويتعرضون للانتقام الإيطالي. وكانت كل قبيلة تعرف عدد رجالها المتطوعين مع المجاهدين وعندما يستشهد أحدهم تطالب بإحلال آخر مكانه بحيث تظل قوات الجهاد دائماً محتفظة بعددها كاملاً؛ وهذه المعلومات لم تَخْفَ على الإيطاليين وحاول الولاة السابقون معالجتها بشتى الوسائل، وبتشديد العقوبات، إلا أنهم لم يفلحوا في تغيير الوضع القائم، ولذلك قرر بادوليو إبعاد سُكان الجبل الأخضر، والبطنان عن مواقع الثوار، بحيث يضع حداً لهذه المساعدات التي تغذى الثورة وتواصل اشتعالها؛ إلا أن الحيلولة دون وصول مساعدات السكان للثوار لا تتحقق إلا بإبعاد السكان أي بنقل جميع سُكان الجبل الأخضر والبطنان وجنوب بنغازي إلى مكانٍ آخر بعيد بحيث لا تصل مساعداتهم إلى الثوار، ومن ثم ينعزلون، ويفقدون المصدر الذي كان يمدهم بالحياة، وسيُقضى على الثورة بعد ذلك. غير أن الأمر كان يتعلق بالموقع الذي يُنقل إليه السكان، وكيف سيستأنفون حياتهم بعيداً عن أراضيهم ومزارعهم ومساكنهم وحيواناتهم، غير أن بادوليو كان مصمماً على تنفيذ قراره حتى ولو مات جميع سُكان برقة لأنه يعلم أنه ليس هناك من يحاسبه على جرائمه وأعماله وأخطائه، فقد كان عازماً على نقل السكان مهما كانت الأضرار التي ستلحق بهم، وقُدر عدد السكان الذين يجب ترحيلهم بأكثر من ثمانين ألف نسمة، أي ما يوازى نصف سكان برقة. وهم معرضون بعد الانتقال إلى الموت والهلاك، والغريب أن الحكومة الإيطالية من رئيسها موسولينى إلى وزير المستعمرات وافقوا على طلب بادوليو بنقل السكان دون تروٍّ أو دراسة، أو معرفة أوضاع هؤلاء السكان، وما سوف يُلاقونه من موت ودمار في منفاهم الجديد. فالكل كانوا غير مهتمين بحياة الليبيين ووجودهم، بل كان اهتمامهم بسط سيادتهم على الأراضي الليبية، وتحقيق خططهم في تحويلها إلى أرضٍ إيطالية، أما الأصوات التي ارتفعت

فـــي الحكومة الإيطالية كصوت وكيل وزارة الخارجية (دى صكاليا)، فقد أُخمـــدت فــــي مهدها ولم يكن لها أي تأثير، فالكل كان مشاركاً في الجريمة، وهم واثقون من عدم تدخل أية جهة دولية لتحاسبهم على ما يفعلون.

لـــم يـــستح مارشال إيطاليا الكبير أن يكذب علناً بأن عمر المختار قد استسلم له هو وجميع رجاله، في حين يعلم الجميع أن عمر المختار كان على رأس قـــواته بعـــيداً عن الخطوط الإيطالية؛ ولا ندرى ماذا استفاد المارشال بادوليو من كذبته هذه التي لم تغير شيئاً في الوضع القائم، ولم يُصدقها أحدٌ. هذه هي نوعية القادة الإيطاليين الذين حاربوا الليبيين وهذا طرازهم، وكانوا مجردين من الضمائر والإنسانية والمشاعر البشرية.

وقـــد ظلت إيطاليا عشرين عاماً تحارب المقاومين الليبيين الذين كانوا يـــسيطرون على مناطق كبيرة تحت سيادتهم، والذين أذاقوا القوات الإيطالية الهزائم الواحدة بعد الأخرى والفشل المتتالي، وكان المجاهدون معتمدين على أنفـــسهم وعلـــى أبـــناء شعبهم، دون أن يتلقوا أية مساعدة أجنبية كما يحدث لأغلـــب ثورات العالم، فمعظم الثورات التي قامت في العصر الحديث كانت وراءها دولة أو أكثر، تمدها بالسلاح والرجال والأموال وتساندها في المحافل الدولية، أما الثورة الليبية فقد اعتمدت على نفسها مُنذ البداية وواصلت القتال بطرقها وأساليبها الخاصة، وكان الشعب من ورائها يساعدها ويساندها ويشد مـــن أزرها، فقد قال الجنرال غرازياني: "إن الثوار هم الرمز المسلح للثورة التي تعم كل البلاد".

الأعيــان

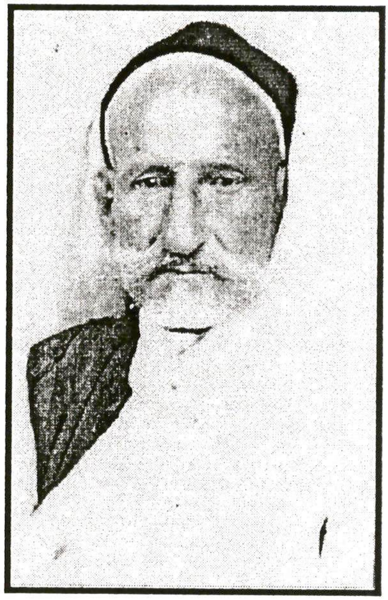


صالح جعودة

من أعيان بنغازي المعروفين، وعميد أسرة جعودة، وقد كان يعمل في التجارة، وكان متعاطفاً مع المجاهدين، وقد شارك ابنه على في الجهاد مُنذ أن وطأ الإيطاليون شواطئ بنغازي، إلى نهاية المقاومة في مصراته، ثم عاد إلى مصر ليشارك في الجيش الوطني الذي تأسس بعد إعلان الحرب العالمية الثانية، وكان من أبرز رجاله العاملين، وبعد احتلال بريطانيا الأول لبنغازي جاء على جعودة إلى بنغازي ضابطاً كبيراً في الجيش الوطني، وكان يتردد على دار أهله في البركة وكان الإيطاليون المجاورون لأهله يُراقبون تحركاته، ومجيئه، وذهابه من دار جعودة، وبعد انسحاب القوات البريطانية، وانسحابه معهم أراد المدنيون الإيطاليون الانتقام من آل جعودة بسبب تعاون ابنهم مع القوات البريطانية. فهجموا على دار جعودة وقتلوا الحاج صالح وولديه عثمان وإبراهيم وأخيه موسى، وكانت جريمة نكراء سيذكرها التاريخ دائماً ضمن جرائم إيطاليا في ليبيا.

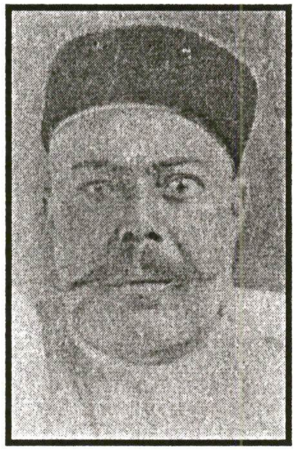
الحاج محمد الحداد

من أعيان بنغازي وتجارها والمتعاونين مع المجاهدين، فقد كان يجمع الـــزكاة مـــن الناس، والمساعدات، ويأتيه المجاهدون في داره سراً، ليسلمهم الأمـــوال التـــي جمعهـــا والأســـلحة التي استطاع أن يحصل عليها، إلا أن الإيطاليين حصلوا على معلومات عن تعامل الحاج محمد مع المجاهدين عن طريق ابنه فقبضوا عليه، وحققوا معه وحكموا عليه بالإعدام شنقاً في أرضه المعروفة بمقطع الحداد. وعندما جاءوا إلى غرازياني بملف الحكم للتصديق عليه قرأ بأن ابن الحداد هو الذي أخبر عن أبيه، فأمر غرازياني بشنق الابن أيضاً. وشُنق الاثنان ضحية للوطن وانضموا إلى قافلة الشهداء الطويلة؛ وإن عمل غرازياني هذا كان عملاً إرهابياً للتأثير على سُكان بنغازي ومنعهم من مساعدة المجاهدين.



محمد إبراهيم أمنينه

من أعيان بنغازي المعروفين ومن عائلاتها الكبيرة، وقد استقبلت دار أمنينه السيد الرضا السنوسي عندما استسلم للإيطاليين عام 1928م، وظل ضيفاً عليها إلى أن قررت إيطاليا إبعاده إلى أراضيها، وقد اتهمت الحكومة الإيطالية السيد محمد إبراهيم أمنينه بالتعاطف مع المجاهدين ومساعدتهم، وقبضت عليه عام 1914م، وأبعدته إلى إيطاليا ليظل سجيناً فيها لمدة ثلاث سنوات، عاد بعدها إلى بنغازي، واستأنف فيها نشاطه الاجتماعي والسياسي كشخصية بارزة في مجتمع بنغازي' ثم لاحقتهُ السلطات الإيطالية من جديد، وقبضت عليه في عام 1924 وأبعدتهُ مع غيره من الأعيان إلى إيطاليا، حيث ظل فيها ثلاث سنوات سجيناً حتى أُفرج عن جميع المبعدين وعادوا إلى الوطن، وقد عاد محمد إبراهيم أمنينه إلى نشاطه الاجتماعي والسياسي إلى أن توفاه الله ببنغازي ودفن فيها.



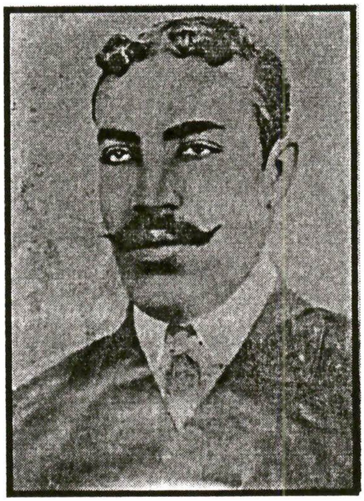
الحاج منصور البابور

الحاج منصور البابور من أعيان بنغازي وتُجارها الكبار، وقد ولد وعاش وتوفي ببنغازي، وكان يُمارس التجارة وتربية الحيوانات والفلاحة كغيره من أعيان بنغازي، واتهمته السلطات الإيطالية بالتعاون والتعاطف مع الثوار، فألقت القبض عليه في عام 1924م، وأبعدته مع غيره من أعيان بنغازي إلى إيطاليا، حيث ظل في سجونها حتى عام 1927م، فأُطْلق سراحه وعاد إلى بنغازي ليواصل حياته المعتادة، وقد عمل في تجارة السودان وكانت له قافلة تُشارك فيها.



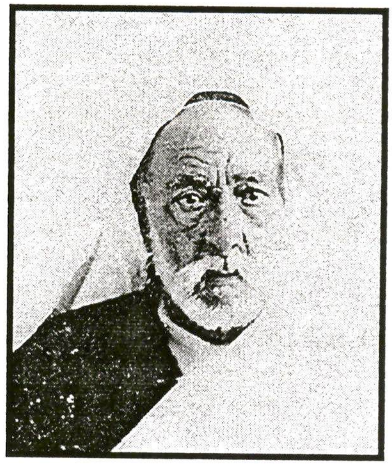
السيد رجب على يوسف

السيد رجب على يوسف من أعيان بنغازي ومن كبار تُجارها؛ وقد مارس التجارة وتربية المواشي والفلاحة كغيره من سُكان بنغازي، وكان وطنياً غيوراً يحب الخير لوطنه وكان مؤيداً للمقاومة الليبية ضد الإيطاليين ومسانداً لها، وقد قبضت عليه السلطة الإيطالية في عام 1914م، وأبعدته إلى إيطاليا مع غيره من الأعيان، حيث ظل في السجن قُرابة ثلاث سنوات ثم أفرجت عنه السلطات الإيطالية مع غيره من الأعيان فعاد إلى بنغازي واستعاد نشاطه السياسي، والاجتماعي، والتجاري، إلى أن توفاه الله في بنغازي ودُفن فيها.



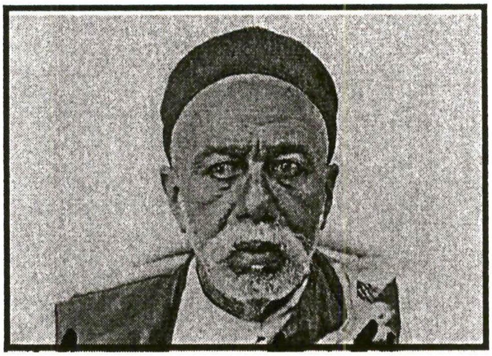
عبد الهادي مختار السوادي

مـــن أعيان بنغازي وتجارها، وهو شيخ قبيلة الكوافي، وكان يُمارس الـــتجارة وتـــربية الحيوانات والفلاحة كغيره من أعيان المدينة، وقد اتهمته الـــسلطات الإيطالية بالتعاطف مع الثوار، ومساعدتهم فألقت القبض عليه في عام 1924م، وأبعدته إلى السجون الإيطالية مع غيره من الأعيان، حيث ظل فـــي ســـجنه حتى عام 1927م عندما أُطلق سراح جميع المعتقلين، وعاد إلى بـــنغازي واســـتأنف حياته الاجتماعية والسياسية بوصفه شخصية بارزة من أعيان بنغازي إلى أن توفاه الله في بنغازي ودفن فيها.



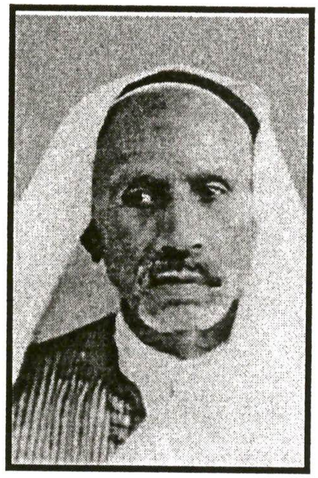
الحاج السنوسي جبر

الحـــاج الـــسنوسي جبـــر من أعيان بنغازي المعروفين، وشيخ قبيلة زمورة، وقد تلقى تعليمه في بنغازي وتركيا، وقد أُسندت إليه قائمقامية المرج فعمـــل بهـــا بجـــد وإخلاص حتى وقت الاحتلال الإيطالي فغادرها، والتحق بالمجاهـــدين، وأدى واجـــبه الجهـــادي إلى أن حُل معسكر أمساعد فعاد إلى بـــنغازي وانزوى في داره إلا أن السلطات الإيطالية لم تدعه يهنأ بإقامته فقد ألقـــت عليه القبض مع غيره من أعيان المدينة في عام 1924م، وأُرسل إلى ســـجن إيطاليا حيث ظل حتى عام 1927م، عندما أُفرج عن المبعدين وعادوا جمـــيعاً إلـــى بنغازي. وهو من شخصيات بنغازي المحبوبة والبارزة، وله مواقف وطنية معروفة، وقد توفي في بنغازي ودفن فيها.



فريج البسيوني

أحــد أعــيان بنغازي المعروفين، وقد تولى التجارة والفلاحة وتربية المواشـــي أسوة ببقية أعيان بنغازي، وكان من المؤيدين للثورة ضد إيطاليا، والمــساندين لها، وفي عام 1930م قبضت عليه السلطات الإيطالية، وسجنتهُ فـــي معــتقل بنينا حتى عام 1933م فأطلقت سراحهُ مع غيره من المساجين، وعــاد إلـــى بنغازي، واستأنف نشاطهُ العادي حتى وافتهُ المنية في بنغازي ودفن فيها.



الحاج عبد الله مخلوف

من أعيان بنغازي ومن كبار تجارها، وقد عُين أميناً لسوق الظلام في بـنغازي، وكان مُهتماً بالأوضاع السياسية في البلاد، وقد ألقت عليه السلطة الإيطالـية القبض في عام 1914م، وأُرسل إلى إيطاليا مع غيره من الأعيان المبعدين وقد ظل بالسجون الإيطالية مدة ثلاث سنوات، إلى أن أُطلق سراحهُ عـام 1917م، وعـاد إلى الوطن مع غيره من الأعيان، وواصل في بنغازي نـشاطهُ وعملـهُ التجاري وأميناً للسوق حتى عام 1924م عندما امتدت إليه أيـادي الإيطاليين ثانية، وقبضت عليه في عام 1924 وأبعدتهُ مرة أخرى مع غيره من الأعيان إلى السجون الإيطالية حيث ظل بها ثلاث سنوات ثم أُطلق سـراحهُ مـع غيره من الأعيان، وعاد إلى بنغازي ليستأنف حياتهُ، ونشاطهُ الـتجاري، وفـي عـام 1930م قبضت عليه السلطة الإيطالية للمرة الثالثة، واعتقلتهُ في بنينا مع غيره من أعيان البلاد وظل بالمعتقل حتى أُطلق سراحهُ فـي عـام 1933م مع غيرهِ من المعتقلين، وقد واصل حياتهُ العادية ونشاطهُ التجاري إلا أن توفاهُ الله في بنغازي ودفن فيها.



الحاج على بوقرين تفاحة

مــن أعــيان بنغازي ورجالها المعروفين، وقد مارس الفلاحة وتربية المواشي والتجارة أسوة ببقية أعيان مدينة بنغازي، وكان وطنياً غيوراً يكره العــدو الغاصب، ويعمل على مقاومتهِ بشتى الطرق، وفي عام 1914م، ألقت السلطات الإيطالية القبض عليه، وأبعدتهُ إلى إيطاليا مع أول دفعة من الأعيان تقــوم بإبعادها إلى إيطاليا، وقد ظل أسيراً بالسجون الإيطالية لفترة طويلة ثم أُصيب بمرضٍ بسببِ سوء الحالة التي كان يُعانيها المبعدون، وتوفاهُ الله في سجنهِ، ودفن هناك.

الحاج منصور اطلوبة

مـــن أعـــيان بنغازي ووجهائها المعروفين، امتهن كغيره من الأعيان مهـــنة الزراعة ورعي المواشي، وقد قبض عليه الإيطاليون في سنة 192م وأبعدوه إلى إيطاليا حيث قضي ثلاث سنوات في المنفى ثم أطلق سراحهُ، ثم عاد إلى بنغازي ليواصل حياتهُ ونشاطهُ الطبيعي إلى أن توفاه الله بها.

الفصل الرابع

العقد الثالث (الأخير) من الاستعمار الإيطالي

المعتقلات وحرب الإبادة:

كانت السنوات الخمس الأولى من عقد الثلاثينات من أسوء سنوات الاستعمار الإيطالي وأشدها، فقد جندت إيطاليا كل قواها وأساليبها الجديدة للقضاء على الثورة بأية وسيلة مهما كان الثمن مرتفعاً، وارتكبت في هذه السنوات جرائم لم يعرفها العالم من قبل، فقد تقرر تكوين فراغ حول الثوار، وذلك بنقل السكان المدنيين من البطنان والجبل الأخضر وجنوب بنغازي إلى سلوق والبريقة والمقرون والعقيلة، وإلقائهم في صحراء سرت في معتقلات تحيط بها الأسلاك الشائكة وجنود الأحباش، وقد أجبر السكان المذكورون على السير على أقدامهم همن، وأولادهم، وحاجياتهم، والقليل من الحيوان المتبقي من مواطنهم الأصلية إلى معتقلات سرت تحت المطر والشمس والرياح، فقطع بعضهم -مثل سكان البطنان- أكثر من ألف كيلومتر سيراً على الأقدام، وقطع آخرون مسافات تتراوح ما بين 600 و800 كيلومتر، وكانوا وهم في طريقهم إلى المعتقلات تحرسهم قوات إرترية صدرت إليهم التعليمات بقتل كل من يتأخر عن السير من البشر والحيوان. وقد مات الكثير من الأطفال والشيوخ من التعب والإرهاق.

و حُشر السكان المدنيون في معتقلات سلوق وأحمد المقرون والبريقة والعقيلة، وسكنوا في خيام خُصصت لهم وعُين على كل صف من الخيام رئيس يراقبهم، ويشرف على أمورهم ويتجسس عليهم، وكان هؤلاء الرؤساء في بعض الأحيان أقسى وأعنف من الإيطاليين، وكان طعامهم قليلاً ورديئاً ومعاملتهم سيئة، وتفشت بينهم الأمراض، وكانت عربة الموتى تمر كل يوم أمام الخيام لتحمل الموتى إلى مثواهم الأخير، وكان معتقل العقيلة، ويطلق عليه اسم (معتقل العذاب)، قد خُصص لأقارب المجاهدين، والمقيمين في

مـــصر، والذين اقترفوا جرائم في حق إيطاليا - كما تزعم - وطالت موجة الحقـــد والانـــتقام سكان مدينة بنغازي بصورة خاصة، بصفتها بؤرة للتآمر والعـــداء ضـــد إيطاليا، وقد ألقى القبض على عدد من أسر بنغازي الكريمة وأرســـلوا إلـــى العقـــيلة بنـــسائهم وأطفـــالهم كعقاب لهم لأن لهم قريبًا بين المجاهدين أو في مصر. وساد الرعب مدينة بنغازي واستعد كل من له قريب بـــين المجاهدين أو في مصر لإلقاء القبض عليه وإرساله إلى العقيلة، وكان عمـــلاء إيطاليا يتجولون في الأسواق، ويتوعدون الناس بإرسالهم إلى العقيلة إذا لم يحققوا لهم ما يطلبون، وكان ابتزازاً شنيعاً خضع له الكثيرون للتخلص مـــن الـــتهديد، وقد علمت الحكومة بذلك فقبضت على بعضهم وأرسلتهم إلى العقيلة عقاباً لهم.

و لـــم نعثر - على الرغم مما بذلناه من جهد - على أسماء المبعدين جميعها إلى العقيلة من أهل بنغازي، ونكتفي بذكر الأسر التالية المعروفة:

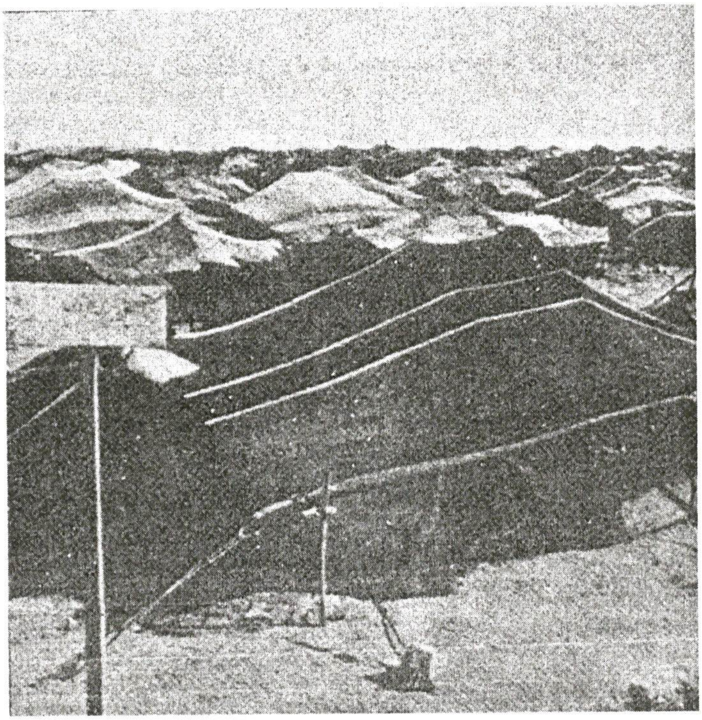
1. أسرة الحاج أحمد جربوع.
2. أسرة طلوبة.
3. أسرة زيو.
4. أسرة السنوسى البنانى.
5. أسرة الحاج محمود شتوان.
6. أسرة عبد اللطيف العبار.
7. أسرة زغبية.
8. أسرة الغمارى.
9. أسرة حباق.
10. حسين رجب البيجو وأسرتهُ.

وقـــد فقد الحاج أحمد جربوع زوجته واثنين من أولاده، ودخلت أسرة الغمـــاري المعتقل وعددها ثلاثة وعشرين شخصاً خرج منهم ثلاثة على قيد

الحياة، ونُكبت جميع الأسر الأخرى بفقد واحد أو أكثر من أعضائها تركتهم تحـت رمـال العقيلة. ولم يكن حظ الأسر البنغازية بأسوأ من آلاف الأسر الـبدوية المعتقلة معهم والتي دفعت الثمن باهظاً، وقد فقدت في العقيلة أكثر من نصف عددها.

وقد ضمت هذه المعتقلات أكثر من نصف سكان برقة الذين انتزعوا من مواطـنهم الأصـلية، وفرض عليهم العيش في هذه المعتقلات ليعانوا الجوع والمـرض وسـوء المعاملـة، وقـد فقدوا في هذه المعتقلات أكثر من نصف عـددهم، وقـام أثرياء بنغازي المعتقلون بالعقيلة بتقديم المساعدات إلى فقراء المعتقلـين، وقد باع بعضهم أملاكه في بنغازي ليصرف ثمنها في هذه الغاية، وقـد أطلـق سراح أحمد جربوع بعد ثبوت براءته وبعد أن ترك تحت رمال العقيلة زوجته وولديه، أما الأسر الأخرى فقد ظلت في المعتقل حتى وقت حله.

و ظلـت هـذه المعتقلات قائمة حتى بعد انتهاء الثورة، وكان بادوليو يدعـو إلـى بقـاء المعتقلـين في أماكنهم، وأن يتوطنوا في تلك الأراضي الـصحراوية القاحلـة وألاّ يعـودوا إلى مواطنهم الأصلية التي ستخصص للمـستعمرين. ولـم تتمكن إيطاليا من إحلال الفراغ الكامل حول المجاهدين الذين تواصلت حربهم ضد القوات الإيطالية ثمانية عشر شهراً أخرى، كبدوا فيها هذه القوات خسائر باهظة، وهزائم كثيرة.



معتقل سلوق

احتلال الكفرة:

خـــشي الإيطاليون أن تصل المساعدات إلى عمر المختار عن طريق الكفرة واتفق بادوليو وغرازياني على إعداد حملة لاحتلالها. وأرسل بادوليو رســـالة إلى وزير المستعمرات بتاريخ 16-3-1930م يعلمه فيها أن واحة الكفرة أصبحت قاعدة يتجمع فيها المجاهدون من جميع أنحاء ليبيا بصفتها المكـــان الـــذي يمـــثل سلطان السنوسية في دارنا، وطالب بتخصيص ستة ملايـــين ليـــرة لإعداد حملة لاحتلالها، وحذر من أنه تأخر الوقت كلما زاد الموقف خطورة.

وقد تجمع بالفعل في واحة تازربو العديد من قادة المجاهدين بعد احتلال القوات الإيطالية لفزان وللواحات الواقعة على خط العرض 29، وجميعهم من بين الذين واجهوا الغزو منذ بدايته، ودافعوا عن أرضهم شبراً شبراً ورووها بدمائهم، وغطوها بأشلائهم وقبور الشهداء، وكان من بين هؤلاء القادة عبد الجليل سيف النصر، وصالح لطيوش، وأحمد بوشعيب، وعبد الحميد بومطاري، وغيرهم. وكان المجاهدون من تازربو يهاجمون المراكز الإيطالية في جالو واجدابيا والعقيلة والمناطق المحيطة بها، وقد وقعت معارك حامية بينهم وبين القوات الإيطالية، وخشي الإيطاليون أن تصبح الكفرة قاعدة لمساعدة المجاهدين في الجبل الأخضر بعد أن حصارهم وقطع جميع الإمدادات عنهم، ووافقت الحكومة الإيطالية على القيام بالحملة، وشرع بادوليو وغرازياني بالإعداد لها.

وشعرت القيادة الإيطالية بخطورة الموقف وبإمكانية تحويل الفكرة إلى قاعدة لتزويد عمر المختار، ورجاله بالمؤن والرجال والسلاح، فقررت غزوها، وتمهيداً لهذا الغزو قامت الطائرات الإيطالية بمهاجمة واحة تازربو يوم 31-7-1930م، وألقت عليها (21) قنبلة معبأة بالغازات السامة زنة الواحدة منها (21) كيلوغرام بالإضافة إلى (784) كيلوغرام من المتفجرات الأخرى، وأحدثت الغازات والقنابل خسائر في الأرواح وتشويهاً في الأجسام ودفعت بالمجاهدين وعائلاتهم إلى الانتقال إلى الكفرة، التي لم تسلم من جرائم الإيطاليين، فقد هاجمت الطائرات في شهر أغسطس واحة التاج والجوف وألحقت بدورها الهشة الدمار وبسكانها الخسائر في الأرواح.

واشتركت القيادة العسكرية في برقة وطرابلس في إعداد الحملة التي تكونت من 654 ضابطاً وجندياً إيطالياً، و3321 من الجنود المرتزقة و378 سيارة، ومجموعة من السيارات المصفحة، و7000 بعير وثلاثة مدافع، و70 رشاشاً، و25 طائرة، وذلك لمواجهة ما يقارب الأربعمائة مقاتل المسلحين

بالبنادق، وكان الإيطاليون يعرفون نوعية الرجال الموجودين في الكفرة، وتأكدهم أنهم لن يتخلوا عن آخر جزء من وطنهم دون قتال ودماء، وكانوا يعلموا أن العدو يتفوق عليهم تفوقاً ساحقاً في الرجال والأسلحة والطائرات والمدافع، وقد كان في إمكانهم السفر إلى ما وراء الحدود قبل وصول القوات الإيطالية، إلا أنهم أرادوا القتال والدفاع عن آخر قطعة من وطنهم كانت لا تزال حُرة، وكانوا يعرفون النتيجة سلفاً، وقامت هذه الحملة الكبيرة بالاتجاه إلى الكفرة بعد أن توقفت بضعة أيام في تازربو، ووصلت القوات الإيطالية إلى مشارف الكفرة، وواجه المجاهدون عدوهم ببسالة وعنف وتصدوا لقنابل الطائرات ورشاشاتها ولقذائف المدفعية ورصاص الجنود طيلة النهار ولم ينسحبوا إلا بعد أن خشوا التطويق والإبادة.

واعترف الأعداء بشدة المقاومة الليبية وكتب غرازياني يقول: " بالرغم من أن الثوار واجهوا قوات أكثر بكثير مما كانوا يتوقعون، فقد قاتلوا بشجاعة واستماتة مثيرين للعجب، ولم يتخلوا عن القتال إلا بعد أن شعروا أنهم مهددون بالتطويق والإبادة "[1].

ووصل الغزاة إلى واحة التاج على جثث قرابة المائتي شهيد، وكان الكثير منهم قد عقل رجليه كي يموت في مكانه، وقد وهبوا أرواحهم الطاهرة دفاعاً عن آخر قطعة حرة من وطنهم المسلوب، وجاء المارشال بادوليو مسرعاً من طرابلس ليرفع العلم الإيطالي، وبوسطه الصليب فوق مأذنة الزاوية السنوسية، وانتشر الجنود في الواحة فعاثوا فيها فساداً فقتلوا ونهبوا، واعتدوا على الحرمات وعلى البيوت، ولم يكتفِ الإيطاليون بما اقترفوه من عمليات قتل في الواحة الصغيرة بل لاحقوا القوافل التي خرجت من الكفرة، تريد الوصول إلى تشاد والسودان ومصر، وقد ظلت الطائرات ثلاثة أيام تبحث في الصحراء عن الفارين، وكلما عثرت على قافلة أمطرتها بالقنابل

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، السابق الذكر.

والرشاشـــات فتقضي على البشر والحيوان، ومن أفلت من عدوان الإيطاليين فقد افترسه العطش، ولم ينجح من الأعداد الكبيرة التي غادرت الكفرة سوى قلـــة مـــن الناس أنقذتهم قوات الحدود المصرية ونقلتهم إلى مصر وهم في الرمق الأخير، وقد أحدث احتلال الكفرة وما ارتكب فيها من مذابح موجة ألم واســتنكار في جميع أنحاء ليبيا والبلاد العربية والإسلامية بالنظر لما كانت تتمتع به الكفرة من طابع روحي.

وقـــد عـــبث الجـــنود الإيطاليون بمكتبة الكفرة التي كانت منارة علم ومعـــرفة فـــي قلـــب الصحراء، واستعملوا مخطوطاتها القيمة وقوداً لطهو طعامهم، وكانت هذه المكتبة العظيمة تضم عشرات الآلاف من المخطوطات وألقوا بالكتب على الأرض وداسوها بأقدامهم وتركوا الرياح تنتزع صفحاتها وتوزعها على الأشجار والمباني والأرض، وأخذ الجنود والضباط ما شاءوا مـــنها وعادوا إلى بنغازي لعرضها للبيع، وقد هب المقتدرون من الناس إلى شـــراء الكـــتب المعروضة لإنقاذها من أيدي الجنود والاحتفاظ بها، وتدخل بعض المقربين من الحكومة وطلبوا صون هذه الكتب القيمة، فتحركت أخيراً الحكـــومة وأمرت بجمع ما تبقى منها في الكفرة، وقدرت بخمسة آلاف مجلد أحـــضرت إلـــى بنغازي وأودعت في أحد المخازن. وقد تقدم بعض الأعيان بطلـــب إعطـــاء هـــذه الكتب إلى إدارة الأوقاف لتعتني بها وتحفظها، إلا أن الطلب قد رفض لأن الحكومة كانت عازمة على إرسالها إلى إيطاليا، وظلت الكـــتب فـــي مخازنهـــا وامتدت إليها الأيدي ثم حالت الحرب بعد ذلك دون إرسالها إلى إيطاليا، فقررت الحكومة تسليمها إلى إدارة أوقاف بنغازي، ولم يتبق منها أكثر من ألفي مجلد.

وشـــعر غرازيانـــي بالتأثيـــر السيئ الكبير الذي أحدثه احتلال الكفرة ومـــا صحبه من مذابح وجرائم، فأرسل ببرقية إلى المارشال بادوليو بتاريخ 30–1–1930م، يعلمـــه أن المواطنين العرب قابلوا احتلال الكفرة بحزن وألم

بسبب الطابع الروحي الذي ظلت تحتفظ به هذه الواحة، وعبر عن مخاوفه من أن هذا الاحتلال سيزيد من اشتعال الروح الدينية بدلاً من إخمادها، ويقوى من إرادة المقاتلين في الجبل على مواصلة المقاومة والقتال للاحتفاظ برمز حريتهم عالياً.

وقد مثل احتلال الكفرة جريمة كُبرى أخرى من جرائم الاستعمار الإيطالي في ليبيا، فإن عمليات قتل الشيوخ والرجال وملاحقة الفارين وتدميرهم لم يكن لها أي داعٍ بعدما احتلت القوات الإيطالية الكفرة، وشاهدت المائتي شهيد الذين كانوا يدافعون عنها، إلا أن روح الشر والانتقام والتعطش إلى إراقة الدماء -التي كانت تقود بادوليو وغرازياني- تغلبت على كل ما عداها من روح الخير والعفو عن السكان المسالمين.

وقد كان وقع احتلال الكفرة في كل ليبيا مؤلماً، ورددت صداه البلاد العربية بحزن شديد، ولكن الجميع لم يستطيعوا فعل شيء لإيقاف إيطاليا عن التمادي في جرائمها وقتل أبناء الشعب الليبي بدون ذنب أو سبب. فالدول الأوروبية تشاهد حدوث هذه الجرائم ولا تعمل على إيقاف إيطاليا عند حدها لأن مصلحتها تتفق مع ما تفعله إيطاليا بليبيا، لم تتوقع إيطاليا ردود الفعل التي وقعت في العالم الإسلامي وتسببت في قيام حملة عارمة وشديدة ضد إيطاليا وهزت حاكم ليبيا العام، وأعوانه، وعرت إيطاليا وكشفت عن نواياها الحقيقية.

وقد ساهم الأمير شكيب أرسلان في اتهام إيطاليا ومهاجمتها وإطلاع الرأي العام على الأعمال الإجرامية في ليبيا، وقد نشر بياناً يوم 7 أبريل 1931 استهله بقوله: "كانت الحركة الإسلامية غافلة عن كل ما يحدث في طرابلس من تعذيب، وهمجية، يقوم بها البرابرة الإيطاليون الذين أتوا إلى هذه الأرض ليؤخروا تقدمها وتمدنها بعكس ما كانوا يقولون ويكتبون، لقد علم الناس أن حكومة إيطاليا الفاشستية قد نقلت ما يزيد عن ثمانين ألف

عربـــي من الجبل الأخضر، وألقتهم في صحراء سرت، بعد أن سلبت منهم أراضـــيهم بحجة تعمير البلاد، وأن المعمرين الإيطاليين أحق من غيرهم في الاســـتيلاء علـــى هـــذه الأرض، لأنهم يتقنون هذا العمل أحسن، وأكثر من العـــرب، إن العالم أجمع يعلم أن الجيش الإيطالي احتل الكفرة وواحاتها بعد أن قـــتل سكانها العزل والمقاتلين الذين دافعوا عن وطنهم حتى النهاية، وأن الـــصحافة الإيطالـــية تتـــبجح وتنشر أن جيشها أسر مئة امرأة من زوجات المـــشائخ... لكـــن ما كنا نعتقد أن دولة تعتبر نفسها من دول البحر الأبيض المتوسط أن تصل إلى هذه الدرجة من الانحراف والخروج عن طريق التمدن والطـــريق الإنساني، فلم يسبق في تاريخ البشرية بل في تاريخ البربرية أن حدث مثل ذلك، وتضمن البيان شهادات بعض الناجين من جحيم الكفرة عما لحـــق بالـــناس مـــن أنواع العذاب والموت والحرمان. واقترح البيان على المـــسلمين الاحتجاج على إيطاليا ببرقيات ترسل إلى عصبة الأمم وبمقاطعة البـــضائع الإيطالـــية وسفنها وكل ما هو إيطالي، وعقد الاجتماعات الشعبية للتنديد بإيطاليا ونشر كتيبات باللغات الحية تفضح أعمالها"[1].

لقـــد نـــشرت جريدة الجامعة العربية بالقدس نص البيان، ووزع على الحجـــاج في مكة المكرمة بيانٌ في الفترة نفسها باسم مسلمي طرابلس وبرقة يتـــضمن اســـتنكار أعمـــال إيطالـــيا في ليبيا، ويدعو الشعوب العربية إلى مقاطعتها، وكُتب هذا البيان بلهجة شديدة، وفضح أعمال إيطاليا الشنيعة وما ترتكبه من مذابح، وسرد بإيجاز ما قامت به إيطاليا في ليبيا، من عمليات قتل النـــساء والأطفال وشنق الرجال ومصادرة الأراضي والممتلكات والاعتداء علـــى الحـــرمات وارتكـــاب كل عمل منكر ترفضه الإنسانية، ودعا البيان المسلمين إلى مقاطعة البضائع الإيطالية وكل اتصال أو تعامل معها.

(1) جريدة الأمة العربية ، جنيف 7-4-1931 (بالفرنسية).

ولـــم تقاطع البلاد العربية إيطاليا ولم تفعل شيئاً لصالح ليبيا أكثر من التعبيـــر عـــن المشاعر على صفحات الجرائد، وكانت إيطاليا تعتقد أن ليبيا أرضـــاً رومانية، قد استردوها كما استردت أسبانيا الأندلس، وهم مصممون على تحويلها إلى قطعة من إيطاليا يسكنوها إيطاليون، أما العرب فليس عليهم إلا أن يعودوا إلى موطنهم التي جاءوا منها، وهذا الشعور الراسخ في أذهان الإيطاليـــين يحـــول بينهم وبين أي عمل إصلاحي لصالح العرب أو لتغيير أوضاعهم الاستعمارية.

وأحـــدثت هذه الحملة الصحفية ضد إيطاليا استياء كبيراً في روما التي لـــم تكـــن تـــتوقع أن يكـــون لاحتلال الكفرة كل ردود الفعل الغاضبة لهذا الاحـــتلال، وانـــزعجت بصورة خاصة للبيان الذي وُزع في مكة، وقد أراد الجنرال غرازياني أن يُشعر الليبيين بالافتراء والكذب على ما يقع في ليبيا، فأمر بنشر البيان بكامله على الصفحة الأولى من جريدة بريد برقة لكي يقرأه جمـــيع الـــسكان، ويشعروا بما حوله من أكاذيب، وقد رحب صاحب جريدة بـــرقة بنشر البيان باعتباره سيدخل جميع البيوت الليبية، وسيكون في إمكان الناس الإطلاع على مساندة إخوانهم العرب، والمسلمين لهم في محنتهم.

وكانـــت ردود فعل احتلال الكفرة، ونقل السكان إلى المعتقلات قاسية ومـــؤلمة على سكان بنغازي، الذين كانوا يعيشون في رعب وخوف في تلك الفتـــرة منتظـــرين القـــبض عليهم بين لحظة وأخرى، وإرسالهم إلى معتقل العقـــيلة، وقـــد قلـــة السهريات في المرابيع، وقلت الزيارات والاجتماعات والجلـــوس في دكاكين الأسواق خشية الجواسيس المنتشرة في كل مكان أن تتهمهم زوراً وبهتاناً وتطلب من السلطة معاقبتهم.

كانت السنوات الخمس الأولى من عقد الثلاثينات أسوأ سنوات الاحتلال الإيطالـــي، وأكثـــرها كرباً واضطهاداً وقمعاً، فقد امتدت يد إيطاليا فأبعدت عائلات كريمة إلى العقيلة، وشنقت من تريد، وسجنت الكثير من الناس ظلماً

وعـــدواناً، وكانـــت الضريبة التي دفعتها بنغازي لا تقل عن ضريبة سكان الدواخل الذين أبُعدوا إلى المعتقلات أو الباقين منهم.

وقد منعت السلطات الناس من السفر إلى الخارج، وكانت المدينة أشبه بسجن كبير يتجول داخله المخبرون لإرهاب الناس وتخويفهم، وكان السجن يستقبل كل مظلوم، والمحكمة الإيطالية تحكم على المتهمين بالإعدام أو بمدد طـــويلة، وتحاشـــى الناس الذهاب إلى الأسواق أو زيارة أصدقائهم خوفاً من اتهـــامهم وســـجنهم، وكانـــت المعارك دائرة في ذلك الوقت بين قوات عمر المختار والقوات الإيطالية.

وقـــرر نائب والى برقة اعتقال أعيان ووجهاء بنغازي ومشائخ البادية والـــزج بهـــم فـــي قلعة بنينا بدلاً من إرسالهم إلى إيطاليا، وقد أرعبت هذه العملية أهالي بنغازي بسبب كثرة الناس الذين قُبض عليهم، فضلاً عن أبعاد الـــناس إلى منفي العقيلة وإلى إيطاليا، وشرعت السلطة في اتهام كل شخص لـــه علاقة بالأدوار وتقديمه إلى المحاكمة، وعمت الكآبة المدينة وتجددت بها الأحـــزان. وفي هذه المرة لن تقتصر عمليات القبض على الأعيان والوجهاء وكبار التجار كما حدث من قبل بل امتدت أيديهم إلى الشباب المثقف الواعي وقبضت عليه، وألقت به في قلعة بنينا.

وكان الدكتور فتحي الكيخيا، ابن عمر باشا الكيخيا قد أنهي دراسته في جامعـــة (السربون) بباريس وعاد إلى البلاد ليحل محل والده المسجون في إيطاليا. ولم تمضِ سوى أشهر قليلة على قدومه حتى قُبضَ عليه بدون سبب أو مبـــرر، وسُـــجن في قلعة شويليك مع بعض مشائخ البادية. وكان معظم المقبوض عليهم من الشيوخ المتقدمين في السن وأكثرهم من الذين أُبعدوا إلى إيطاليا عام 1914م وعام 1924م، لكن لحسن الحظ كان معتقل بنينا كان قريباً مـــن مديـــنة بـــنغازي، وكان أهالي المعتقلين يتصلون بهم بسهولة ويأتونهم بالطعام والملابس وكل لوازمهم. وفيما يلي قائمة غير كاملة بأسماء الأعيان

الـــذين سُـــجنوا فـــي بنيـــنا، فقد كانت السلطات الإيطالية تتكتم على أسماء المعتقلـــين، ومنعت تسربها حتى إلى الصحافة الإيطالية والمحلية، وفيما يلي بعض الأسماء من مدينة بنغازي:

1. عبد الرحمن رجب بونخيلة.
2. توفيق نورى البرقاوى.
3. محمد منصور الكيخيا.
4. الشيخ أحمد مرسى.
5. رجب بونخيلة.
6. حسين الرعيض.
7. سالم الزيانى.
8. على بن زبلح.
9. صالح جعودة.
10. مختار عصمان.
11. السنوسى جبر.
12. افريج البسيونى.
13. محمد زاقوب.
14. محمد ابراهيم أمنينه.
15. عبد الله مخلوف.
16. محمد بن كاطو.
17. يوسف نبوس.
18. سعيد الخفاجى.
19. أحمد الخفاجى.
20. على بن عمران.
21. أحمد بالتمر.

22. سالم محمد بن عامر.
23. الحاج حسن قادبوه.
24. مجيد سكران.
25. صالح بن حميد.
26. عبد الرحمن البرقاوى.

و من مدينة درنة السادة الآتي ذكرهم:

1. إدريس الإمام.
2. سالم الثلثى.
3. مصطفي بن سعود.
4. محمد لياس.
5. رمضان الخرم.
6. سليمان بن حليم.
7. محمد سرقيوة.
8. الأمين بن حليم.
9. أحمد صوان.
10. خليل باكير بوشيحة.
11. سليمان بو شرتيلة.
12. مفتاح الشعافي.
13. فرج بو رواق.
14. حمد بو رواق.

وقد سُجن هؤلاء الأعيان وأغلبهم شيوخ في قلعة بنينا المتهدمة وغير القابلة لسكن البشر، وكان زوارهم كثيرون، وقد ظل هؤلاء المعتقلين في قلعة بنينا حتى تم أُفراج عنهم في سنة 1934م.

وقد تحصلنا على أسماء بعض المعتقلين من مشائخ البادية، نوردها فيما يلي:

1. السيفاط بوفروة.
2. بوشديق بومازق.
3. سعد بو كمار.
4. عبد القادر بو بريدان.
5. فرج نشاد.
6. طاهر العسبلى.
7. أدم بو سرايا المنصورى.
8. عمر نشاد.
9. السُكورى عبد القادر بوبريدان.
10. حنيش القبائلى.
11. سعيد بو خليل.
12. سليمان بو خيرالله.
13. الحاج محمد شليمبو.
14. أكريم القطعانى.
15. صالح خليفة الدرسى.
16. عبدالهادى سعد العوكلى.
17. مرايف رجب العصموت.
18. السنوسى بخزا على.
19. ابراهيم طاهر العبسلى.
20. لامين بوسلامة العبيدى.
21. محمد دلاف.
22. حمد بو نخيلة القناشى.

23. حامد بو سليمان بو نوارة.
24. على القديم الدرسى.
25. محمد الكيش العوامى.
26. بوسيف بوباشات الدرسى.

ونأسف إذا أهملنا ذكر أسماء غيرهم من المعتقلين.

أسر عمر المختار واستشهاده:

ظل عمر المختار ثمانية عشر شهراً يقاوم القوات الإيطالية التي جمعها غرازياني من جميع أنحاء برقة، ومئات الجواسيس الذين بثتهم الحكومة الإيطالية في الجبل الأخضر لتتبع حركات المجاهدين، وإشعار الإيطاليين بأماكنهم فينقضون عليهم بقواتهم السريعة، وتقع المعارك الطاحنة بين الطرفين، وقد سدت إيطاليا جميع الأبواب التي قد تصل منها الإمدادات للمجاهدين، وقد لجأ هؤلاء في سبيل الحصول على طعامهم إلى إرسال قوافل تدخل مصر على بعد 400 كيلومتر من الجبل الأخضر أي بعيداً عن القوات الإيطالية إلا أن الطيران الإيطالي اكتشف القافلة بقرب الحدود المصرية وقام بتدميرها تدميراً كاملاً، وقد انقطعت المؤن والإمدادات عن المجاهدين فجاعوا وأكلوا الأعشاب وأوراق الأشجار إلا أنهم واصلوا الصراع ضد القوات الإيطالية المتكاثرة عليهم التي لا تترك لهم وقتاً للراحة في أي مكان، وقد استمر المجاهدون في القتال رغم جميع الصعاب المحيطة بهم يدفعهم إيمانهم الشديد إلى تحمل الصعوبات ومواجهة العدو.

وقد وقع عمر المختار يوم 11 سبتمبر 1931 أسيراً في يد الإيطاليين بعد إصابته وسقوطه من جواده في معركة مع القوات الإيطالية. وقد نقلوه على ظهر سفينة حربية إلى بنغازي حيث أودع بسجنها، وذاع النبأ بأن عمر المختار وصل سجن بنغازي فتألم الناس، وأغلقوا محالهم التجارية ولزموا

بيوتهم غاضبين، وكان بعضهم يبكى من شدة التأثر، فقد كان عمر المختار رمز الحرية والخلاص من الأوضاع الجائرة التي كان يعيش فيها الناس، لقد قاتل إيطاليا عشر سنوات دفاعاً عن شعبه وأذاق إيطاليا في هذه السنوات مرارة الهزيمة أكثر من مرة، وكان السيد المسيطر على كل الجبل الأخضر، والآن قد وقع أسيراً وسيعدم دون شك، وتنتهي الثورة وتتصرف إيطاليا في البلاد، وفي الشعب وفقاً لمخططاتها الموضوعة منذ بداية الاحتلال والتي حال عمر المختار دونهم ودون تحقيقها عشر سنوات. وذاع الخبر في ليبيا وإيطاليا والعالم كله وكان غرازيانى قد استدعى إلى إيطاليا، وذهب إلى باريس لزيارة المعرض الاستعماري وعندما بلغه النبأ عاد مسرعاً إلى بنغازي، وطلب مقابلة البطل في مكتبه ودار حديث طويل بين الاثنين لم يعرفه أحد بعد سوى ما أفرجت عنه السلطة الإيطالية من أن غرازيانى قد طلب من عمر المختار أن يطلب من رجاله الاستسلام وقد أجابه البطل بأنه الآن أسيرٌ، ولا سلطة له على رجاله، وأضاف بأن المجاهدين قد تعاهدوا على الموت دون الاستسلام، وترك غرازيانى البطل واقفاً والسلاسل تغل يديه فلفت نظره إلى أنه رجلٌ كبير وأستأذن في الجلوس فأذن له، ولم يُخف غرازيانى إعجابه بعمر المختار وتقريره لشجاعته، وحُسن قيادته كما جاء في كتابه "برقة الهادئة". وانتهت المقابلة وخرج البطل من عند غرازيانى يجرجر أغلال الحديد التي تربط يديه وقدميه، والتي لم يتورع غرازيانى أن يأمر بفكها خلال مقابلته للبطل، فقد أراد أن يذله ويهينه وهو أسيرٌ مكبل بالأغلال، وهذا دليلٌ على أن غرازيانى لم يرتفع إلى مستوى عمر المختار بل هبط إلى الحضيض.

وشُكلت محكمة صورية لمحاكمة عمر المختار، ووقف أمامها بكبرياء وشمم، وقد تلعثم الترجمان رهبة من عمر المختار ولم يستطع أن يترجم كلامه فاستبدل بترجمان آخر، وكان محامى الدفاع الذي عينته المحكمة للدفاع عن عمر المختار عندما بدأ كلامه قائلاً:" سيدي القاضي إن هذا المتهم

الذي انتدبت للدفاع عنه، وكنت متردداً في أول الأمر، ولكن ضميري حدثني بأنهـــا إنسانية منى لا بد من قبول الدفاع، وهأنا واقف أمامكم لأقول لو أنى التقيت بهذا الرجل في الشارع لم أتردد لحظة في سحب مسدسي هذا وإطلاق النار عليه حتى أرديه قتيلاً لأنه عدوى وعدو دولتي، غير أن الذي أريد أن أقوله أن هذا الرجل عمر المختار يدافع عن حقيقة كلنا نعرفها، وهي الوطن وكم ضحينا نحن في سبيل الوطن وتحريره."

القاضي: أرى أن المحامى غير من رأي المحكمة. وهنا احتج المدعى العام، وأمر القاضي المحامي فعلاً بألاّ يخرج عن الموضوع ويتكلم بإيجاز، وهنا تكلم المحامى بحدة وقال:" هنا محل الشرح الكافي إذا كنا رجال العدالة الحقيقـــية، أما إذا كنا غير ذلك فيجب أن نترك الموضوع واحكموا بمفردكم ولا لـــزوم لهـــذه المحكمة وجلستها. إن عمر المختار الذي أمامكم وليد هذه الأرض قـــبل وجودكم فيها، ويعد كل من احتلها عنوة عدو له ومن حقه أن يقاومه بكل ما يملك من قوة حتى يخرجه منها أو يهلك دونها هذا حق أعطته له الطبيعة الإنسانية."

وهنا كثر الصياح من الحاضرين بإخراج المحامى وإصدار الحكم على المـــتهم الـــذي طالب به المدعى العام، ولكن المحامى استمر قائلاً: " العدالة الحقـــة لا تخـــضع لأي سلطان، ولا لأية غوغائية، وإنما يجب أن تنبع من ضميرنا وإنسانيتنا". وهنا قامت الفوضى خارج المحكمة، وقام المدعى العام محـــتجاً على المحامى، ولكن المحامى استمر في دفاعه غير مبال بكل هذا، بـــل حذر القاضي على أن يُحكم ضميره قائلاً: " إن هذا المتهم عمر المختار الـــذي انتدبت لسوء حظا أن أدافع عنه شيخ هرم حنت كاهله السنون، وماذا بقـــى له من العمر بعدما أتم السبعين سنة، إني أطلب من عدالة المحكمة أن تكـــون رحيمة في تخفيف العقوبة عنه لأنه صاحب حق ولا يضر العدالة إذا

أنصفته بحكم أخف، وإنني أطلب أن تحذر عدالة محكمتكم حكم التاريخ لأنه لا يرحم فهو عجلة تدور، وتسجل كل ما يحدث في هذا العالم المضطرب".

وهنا كثر الضجيج في الخارج ضد المحامى ودفاعه، ولكن المحامى استمر في دفاعه قائلاً: "سيدي القاضي حضرات المستشارين، لقد حذرت المحكمة من مغبة العالم الإنساني والتاريخ وليس لدى ما أضيفه إلا طلب تخفيف الحكم على هذا الرجل صاحب الحق في الذود عن أرضه ودينه وشكراً".

وكان صوت المحامى في وسط غوغائية المحاكمة هو الصوت الوحيد الذي طالب بالحق والعدالة، وقد دفع الثمن فيما بعد حيث تمت ملاحقته وعقابه على دفاعه عن عمر المختار.

وأصدرت المحكمة حُكمها المعروف مسبقاً بإعدام عمر المختار، وقد قال عندما سمع النطق بالحكم (إنا لله وإن إليه راجعون)، وخرج من المحكمة مرفوع الرأس في كبرياء ونقل إلى السجن، وكان بادوليو عندما بلغه نبأ القبض على عمر المختار أبرق إلى وزير المستعمرات يقول: "إذا ما تأكدنا أن المقبوض عليه هو عمر المختار فيجب أن يُعدم في مكانٍ تتجمع فيه أعداد كبيرة من الليبيين بعد محاكمة صورية". وقد تقرر إعدام عمر المختار بسلوق، وأن يشهد إعدامه أكبر عدد من العرب فجاءوا بالمعتقلين الذين بلغ عددهم أكثر من عشرين ألفاً وذلك ليشاهدوا زعيمهم ورمز حريتهم على حبل المشنقة، وووُريَ جثمانه الطاهر في مقبرة سيدي عبيد، وبعد حصول البلاد على استقلالها أعد لعمر المختار ضريح في قلب مدينة بنغازي نُقل إليه في جنازة كبيرة شارك فيها الوالي وكبار المسؤولين وجمعٌ كبير من المواطنين، وظل عمر المختار رمز كفاح ليبيا ومقاومتها الطويلة ضد المستعمر.

أحـــدث شـــنق عمـــر المخـــتار ضـــجة في جميع البلاد الإسلامية، واســـتنكرته بلاد كثيرة في أوروبا وغيرها، لقد تصرفت إيطاليا مع البطل تصرفاً شنيعاً ونزلت سمعتها بذلك إلى الحضيض، لقد حاربها عمر المختار بـــشرف والتـــزام بقـــواعد الحرب. وتفاوض مع رئيس حكومتها في ليبيا المارشال بادوليو مفاوضة الند للند، واعترف به بادوليو رئيساً لقوة تحارب إيطالـــيا وعقد معه هدنة وكتب له الرسائل، وقبل هديته وظهر في الصور التـــي أُخذت في وقتها للاثنين جنباً إلى جنب، فعمر المختار لم يكن ثائراً فحسب، بل رئيس تنظيم كان يتعامل مع الحكومة الإيطالية معاملة الند للند، وكـــان علـــى إيطالـــيا أن تحترم هذا القائد الذي سقط أسيراً بيديها، والذي حاربهـــا بـــشرف، ولم يخضع لسلطانها في يوم من الأيام ولم يتقاضَ منها قرشاً واحداً، إلا أن إيطاليا بدأت أعمالها الإجرامية بنقل السكان وما تسبب لهم من مآسٍ. فإن الدولة التي قامت بكل هذه الأعمال لا تتورع عن مخالفة العـــرف الدولـــي، وتقوم بشنق عمر المختار تشفياً وانتقاماً من عرب ليبيا الذين ناصبوها العداء لمدة عشرين عاماً.



11- سبتمبر -1931م. الشهيد عمر المختار

على ظهر السفينة الحربية الإيطالية التي أقلته من سوسة إلى بنغازي

حل المعتقلات:

وفـــي عيد الفطر الأول بعد انتهاء الثورة وجهت بلدية بنغازي الدعوة إلـــى أعـــيان الـــبلاد وتجارها وكبار موظفيها لحضور الاحتفال بعيد الفطر المبارك الذي سيشرفه نائب الوالي غرازيانى، وفي ثاني يوم العيد تدفق على الـــبلدية عدد كبير من الناس الذين جاءوا ليستمعوا إلى ما سيقوله غرازيانى بعد القضاء على الثورة.

وقد ألقى غرازيانى خطاباً قصيراً على الحاضرين حمل فيه مسؤولية كل ما حدث على العرب الذين قاتلوا إيطاليا، ثم خرج إلى الشرفة حيث تجمع أنـــاس كُثر وجاءوا ببعض الشيوخ من سجناء بنينا وكانوا مكبلين بالأغلال. فألقـــى فـــيهم كلمـــة قصيرة وضع فيها اللوم عليهم ثم أصدر أمره بإطلاق سراحهم، ففُكت أغلالهم وهو ينظر، ثم هجم أقارب المعتقلين لاصطحابهم إلى بيوتهم، وعم الفرح بنغازي في ذلك اليوم وتناوب الناس على زيارة المعتقلين وتهنئتهم بعودتهم سالمين.

وبعـــد بـــضعة أشهر جمع غرازيانى الناس أمام دار الحكومة وجاءوا ببقـــية المعتقلـــين فـــي بنينا شيوخاً وشباباً، وكان الجميع مصفدين بالأغلال ووقفـــوا في الشمس ينتظرون ظهور غرازيانى عليهم، وبعد فترة طويلة من الانتظار أطل الجنرال غرازيانى على الجموع، وألقى كلمة هدد بها السجناء واتهمهـــم بـــأنهم كانوا السبب في إطالة الحرب وفي مساعدة الثوار، وعندما خـــتم كلامـــه أمر بفك أغلالهم وإطلاق سراحهم، فقام بعضهم بالتصفيق كما جـــرت العادة، إلا أنه صاح فيهم وقال لهم إنكم منافقون وتصفيقكم هذا ليس صادراً منكم بحسن نية. وذهب المعتقلون مع أقاربهم إلى دورهم حيث احتفل أهل المدينة بعودتهم وهنئوهم بسلامتهم.

وبعد انتهاء المقاومة ظل المعتقلون في معتقلاتهم والمسجونين في سجنهم باستثناء المعتقلين في بنينا الذين أُطلق سراحهم كما سبق وذكرنا. وانشغلت الحكومة الإيطالية بموضوع المعتقلين، فبادوليو كان يصر على بقائهم في مكانهم وابتكار وسائل العيش لهم فيها، وكانت الوزارة وآخرون يريدون وضع حد لمعاناة هؤلاء الناس، وإعادتهم إلى مواطنهم الأصلية، غير أن إعادتهم إلى مواطنهم الأصلية كانت تصطدم بمخططات إيطاليا في تحويل الجبل الأخضر إلى مجالٍ للمستعمرين، وظل المعتقلون في معتقلاتهم والنقاش يدور حولهم دون الوصول إلى حلٍ، إلا أن تفاقم الأوضاع الصحية في معتقل سلوق، وكثرة الأمراض، والوفيات، وغياب أية أجهزة صحية لمواجهة هذا الوضع دفعت بالحكومة الإيطالية إلى الابتداء بتسريح المعتقلين، وكان عددٌ كبير من الرجال المعتقلين يقدر بخمسة وعشرين ألف رجل بدأوا يعملون في رصف الطريق الساحلي الممتد بين بنغازي وطرابلس، وهو عملٌ شاق لم يتعودوا عليه ولكن الظروف القاسية ألجأتهم إليه، وجاء كثيرون إلى بنغازي لطلب العمل. أما الذين عادوا إلى أراضيهم فقد حِيل بينهم وبين الاقتراب منها، لأن الشركات كانت تقوم بإعداد مساكن المعمرين فيها.

وظلت الأوضاع في عهد بادوليو وغرازياني على ما كانت عليه غير أن سُكان بنغازي بدأوا يتنفسون الصعداء، ويعودون إلى حياتهم السابقة، وقد خف عدد الجواسيس الموزعين في المدينة، وقلة عمليات القبض على الناس وزالت موجة الإرهاب التي خيمت على البلاد خلال عامين.

وأراد الإيطاليون إطلاع الأعيان الليبيين، والشباب، والتجار على معالم الحضارة الإيطالية، فأوعزوا إلى عمر المحيشي بتكوين مجموعة تذهب لزيارة إيطاليا تحت رعاية الحكومة، وتكونت المجموعة من السادة الآتي ذكرهم:

1. الشيخ ميلاد العرادى قاضى بنغازي.
2. عمر فخرى المحيشى (من الأعيان).

3. الحاج رشيد الكيخيا (من الأعيان).
4. رمضان الكيخيا (من الأعيان).
5. الحاج محمد على اعبيدة (من الأعيان).
6. على حسين الرعيض (من الأعيان).
7. الشيخ عبد السلام اعبيد (شيخ الزاوية العروسية).
8. محمد مصطفي الضراط (موظف).
9. المهدي دربي (موظف).
10. محمد شرشر (موظف).
11. محمد افتيتة (موظف).
12. محمد على بوقعيقيص (تاجر).
13. عبدالرازق شقلوف (موظف).
14. يوسف الأثرم (مدرس).
15. عبد السلام الرعيض (موظف).
16. وهبى أحمد البورى (طالب).
17. فوزى ميلاد العرادى (طالب).
18. السنوسى جبريل شلوف (طالب).
19. عوض على الشيبانى (صاحب أعمال).
20. الحاج سليمان الصلابى (من رجال الأعمال).
21. سعد أحمد الجهانى (موظف).
22. يوسف الشركي (موظف).

وتعهدت الحكومة الإيطالية بدفع نفقات السفر من بنغازي إلى سيراكوزا بحراً، ومن الأخيرة إلى روما بالقطار في حين تكفل المشاركون بدفع نفقات إقامتهم بروما، وكان جميع المشاركين في الرحلة يدفعهم الفضول لرؤية إيطاليا وحضارتها ومعالمها، والتعرف عن كثب على حقيقة الشعب

الإيطالـــي ومـــستواه المعيشي ومشاعره، وقد أعدت برامج لأعضاء البعثة للاطـــلاع على معالم روما وآثارها، وهي المدينة العظيمة التاريخية المليئة بالآثار وبالقصور الجميلة.

وقـــد شعر المجتمع الليبي بشيء من الهدوء بعد نهاية المقاومة، وزالت عـــن المديـــنة موجة الرعب والإرهاب التي خيمت عليها خلال عامين، وبدأ الناس يستعيدون حياتهم وأعمالهم ونشاطهم السابق، إلا أن النفوس كانت كئيبة والحزن يسيطر على أغلب الناس الذين أخذوا يتساءلون عن المصير بعد نهاية الثورة، واستشهاد قائدها الذي كان رمز الحرية والاستقلال وتوقع الناس الأسوأ من إيطاليا بعدما استتبت لها الأمور، وبسطت سيادتها على كل البلاد.

وقـــام ملك إيطاليا بزيارة لبنغازي في عام 1933م لإشعار الإيطاليين والعالم الخارجي أن سيادة إيطاليا على ليبيا أصبحت أمراً واقعاً، وأن الأمان والاســـتقرار يـــسودان ربوعها، وجاءت الزيارة في وقت كانت فيه الجروح لا تـــزال تدمـــى والآلام تعصر القلوب، فقابلت بنغازي الملك الضيف ببرود شـــديد، فلـــم تقـــع احـــتفالات كبيـــرة، ولا مظاهرات ترحيب ملفتة للنظر، واقتصرت الزيارة الملكية على تنقل الموكب الملكي من مكان لآخر، لزيارة المدارس الإيطالية، ودار البلدية والنصب التذكاري بجليانة والكاتدرائية التي كانت لا تزال تحت البناء وبعض الأماكن العسكرية، والجامع العتيق ومصنع شـــفيق خـــزام، وانتهت الزيارة الملكية دون أن تترك أي أثر إيجابي بالنسبة للعـــرب الـــذين لم تتغير أوضاعهم، ولا طرق معاملتهم، وإن كان بعد نهاية الثورة قد عادت الأمور إلى طبيعتها في بنغازي.

المتغيرات الجديدة:

قاربـــت مـــدة عمل بادوليو في ليبيا على الانتهاء، واستعد لمغادرتها، وكـــان نائـــبه فـــي برقة الجنرال غرازياني يعد نفسه لخلافته في حكم ليبيا.

إلا أن موسولينى خيب أمله بتعيين المارشال بالبو حاكماً لطرابلس، وبرقة خلفاً للمارشال بادوليو، وقد غضب غرازيانى لذلك لأنه كان يعد نفسه الأحق بهذا المنصب، وعبر عن غضبه هذا بما كتبه بعد الحرب في كتابه (لقد دافعت عن الوطن) الذي نشره بعد نهاية الحرب إذ قال: " لقد انزعج موسولينى من شعبية بالبو فعينه خليفة لبادليو، وأكون كاذباً لو أخفيت شعور الغضب الذي انتابني آنذاك لانهيار أحلامي وآمالي لقناعتي بأن طموحي لتولى منصب الحاكم العام في ليبيا كان طموحاً مشروعاً"[1].

ولم يرتح المارشال بالبو لهذا التعيين لأنه كان يطمح في تولى رئاسة أركان حرب القوات المسلحة، وأن يصبح ثاني رجلٍ في إيطاليا، وقد ظل ستة أشهر متردداً في قبول المنصب الجديد.

والمارشال بالبو طيار ماهر، انضم لحركة موسولينى، وساعده وأيده ثم تولى أمر وزارة الطيران في إيطاليا فأصلحها، وقام برحلته الشهيرة لاجتياز المحيط بمجموعة من الطائرات، وقد نجح في محاولته وكان أول رجل يقوم بهذا العمل في تاريخ الطيران، وقد قوبل مقابلة الأبطال في أمريكا وحظى باستقبال لم يحظى به أي إيطالي لا قبله ولا بعده. وكانت شهرته وشعبيته قد عمت كل إيطاليا وافتتن به الشباب وأصبح المثل الأعلى لهم، وتضايق موسولينى من ذلك، وخشي أن تطغى شعبية بالبو عليه فقرر إبعاده عن روما وعن الشعب الإيطالي، فعندما انتهت مدة ولاية بادوليو قام بترشيح بالبو حاكماً عاماً لطرابلس وبرقة، إلا أن اختياره حاكماً عامًا لطرابلس وبرقة لم يرقه.

وقد حاول غرازيانى أن يُشعر العرب بالتغيير الذي وقع بعد القضاء على الثورة، فعين بعض الشبان العرب في وظائف، وأكثر من اتصاله

---

(1) غرازيانى ، دافعت عن الوطن ، ميلانو 1948 ص 64.

بأعيان البلاد والتحدث معهم فيما يفيد البلاد، لقد كان يريد أن يكفر عن سيئاته ولكنه لم يعرف من أين يبدأ، وستظل ليبيا تذكر عهد غرازياني وبادوليو وما ارتكبوه من جرائم، وفظائع، وانتهاكات، واعتداء على الحريات وعلى الممتلكات، كما لن ينسوا الأعداد الرهيبة من أبناء وطنهم الذين قتلهم الإيطاليون في المعتقلات وفي السجون وعلى أعواد المشانق وبواسطة المحكمة الطائرة التي كانت تتنقل من مكان إلى مكان لمحاكمة المتهمين بمساعدة الثوار والحكم عليهم بالإعدام وتنفيذ الحكم فوراً أمام المحكمة. كيف ينسى أهل ليبيا كل ما وقع ويغفر لغرازياني أعماله بمجرد التودد إليهم.

وقد حاول غرازياني نصح بالبو، وإرشاده إلى طريقة حُكم ليبيا بإرسال رسالة له يطلب منه الإبقاء على الأوضاع السائدة التي قام بوضعها مع بادوليو، والبقاء على الإجراءات العسكرية المتخذة على حدود مصر، إلا أن بالبو لم يلتفت إلى نصائحه وطلب منه مغادرة ليبيا، وعندما تباطأ في الذهاب طلب منه مغادرة البلاد فوراً، وقد أمر بالبو بتشكيل لجنة لتحقيق فيما ارتكبه غرازياني من جرائم في ليبيا وأمر بشطب أسمه من كل مكان وخاصة من اللوحات المرمرية التي تُشيد بوقائعه، وأمر بشطب أسم زوجته من على مصيف جليانا، وقد أغضبت هذه الأعمال غرزياني وزادت من حقده على بالبو فكتب في كتابه (لقد دافعت عن الوطن) الذي نشره بعد الحرب يقول: "لماذا هذا العداء ضدي وضد كل شيء يتعلق بي أو يتحدث عني؟ ماذا جره إلى هذا التصرف الصبياني، وقد ازداد عداؤه لي منذ ذلك الوقت، فحكم كل شيء يذكرني في ليبيا ووصل الأمر به إلى شطب اسمي من على بعض اللوحات المرمرية التي كانت تذكر بعض وقائعي، وطارد رفقائي في العمل والمخاطر"(1).

---

(1) غرازياني – دافعت عن الوطن – ميلانو 1948. ص 65- 66.

تنفســت ليبــيا بأكملها الصعداء بعد رحيل بادوليو وغرازيانى عنها، ورأت في رحيلهما نهاية أتعس مرحلة عرفها الصراع الليبي الإيطالي، غير أن مــا خلفــته هذه المرحلة في النفوس من ذكريات مؤلمة وتأثيرات مريرة لــم تنته بعد، فقد ظلت الجراح تدمى والقلوب تنطوي تحت الحسرة والأسى، وكــان كــل شيء في بنغازي يشير إلى المآسي القريبة:- زبانية غرازيانى الــذين لا يــزالون يتجولون في الشوارع والأسواق، اليتامى والأرامل الذين فقــدوا ذويهــم في السجون، والمعتقلات، وعلى أعواد المشانق، أبناء الجبل الأخــضر الكــرام الأعــزاء الــذين جاءوا المدينة بحثاً عن العمل، بعد أن اغتصبت أراضيهم وأبيدت حيواناتهم، بقايا الأسر التي عادت من العقيلة ولم تنته بعد من رواية ما لحق بها في معتقل العذاب.

لــم تعــرف ليبيا طيلة فترة الاستعمار الإيطالي، وتعدد حُكامها أسوأ من الحاكمين الجنرال غرازيانى والمارشال بادوليو اللذين اقترفاً في البلاد جرائم قتل وشــنق وإبعــاد وســجن واعتقال بين أفراد الشعب الليبى، وقد عاد بادوليو إلى إيطالــيا رئيــساً لأركــان حرب القوات الإيطالية، وفي عام 1936م استدعاهم موســولينى لتولــى قيادة القوات الإيطالية بشرق أفريقيا، وقد استطاع أن يتغلب علــى الأحــباش بالغازات السامة والطيران والجنود الليبيين والإرتريين، وعاد بادولــيو إلــى منــصبه السابق في إيطاليا بعد أن احتل الحبشة وطلب أن يكون الجنرال غرازيانى خلفاً له بصفته نائباً للملك، وظل غرازيانى في هذا المنصب إلى ما قبل الحرب ثم عاد إلى إيطاليا ليسند إليه موسولينى قيادة القوات الإيطالية فــي شــمال أفــريقيا بعد مصرع المارشال بالبو، وقام غرازيانى بالهجوم على مصر واحتلال (سيدي برانى) والتوقف بقواته فيه، ولم يتحرك إلى الأمام رغم ضــغط موسولينى المتوالي عليه، لأنه كان يُخطط لإنشاء طريق ما بين الحدود الليبــية وســيدي برانــى وبناء خط أنابيب لنقل المياه من ليبيا إلى سيدي برانى إلا أن القــوات الإنجليــزية لــن تصبر عليه حتى ينتهي من بناء الطريق ومد

الأنابـــيب فقد فاجأته بهجوم مباغت بالدبابات دمر القوات الليبية الأمامية وهزم بقـــية الجيش الإيطالي المؤلف من قُرابة مائتي ألف نسمة وكانت هزيمة نكراء لـــم يـــتوقعها غرازياني وموسوليني قضت على آمال إيطاليا في احتلال مصر، وقضت على الوجود الإيطالي في ليبيا. لقد ظهر جلياً عجز غرازياني عن إدارة المعـــركة، وعـــدم كفاءته في تسييرها فقد أقام قيادته على بعد 400 كيلومتر من الجـــبهة وثـــبت أنـــه لا يصلح إلا لقتال الليبيين المقاومين لإيطاليا الذين كانوا لا يملكـــون مـــن الأســـلحة ســـوى البـــنادق الخفيفة، وقد أمر موسوليني بإقالة غرازيانـــي مـــن منـــصبه لفشله الذريع في مهاجمة مصر، كما قررت وزارة الحربية تقديمه للمحاكمة إلا أن موسوليني تدخل وأعفاهُ من هذه المحاكمة.

وقـــام الحلفـــاء بهجوم على جنوب إيطاليا فاحتلوه وكان ذلك سبباً في سُقوط موسوليني واعتقاله، وتولى بدله المارشال بادوليو الذي شرع في سرية تامـــة في التفاوض مع الحلفاء من أجل الاستسلام، وتوصل إلى اتفاق إلا أن الحلفـــاء فاجـــأه بـــإعلان استـــسلام إيطاليا، فأحدث الذعر في روما وغادر المارشال بادوليو وحكومته وأعضاء العائلة المالكة روما على وجه السرعة إلـــى جنوب إيطاليا على بارجة حربية وذلك للاحتماء بأعدائهم السابقين ضد الألمان، وترك بادوليو روما بدون حُكام وشمال إيطاليا أيضاً وقد قام الألمان باحـــتلال روما وشمال إيطاليا، وكان فرار بادوليو ولجوئه إلى الحلفاء عملاً مُهيناً دمر سمعته العسكرية وقضى عليه.

أمـــا غرازيانـــي فقـــد انـــزوى في داره، إلى أن أطلق الألمان سراح موسوليني وعمل على تشكيل جمهُورية إيطاليا الاشتراكية، فعينه موسوليني وزيراً للدفاع، إلا أن الأحداث تطورت بسرعة وقبض على موسوليني وأعُدم وسلم غرازياني نفسه للحلفاء فاعتقلوه وتقررت محاكمته. إلا أنه بعد فترة من السجن أطلُق سراحه وعاش ذليلاً منزوياً إلى أن مات.

وهكذا كانت نهاية الجبارين اللذين ارتكبا في ليبيا كل منكر ومحرم.

عهد بالبو:

وصـــل بالـــبو طـــرابلس فـــي شهر يونيو 1934م، وتسلم عمله حاكماً لطـــرابلس وبـــرقة، ثم قام فيما بعد بتقسيم ليبيا إلى شمال وجنوب، وأنشأ في المـــنطقة الـــشمالية أربعـــة متصرفيات، هي طرابلس، ومصراته، وبنغازي، ودرنـــة، وقد فقدت بنغازي بذلك موقعها عاصمةً لبرقة لعدة قرون، وأصبحت متصرفية صغيرة تحدها العقيلة غرباً، واجدابيا جنوباً، والأبيار، وتوكرة شرقاً.

واتـــسمت شخـــصية بالبو بالحركة والنشاط والاتصال بزعماء البلاد، وفـــي كـــل مرة يصل إلى مكان يتصل في الحال بأعيانه ورجاله البارزين، فيـــستمع إلـــيهم ويسألهم، ويناقشهم، ويتعمق في فهم مشاكلهم، وكانت بوادر عمله تدل على أنه مختلف تماماً عن الرجال الذين حكموا ليبيا قبله، من حيث تفكيـــره، ونظرته إلى السكان المحليين، ومحاولة التقرب إليهم وكسب ودهم بـــدلاً مـــن اعتـــبارهم أعداء إيطاليا يستحقون الاضطهاد والإبادة، كما فعل بادوليو وغرازياني.

وقابل أهل بنغازي تولى بالبو الحكم في ليبيا، وطرده للسفاح غرازياني بابـــتهاج كبيـــر، وشعروا أن الرجل يختلف عن الولاة الجامدين الذين سبقوه وأنـــه يـــريد الإصـــلاح والخيـــر للبلاد. إلا أنهم كانوا يعتقدون أن وضعهم الاســـتعماري سيستمر، وأن تغيير وضع الليبيين الاستعماري لا يستطيع أن يفعله بالبو، وإنما بدخول إيطاليا حرباً تخرج منها مهزومة دون شك.

وقـــد تـــصرف بالبو منذ وصله تصرف نائب الملك لا حاكم مستعمرة، فأقـــام مكتـــبه بالسرايا الحمراء مقر حكام الأتراك، وقد حول قصره إلى بلاط ملكي يزينه الخيالة الليبيون ببرانسهم الحمراء المزركشة، وقد وقفوا عند مدخل القـــصر، وفي الممرات المؤدية إليه وأحاط نفسه بمجموعة من أصدقائه الذي أسند إلى بعضهم مناصب رفيعة، ومن بينهم (ايفوليفي) اليهودي، الذي أسند

إلـــيه قـــيادة الـــشرطة (كربنيـــرى) وغـــص بلاطه بالصحفيين، والكتاب، والمعماريـــين، والفنانين، وفتح أبوابه للحفلات التي كانت تقام للزوار القادمين من إيطاليا وفي مختلف المناسبات، وكان أعيان طرابلس الصفوة لا يخلو منهم أي احـــتفال وكانـــوا بطرابيـــشهم الحمراء وملابسهم العربية الجميلة يعطون الحفلات لوناً شرقياً يُسر له زواره، وكان بالبو قليل الزيارات لإيطاليا.

واخـــتار بالـــبو (داود ياشى) متصرف بنغازي السابق مستشاراً له للـــشؤون العربية، وداود ياشى رجلٌ عمل في برقة مُنذ سنوات طويلة وكان متـــصرفاً لدرنة وللجبل الأخضر وعلى اتصال بالمجاهدين، وقد عُرف عنه بأنـــه لا يوافق على كل ما اقترفه غرازيانى في برقة، وهدد بالاستقالة. وقد ارتبط بمشائخ القبائل بعلاقات طيبة.

ووجه بالبو اهتمامه وعنايته إلى عاصمة ملكه طرابلس، فقام بإصلاح شـــوارعها وتحـــسينها بالحدائق والمباني الجميلة وفتح شارع عمر المختار وشيد فيه المباني الضخمة فأصبح أهم شارع في طرابلس، وقام بإعداد حلبة لسباق السيارات(مطار معيتيقة حالياً)، ووقع أول سباق دولي فيها في عام 1937م حـــيث اشتركت في السباق (22) سيارة إيطالية وأجنبية قامت بأول ســـباق لها ما بين طرابلس وبنغازي، وأعطى بالبو طرابلس وجهاً حضارياً جديداً لم تعرفه في السابق.

وكانـــت الظروف التي تولى فيها بالبو حُكم ليبيا تختلف عن ظروف غيـــره من الولاة الذين سبقوه، فقد انتهت الثورة وألقى العرب بسلاحهم ولم يعـــد هـــناك في البلاد من يقاوم إيطاليا، فبينما اهتم الولاة السابقون بالحرب ومحاولـــة القـــضاء على الثورة وجد بالبو نفسه مهتماً بإصلاح الفساد الذي تسببت فيه الحروب، وإصلاح أوضاع الليبيين بصورة عامة.

لخـــص بالبو فلسفته الجديدة وأفكاره حول التعامل مع الليبيين في دراسة قـــدمها إلـــى مؤتمـــر فولـــتا الذي عقد بروما في شهر أكتوبر 1938م بعنوان (الـــسياسة الاجتماعـــية الفاشستية تجاه عرب ليبيا) أوضح فيها: "أن التعاون العربـــي الإيطالي ضرورة لا بد منها، وأن سكان الولايات الساحلية الذين لهم صفاتهم وتقاليدهم لا يجوز أن يظلوا في وضع المستعمرين ويجب القيام بعمل سياســـي ومعـــنوي لتغيير تركيبة هؤلاء السكان الاجتماعية، وإيجاد الأسباب الـــضرورية لتمكـــنهم مـــن اشـــتراك مباشر، أكثر في حياتنا الاجتماعية"(1)، ويـــتحدث بالبو عن ضرورة تعليم العرب ورفع مستواهم في حين أنه لم يغير نظام التعليم الذي وُضع من قبل والذي يحد من تعليم الليبيين إلى ما فوق الثالثة ابتدائي، فلم يُنشئ مدرسة إعدادية أو ثانوية للعرب وظل التعليم كما وضُع منذ بدايـــة الاحـــتلال الإيطالي، وقد ادعى الإيطاليون أن المدارس الثانوية كانت مفـــتوحة أمـــام أبناء العرب، ونتساءل كيف يلتحق العربي بالمدارس الثانوية الإيطالـــية وهـــو لم يصل تعليمه إلا السنة الثالثة ابتدائي؟ ومع ذلك فنرى من إحـــصائية نُـــشرت فـــي عام 1940م بأن عدد الطلبة الإيطاليين في المدارس الـــثانوية كـــان (3340) طالـــباً، في حين كان عدد الطلبة الليبيين لا يتجاوز (113) طالـــباً. ومـــن المعـــروف أن نهـــضة أي شعب سياسياً واقتصادياً واجتماعـــياً تقـــوم على التعليم، وقد ظل التعليم في ليبيا على ما كان عليه منذ بدايـــة الاحـــتلال الإيطالي، فلم ينشئ بالبو طيلة سنوات حكمه السبعة مدرسة واحـــدة متوســـطة خاصـــة بالعـــرب ولـــم يـــدخل أي تغييـــر على برامج تعليمهم الهزيلة.

وقـــد تتبع مجتمع بنغازي سياسة بالبو الجديدة باهتمام كبير، وبخاصة فيما يتعلق برفع مستوى الليبيين ومساواتهم بالإيطاليين، فعلى الرغم من كل

---

(1) إيطالوا بالبو، السياسة الاجتماعية الفاشستية نحو العرب ، وثائق ندوة فولتا روما شهر أكتوبر 1938م ، ص 375.

تـــصريحاته المتفائلة لم يفعل شيئاً يساعد على رفع مستوى الليبيين، فقد ظل الليبـــيون في أوضاعهم والإيطاليون في أوضاع أخرى، ولم يفعل أي شيء للتقريب بين العنصرين، إلا أنه خلال وجوده شعر الناس بالاطمئنان والهدوء والبعد عن عوامل الإرهاب والملاحقة السابقة. وحدثت تطورات إيجابية شعر فـــيها العرب بالارتياح وبعض التغير في الأوضاع، فقد أسندت الحكومة إلى عمـــر المحيـــشي مهمة إصدار مجلة باللغة العربية لتُنشر فيها أخبار إيطاليا وليبيا. فأصدر مجلة (ليبيا المصورة) التي كانت أول مجلة تصدر في ليبيا باللغـــة العـــربية. وقـــد خصص رئيس تحرير المجلة الصفحات الأولى من المجلـــة للدعاية الإيطالية، وخصص باقي الصفحات للكُتاب الناشئين الليبيين الـــذين نشروا على صفحاتها المقالات الأدبية والأشعار والقصة. وشارك في الكتابة فيها كبار أدباء ليبيا وشعرائها من برقة وطرابلس وفزان، وأصبحت المجلة عاملاً مهماً في نشر الثقافة وتعزيزها في ليبيا.

وفـــي هـــذه الفترة انتعش في بنغازي الأدب والشعر وكان أحمد رفيق المهـــدوي المحرك لهذه الحركة الجديدة، واجتمع حوله الشباب المثقف يكتب أشـــعاره ويدفعـــه إلى المزيد من العطاء، وكانت قهوة البحر الكائنة في آخر شـــارع عـــثمان منـــتدى أدبـــياً يجمع رفيق والشباب المحيط به، وساهمت الـــصحافة المـــصرية مساهمة كبيرة في توسيع ثقافة الليبيين ومعرفتهم، فقد كانـــت تـــصل وتـــوزع في بنغازي مختلف المجلات المصرية، ومن بينها الرسالة التي كان يحرر فيها عمالقة الأدب في مصر، والتي كان يُقبل الشباب علـــى قـــراءتها بشغف كبير، وقد ساهمت الصحافة والمطبوعات المصرية مـــساهمة كبيـــرة في نشر الثقافة بين الليبيين، وبدأ الشبان المثقفون ينشرون أشعارهم وأعمالهم في مجلة ليبيا المصورة التي ضاقت صفحاتها بما يصلها مـــن مقـــالات وشـــعر وأدب مـــن جميع أنحاء ليبيا. وعلى الرغم من المدة القـــصيرة التي عاشتها هذه المجلة فقد أدت لليبيا خدمات ملحوظة في ميدان

الـــشعر والأدب والقـــصة، واستمرت المجلة في عطائها مدة خمس سنوات اختفت بعدها بعدما أختفي صاحبها بالموت.

وأقبل الشباب في هذه السنوات على قراءة الصحف والمجلات الإيطالية والتأثـــر بالإيطاليين في ملبسهم ومأكلهم وتحركاتهم، فتعودوا على العشاء في المطـــاعم الإيطالـــية، وعلى ارتياد المقاهي الإيطالية، ولعب البلياردو في هذه المقاهـــي، ودخلت موجة التطور المنزل الليبي فطور أثاثه، وزود بالحمامات الحديـــثة والمطابخ الجديدة، التي حلت محل طهي الطعام على الفحم والحطب، وتطـــورت المـــرأة فكانت أكثر حرية في خروجها وزياراتها، وذهابها للسوق أيـــضاً لـــشراء حاجـــياتها، وازداد عدد البنات في المدارس وافتتحت مدرسة بالبـــركة، والتحقت خديجة الساقزلي بكلية الطب بفيرنسه وكانت أول فتاة ليبية تدخل الجامعة لدراسة الطب، وازداد عدد المعلمات والشاعرات والكاتبات وفي طليعتهن: بديعة سرور، وحميدة العنيزي، وغيرهن.

وأنـــشأ بالبو في عام 1935م المدرسة الإسلامية العليا بطرابلس، وقد أدت هـــذه المدرسة خدمات جليلة للشعب الليبي، وتخرج منها شباب متعلم، خدم البلاد، وكان على رأس المدرسة الشيخ أحمد الفساطوي، ومجموعة من أجـــود المدرسين، وكان أحد الأهداف من إنشاء هذه المدرسة الحيلولة دون إرسال طلبة إلى تونس والأزهر خشية عودتهم بأفكار ضارة بالمجتمع الذي تـــريده إيطاليا. ونشطت الرياضة في هذه الفترة وتكونت فرق ليبية تتبارى وتتنافس، وكثر إقبال الناس على السفر إلى إيطاليا بدلاً من الإسكندرية.

وإذا ما انتقلنا إلى مساعي بالبو للنهوض بالاقتصاد الليبي الذي دمرته الحـــرب بـــصورة خاصة في برقة، فنجد أن هذه المساعدات اقتصرت على الـــزراعة وتـــربية المواشي، وبدلاً من رصد مبلغ كبير من الأموال ووضع بـــرنامج مفصل لتعويض الليبيين على ما أصابهم من دمار وضياع ثرواتهم بفعل الحكام والجنود الإيطاليين، فقد تجاهل بالبو ذلك وترك المتضررين وهم

أغلبية الشعب يعيشون تحت وطأة مأساتهم، وقام ببعض المساعدات الهامشية مثل منح قروض صغيرة للمزارعين، وإعطائهم البذور، والمشاتل، والأدوات الزراعية، وحفر الآبار، ومعالجة الحيوانات، وهي اهتمامات وإن لم تؤثر في إحـــياء ثروات البلاد الحيوانية والزراعية، إلا أنها كان لها تأثيرها الإيجابي في تشجيع الناس على بناء ثرواتهم الحيوانية التي دُمرت.

وحـــاول بالــبو كــسب العــرب عن طريق الدين وذلك باحترام الدين الإســـلامي ومؤسساته وقام بإصلاح بعض المساجد، ومن بينها المسجد العتيق ببنغازي، والمسجد المدفون فيه السيد المهدي السنوسي بالكفرة، وضريح السيد رويفـــع بـــن ثابت الأنصاري، وأمر ببناء مساجد جديدة حيث تقتضي الحاجة لوجـــودها، وكـــان في لقاءاته مع أعيان البلاد يجعل القضاء ورجال العلم في مقدمتهم، فكان يريد أن يغطي باتجاهه الإسلامي على مشاعر القومية والعروبة لأنه كان يعلم بأن العامل الديني لدى الليبيين أقوى وأرسخ في نفوسهم، وعمل أيـــضاً على إصلاح بعض الزوايا والمدارس الدينية، وقام بإرسال اقتراح إلى روما ببناء مسجد فيها إرضاءً لمسلمي ليبيا الذين كانوا يترددون على العاصمة بكثرة ولخدمة المسلمين من أبناء البلاد العربية والإسلامية المقيمين في روما، إلا أن الاقتراح أفزع الفاتيكان والحكومة الإيطالية الذين اندهشوا لهذا الاقتراح الذي يرمى إلى بناء مسجد إسلامي في قلب عاصمة الكاثوليكية، ولذلك رُفض الاقتـــراح رفضاً باتاً، وظل الفاتيكان يرفض بناء مسجد إسلامي في روما إلى أن تطـــورت الأوضاع الدولية، والأفكار فقام المسجد في روما بأموال عربية في أواخر الثمانينات من القرن الماضي.

واقتـــرن هذا الاقتراح باقتراح آخر بتحويل الممتلكات التي صادرتها الحكـــومة من الزوايا السنوسية إلى إدارات الأوقاف لتوجيهها لأعمال الخير والـــشؤون الدينية وتعليم المسلمين، وهو الاقتراح الذي قدمه عمر المحيشي مـــن على صفحات جريدة بريد برقة، غداة مصادرة أملاك الزوايا السنوسية

بتحويل هذه الممتلكات إلى الأوقاف، وقد يكون هو الذي أوحى إلى بالبو بذلك، وحول الاقتراح إلى موسوليني إلا أن موسوليني لم يُوافق على هذا الاقتراح واحتفظ به في مكتبه.

وكون بالبو شبه مجلس استشاري من الليبيين ضم بعض الأعيان ورجال الدين وعُقد أول اجتماعاته في بنغازي في شهر يوليو عام 1935م، بحضور بالبو حيث دار النقاش حول بعض العادات والتقاليد وضرورة التخلص منها، وقد ارتأى الحاضرون أن يكون الاجتماع على مستوى ليبيا، وتم هذا الاجتماع في طرابلس في أوائل شهر سبتمبر عام 1935م، بحضور المارشال بالبو ورجال حكومته وأربعين شخصية ليبية من الأعيان ورجال الدين والموظفين، وتوقع الليبيين أن يسفر هذا الاجتماع الكبير الذي لم يُعرف له مثيل طيلة العهد الإيطالي عن قرارات تتعلق بمصير الليبيين، ومشاكلهم الحساسة والوضع المتردي في شرق ليبيا، غير أن قرارات المؤتمر كانت مخيبة للآمال وهذه هي:

1. منع الدخول بالبنت قبل الخامسة عشر من عمرها.
2. منع المغالاة في المهور وجهاز العروس ووضح حد أعلى لها.
3. منع الطواف بالجهاز بالشوارع.
4. منع سير وغناء الزمزمات في الشوارع.
5. تحديد أيام العرس.
6. منع تقديم الطعام في المآتم.
7. تحديد أيام الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف بالزوايا.

ودلت هذه القرارات التافهة على أن عقلية الإيطاليين لا تتغير سواء كان الحاكم بالبو أو بادوليو، فلم يصل بالبو رغم اجتهاده إلى فهم حقيقة مطالب الليبيين وطموحاتهم، فقد ظل يجمعهم ويتشاور معهم في أمور سطحية، ولم يشاركهم في أي عمل يتعلق بمصير البلاد أو أوضاعها، وعلق

الكاتب الإيطالي ديلبوكا على عدم فهم الحُكام الإيطاليين للعقلية العربية فكتب يقـول:" إن الحُكـام الإيطاليـين كانوا غير قادرين على إدراك نبل وعظمة الحـضارة العربية واستبعدوا بصورة قاطعة طموحات الليبيين في أن تكون لهم اختياراتهم الذاتية عندما يتعلق الأمر بمصيرهم"[1].

وقد جمع هذا المؤتمر الكبير الذي ضم أعيان البلاد وأعضاء الحكومة وقـد كـان فـي إمكانه بحث شؤون البلاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ودراسـتها إلا أنه تجاهل كل ذلك، واكتفي بأمور ليس لها تأثير في المجتمع الليبي ولا أحد يشكو منها، وستزول بنفسها مع تطور البلاد.

إلا أن بالبو كان يُدرك طموحات والعرب أمانيهم في حكم ذاتي مستقل يـصون ديـنهم وعاداتهم وتقاليدهم، وكان يعلم أن روما لا توافق على ذلك فـأراد أن يعمـل على دمج العرب في الإيطاليين لكي تصبح ليبيا قطعة من إيطالـيا، وقد جاء بالبو إلى ليبيا وفي ذهنه أمران، الأول: التعجيل بعمليات استيطان الإيطاليين في أقرب وقت ممكن، والثاني: تقسيم الليبيين إلى جزئين الجزء الشمالي ويقارب عددهم النصف مليون، والقسم الجنوبي وهو: يقارب العـدد نفـسه، وكان يريد دمج نصف المليون الشمالي هذا في الملايين التي ستتوافد على ليبيا من الإيطاليين لتعميرها وسكناها.

وقـد كون بالبو في مدينتي طرابلس وبنغازي مجموعة من الأعيان يتـصل بهـا في كل مرة يزور البلاد، وكانت مجموعة بنغازي تتألف من الـشارف باشـا الغريانـى وقاضى بنغازي (الشيخ عبد الحميد الديباني) وعمـر المحيشي والشيخ السنوسي المرتضى والدكتور على العنيزي، فهذه المجموعة كان يقابلها في كل مرة يزور بنغازي، ويتباحث معها في أمور الـبلاد التـي يـريدها، ولم يكن في مقدور هؤلاء الأعيان أن يحدثوه عن

---

(1) ديلبوكا ، الإيطاليون في ليبيا ، الجزء الثاني ، روما 1986، ص 244.

مطـــامح البلاد الحقيقية وما يريده شعبها، بل كانوا يكتفون بالإنصات إليه وتنفيذ ما يُطلب منهم.

لقــد قــضت إيطالــيا علـــى الـــثورة التي كانت تطالب بحقوق الليبيين المــشروعة، وقــضت في نفس الوقت على طموحات الناس وأمانيهم في حكم بلادهم بأنفسهم تحت السيادة الإيطالية، وقد أصبح العرب الآن دون هدف ودون أمل، يُحكمون من إيطاليا مباشرة، ويعدون مواطنين من الدرجة الثانية.

واستمر بالبو في جمع العلماء والأعيان لبحث التقاليد والعادات الضارة التي يجب القضاء عليها ولم يتطرق أبداً في اجتماعاته هذه إلى أمر من أمور الــبلاد الحــيوية كالاقتصاد والزراعة ومصير الشعب الليبي، فقد كان يتخذ قراراته دون استشارة أحدٍ أو يُنفذ التعليمات التي تصله من روما دون اطلاع أحد من العرب عليها.

ولم تلقه سياسة بالبو التوددية للعرب قبولاً لديهم، فكان فريقٌ كبير من الناس لا يفرق بين سياسة بادوليو وبالبو، لأنهما كانا ينفذان السياسة الإيطالية الموضــوعة سلفاً بخصوص التعامل مع سكان ليبيا العرب، وآخرون كانوا يــرحبون بــسياسة بالــبو، ويعتقدون أنه يريد الخير للعرب، ويريد تحسين أوضـــاعهم ورفع مستواهم، وإشراكهم في حُكم بلادهم، فمنذُ قدومه استقرت وهــدأت الأوضاع، ولم يُقبض على احد لأسباب سياسية ولم تُداهم الشرطة لــيلاً منزل أحد. فقد عمل على تحسين حالة الموظفين بصورة عامة، وأوجد وظائف رئيسية للمؤهلين منهم، وكان دائم الاهتمام بالليبيين ومشاكلهم ويكفي أنه في عام الجفاف الذي حل بطرابلس أمر بنقل ما يزيد على 300 ألف رأس مــن الأغنام إلى برقة حيث يتوفر المرعى، وقد عادت هذه الأغنام ونتاجها إلى طرابلس بعد أن تحسنت الأحوال عن طريق البر، وأمر بحفر الآبار على طــول الطــريق لشرب الأغنام وهي في طريقها إلى طرابلس، ويقولون إن

الفتـــرة التي تولى فيها بالبو الحكم حتى الآن لم يحدث فيها ما يسوء الليبيين أو يلحق بهم الضرر.

العشرون ألفاً:

كانـــت نهايـــة الثورة في برقة دافعاً لإيطاليا للعمل على تنفيذ خططها الاستيطانية التي ظلت معلقة بسبب الثورة التي استمرت عشرين عاماً، والتي لـــم تستطع إيطاليا خلالها تأمين الحياة إلا لبضعة آلاف من المعمرين جاءوا إلى ليبيا مُنذ بداية الاحتلال، غير أن الظروف الآن تغيرت وأصبح في إمكان إيطاليا تنفيذ برامجها الاستيطانية دون أي عائق.

وقـــد شرع بالبو منذ وصوله إلى ليبيا يعد العدة لاستقبال عشرين ألف معمـــر يجـــئ بهم من إيطاليا إلى ليبيا دفعة واحدة، وهذا الرقم يتجاوز عدد جميع المعمرين الذين جاءوا إلي ليبيا منذ بداية الوجود الإيطالي بليبيا، واتفق مـــع الحكومة على ذلك، وقد خُصصت له الأموال اللازمة لإنجاز المشروع واختـــيار الـــشركات اللازمة للقيام بالمشروع، وانتزاع ملكية أراضى الجبل الأخضر الذي أخرجوا أهله منه، وقد أرادوا أن يعطوا عملية النهب الجماعي هـــذه صـــبغة قانونـــية فاعتمدوا على القانون التركي الذي يعتبر الأراضي القبائلـــية أراضـــي أميرية رقابتها للدولة وتُعطى للانتفاع للقبائل، وشرعوا بوضـــع الفـــرائض الـــشرعية تسلـــسلاً من أوائل القبائل حتى اليوم وأمروا بتعويض المستحقين تعويضاً زهيداً حرموا منه المجاهدين والمهاجرين.

وساهمت في تمويل المشروع عدة مؤسسات مالية إيطالية، ولم تُعرف قيمة تكاليفه، وعمل في المشروع عشرة آلاف عامل إيطالي وثلاثة وعشرين ألـــف عامل ليبي، وانتهي العمل في المشروع في مدة ستة أشهر، وقد أقيمت سبع عشرة قرية، وألف وسبعمائة مستعمرة تضم كل واحدة منها بيتاً للسكن، ومخـــازن للغلال، وبئر، وبضعة أبقار، وأغنام، ومعلبات محفوظة وبضعة

هكتارات من الأرض لزراعة الحبوب وراتب شهري قدره أربعمائة ليرة لكل رب عائلة، وقد تم اختيار العائلات من بين ذوى الأبناء الكثيرة وذلك ليتكاثروا بسهولة، وفي كل قرية مدرسة ومستوصف، ورجال أمن وممثل عن الهيئة الاستعمارية.

وتجمع معمرو الجنوب في نابولي، ومعمرو الشمال في جنوا، وكانت أكثرية المعمرين من الشمال، وانضمت بواخر معمري الشمال ببواخر معمري الجنوب في نابولي، وتكونت قافلة بحرية كبيرة تحرسها السفن الحربية، وبمجرد مغادرة القافلة لنابولي رأي المعمرون موسولينى على ظهر بارجة حربية وقد وقف يستعرض البواخر ويحي المسافرين.

لقد فرحت إيطاليا بهذا الحدث التاريخي الذي يحقق حلماً ظل يُراودها لأكثر من ثلاثين عاماً، فقد استطاعت أن تُرسل إلى ليبيا عشرين ألف معمر دُفعة واحدة، وقررت أن يسافر إلى ليبيا في كل عام مثل هذا العدد أو أكثر، بحيث يتجاوز المعمرون المائة ألف نسمة في داخل خمس سنوات، وكان أكثر الجميع فرحاً وسروراً الجنرال دي بونو وزير المستعمرات.

وفي يوم 1936/11/2م وصلت البواخر إلى طرابلس حيث كان بالبو في انتظارها، وقد نزل المستوطنون إلى اليابسة وتجمعوا في ساحة السرايا الحمراء حيث ألقى فيهم بالبو كلمة، ثم ركعوا وقبلوا الأرض وأدوا صلاة شكر وكانت الدموع تملأ أعينهم، وأعين بالبو نفسه، وفي اليوم التالي سافرت البواخر الحاملة لمعمري ليبيا الشرقية إلى بنغازي، ورحلوا إلى الجبل الأخضر، واستلموا مساكنهم ونظموا حياتهم في موطنهم الجديد، وفي العام التالي جاء فوج آخر من المعمرين بحيث زاد عددهم على الثلاثين ألفاً. وهكذا استطاع بالبو تحقيق حلمه بأن يذكره التاريخ بأنه منشئ الضفة الإيطالية الرابعة.

وقــد أراد بالــبو أن يطمئن أصدقائه العرب بألاّ ضرر عليهم من قدوم عــشرات الآلاف مــن المستوطنين، فعقد اجتماعاً مع مشائخ القبائل والأعيان تحت شجرة في وادي لطرون حيث تناول الطعام العربي مع ضيوفه ثم شرح لهم التقسيم الجديد في الأراضي بين العرب والإيطاليين، فقال إن منطقة الجبل الأخــضر بكاملهــا قــد خصصت للمعمرين الإيطاليين، ومحرم على العرب المــرور منها أو الرعي والحراثة فيها، وأعلن أنه قد خصص للقبائل العربية التــي كانت تسكن الجبل سابقاً المنحدر الجنوبي من الجبل الأخضر وما يشمل مــن أراضٍ صحراوية وشبه صحراوية، وذُهل الحاضرون لغرابة النبأ، ولم يــتمالك بعضهم نفسه من الاحتجاج، وقال على العبيدي لبالبو أن هذا الإجراء يعنــى القــضاء على الليبيين لأن المناطق التي خصصها لهم قاحلة ولا يتوفر فيها دائماً المرعى والأمطار والمياه ولا تُعدُّ طبيعتها صالحة لحياة الناس.

فقد بلغت مساحة الأراضي في الجبل الأخضر التي ضمتها الدولة إليها لأغــراض الاســتعمار الاســتيطاني 630 ألف هكتار، مع احتمال رفع هذه المساحة إلى 900 ألف هكتار كي تشمل جميع أراضى الجبل الأخضر، وكتب ماركــو بوميليو مدير صحيفة (العمل الاستعماري) وكان يجرى تحقيقاً في ليبــيا الشرقية عن الاستيطان الجديد فقال:- " لقد قابلت الكثير من الإيطاليين الــذين كانــوا يــشعرون بوخز الضمير من جراء مصادرة أراضى الجبل الأخــضر بكاملهــا، وقابلــت العديد من كبار المسؤولين، وكانوا مترددين ومضطرين في الإجابة على سؤالي لهم، إذا كان نشاط هيأة الاستعمار مفيداً لأهل البلاد أم يحد من إمكانياتهم"(1).

ولإرضــاء العــرب وإســكاتهم أراد بالــبو أن يُظهر عدالته ما بين الإيطاليــين والعــرب، وذلــك بإنشاء قرى عربية في رأس الهلال وزعت مــساكنها على عسكريين قدامى لا يفهمون في الزراعة شيئاً، والفارق شاسع

(1)ماركو بوميليو ، صحيفة العمل الاستعماري ، روما 1935م ، ص 1016.

مـــا بـــين القرى العربية التي أنشأها بالبو في رأس الهلال والألف وسبعمائة قرية إيطالية التي أنشأها في الجبل الأخضر.

وقـــد أراد بالـــبو من تشييد هذه القرى العربية اتخاذها وسيلة للدعاية الخارجية وللاستهلاك الداخلي، فعندما زار القاهرة في شهر مايو عام 1939م أطلـــع الملك فاروق على صور القرى الزراعية التي خُصصت للعرب، كما ذكـــر الكاتـــب (سيقرى) والذي أضاف: "بأن الجزء الأكبر من هذه القرى الإسلامية لم ينته العمل فيها حتى اندلاع الحرب، وأن القرى جميعها لم تتخطَّ مـــرحلة المـــشروع. وكان الخبراء الزراعيون المتخصصون لهذا المشروع يعدونـــه مـــسرحية فـــي حين كان بدو برقة يعلقون عليه بأنه ذر رماد في الأعـــين". وعلق بدو ليبيا الشرقية على سياسة بالبو كما كتب (بريتشارد) فقالـــوا: إن بالـــبو كان يريد تدميرهم بسرقة أراضيهم كما دمرهم غرازياني بالرشاشات والقنابل.

وازدهرت هذه القرى بالمعمرين وبنشاطهم وعملهم، فكان المار من الجـــبل الأخضر يشعر وكأنه في قطعة من إيطاليا. وظلوا خمس سنوات يعملـــون ويجدون حتى حولوا هذه المزارع إلى حقيقة بما كانت تدره من إنتاج زراعي وحيواني، إلا أن فرحتهم لم تدم ولم يتمتعوا بالأراضي التي تحـــصلوا عليها والتي كانوا يريدون إرثها إلى أبنائهم لأن إيطاليا دخلت الحـــرب، واحـــتل الإنكليز البلاد، وتعرض المعمرون لاعتداءات الجنود الأســـتراليين وبعـــض شـــباب العرب، وقبل الاحتلال الإنكليزي الثالث لبـــنغازي أمـــرت الحكومة الإيطالية بعودتهم إلى إيطاليا دون أن يأخذوا معهـــم شيئاً مما أوجدوه، وعادوا إلى إيطاليا باكين بعد أن خلفوا وراءهم أحلامهم وثرواتهم ومصيرهم الجديد.

زيارة موسولينى لليبيا :

دعا بالبو موسولينى لزيارة ليبيا والاطلاع على ما تم من إنجازات في عهده وخاصة ما تم من بناء القرى للعشرين ألف معمر، وأراد أن تكون هذه الزيارة تاريخية يتذكرها الليبيون على المدى الطويل، وقام بالبو بنشاط كبير لهذا الغرض وكان يتنقل من مدينة إلى مدينة ويجتمع بأعيانها ويقول لهم إن زيارة موسولينى لليبيا أهم من عشر سنوات جيدة المحصول، وأخذ يبشر بأن مجـــيء موسولينى إلى ليبيا سيجلب إليها الخير والتقدم والازدهار، وقد أنشأ لجـــنة عُلــيا للإشراف على الاحتفالات مكونة من الأمير سليمان القرمانلي، ومحمـــود المنتـــصر، ومصطفي ميزران، وعمر المحيشي، وعلى العنيزي، وعلـــى الجربـــى، وقامـــت هذه اللجنة بدورها لتشكيل العديد من اللجان في مختلف المدن الليبية التي أسند إليها تنظيم الاحتفالات وتكثيف حضور الناس إلـــيها، وأعْطيت الأموال لمشائخ الزوايا الصوفية لتجديد أعلامهم ودفوفهم، ووســـائل زينـــتهم، للظهـــور بالمظهر اللائق يوم قدوم موسولينى، وقُدمت المـــساعدات لـــنوادي الشباب الرياضية كي يشاركوا في الاحتفالات ويدعوا الناس للمشاركة فيها.

وكـــان عـــرب بـــنغازي يشاهدون هذا النشاط، وهذا الاهتمام بزيارة موســـولينى وبعضهم يصدق ما كان يقوله بالبو، والقسم الأكبر -الذي خبرته الـــتجارب مـــع إيطاليا- كان لا يعتقد أن زيارة موسولينى ستثمر شيئاً مفيداً للـــبلاد. فإيطالـــيا اتخـــذت قرارها بأن تكون ليبيا جزءاً منها تسكنها غالبية إيطالـــية، وأما العرب فيعدون مواطنين من الدرجة الثانية في خدمة أسيادهم الإيطاليين، لقد كان الاعتقاد يسود هؤلاء الناس بأنه منذ أن قضى على ثورة عمر المختار، وتوقف القتال، ولم يعد أحدٌ يرفع السلاح في وجه إيطاليا لأن العـــرب أصبحوا بلا مستقبل لهم في ليبيا، وعليهم أن يقبلوا الوضع المزرى الذي خصصته لهم إيطاليا أو يغادروا البلاد.

ووصـــل موســـولينى علـــى ظهر بارجة حربية إلى ميناء طبرق يوم 1937/3/10م وقــد قطــع الرحلة من إيطاليا إلى طبرق على ظهر البارجة (بولا)، تحرسها مساعدة قطع بحرية، وكان في معيبته وزير المستعمرات والدعايـــة وسكرتير الحزب الفاشستي، ووكلاء وزارت الحربية، والبحرية، والطيـــران، وعدد كبير من الشيوخ، وأعضاء المجلس العلمي، ومن طبرق ذهـــب موســـولينى إلـــى أمساعد حيث كان في انتظاره 160 صحفياً إيطالياً وأجنبـــياً، وقام برفع العلم الإيطالي على آخر علامات الحدود، وأعلن افتتاح الطريق الساحلية التي تمتد من هناك إلى أقصى حدود ليبيا الغربية، ثم اتجه بـــوجهه نحو مصر، وألقى خطاباً لا يخلو من الخيلاء والتلميح والتهديد، لقد كان الغرض الرسمي من الزيارة هو افتتاح الطريق، إلا أن الزيارة كان لها مغـــزى آخـــر وهو التدليل على أن ليبيا أصبحت ورقة هامة في لعبة الدول الموجودة في البحر الأبيض المتوسط.

وقـــد استأنف موسولينى رحلته بالطائرة إلى درنة، وقد زار مؤسساتها الإيطالية والجامع العتيق الذي أهداه ثريا، وقضى ليلته في درنة، وفي اليوم التالـــي واصـــل رحلته إلى الجبل الأخضر وبصحبته بالبو، وقد زار ضريح السيد رويفع بن ثابت الأنصاري، وأهداه ثريا كما التقى بالمعمرين الإيطاليين وألقـــى فيهم كلمة أكد فيها أن إيطاليا بجانبهم وستحميهم دائماً، وكانت فرحة المعمرين كبيرة بلقائهم زعيمهم والتحدث إليه ورؤيته عن كثب.

وزار الدوتـــشي رأس الهلال وتناول طعام الغداء في وادي الأطرون، وقضى ليلته في شحات بالفندق الذي أنشأه بالبو بمناسبة الزيارة.

وصـــل مـــوكب موسولينى إلى باب الصابري في الساعة الثالثة بعد الظهـــر، فأطلقـــت المدافع تعلن دخوله بنغازي، وهرع الناس عرب ويهود وإيطالـــيون كـــبار وصغار إلى جانبي شارع (عمر بن العاص) لمشاهدة الدوتشي، وكان واقفاً في سيارة مكشوفة وإلى جانبه المارشال بالبو، وتحيط

بسيارته دراجات الشرطة النارية ويتبعه رتل من السيارات تنقل حاشيته وقوات الأمن.

وقد بدأ موسوليني زياراته في بنغازي فزار المؤسسات الإيطالية، ووضع إكليلاً من الزهور أمام النصب التذكاري المُقام في جليانة للجنود الذين سقطوا يوم معركة جليانة، زار بعض المؤسسات والمدارس ومن بينها مصنع خزام للنسيج، ومن هناك انتقل إلى سوق الجريد، وكان مفروشاً بالسجاد وأقام أصحاب المتاجر بعض الزينات المتواضعة ثم اخترق سوق الظلام، وكان أيضاً مفروشاً بالسجاد، وزار المسجد العتيق وقدم له ثريا كبيرة هدية، وقد اجتمع بالقرب من الجامع الكبير حشدٌ من الناس، وكان في انتظاره قاضي بنغازي والأئمة والمختارون وعدد من الأعيان، ورحب به القاضي بكلمة وجيزة، وبعد أن خرج موسوليني من الجامع أعلن للقاضي عن تبرعه بمائة وعشرين ألف ليرة لتصرف في أعمال الخير الإسلامية، ثم انتقل إلى مبنى البلدية حيث وجد أعيان العرب والإيطاليين واليهود فرحبوا به ثم أطل من شُرفة البلدية على الميدان الغاص بالجماهير وألقى فيهم الكلمة التالية:" أود أن أعبر عن ارتياحي لهذه المظاهرات التي قابلتموني بها والتي شعرت منها إخلاصكم لروما ولإيطاليا الفاشستية، لقد برهنتم من إخلاصكم بما قدمتم من التضحية وبذل الدم أثناء حرب الإمبراطورية المنصورة، وأن إيطاليا الفاشستية القوية العادلة لن تنسى هذا".

ثم انتقل إلى قصر الحاكم حيث سيقضي ليلته، وقد أطل من الشرفة على جُموع الإيطاليين الذين جاءوا لتحيته، إلا أنه لم يَفُه بكلمة واكتفي بما قاله في ميدان البلدية.

وفي صباح يوم 1937/3/15م واصل موسوليني زيارته للمؤسسات والمنشآت والمدارس الإيطالية كما زار الكاتدرائية الجديدة وفندق برنيقه. والمدارس الخاصة بأبناء العرب، وزار موسوليني مغارة الجخ الكبير

(الليثي) وزار مطار بنينا الذي شيد حديثاً بدلاً من مطار البركة الذي أصبح وسط المدينة، ثم واصل بعد ذلك رحلته إلى الشق الغربي من ليبيا وقد أمر بالبو بتجمع الناس، والقبائل على طول الطريق حتى العقيلة، وكان يتوقف ويستمع إلى خُطب القُضاة المتكررة، ويقدم للناس بعض السكر والشاي والأرز، وقضى ليلته في رأس لانوف، ثم واصل رحلته فمر موكب موسوليني بسرت، وتاجوراء، وزليتن، ومصراته، وتكررت الاحتفالات نفسها، وكلمة القّضاة المتكررة.

لم يشارك معظم أبناء بنغازي في استقبال موسوليني للإعراب عن إخلاصهم وامتنانهم، كما أراد بالبو، بل بدافع الخوف والفضول لمشاهدته والاستماع لما سيقوله، بوصف هذه الزيارة منعطفاً هاماً في حياة ليبيا ومصير سكانها، كما قدمها المارشال بالبو، وذلك رغم شعور الكراهية والغضب الذي كان لا يزال يملأ صدور الناس وقلوبهم، وإحساسهم القوى أن إيطاليا رسمت سياستها الاستيطانية في ليبيا ولا مجال لتغييرها، ومع ذلك فإن العديد من الأعيان والشباب والشخصيات البارزة لزموا منازلهم، ولم يخرجوا للهتاف للرجل الذي أمر بإبادتهم وتبديد ثرواتهم، فكل ما ارتكبه بادوليو وغرازياني ضد الشعب الليبي من جرائم كان برضاء الدوتشي وموافقته.

أما الشبان فقد قاموا وساروا في مواكب بدراجاتهم، كانوا أشبه بالمشاركين في مهرجان رياضي حيث الفرصة لإطلاق طاقاتهم المكبوتة واللهو والاستعراض، وكانوا في داخلهم لا يقلون عن أهلهم كراهية لإيطاليا وكل ما يمت إليها بصلة.

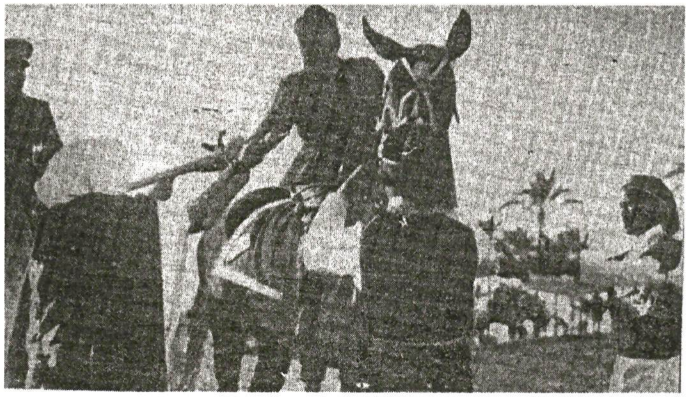
وبمناسبة زيارة موسوليني إلى بنغازي أمرت السلطة بالقبض على عدد من الأعيان والمواطنين للتحفظ عليهم في سجن بنغازي خلال زيارة موسوليني لها، وكانت هذه المرة الأولى والأخيرة التي يُلقى القبض فيها على مواطنين طيلة حُكم المارشال بالبو.

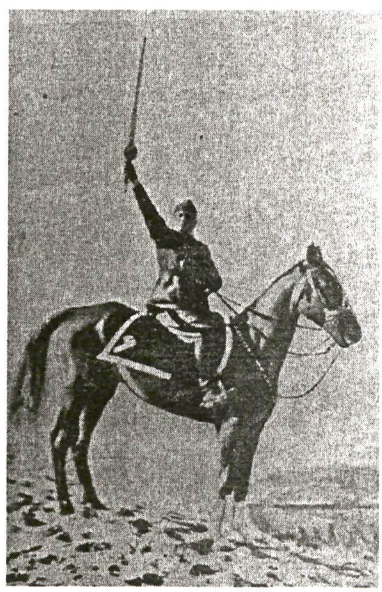
وأصيب العرب في بنغازي بخيبة أمل كبيرة بعد سماع كلمة موسولينى التي ألقاها من شرفة دار البلدية، والتي لم تتجاوز الثلاثين كلمة، ولم تتناسب أبـداً مع الاحتفالات الضخمة التي أقامتها بنغازي، ولا مع الوعود التي كان يكررها بالبو في جميع لقاءاته بالليبيين.

واشـتد النقاش في المرابيع والأسواق حول حقيقة نوايا إيطاليا، إلا أن بعضاً من الذين تورطوا في مواقفهم المؤيدة لبالبو كانوا يؤكدون أن الخطاب الرئيـسي الـذي سوف يلقيه موسولينى في طرابلس سيعكس سياسة إيطاليا الجديـدة حيال العرب، ويحدد مصيرهم ومستقبلهم وفقاً للمواقع الجديدة التي ساهمت عدة عوامل في نسجها.

وقد أقيم معسكر ضخم في رأس لانوف حيث قضى الدوتشي ليلته مع المئات من مرافقيه، وكان الدوتشي يتوقف بين الحين والآخر، وفقاً للبرنامج الذي أعده بالبو للحديث إلى بعض الناس.

وأخيـراً فـي يـوم 3/18 دخل موسولينى طرابلس دخول الفاتحين، فأطلقت المدافع وأضيئت الأنوار، وارتفعت الهتافات، وسار على رأس ألفي فارس إلى ميدان القصر، حيث أقيم سرادق يتسع لخمسة آلاف مدعو، وعندما أطل على ساحة القصر أضيئت الأنوار على برج حديدي أقامه بالبو بارتفاع مـئة متـر وتحـول القـصر إلى شعلة من الأنوار، وفي اليوم التالي افتتح موسـولينى معرض طرابلس الحادي عشر، وزار جامع القرجي حيث يستلم موسولينى من الأعيان الليبيين سيف الإسلام ويرفعهُ عالياً.





انتظـــره العلماء ورجال الدين، وقد أهدى إليه ثريا مائة وخمسين ألف ليـــرة. وفـــي يـــوم 3/20 شاهد المناورات العسكرية التي شارك فيها جنود ليبـــيون، وقدم نيشاناً ذهبياً لفرقة ليبيا التي شاركت في حرب إثيوبيا، ثم زار بعد ذلك عدة مؤسسات ومدراس إيطالية.

وتجلــت قمـــة إخـــراج بالـــبو في الاحتفال الكبير الذي أقيم في سهل بوغرارة بالقرب من سوق الجمعة، حيث حشد بالبو قرابة ثلاثة آلاف فارس ليبـــي يـــتقدمهم مجمـــوعة من المشائخ والأعيان، وجاء موسوليني تحيط به حاشـــيته ورجال الدولة فاعتلى صهوة جواده وصعد على ربوة أشرف منها علـــى هـــذه الجموع الضخمة التي قابلته بالهتاف، وصيحات الحرب الليبية، وهـــنا تقـــدم إلـــيه يوسف خريبيش، وجمع من الأعيان والمشائخ، وخاطب موسوليني قائلاً: "إنه باسم عساكر ومسلمي ليبيا الفخورين بأنهم أبناء إيطاليا الفاشـــستية، أقدم لك أيها الزعيم سيف الإسلام القاطع"، فتسلم موسوليني منه الـــسيف، واستله من غمده ورفعه إلى أعلى عدة مرات وصاح بأعلى صوته منادياً "يا أولاد" نداء الحرب، وردد الفرسان العرب النداء بصوت واحد هز المكـــان، وانطلـــق الزعيم على رأس الفرسان العرب والسيف بيده مخترقاً شـــوارع طـــرابلس إلـــى أن وصل ميدان السرايا الحمراء الذي كان غاصاً بالجماهير، وقد اعتلى بجواده ذروة أعدت خصيصاً لذلك، وألقى خطابه الذي كان ينتظره الجميع بفارغ الصبر، وقد تُرجم الخطاب إلى اللغة العربية وهذا نـــصه: "يـــا مـــسلمي طرابلس وليبيا، يا شباب الليتوريو العرب، إن مولاي الجلـــيل ذا الـــشوكة فيكتور عمناويل الثالث ملك إيطاليا وإمبراطور الحبشة أرســـلني ثانـــية إلـــيكم بعـــد إحدى عشرة سنة للتحقق من رقى هذه الديار المرفـــرف علـــيها علم إيطاليا ذو الثلاث ألوان، والوقوف على ما تحتاجونه وإجابـــة رغباتكم المشروعة، وأنتم قد انتهزتم هذه الفرصة لتهدوا إلى أكرم الهـــدايا إلا وهو هذا السيف، رمز القوة والعدل، الذي سآخذه معي إلى روما وأحفظه بين أعز ذكريات حياتي، إني إذ أتقبل هديتكم هذه أقول لكم إن عهداً جديـــداً في تاريخ ليبيا قد بدأ، لقد برهنتم على إخلاصكم الشديد لإيطاليا فلم تحـــيدوا قط عن النظام يوم كانت إيطاليا رهن حرب شعواء في بلاد بعيدة، وكان لكم نصيب ثمين في إحراز الظفر بالألوف المتطوعة منكم.

وسيعود بين ظهرانيكم قبل تمكن فصل الصيف العساكر الذين أبلوا بلاء حسناً في الحبشة، فعليكم أن تستقبلوهم بما هم جديرون به من الاحتفال والإكرام، وعلى إثر هذه البراهين التي قدمتموها فإن إيطاليا الفاشستية عازمة على أن تكفل لمسلمي ليبيا والحبشة السلام، والعدل، والرفاهية، ورعاية الشريعة الإسلامية، وهي ترمى بذلك إلى إبداء عطفها نحو الإسلام، ومسلمي العالم بأجمعه.

وستعلمون عما قريب ما ستأتي روما به من القوانين مبلغ اهتمامها بجعل مستقبلكم كل يوم في تحسن متزايد، يا مسلمي طرابلس وليبيا عليكم بإذاعة كلماتي هذه في بيوتكم بالمدن والقرى إلى آخر خيام الرعاة، فإني كما تعلمون لست ممن يكثر الوعود على أنى إذا وعدت فلا بد من إنجازه."

وزار موسولينى في اليوم التالي المنطقة الغربية حتى الحدود، حيث رفع العلم الإيطالي، كما فعل في أمساعد، ثم زار لبدة في يوم 3/20 واضطر إلى اختصار رحلته وإلغاء زيارته لغدامس والجنوب، بعد ما بلغه نبأ مشئوم بهزيمة القوات الإيطالية بوادي الحجارة بأسبانيا، حيث فقدت الفرق الإيطالية أكثر من 2700 جندي إيطالي ما بين قتيل وجريح ومفقود، وقد شاركت إيطاليا كما هو معروف في الحرب الأهلية الأسبانية، إلى جانب فرانكو وأرسلت أربع فرق لمساعدته، وقد هزت الهزيمة موسولينى وحكومته وأضاعت عليه فرصة التمتع بثمار رحلته إلى ليبيا، وغادر طرابلس يوم 3/21 متجهاً إلى إيطاليا.

ونعود إلى بنغازي حيث ظل الناس يتتبعون رحلة موسولينى عن طريق الإذاعة في انتظار خطابه العظيم، وقد قام بالبو قبل فترة وجيزة بتأسيس محطة إذاعة بطرابلس بقوة 50 كيلو وات، وخصصت في بادئ الأمر خمسة وأربعين دقيقة للإذاعة باللغة العربية التي شملت برامجها على نشرة إخبارية يومية، وعلى إذاعة القرآن الكريم مرتين في الأسبوع، وإذاعة

بعـــض الموســـيقى والقطع الأدبية فيما تبقى من الوقت، ثم تطورت فيما بعد البرامج العربية بصورة أوسع، وكانت هذه أول إذاعة باللغة العربية عرفتها ليبيا في تاريخها.

وحققـــت صحيفة بريد برقة نصراً صحفياً في تلك الفترة، فقد التقطت عن طريق إذاعة طرابلس خطاب موسولينى، وترجمته، وطبعت الجريدة قبل الـــصباح وفـــي صدرها خطاب الدوتشي، وقد أرسلت إلى طرابلس صباحاً بالطائرة وتوزعت في طرابلس، وبنغازي في نفس الوقت.

ولعـــل أكثر ما لفت النظر في رحلة موسولينى إلى ليبيا اكتسابه لقب حامى الإسلام، دون أن يطلب أحد من المسلمين حمايته، ولا شك أن الفكرة تولدت من خيال بالبو الذي ذكر اللقب لأول مرة في منشوره، الذي أذاعه في بـــنغازي يوم 3/12 والذي جاء فيه:ـ " أن الدوتشي هو حامى الإسلام ولذلك يكرم المسلمين"، وربما أراد بالبو أن يمنح موسولينى لقب حامى الإسلام كما منح الأخير لقب إمبراطور لملك إيطاليا فيكتور عمانويل الثالث. ولا نجد أية خلفـــية لهـــذا الادعاء، ولا نعثر على أي وقائع أو أحداث تاريخية بعيدة أو قـــريبة قامـــت بها إيطاليا لصالح الإسلام والمسلمين وحمايتهم، بل إن الأمر كـــان علـــى عكس ذلك، لأنها اضطهدت وقتلت وسجنت المسلمين من أبناء ليبـــيا، لأنهـــم دافعـــوا عـــن وطنهم، فمسلمو العالم منذ احتلال إيطاليا لليبيا ناصـــبوها العـــداء، ولم يتوقفوا أبداً عن إدانة واستنكار أعمالها الهمجية ضد مسلمي ليبيا الذين كانوا بحاجة لمن يحميهم من موسولينى وشروره، وأعطى بالبو للزيارة طابعاً إسلامياً، وجعل الواجهة التي رحبت وخاطبت موسولينى مـــن رجـــال القـــضاء والعلماء، وتضمنت كلماتهم التي ألقوها الإشادة بدور الدوتـــشي نحـــو المسلمين، ولا نعتقد أن أحداً من الليبيين حتى الضالعين مع إيطالـــيا قـــد اقترح منح موسولينى لقب (حامى الإسلام)، وقد كان خطاب يوسف خريبيش معداً ومترجماً من الحكومة.

ولم تحقق هذه المسرحية أهدافها لأن العالم الإسلامي جميعه قابلها بالاستهجان والاستنكار، وكتبت مجلة "الشهاب" التونسية على سبيل المثال تقول إن رحلة موسوليني إلى ليبيا كانت عبارة عن استعراض للهدر والدجل، ولو كانت لدينا القوة على الضحك لضحكنا كثيراً على هذه المسرحية السخيفة، فالسيف صنع في إيطاليا ودفعت الخزينة الإيطالية مائتي ألف ليرة ثمناً له، وقد أمرت الحكومة مجموعة من المسلمين أن يقدموه لموسوليني باسم سيف الإسلام، فماذا فعلت إيطاليا الدموية في ربع القرن الأخير بنصف مليون مسلم؟ من سمح لديكتاتور إيطاليا أن يتحدث باسم الإسلام ويعلن نفسه حامياً للإسلام؟

نتائج زيارة موسوليني لليبيا:

لم تُسفر زيارة موسوليني إلى ليبيا عن أي تغيير ملموس في أوضاع الليبيين وفي سياسة إيطاليا نحوهم، فخطاب موسوليني في طرابلس كان يُعلن عن وعود مبهمة ولم يقدم شيئاً لليبيين، وفي بنغازي انتظر الناس خطاب موسوليني الرئيسي في طرابلس ولم يجدوا فيه أي شئ يدل على تغير سياسة إيطاليا نحوهم. فسياسة إيطاليا في ليبيا قد تقررت ولا سبيل لتغييرها لصالح الليبيين، فقد قررت إيطاليا مُنذ بداية الاحتلال الإيطالي أن تكون ليبيا امتداداً لإيطاليا ومنفذاً لمئات الآلاف من المهاجرين الذين كانوا يغادرونها سنوياً.

فليبيا في نظر الحكومة الإيطالية أرض إيطالية، عادت إلى إيطاليا، وسوف يسكنها إيطاليون وتكون جزءاً لا يتجزأ من الدولة إيطاليا، أما العرب فلا مستقبل لهم في ليبيا إلا أن يعيشوا كمواطنين من الدرجة الثانية دون حقٍ أو هدف أو يغادروها، ومع ذلك فقد ظل من العرب من يعتقد في سياسة بالبو ووعوده، فقد أظهر الرجل نواياه الحسنة نحو الليبيين، وحاول إصلاح أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية. فقد أنشأ جمعية شباب الليتوريو التي هي

جزء من الحزب الفاشستي، وقد تحاشاها الشباب العربي في أول الأمر، ولم ينضموا إليها إلا أنهم اقتنعوا فيما بعد بفوائدها الرياضية وبرحلاتها وتنظيماتها التي شجعت الشباب على الانضمام إليها، وقد نُظمت هذه الجمعية أحسن تنظيم وزُودت بالملاعب الرياضية وبالمدربين، وأصبح لها فرق رياضية تتنافس مع بعضها وتتنافس مع غيرها، ونُظمت رحلة لمنتسبي برقة إلى طرابلس حيث تباروا مع إخوانهم الطرابلسيين في لعبة الكرة وفي ألعاب رياضية أخرى، وبعد فترة جاءت الفرقة الطرابلسية لجمعية الليتوريو إلى بنغازي لتتبارى مع فريقها، وقد أُعد احتفال شائق في الملعب البلدي حضره الوالي وكبار المسؤولين، وأشرفت جمعية الليتوريو على تنظيمه، وكانت مباراة ودية جميلة.

وفي عام 1939م أرُسل عددٌ كبير من شباب جمعية الليتوريو العربي إلى روما للاطلاع على معالمها، ومشاهدة عظمة روما وتاريخها وآثارها، وقوبلوا في روما مقابلة ودية وأطلعوهم على معالم روما وقصورها وأثارها، ثم شاركوا في استعراض القوات التي قام باستعراضها موسوليني، وقد أُعجب بالليبيين وبدقة تنظيمهم. وأصبحت الجمعية من المؤسسات الفاشستية المعروفة.

وشعر بالبو بالغبن الذي كان يشعر به الموظفون العرب بصورة عامة حيث أنهم كانوا يعملون دون كادر ودون حقوق منصوص عليها. فأراد تحسين حالة الموظفين فعمل على إيجاد كادر للموظفين العرب من طبقة الفراشين، والسائقين، ورجال الجمارك، والحراس، يضمن حقوقهم في العمل وترقياتهم وحقوقهم عند المرض أو نهاية العمل وزِيدت رواتبهم، وكان عددٌ كبيرٌ من الليبيين يعملون في هذه المهن، وهم بملابسهم الرسمية أصبحوا يشكلون مظهراً من مظاهر بنغازي المعروفة، ثم اتجه إلى القضاة فجعل لهم كادراً ينظم دخولهم إلى المهنة وترقياتهم وإجازتهم وحقوقهم عند المرض وبعد تخليهم عن العمل، وقد زيدت رواتبهم زيادة ملحوظة، وجعل أيضاً

كـــادراً لأعضاء المديريات ينظم دخولهم إلى الخدمة وترقياتهم وحقوقهم في الإجازات والعلاج وما بعد ترك العمل، وقد أضاف بالبو إلى كادر المديريات وظيفتين جديدتين هما: مستشار للشؤون العربية، وكاتب للشؤون العربية، أما المستشارون فقد وقع عليهم الاختيار وعينوا واحداً في كل متصرفية ليساعد المتصرف في إدارة الشؤون العربية.أما كُتّاب الأشغال العربية فقد أُعلنت لهم مـــسابقة اشترك فيها عددٌ كبير من أبناء البلاد المثقفين والموظفين، وأجْريت لهم الامتحانات الشفوية والتحريرية ثم فاز من بينهم عشرون شخصاً، وزعوا علـــى مختلف الدوائر الحكومية، وقد خُصص لهم راتب يتجاوز الألف ليرة فـــي الـــشهر، كما زِيدت رواتب موظفي المديريات بصورة ملحوظة، وهو الأمر الذي سر له الليبيون كثيراً واعتبروه مأثرة من مآثر بالبو.

وكـــان بالـــبو بهـــذه الأعمال الإصلاحية يتقرب إلى العرب فهم وإن لـــم يروا منه تغيراً ملموساً في وضعهم السياسي إلا أنهم شعروا أن الرجل على خلاف الولاة الذين سبقوه، كان يريد الخير للعرب غير أن طاقته كانت لها حدود.

كـــشفت زيارة موسولينى لليبيا حقيقة نوايا إيطاليا ومخططاتها الهادفة إلـــى تحـــويل ليبـــيا، إلـــى امتداد للأراضي الإيطالية وإغراقها بالمعمرين الإيطاليـــين، وتحويل أهل البلاد الشرعيين إلى مواطنين من الدرجة الثانية، وابتكـــرت إيطالـــيا سياســـة احتـــرام الـــدين، والتقاليد، وإصلاح المساجد، والأضرحة، كوسيلة لنيل رضا الليبيين، وذلك لقناعتها بأن عامل الدين أكثر رسوخاً في أعماق الليبيين وأكثر تأثيراً في سلوكهم.

ولـــم يغب عن ذهن بالبو أن الشعب الذي حارب إيطاليا عشرين عاماً للـــدفاع عن أرضه وكرامته لن يرضى بوضع استعماري متدنٍ ولن يهدأ أو يـــستكين حتى ينال حقوقه المشروعة كغيره من الشعوب العربية التي كانت تناضـــل فـــي سبيل هذه الغاية، ولذلك فإن بقاء العرب في وضع استعماري

مـــستمر يكون خطراً وتهديداً على سياسة الاستيطان الإيطالية، ويظل يمثل قنـــبلة موقـــوتة تنتظـــر الفرصـــة المناســـبة للانفجار، واعتقد بالبو أنه إذا مـــا اســـتطاع أن يـــوهم الليبيين بأنهم متساوون مع الإيطاليين في الحقوق والواجبات، والمشاركة في النشاطات الاجتماعية والاقتصادية الفاشستية، فلن تكون هناك صعوبة في إدماج سكان الساحل في الدولة الإيطالية، وانصهارهم تدريجياً في المجتمع الإيطالي مع تزايد المستوطنين وتغلبهم عليهم عددياً.

وبالـــبو – كغيـــره مـــن حُكام إيطاليا الذين سبقوه– لم يفهم لماذا قاتل العـــرب إيطالـــيا عـــشرين ســـنة؟ ولمـــاذا ضحوا بالأرواح الكثيرة؟ وذلك لا ليحصلوا على الجنسية الإيطالية وإنما ليفوزوا باستقلال بلادهم، أو بالحكم الذاتـــي، لأنهـــم يكونـــون جزءاً من الأمة العربية، وتقع بلادهم بين تونس، والسودان، ومصر، فهم لن يرضوا أبداً بأي وضع يسلبهم هويتهم العربية.

وكان بالبو يظن أن منتهي آمال العرب أن يتساوى مع الإيطاليين في الحقـــوق والواجـــبات، وهذا عيب سياسة بالبو الذي لم يفهم بأن عرب ليبيا يـــريدون أن يظلـــوا عـــرباً ولا يريدون أن يكونوا إيطاليين حتى لو مُنحوا الجنسية الإيطالية الكاملة، فهذا ما غاب عن بالبو، وعن الولاة الذين سبقوه، وعـــن سياسة إيطاليا الاستعمارية، وفي حين كانت بريطانيا وفرنسا تراعيان شـــعور ســـكان مـــستعمراتها العربية، وتدرك تمسكهم بعروبتهم ودينهم فإن إيطالـــيا ظنت أنه من السهل تحويل شعب ليبيا إلى شعب إيطالي من الدرجة الثانية وسلبه هويته، وجنسيته، وتاريخه العربي.

وقـــسم بالـــبو ليبـــيا إلى جزئين: جزء شمالي يتألف من متصرفيات طـــرابلس ومصراته ودرنة وبنغازي، والجزء الآخر الجنوبي يشمل أراضي الجنوب بكاملها، وكان اهتمام بالبو منصباً على القسم الشمالي، لأنه كان يرى أن سكانه لا يختلفون عن الإيطاليين، وواصل بالبو مساعيه لمساواة الليبيين بالإيطاليـــين، وكان يعتقد أن الليبيين لا يختلفون عن الإيطاليين في خليقتهم

وذكـــائهم وتفكيرهم، وكان يرى أن هذا هو الحل المناسب لكل الليبيين الذين ظلـــوا دون حل لوضعهم الاستعماري، ولذلك قرر عرض الأمر على روما وكـــتب رسالة إلى مجلس الفاشست الأعلى يطلب فيها منح الليبيين الشماليين الجنـــسية الإيطالية الكاملة، وقد رفض المجلس الاقتراح بالإجماع لأنه جاء غـــداة صـــدور قوانـــين العنصرية التي تعتبر الإيطاليين من الجنس الآري كالألمـــان. علمـــاً أن سكان أواسط إيطاليا وجنوبها هم خليط من اليونانيين والعـــرب والأسبان وشعوب البحر الأبيض الأخرى، وليست فيهم قطرة من الـــدم الآري. وكـــان موســـوليني يقلـــد ألمانيا حتى في سياستها العنصرية، وانصبت تأثيرات هذه القوانين على اليهود بصورة خاصة في إيطاليا، أما في ليبـــيا فقد كان التمييز العنصري سائداً منذ احتلال إيطاليا، وقد تعود العرب علـــيه وتعايشوا معه، وقد صدرت الأوامر ليهود ليبيا بفتح محالهم التجارية يوم السبت وقد خالف الأوامر يهوديان في طرابلس فأمر بالبو بجلدهما علناً وتجمع الناس ليروا جلد اليهوديين. وقد أمر بالبو بجلد اليهوديين لأنهما خالفا أوامـــره. وكان التمييز العنصري الجديد مقتصراً على عدم خدمة العرب في المقاهـــي، والمطـــاعم، وعـــدم ركوبهم الدرجة الأولى في الحافلات، وعدم ركـــوبهم فـــي عـــربة حوذيها إيطالي، ومع ذلك لم تُطبق المقاهي الإيطالي والمطاعم هذه الأوامر وإن كان العرب بعد صدورها قد عزفوا عن ارتيادها، وتـــشدد الإيطاليون بصورة خاصة في تطبيق هذه القوانين بالنسبة لاختلاط شـــباب العـــرب بالفتيات الإيطاليات، فقد كانوا حريصين على نقاوة العنصر الإيطالـــي، فكانت كل فتاة يُبلغ عنها أنها لها علاقة بشاب عربي ترحل فوراً إلى إيطاليا.

ولـــم يتـــراجع بالبو أمام رفض مجلس الفاشست الأعلى لاقتراحه منح الجنـــسية الإيطالية الكاملة لليبيين، فقد اتصل بموسوليني وذكرهُ بوعوده التي أعطاها لليبيين خلال زيارته لليبيا، واتفق الاثنان على إرضاء الليبيين ببعض

الامتـــيازات، ولـــم يمـــضِ شهر من تاريخ رفض مجلس الفاشست الأعلى لاقتـــراح بالبو حتى تقدم بالبو باقتراح جديد، وافق عليه المجلس ووضع في قانـــون صدر بمرسوم ملكي بقانون رقم 70 بتاريخ 1939/1/9م يقضي بضم المتصرفيات الليبية الأربعة إلى المملكة الإيطالية بصفتها الإقليم التاسع عشر، وعـــالج القانون وضعية الليبيين الدستورية بوصفهم مواطنين إيطاليين ليبيين تابعـــين مـــن الدرجـــة الثانية، وأنشأ في نفس الوقت وطنية إيطالية خاصة بالمـــسلمين يجـــوز الحصول عليها بالطلب، إذا توفرت في الطالب الشروط بـــتقديمه لإيطالـــيا خـــدمات في الميدان العسكري والسياسي أو يكون منتمياً لجمعـــية شباب الليتوريو العربي... الخ، ولا ترقى هذه الوطنية الخاصة إلى مستوى الوطنية الإيطالية حيث يظل العامل العنصري قائماً، وعُدّ الحاصلون علـــيها فـــي مستوى الوطنية أقل وأدنى من مستوى الحاصلين على الجنسية الإيطالـــية، وكـــرس القانـــون استمرار تقسيم السكان إلى حُكام ومحكومين، واحتفاظ الإيطاليين بأسمى منزلة في البلاد.

ولا نجـــد أي اخـــتلاف هام بين الوطنية الإيطالية الخاصة بالمسلمين والوطنـــية الإيطالية الليبية الممنوحة لجميع الليبيين، وقد ألغى القانون الجديد الحـــق الـــذي اعتـــرفت به القوانين السابقة لليبي أن يتحصل على الجنسية الإيطالية إذ ما توفرت له الشروط المطلوبة، كما ألغى القانون القبلي والسلطة والصلاحيات التي خولها القانون الأساسي لعام 1927م للمشائخ.

ونورد فيما يلي القانون لأهميته بالنسبة للسياسة الإيطالية تجاه الليبيين في السنوات الأخيرة من الاستعمار الإيطالي:

المادة الأولى:

تُعـدُّ ولايات ليبيا الأربع جزءاً ممتداً لأرض المملكة الإيطالية حسب الترتيب القضائي الملائم الخاصة في البلاد واختلاف دين سكانها، ولم يحدث أي تغيير فيما يتعلق بأراضي الصحراء الليبية.

المادة الثانية:

تحـتفظ ليبـيا بشخصيتها القضائية الحالية، وباستقلالها في المال، والملـك، وتـستمر إدارتها بمقتضى أحكام الترتيب النظامي المعمول به الآن، والموافق عليه بالمرسوم الملكي 1934/1/3م رقم 2012، المحول إلى قانـون فـي1935/4/11م رقم 765، إلا ما أدخل عليه من التعديل الجديد بأحكام هذا المرسوم القانوني، وبالمرسوم الملكي الصادر في 1938/4/8م رقـم 431، ولـذلك فالقوانـين، والمراسيم، والأنظمة، وسائر القرارات الرسـمية التي لها علاقة بليبيا يجب إصدارها باقتراح من وزير أفريقيا الإيطالية أو الاتفاق معه.

المادة الثالثة:

يعمم النظام التعاوني النقابي المعمول به الآن في ليبيا على المواطنين الإيطاليين الليبيين في الولايات التي تؤلف جزءاً ممتداً لأرض مملكة إيطاليا خاصة، وبتعديلات مناسبة تقرر بمرسوم ملكي خاص.

المادة الرابعة:

أنشأت وطنية إيطالية خاصة بالمسلمين المولدين بالولايات الليبية التي تؤلـف جزءاً ممتداً للمملكة الإيطالية، وهذه الوطنية لا تغير شيئاً من النظام الشخصي والوراثي للوطنيين الليبيين المسلمين.

المادة الخامسة:

يجـوز للوطنيـين الإيطاليين المسلمين الحصول على الوطنية المشار إليها في المادة المتقدمة بطلب منهم إذا توفرت فيهم الشروط التالية:ـ

1. إكمال ثمانية عشر عاماً من العمر.
2. عدم صدور حكم بحبس الحرية الشخصية.

وعـلاوة علـى الـشرطين المذكورين يجب أن يكونوا حائزين على الشروط التالية:ـ

1. التـشوه أو العجز أو الجرح في خدمة الدولة خلال أعمال حربية أو بوليسية كبرى.
2. التحلي بوسام الشجاعة العسكرية أو المدنية.
3. التحلي بوسام شرف وطني.
4. الخدمة بأمانة وشرف في هيأة عسكرية للدولة.
5. معرفة القراءة والكتابة بالإيطالية.
6. القيام بوظيفة عامة لمدة لا تقل عن عامين، أو التمتع بمعاش تقاعدي من الدولة.
7. القيام بأية خدمة مشكورة للدولة الإيطالية.
8. الاشتراك في شباب الليتوريو العربي مدة سنة على الأقل.

وتمـنح الوطنـية الخاصة، مع الاحتفاظ بالنظام الإسلامي الشخصي، والوراثـي بقرار من حاكم ليبيا العام دون دفع أي رسم حسب القواعد التي ستقرر بأمر وزير أفريقيا الإيطالية.

المادة السادسة:

إن الوطنـية الخاصـة المشار إليها في المادة الرابعة من هذا القانون، يترتب عليها التمتع بالحقوق المدنية، والسياسية التالية الممنوحة لليبيين:

1. ضمان الحرية الفردية، فلا يكون تحديدها إلا في الأحوال التي يقررها القانون، وبالكيفيات التي يعينها.
2. حرمة المسكن، فلا يجوز للسلطات دخوله إلا بمقتضى القانون، والكيفيات المقررة مع مراعاة اللوائح المحلية.
3. حرمة الملك، ما عدا حالات الاستملاك للمصلحة العامة، وبعد دفع التعويض العادل، وما عدا الأحوال المقررة في قوانين العقوبات والتراتيب البوليسية.
4. حق المسابقة في المناصب المدنية في المستعمرات، بمقتضى التراتيب الخاصة التي تحدد شروط المسابقة، وكيفيتها.
5. تعاطي المهن، في ليبيا بشرط إحراز الشهادة اللازمة لذلك، علاوة على هذه الحقوق، فالليبيون الذين ينالون الوطنية الخاصة المشار إليها في المادة الرابعة يتمتعون بالحقوق التالية:-

أ- حق حمل السلاح حسب قواعد الخدمة الإجبارية العسكرية التي ستقرر لهذا الغرض.

ب- حق الانتساب لجمعية الليتوريو الإسلامية، المرتبطة بالحزب الوطني الفاشستي مباشرة.

ج- حق الانخراط في السلك العسكري بالأقسام الليبية بالتحديدات والكيفيات التي ستقررها الحكومة الملكية بقواعد خاصة.

د- حق تولى منصب عميد في البلديات المؤلفة من سكان مسلمين ومنصب مستشار في البلديات مختلطة السكان.

هـ- حق إشغال وظائف الرئاسة في الهيئات النقابية المشار إليها في المادة الثالثة السابقة، والاشتراك في الجمعية التعاونية لليبيا ومجلس الاقتصاد التعاوني للولايات.

المادة السابعة:

إن الحقوق المبينة في المادة السادسة المتقدمة العائدة لليبيين الحائزين علـى الوطنـية الخاصة مع الاحتفاظ بالنظام الشخصي الإسلامي لا يكون التمـتع بهـا إلا في ليبيا وفي الأراضي الإيطالية الأخرى في أفريقيا، وهي لا تخـول على كل حال التعيين في مقامات، أو وظائف تباشر فيها الرئاسة على الوطنيين الإيطاليين الملكيين.

المادة الثامنة:

إلغاء حق اكتساب الوطنية الملكية المنصوص عليها في المادة (37) مـن التـرتيب النظامـي الحالـي لليبيا، لما يترتب عليها من ضياع النظام الشخصي الوراثي.

المادة التاسعة:

يعرض هذا المرسوم على البرلمان لتحويله إلى قانون.

كـشف القانون -الذي أوردنا نصه- عن حقيقة نوايا إيطاليا، وأهدافها تجـاه الـشعب الليبي، وأظهر أن وعود موسوليني وبالبو كانت عبارة عن أكذوبـة كبيرة للتضليل، والخداع، وتخدير الليبيين، فقد قسم القانون المذكور الليبيـين إلـى ثـلاث فئات: سكان الجنوب، وسكان الساحل، وفئة الجنسية الخاصة التي اتخذت منها إيطاليا واجهة للتدليل على أنها برت بوعدها، وقد وضـع القانـون الفـئات الليبـية الثلاث على المستوى المتدني نفسه التابع للإيطاليـين، فقـد اسـتبعدت رئاسـة الليبي لأية هيأة أو مؤسسة أو مكتب

أو شركة يعمل فيها إيطاليون، أو يتولى رئاسة بلدية يسكنها إيطاليون، حتى ولو كانت الأغلبية الساحقة من السكان العرب، ولا تجيز قوانين العنصرية لليبي - حتى وإن كان حاصلاً على الجنسية الخاصة- أن يلحق أولاده بالمدارس الإيطالية المتوسطة لغياب مدارس عربية من هذا المستوى، أو التردد على الأماكن المخصصة للإيطاليين أو ارتيادها، وبعبارة أدق فإن الجنسية الإيطالية الخاصة لم تكن سوى شعار أجوف خال من أي مضمون إيجابي ولا تقدم في جوهرها أية مزايا للحاصلين عليها.

وجاءت قوانين العنصرية لتدك سياسة بالبو، ونظرياته بخصوص الليبيين وادعاءاته بأن ليبيا تتألف من إيطاليين كاثوليك، وإيطاليين مسلمين، والجميع يتساوون في الحقوق والواجبات.

وصدر الدستور الليبي الجديد في وقت كانت عمليات الاستيطان في قمتها، ورحلة العشرين ألف إيطالي إلى ليبيا في أوجها، وأحدثت خيبة أمل شديدة لدى الليبيين الذين كانوا يتوقعون معاملة أسمى مما جاء به القانون الجديد، وظن الإيطاليون أن هذه الجنسية التافهة سوف تمتص غضب الليبيين، والعالم العربي لما حوته من متغيرات في وضع الليبيين.

وقد عقد بالبو في نوفمبر عام 1938م اجتماعاً في بهو صندوق التوفير بطرابلس، حضره القضاة، والأعيان، والسلطات الإيطالية، وقد تدارس مع الحاضرين بعض المشاكل، وختم الاجتماع الكبير بخطاب لخص فيه المزايا والفوائد التي تحصلت عليها البلاد بعد صدور قانون الجنسية والإنجازات التي تحققت بعد ذلك وهي:

1. تحديد يوم 21 أبريل من كل عام لتوزيع الشهادات على من تحصلوا على الجنسية الخاصة خلال العام.
2. تأسيس جمعية الليتوريو الإسلامية.
3. منع كسب الأغنام على غير المسلمين.

4. السماح بتصدير الأغنام الليبية إلى الخارج.
5. إنشاء قسم داخلي بالمدرسة الإسلامية العليا.

وانقسمت بنغازي إلى قسمين: قسم يحبذ سياسة بالبو وينتظر منه الخير حسب وعوده، ويقول إن أعماله حتى الآن دلت على حسن نواياه، وإنه يريد الخير والتقدم لليبيين، غير أن الحكومة المركزية لا تلبى طلباته، والقسم الآخر -وهم عرب المدينة العربية الممتدة شرق سوق الظلام وحول سوق الجريد- فهؤلاء لا يثقون بحكام إيطاليا سواءً أكان بالبو أم بادوليو، ويعيشون في عزلة عن الاختلاط بالإيطاليين إلا في حالات الضرورة، ويقول هؤلاء إن سياسة إيطاليا منذ احتلالها للبلاد لم تتغير ولم تفتح مدرسة ثانوية لأبناء العرب، فقد أصرت منذ احتلالها على عدم تعليم العرب بما يتخطى التعليم الأولى، فهي كانت لا تريد أُناساً متعلمين، بقدر ما كانت تريد صِغار الموظفين والخدم في المكاتب الحكومية والمؤسسات الأهلية، وكانت هذه الفئة تعلق على سياسة بالبو بأنها سياسة وعود لا تتحقق، وهي ترمى إلى إبقاء العرب في وضعهم الاستعماري إلى ما شاء الله.

واندفعت الفئة الأولى المؤلفة من الشباب في تقليد الإيطاليين في لباسهم ومأكلهم، والتردد على مقاهيهم، ومطاعمهم، وقراءة صحفهم ومجلاتهم، وقد غزت الثقافة الإيطالية عقولهم، إلا أنهم كانوا يدركون بأنهم لا يصلون إلى مستوى الإيطاليين، ولا إلى أوضاعهم الاجتماعية، وقد صُدمت هذه الفئة بصدور قوانين العنصرية التي تميز بين العنصرين الليبي والإيطالي وتمنع الاختلاط بينهما، إلا أن الإيطاليين لم يتشددوا في تطبيق هذا التمييز، إلا في ما يتعلق بالاختلاط بين الشباب، فقد كانت الشرطة الإيطالية حريصة كل الحرص على إلا يقع أي اختلاط بين شباب العرب والفتيات الإيطاليات.

وتأثر الشباب بهذه المعاملة فتنكروا لإيطاليا، وثقافتها، وعاداتها، وحضارتها، وعادوا إلى أصلهم عرباً وأخذوا يتعلمون اللغة العربية

ويدرسون أدبها، وينضمون إلى أبناء جنسهم في المدينة القديمة، وقد قاطعوا التردد على المقاهي والمطاعم والملاهي الإيطالية لتحاشى إحراجهم بموقفٍ لا يــريدونه. إلا أن عامـــة الإيطاليـــين لم يهتموا بالتمييز العنصري وظلوا يتعاملون مع العرب كالعادة في التجارة، والصناعة، والنشاطات الأخرى، ولم يتـــشدد الإيطاليون بدورهم -كما سبق وذكرنا- في تطبيق قوانين العنصرية على العرب إلا فيما يخص الاختلاط بين الشباب.

وكـــان حق الانتساب إلى النقابات العمالية من بين المزايا التي شملتها الجنسية الإسلامية الخاصة، فتأسست نقابات لعمال الميناء وصيادي الأسماك وأربـــاب الحيوانات، وكان أغلب المنتسبين إلى هذه النقابات من الأشخاص العاديـــين غيـــر المتحصلين على الجنسية الخاصة، وكانت عملية شكلية لذر الـــرماد فـــي العيون، ولم تعمل هذه النقابات، أو تقف على قدميها، أو تخدم مـــصالح أعـــضائها حتى نهاية الحكم الإيطالي، فقد كانت السياسة الفاشستية تعـــارض إقامة تنظيمات عربية في أي مجال من مجالات الحياة، وبخاصيةٍ مجال العمال.

وقد توفي في هذه الفترة (الشيخ ميلاد العرادي) قاضي مدينة بنغازي، وخلفـــه الـــشيخ عبد الحميد الديباني وهو رجل فاضل تلقى تعليمه في الأزهر وتولـــى القـــضاء في المرج وقد أدى لبنغازي خدمات كثيرة، وتولى فيما بعد الوزارة ورئاسة جامعة محمد بن على السنوسي في البيضاء، كما توفي الحاج السنوسي جبر، والحاج محمد بن كاطو، والحاج منصور البابور، وغيرهم من أعيان بنغازي الذين أبعدوا وسجنوا وعذبوا في السجون الإيطالية.

وظـــل مجـــتمع بـــنغازي -على الرغم من جميع التطورات السياسية والإدارية التي حدثت- مجتمعاً متماسكاً كما كان في السابق، وبخاصة سكان المديـــنة العربية الذين حافظوا على تقاليدهم، وعادتهم، وملابسهم، ومأكلهم،

وحافظـــوا علـــى ســـهرات المرابيع، وكراهية الإيطالي المحتل، أما التمييز العنصري فقد كان قائماً بين العرب والإيطاليين منذ بداية الاحتلال.

وأنشأ بالبو فرعاً للحزب الفاشستي في ليبيا، انضم إليه بعض الأعيان الذين ارتدوا القميص الأسود وفتح الحزب فروعاً في المدن الليبية الأخرى، أمـــا رجـــال الـــدين والقضاة فقد أعفوا من الانضمام إلى الحزب، أو لبس القميص الأسود.

قابل أهل بنغازي هذه المسرحيات الفاشستية بإشفاق على الذين انصاعوا لبالبو، خوفاً أو طمعاً وسايروه في أعماله، وتصرفاته غير المنطقية، التي كانوا يؤمـــنون أنهـــا لن تؤدى إلى نتيجة معقولة مادامت إيطاليا تتصرف من جانب واحـــد، ولا شـــك أن كـــل من ارتدى القميص – مهما يكن لونه – لا يُنسى الإنسان مأساته الكبيرة، ومن المعلوم أن الرجال الذين قبلوا التعاون مع إيطاليا – ومـــن بينهم علماء أجلاء ووطنيون غيورون – كانوا لا يقلون عن غيرهم وطنية وعروبة، ويرون أن مواقفهم هذه في مصلحة البلاد بمعني أن يكون في الـــواجهة رجـــال أفاضل معروفون، بدلاً من ترك المكان للمغامرين وعديمي الذمة والضمير فيكون البلاء أكبر، والنتائج أفظع.

وكان أغلب سُكان بنغازي – كما سبق وذكرنا – غير متأثرين بسياسة بالـــبو ومشاريعه، ولا ينتظرون منه خيراً في تغيير أوضاعهم إلى الأفضل، فقد كانوا يتتبعون سياسته بفضول واهتمام وينتظرون نتائجها. إلا أنهم كانوا فـــي قـــرارة أنفسهم غير مقتنعين بأنه يستطيع تغيير السياسة التي وضعتها إيطاليا في ليبيا.

وكـــان البنغازيون يتتبعون باهتمام كبير التطورات الدولية والعلاقة ما بين ألمانيا والدول الغربية، ويُدركون أن العالم أصبح على شفا حربٍ عالمية طاحـــنة، وكانوا يأملون أن تقع هذه الحرب، وأن تشارك إيطاليا فيها، علماً

بأنها سوف تخسر الحرب، وتُجلى عن بلادهم، وكان هذا الأمل الوحيد الذي كان يتمسك به الناس، ويؤملون منه الخلاص والحرية.

وشعر العرب -من تصرفات بالبو معهم- أنه ربما كان صادقاً في مساعيه لتحسين أحوالهم، ورفع مستواهم، إلا أنهم -على ضوء خبرتهم الماضية مع إيطاليا- كانوا يخشون أن تبوء سياسة بالبو الأبوية هذه بالفشل وتعود الأوضاع الاستعمارية كما كانت، ومن الطبيعي أن هذه السياسة الأبوية التي اتبعها بالبو تحدث بعض التأثيرات الإيجابية في جميع أنحاء ليبيا، وكان الإيطاليون في أغلبهم غير راضين عن سياسية بالبو، غير أنهم تأثروا بها وتأثرت بها أيضاً تصرفاتهم في التعامل مع العرب.

وفي عهد بالبو ساد بنغازي الهدوء والاستقرار والاطمئنان، فلم يَسجنوا أحداً لأسباب سياسية، ولم يُبعدوا أحداً إلى إيطاليا كما كان في السابق، وخفت حدة طغيان الإيطاليين وتكبرهم على العرب، ورُفعت القيود عن السفر، فسافر الناس إلى الإسكندرية، وإيطاليا وبلاد أخرى، إما للترفيه، وإما للتجارة، أما السفر إلى طرابلس فكان بطيئاً، وتدفقت على الأسواق السلع المستوردة من الدول المجاورة، وكذلك الصحف والمجلات والكتب العربية، وعاد تصدير الأغنام بكثر ة إلى مصر عن طريق البر والبحر، وتصدير الصوف والجلود إلى إيطاليا، وأصبحت إذاعة القاهرة الغذاء الروحي للناس، فالجميع يستمعون إليها، ويتتبعون أخبارها ويسهرون على برامجها الغنائية، وكثر حديث الإيطاليين عن مساهمة الجنود الليبيين في الانتصار على إثيوبيا، وبناء الإمبراطورية، وزاد التقارب بين الأسر المتجاورة، وبين الموظفين في العمل، وأقبلت الإيطاليات على تعلم طهي الكسكسى من جاراتهن الليبيات، وتعلم الأطفال الإيطاليون اللغة العربية، والكثير من عادات الأطفال العرب وألعابهم.

وتأثر الحي العربي بما كان يجرى في الشق الغربي من المدينة، وأصبحت البيوت لها شُرفات ونوافذ على الشارع، وتطورت منازل الفقراء

وقسمت بدورها إلى أكثر من مسكن، وزالت ساحاتها الترابية، وتعود العرب على استعمال الجير، والإسمنت بدلاً من الطين والتبن وأسقف السنور، التي شُـــيدت بهـــا بـــنغازي القديمة، وظل مسكن الأسرة الكبير قائماً يضم جميع أفـــرادها، بمـــا فيهم الأبناء المتزوجون، وانفصل عن الأسرة بعض الأبناء المقتدرين واستقلوا بسكنهم.

وتطـــور الـــشباب العربي تطوراً ملحوظاً، فأقبل على قراءة المجلات والكـــتب الإيطالـــية، وارتداء الملابس الأوروبية، وتخلى بعضهم عن غطاء الرأس التقليدي، وتعلموا اللغة الإيطالية وتكلموها بطلاقة، ومارسوا الرياضة وقـــادوا الـــسيارات رغـــم قلـــتها، وارتـــادوا المسارح الإيطالية، والمقاهي والمطـــاعم، وكانت هذه الفئة من الشباب من الموظفين في دوائر الحكومة، والـــشركات ممـــن كانـــوا يعملـــون في ميادين التجارة، والخدمات، والنقل، والأعمـــال الأخـــرى، التـــي كان يحتكرها الإيطاليون، واليهود، وسُمح لهم بمزاولتها، وقد صُدمت هذه الفئة من الشباب بصدور قوانين العنصرية، التي أثـــرت فيهمن ودفعتهم إلى التمسك بلغتهم، وعادتهم، ومجتمعهم، وكانوا في ســـهراتهم فـــي المـــرابيع لا يكفـــون عن الشكوى من الوضع المتدني الذي يعيشون فيه، ومن معاملة الإيطاليين التمييزية التي كانوا يُعاملون بها، إلا -أنهـــم بموجب أعمالهم- كان ولا بد أن يختلطوا بالإيطاليين ويتعاملوا معهم ويظهروا لهم بوادر الصداقة.

وكـــان هناك مجموعات من العُمال الليبيين الذين عملوا مع الإيطاليين وتعلمـــوا الحـــرف، واندمجـــوا في المحيط العمالي الإيطالي، فكانوا يقلدون زملاءهـــم الإيطاليـــين ويتكلمون اللغة الإيطالية بلهجاتها المحلية، كما كان يتكلمها زملاؤهم الإيطاليون، وكانت هذه الفئة نواة العُمال الفنيين الذين كونوا فـــيما بعد المجالات الصناعية، والحرفية، والذين بعد اكتشاف البترول تحول مـــنهم عامل الكهرباء، إلى تاجر أدوات كهربائية، وعامل البناء إلى مقاول،

والحداد إلى تاجر مواد منزلية، والنجار إلى تاجر أثاث، وأصبحوا بذلك جزءاً من التجار، ورجال الأعمال.

كانت الإدارة الإيطالية المركزية في بنغازي تعج بمئات الموظفين الإيطاليين، وبقلة من الموظفين الليبيين الذين لم يتجاوز عددهم خلال الثلاثين عاماً من الاستعمار الإيطالي الثلاثين أو الأربعين موظفاً. وقد بدأ عمل الموظفين العرب مع الإدارة الإيطالية منذُ بداية الاحتلال، وظلوا بدون تغيير في وظائفهم أو ترقية، وكان بعضهم يقوم بأعمال هامة إلا أنهم كانوا غير مسئولين لأنهم كانوا يخضعون لموظف إيطالي يقل عنهم كفاءة ومقدرة، وكانت سياسة إيطاليا ترمى إلى الحيلولة دون العرب، والمشاركة في حكم بلادهم، وذلك بترك تعليم العرب متدنياً، مقتصراً دائماً على المرحلة الابتدائية لا غير. واقتصرت مشاركة العرب في الإدارة على وظائف صغيرة تابعة للإيطاليين، والاستعانة بصغار الموظفين والمترجمين، وقد تعلم بعض الشباب العربي في إيطاليا، وفي مصر، وفي ليبيا، وكانت مؤهلاته عالية، إلا أنه لم يُسند إليهم أي منصب ذي مسؤولية، وهذه هي قائمة بأسماء معظمهم:

1. الدكتور على نور الدين العنيزي الذي تحصل على شهادة الدكتوراة في الاقتصاد، وأسندت إليه في الإدارة المركزية وظيفة بسيطة تحت إمرة موظف إيطالي، لا يحمل مثل مؤهلاته.
2. عبد السلام بسيكري.
3. المهدي دربي.
4. توفيق المهدوي.
5. محمد افتيتة.
6. مصطفي الشركسي.
7. يوسف الشركسي.
8. محمد شرشر.
9. فرج بو منير.

10. محمد الضراط.
11. محمد الشكماك.
12. محمد الفيتوري.
13. حسين الغناي.
14. سعيد الجهاني.

وآخـــرون لـــم تُسعفنا الذاكرة بأسمائهم، وكان موظفو إدارة التسجيل العقاري كما يلي:

1. سالم بن عامر.
2. عيسى بن عامر.
3. عمر الطواحني.
4. يوسف بن كاطو.
5. محمد على ظافر.
6. سعد الجهاني.
7. مبروك بو قعيقيص.

وقد عيّن المارشال بالبو في أواخر أيامه عشرين كاتباً للأشغال العربية نالت منهم بنغازي الموظفين الآتي ذكرهم:

1. يوسف بن كاطو.
2. وهبي البوري.
3. عبد السلام بسيكري.
4. سعيد الجهاني.
5. توفيق المهدوي.
6. حسين مازق.
7. عبد القادر العلام.

وهكـــذا فإن الإدارة الإيطالية لم توظف من أهل بنغازي خلال الثلاثين عامـــاً من عهدها أكثر من ثلاثين أو أربعين موظفاً، بما فيهم موظفو البريد والجمـــارك، وقـــد أدى هؤلاء الموظفين والموظفين الذين عملوا مع الإدارة البريطانية دوراً إيجابياً في تسيير الحكومة الوطنية التي قامت بعد الاستقلال، واستعانت بهم وبأمثالهم من الموظفين الطرابلسيين لإدارة شؤونها.

و ظل عهد بالبو أفضل وأجود العهود التي عرفها عرب ليبيا في ظل الاحـــتلال الإيطالي، فقد أزال الرعب والخوف الأول من نفوسهم وحلت بدلاً منه الطمأنينة والهدوء بين العرب، وقد زاد مرتبات الموظفين والعمال زيادة ملحوظة، ونظم أحوالهم وأمن مستقبلهم، فلم يعرف العرب حاكماً إيطالياً كان يخـــتلط بهم، ويزورهم، ويتصل بأعيانهم، ويحاول إرضاء حاجاتهم كما فعل بالبو، لقد كان متمسكاً بإدماج العرب في الإيطاليين على المستوى نفسه؛ لأنه كان مقتنعاً بأن ذلك كان لصالحهم، ولم يخطر في باله أبداً أن مصلحة العرب تقع في جهة أخرى، وهي الاعتراف بحقوقهم المشروعة وبذاتيتهم العربية.

بوادر الحرب:

تلـــبد الجـــو الـــسياسي فـــي أوروبا وازدادت تهديدات ألمانيا للغرب، وازدادت قناعة الدول الغربية بتجنب الحرب بأي ثمن، إلا أن ألمانيا ازدادت فـــي طغـــيانها وقامـــت باحـــتلال أراضـــي (الـــسوديت)، وانتزاعها من تـــشيكوسلوفاكيا بالقوة واستمرت التهديدات الألمانية وحاولت الدول الغربية الاتفـــاق مـــع ألمانـــيا وإقـــناعها بالعدول عن الحرب، إلا أن هذه الاتفاقات لم تستمر طويلاً حيث إن ألمانيا فاجأت العالم باحتلال بولندا واضطرت بذلك فرنـــسا وبـــريطانيا إلـــى إعلان الحرب على ألمانيا، واشتعلت بذلك الحرب العالمية الثانية.

كانت فرحة عرب ليبيا عظيمة بهذه الأحداث، وباندلاع الحرب إلا أن فــرحتهم لم تتم بسبب عدم دخول إيطاليا الحرب، ووقوفها على الحياد، وهذا معناه استمرار وجودها في ليبيا.

وقامــت إيطاليا بنقل قوات ومعدات حربية كثيرة إلى ليبيا، حيث حُشد أغلــبها على حدود ليبيا الشرقية في مواجهة مصر، والبعض الآخر ظل في بــنغازي، وعلى حدود ليبيا الغربية، وعُين بالبو قائداً عاماً للقوات الإيطالية في شمال أفريقيا، وكانت أمنيته الكُبرى من قبل هي احتلال الإسكندرية، وقد سنحت له الفرصة لتحقيق هذه الأمنية الآن، وانتعشت مدينة بنغازي وازدهر اقتصادها بوجود هذه الأعداد الكبيرة من الجنود والضباط، وكثرة الحركة بها ومرور الجنود في طريقهم إلى الشرق، وكان موسوليني ينوى مهاجمة مصر بهذه القوات الكثيرة.

وزار بالــبو في تلك الفترة الصعبة مصر، في شهر مايو عام 1939م، والتقــى بالملــك فاروق، وبرئيس الوزراء محمد محمود باشا، وطلب منهما الدخول في محادثات من أجل تخطيط الحدود، مع السودان، وطمأن السلطات المــصرية بــأن الحــشود الإيطالية على الحدود لا تكون خطراً عليها؛ لأن إيطالــيا تكــن كل مودة وخير لمصر، واقترح عليهما في الوقت نفسه عقد معاهدة صداقة وحسن جوار مع إيطاليا، وأدلى بالبو قبل مغادرته بحديث إلى صــحيفة الأهرام أزعج المصريين كثيراً، وقد أشار فيه إلى عزم المصريين تجنيد الليبيين المقيمين في الصحراء الغربية وضمهم للجيش المصري.

وقد أثارت رحلة بالبو هذه إلى مصر الكثير من التأويلات والتكهنات، فــبعض الإيطاليين قد نسبوا إليه الاتصال بالسلطات البريطانية، لأنه كان لا يوافــق علــى دخــول إيطالــيا الحرب إلى جانب ألمانيا، أما تأكيداته للمــصريين بــأن لا يخــشوا شر إيطاليا فهي تتناقض ورغبته الملحة في احتلال الإسكندرية.

وكانت بنغازي في تلك الفترة، مسرحاً لنشاطات وتحركات وزيارات عسكرية، وكان ميناؤها يعج بالسفن الناقلة للجنود والحاملة للأسلحة والتموين والذخيرة، كما تعددت زيارات الضباط، والخبراء الألمان، وعلى رأسهم الجنرال فون براوختيش القائد العام للقوات الألمانية، وقد قام بدرس الوضع العسكري، وتوغل حتى منطقة الحدود، وكانت جميع الدلائل تشير إلى أن الحرب قادمة لا محالة، وأن بنغازي معرضة لأخطار الحرب الحديثة دون أن تتخذ إيطاليا أية احتياطات لحماية السكان ومن بينهم ما يُقارب العشرين ألف إيطالي، وقد قاموا بحفر خنادق بدائية في الحدائق العامة وبعض المواقع الأخرى، وفي العمارات الكبيرة، لحماية السكان من شر الغارات الجوية، التي كان سكان المدينة أجمع لا يعرفون عنها شيئاً، وأرادت السلطة إرهاب فرنسا وبريطانيا فأمرت دباباتها الصغيرة -الشبيهة بعلب السردين- أن تمر في مظاهرة قوة أمام قنصليات بريطانيا وفرنسا ومصر.

وبالرغم من هذا الجو المخيم على مدينة بنغازي فإن الحياة والتجارة والعمل كانت تسير في طريقها الطبيعي، كأنها لا علاقة لها بما يجرى حولها، وقد استمر الاتصال بمصر والعالم الخارجي وظل السفر مباحاً، ولم ينقطع وصول الصحف والمطبوعات المصرية، وكذلك أخبار المهاجرين في مصر ومعلومات عن نشاطهم السياسي الجديد، وتحركاتهم التي كانت تثير انزعاج الإيطاليين وغضبهم.

وقد انتصر هتلر وسيطر على كل أوروبا، ولم تستمر في مقاومته سوى الجزر البريطانية التي كان ينهال عليها بقنابل طائراته وبصواريخه ويحول حياتها إلى جحيم، وعندما رأي موسوليني ما وصلت إليه ألمانيا من نجاح خشى أن تنتهي الحرب دون مشاركة إيطاليا فيها، وبذلك لا يحق لها الحصول على جزء من الغنائم، ولذلك قرر موسوليني دخول الحرب إلى جانب ألمانيا في يوم 10/ يونيو/1940م، ونشر قواته في جنوب فرنسا، وأمر

بالبو بالاستعداد لغزو مصر، وكان بالبو ـ كما سبق وذكرنا ـ قد عُين قائداً عامـــاً للقوات الإيطالية في شمال أفريقيا، وبعد إعلان إيطاليا دخول الحرب ضد بريطانيا وفرنسا، أمر بإلقاء منشورات على القاهرة في يوم 1940/6/19م جاء فيها: "إن بريطانيا ستخر صريعة قريباً على الأرض وللأبد، إن سجانة العالم قد انهزمت على جميع الجبهات وتهاوت سلاسلها قطعاً على الأرض، وتتعقبها الأسلحة الإيطالية، التي لا ترحم فوق أرض مصر"[1].

ومع هذه الضجة والانفعالات والتهديدات فإن بالبو في الأسابيع الثلاثة التي مرت على إعلان الحرب، لم يحتل شبراً واحداً من أراضى مصر، ولم يحقـــق أبـــداً حلمه الكبير باحتلالها، ولن يستطع اسمه في سماء الشهرة مرة أخـــرى، لقد كان على موعد مع الموت، وقدر له أن يموت فوق أرض ليبيا وبأيـــدي إيطالية، فقد أسقطت الطرادة سان جورج الراسية في ميناء طبرق طائرة المارشال بالبو وقت استعدادها للهبوط، وأردته قتيلاً هو ومن كان معه ظناً منها أنها كانت طائرة بريطانية، ومات بالبو قبل دخوله مصر و احتلالها ـكمـــا كـــان يحلم- وشاء القدر أن يموت بالبو دون أن يشهد هزيمة إيطاليا العسكرية، وقبل أن يشهد عودة المعمرين الذين أتى بهم للاستيطان في ليبيا، وتحويلها إلى أرض إيطالية، وكانت نهايته المأساوية إيذاناً بنهاية الاستعمار الإيطالـــي في ليبيا، ونهاية للإمبراطورية الفاشستية، وأحلامها في السيطرة على البحر الأبيض المتوسط وأجزاء أخرى من العالم.

ذهـــب بالـــبو قبل أن يحول الليبيين إلى إيطاليين، وليبيا إلى قطعة من إيطالـــيا، ذهـــب وذهبت معه مشاريعه وخططه الكثيرة التي أعدها من أجل الليبيـــين بـــسلبهم عروبتهم، وذاتيتهم، وتحويلهم إلى شعب دون هوية ودون مـــستقبل، ذهـــب بالبو وما زالت حتى الآن تدور الإشاعات حول مصرعه، وأنه كان مصرعاً متعمداً أراده موسوليني للخلاص منه، ذهب بالبو وذهبت

---

(1) مجلة التاريخ المعاصر ، روما ، العدد 208 ، 1975م ، ص 349.

أحلامـــه معه، ولا تزال التساؤلات تدور حول مصرعه حتى اليوم وهل قُتل عمـــداً أم خطـــأً، لقد كانت شعبيته كبيرة في إيطاليا كلها، وكان أحب رجال الـنظام إلـــى الشعب، وكان موسولينى يغار منه، ومن شعبيته ومن إعجاب الشعب الإيطالي به. وعندما وصل طرابلس تحمس للمنصب، ودعا أصدقاءه مـــن إيطالـــيا، وأصبح يتصرف كأنه نائب الملك، وعندما اتصل بعرب ليبيا وعرفهم عن كثب وجدهم أكثر ثقافة وأخلاقاً ومظهراً من الكثيرين من أبناء جـــنوب إيطالـــيا الذين يعيشون في ليبيا، وقد أراد رفع مستواهم إلى مستوى الإيطاليـــين، إلا أنـــه وجـــد عقـــبات وقوانين تقف دون ذلك، فاقتصر على معاملتهم معاملة طيبة، وتحسين أحوال معيشتهم، وإنصافهم بقدر الإمكان.

وقـــد أثـــارت زيارة بالبو للقاهرة عام 1939م تساؤلات كثيرة في ليبيا وإيطالـــيا. وبمـــا أن بالبو كان معروفاً بكراهيته للألمان، وبمعارضته دخول الحـــرب بجانبهم، فربط البعض بين مواقفه هذه وزيارته لمصر، واعتقدوا أنه يدبـــر أمراً ضد موسولينى، وقد وُجه إلى بالبو اتهام آخر شبه خيالى وهو أنه يـــريد أن يفعـــل ما فعله الجنرال فرانكو ضد حكومة مدريد المركزية، عندما زحـــف علـــيها مـــن المغرب بقوات مغربية وأسبانية، وقاتل الشيوعيين حتى انتصر عليهم، فيقال إن بالبو كانت تراوده الفكرة نفسها، وأنه كان يهيئ جيشاً مـــن الليبيين، ولديه جيشٌ من الإيطاليين، ثم إذا أعلن موسولينى الحرب على بريطانيا وفرنسا، يتحرك بقواته لاحتلال إيطاليا معتمداً على حُب شباب إيطاليا له، وإعجابهم به، إلا أنه مات ولم يحقق شيئاً من أحلامه الحقيقية أو الخيالية.

إيطاليا والحرب:

وقـــد عـــين موسولينى الجنرال غرازيانى -حاكم برقة سابقاً والسفاح المعـــروف حاكماً- على ليبيا وقائداً عاماً للقوات الإيطالية في شمال أفريقيا، وقد أفهمه موسولينى بأنه يريد احتلال مصر؛ ليبرهن على أن إيطاليا ليست

أقـل مـن ألمانيا في فتوحاتها، وكان بالجبهة قُرابة ثمانين ألف جندي ليبي أكثرهم من الشباب الذي فُرض عليه الانخراط في الجيش والبقية من الجنود المرتـزقة، وقـد وضُـعت القوات الليبية في طليعة القوات المرابطة على الحدود، ووالى موسولينى ضغطه على غرازيانى بأن يتحرك ويحتل مصر. فأمـر قـواته باجتـياز الحدود يوم 1940/9/13م، ثم واصل الجنود الليبيون تقـدمهم سيراً على الأقدام فاحتلوا يوم 1940/9/16م سيدي برانى وقد لحقت بهم بقية القوات الإيطالية، وكانت القيادة البريطانية قد أمرت قواتها بالتراجع إلـى خـط مرسـى مطروح. وقد أحدثت هذه الأنباء في بنغازي شيئاً من الاضـطراب لأن الـناس كانوا يخشون على مصر من احتلال إيطاليا لها، وكانـوا يخـشون على الآلاف من أبنائهم الذين سيخوضون معارك مصر، إلا أن الـبعض كانوا مسرورين لأنهم يعتقدون أن إيطاليا لن تستطيع احتلال مصر وأن هزيمتها مؤكدة وفي هذه الهزيمة يكمن خلاص الشعب الليبي من شرورها. وظل الناس يرتقبون تحرك غرازيانى تجاه الإسكندرية ولكن طال انـتظارهم، فغرازيانى قرر قبل أن يواصل زحفه على مصر أن يبنى طريقاً تربط الحدود الليبية بسيدي برانى وأن يأتي بالمياه إليها عبر أنابيب تمتد من الحدود الليبية إلى سيدي برانى. وأشتد ضغط موسولينى على غرازيانى كي يتحرك وطالب غرازيانى من إيطاليا إرسال ألف سيارة تُنقل بها الجنود بدلاً من سيرهم على الأقدام، وفي انتظار السيارات ووصل المياه وإتمام الطريق فوجـئت القوات الليبية المتقدمة بهجوم للقوات البريطانية بالدبابات، فقاوموا قـدر جهـدهم بالأسـلحة الخفيفة التي كانت لديهم ومات الكثير منهم وأسِر الباقون وتوغل الجنرال ويفل قائد القوات الإنجليزية صوب الجزء الأكبر من القـوات الإيطالية المرابطة التي كان يُقدر عددها بأكثر من 200 ألف جندي فألحـق بها هزيمة كبيرة وأسر أغلب جنودها. وواصلت القوات البريطانية زحفها صوب طبرق ودرنة ووقف غرازيانى حائراً لا يدرى ماذا يفعل؛ لأنه

لــم يكــن فـــي مـــستوى القيادة التي عُين فيها، ووصلت الأخبار إلى درنة وبـــنغازي فعم السرور المدينتين، وأدرك الناس أن حلمهم الكبير في هزيمة إيطالـــيا في حرب عالمية تقضى عليها وتخرجها من ليبيا قد تحقق، وعمت الأفراح الناس وظلوا ينتظرون وصول القوات البريطانية إليهم، وقد وصلتهم فلـــول الجـــيش الإيطالـــي المهزوم، وكانوا يتجهون نحو الغرب، وقد أمعن العرب في الاعتداء عليهم وأخذ أسلحتهم.

تطـــورت الأحداث على جبهة القتال ومجتمع بنغازي في حالة ذهول وتـــرقب، فقـــد فاجأتـــه الأحداث بما كان لا يتوقع، وقضى الناس ليلتهم في انـــتظار دخـــول القـــوات البريطانية المدينة وخروج الإيطاليين منها. وفي الـــصباح قام بعض الشبان بحياكة علم بريطاني وذهبوا إلى بوابة الصابري للترحيب بالقوات البريطانية.

وخشى العرب إظهار مشاعرهم أمام الإيطاليين الذين كانوا لا يزالون يـــسيطرون علـــى المدينة، إلا أن فرحتهم كانت ظاهرة لا تُخفى على أحد، وتجمع في ميدان البلدية الوالي الإيطالي ورجال حكومته وبعض الأعيان في انـــتظار وصول القائد البريطاني، وقد وعدهم الأخير بالمحافظة على أملاك الـــناس وأرواحهم ومساكنهم ثم رفع العلم البريطاني فوق البلدية وأُنزل العلم الإيطالي الذي ظل يرفرف عليها ثلاثين عاماً، واعتقد الإيطاليون أن الإنجليز ســـوف يتـــركون الإدارة الإيطالـــية تستمر في تصريف الأعمال إلا أن هذا لـــم يـــتحقق فقـــد تولى البريطانيون إدارة البلاد بأنفسهم واستعانوا بالضباط الوطنيين الذين جاءوا معهم لتولى الأمن في البلاد. وغصت المدينة في ذلك الـــيوم بالـــسكان الذين انتقلوا من الضواحي بسبب الحرب ليروا بداية العهد الجديد وانفراج كربهم.

وشـــرعت الـــسلطة العسكرية بمساعدة بعض المتطوعين الليبيين في الـــبحث عن الضباط والجنود الإيطاليين الذين لم يستطيعوا اللحاق بوحداتهم

المنسحبة، وقد أخفاهم المدنيون الإيطاليون في دورهم، وأدخلهم الأطباء الإيطاليون المستشفيات بحجة أنهم مرضى أو جرحى، إلا أن السلطات العسكرية البريطانية أخذت تتعقب هؤلاء الفارين بمساعدة بعض الليبيين وكانوا يقبضون عليهم الواحد تلوى الآخر، وأخرجوهم من المستشفي وبعثوهم إلى الأسر. أما فيما يتعلق بإدارة المدينة أو مراقبة شؤونها وأوضاعها فالسلطة العسكرية البريطانية لم تلتفت إليها أو تهتم بأمرها، وقد انطلق الجنود الأستراليين يوقفون الناس في الشوارع ويستولون على أموالهم ويطاردون الفتيات الإيطاليات؛ للاعتداء عليهن، ويكسرون أبواب المتاجر الإيطالية، بحثاً عن الخمر وعن النقود. وعادت بعض الأسر العربية إلى المدينة في حين ظلت الأغلبية بالضواحي وظل الرجال كالسباق يأتون المدينة صباحاً ويغادرونها مساءً.

ووصلت ميناء بنغازي باخرة، لنقل قرابة ألف أسير إيطالي إلى مصر إلا أنها شُحنت إلى جانب الأسرى بالأثاث واللوحات الزيتية والسجاد والتحف التي نهبت من قصر الوالي ودوائر الحكومة والمساكن الخاصة التي انتقل شاغلوها إلى طرابلس، واستغرب الناس لعمليات السلب هذه ورأوا فيها الدليل على أن الاحتلال البريطاني مؤقت ومرتبط بسير الحرب وتطوراتها. واستغربوا أن تقوم حكومة كبيرة كالحكومة البريطانية بالاستيلاء على ما خلفه الإيطاليون من تحف وأثاث وسجاد، وتقوم بإرساله إلى مصر، وقد تعودوا على تصرف الحكومة الإيطالية ونزاهتها وعدم مساسها لأي شيء لا يخصها إلا بموجب القانون.

وقام الحاج رشيد الكيخيا بالاتصال بالسلطات البريطانية وقدم إليهم اقتراحاً بتشكيل قوة محلية من الشباب؛ لحفظ النظام المفقود في البلاد. ووافقته السلطات البريطانية على ذلك، وشرع في اختيار الشباب الذي تتألف منه القوة، وشرع في تدريبهم وإعدادهم للقيام بمهمتهم الصعبة، غير أنه قبل

أن تقوم هذه القوة بعملها غادرت القوات البريطانية بنغازي، وجاء الإيطاليون لمحاسبة كل من تعاون مع السلطات البريطانية، فأبعدت الحاج رشيد الكيخيا إلـــى إيطاليا، وقبضت على من وقع بيديها من الشبان المنتسبين للقوة وقامت بمحاكمتهم وسجنهم.

دام الاحتلال البريطاني لبنغازي قرابة شهرين، وكانت ألمانيا قد أرسلت إلـــى ليبيا الجنرال روميل على رأس فرقتين مدرعتين لمساعدة الإيطاليين، ولم يُـضع الجنـــرال رومـــل وقتاً، بل قام بالهجوم على العقيلة واحتلها وبلغ النبأ القوات البريطانية الموجودة في بنغازي التي كانت لا تستطيع مواجهة القوات الألمانـــية، وأمـــرت القيادة البريطانية بالجلاء عن بنغازي، ونهض الناس في صـــباح أحـــد الأيـــام فوجدوا القوات البريطانية تنسحب من المدينة في اتجاه الـــشرق، وانتهز الفرصة الكثيرون من الشباب والرجال للسفر إلى الشرق مع القوات البريطانية أو بوسائلهم الخاصة حتى بالدرجات.

وخـــرج الإيطاليون والعساكر والضباط الذين كانوا مختبئين لديهم إلى الـــشوارع رافعـــين الأعـــلام الإيطالية والألمانية، وعاثوا في المدينة فساداً، وقاموا بقتل أسرة جعودة المؤلفة من أب وولديه وأخيه بكاملها، وقتلوا غيرهم مـــن الليبيين في شوارع بنغازي، واعتدوا على المحلات التجارية في سوق الظـــلام وأماكن أخرى، وكانوا يصيحون ويبحثون عن العرب لقتلهم، وظل هذا الوضع قائماً طيلة النهار إلى أن حل الظلام فخاف الإيطاليون أن ينقض علـــيهم العرب ويقتلوهم، وعادوا إلى دورهم وأوصدوا أبوابها. وكانت فترة احتلال الإنكليز القصيرة لبنغازي قد أظهرت العرب على حقيقتهم وأظهرت شعورهم الخفي ضد الإيطاليين، لقد سُر العرب جميعاً بالاحتلال البريطاني، واعتبـــروه تحريراً وخلاصاً من حُكم إيطاليا، فاندفعوا يتعاونون مع القوات البريطانية ويقبضون على الجنود الإيطاليين، ويسلمونهم للسلطات البريطانية. وقـــد تولى الأمن في المدينة خلال الوجود البريطاني ضباط القوة الوطنية،

وعلى رأسهم علي جعودة وإبراهيم المكحل ورجب عبيدة والصديق الجيلاني ومحمود بوقويطين وغيرهم من الضباط الذين تولوا الأمن في مختلف مراكز بنغازي، والذين غادروا المدينة مع القوات البريطانية. وقد اختل أمن البلاد بعد ذهابهم ودخلت بنغازي القوات الإيطالية والألمانية فأعادت النظام إلى نصابه وبدأت عائلات المدينة في الخروج إلى الضواحي حيث كانوا طيلة مدة الحرب.

وعاشت مدينة بنغازي في حالة حرب لا مؤن ولا مواصلات ولا أمن، وكانوا يتحصلون بين الحين والأخر على بعض الكميات من المؤن التي كانت توزعها الحكومة بالبطاقات، وقد ضاع أمل الخلاص والحرية الذي داعب أفكار الناس طيلة مدة بقاء القوات البريطانية ببنغازي، وخاصة بعد أن وصلت قوات رومل إلى طبرق واحتلتها وواصلت تقدمها شرقاً إلى الحدود المصرية، وانشغل الناس على أبنائهم الذين قتلوا أو أسروا في سيدي براني، وسر الكثيرون برؤية أولادهم وهم يعملون مع القوة الوطنية، وبكى آخرون فلذات أكبادهم الذين قتلوا في المعارك. وحاولت إيطاليا تنظيم الإدارة في بنغازي كما كانت، إلا أنها فشلت في ذلك لأن كل شيء قد تغير بعد الاحتلال البريطاني لبنغازي، إلا أنهم أجبروا الموظفين العرب على المجيء يومياً لمباشرة عملهم في مكاتبهم، ومنذ احتلال القوات الألمانية لبنغازي دأبت الطائرات البريطانية على قصف ميناء بنغازي وما حولها في كل ليلة، مما اضطر الناس إلى إخلاء مساكنهم ليلاً والاتجاه لمساكنهم المؤقتة في الضواحي. وفي الصباح يعودون بالعربات والدرجات وبعض السيارات إلى المدينة؛ لتولي أعمالهم التجارية أو الوظيفية إلى أن يحين وقت الغروب فيخرج الآلاف من المدينة صوب الضواحي. وقد طالت القنابل البريطانية معظم مباني الحي الأوروبي في بنغازي ودمرتها، فكانت المدينة في الليل مدينة أشباح لا حياة فيها ولا بشر.

وفلت زمام السلطة الإيطالية في الدواخل، وكان بعض شباب القبائل اعتدوا على المعمرين، وأخذوا ما لديهم من حيوان، وساهم الجنود الأستراليين في الاعتداء على المعمرين الإيطاليين واغتصاب نسائهم والاستيلاء على ما لديهم من أشياء ثمينة ومن خمور، وقد أرادت إيطاليا معاقبة الليبيين الذين اعتدوا على الإيطاليين سواء في القرى الاستعمارية أم في غيرها، وخصصوا قوة لذلك وأقاموا محكمة في المرج لتحاكم المتهمين، وقد حكمت على أكثر من مائة عربي بالإعدام شنقاً، ونُفذ الحكم في الحال. وأقامت القوات الإيطالية موجة رعب وخوف في دواخل برقة بين القبائل إلا أن الجنرال رومل تدخل وطلب من الإيطاليين التوقف عن هذه الأعمال؛ لأنه لا يريد خلق جبهة حرب وراء خطوطه.

وتحركت القوات البريطانية من جديد فهزمت القوات الألمانية والإيطالية، واحتلت طبرق ودرنة وبنغازي من جديد، إلا أن الناس كانوا في هذه المرة حذرين فلم يأتوا للمدينة ولم يتصلوا بالقوات البريطانية ولم يتعاونوا معها في أي شيء. وظل احتلال بريطانيا الثاني لبنغازي ثلاثين يوماً لا غير، انسحبت بعدها القوات البريطانية أمام هجوم رومل الذي دفعها إلى ما وراء الحدود وقد وصلت قواته إلى العلمين.

أحدث وصول قوات رومل إلى العلمين موجة من الغضب واليأس بين أهل بنغازي الذين كانوا يأملون في احتلال بريطانيا لبلدهم بصورة مستديمة إلا أنهم فوجئوا بأن احتلال الإسكندرية من قبل الإيطاليين والألمان أصبح قريباً. وبذلك ضاعت جميع الأماني والآمال التي عُلقت على احتلال بريطانيا لبنغازي.

واعتقد موسوليني أن مصر قد أصبحت بين يديه وأن احتلالها أصبح قريباً فقرر السفر إلى ليبيا ومعه حصانه الأبيض وسيف الإسلام الذي قدمه له الليبيون خلال زيارته لليبيا، ووصل ليبيا وسكن في إحدى قرى الجبل الأخضر وظل ينتظر بداية تحرك رومل في اتجاه مصر، وفي هذه الأثناء

قـــام بالتفكير في إدارة مصر المقبلة فعين ماتسولينى سفير إيطاليا السابق في القاهـــرة حاكمـــاً مدنياً لمصر، وعين الجنرال رومل حاكماً عسكرياً، وطبع العملة الجديدة التي ستتداول في مصر، كما طلب من بعض المذيعين الليبيين في إذاعة طرابلس أن يتولوا إذاعة مصر ويشرفوا عليها. وظل ينتظر اقتحام رومـــل للعلمين، كي يدخل مصر ممتطياً جواده الأبيض وبيده سيف الإسلام علـــى رأس القـــوات الإيطالية الألمانية المحتلة للإسكندرية. إلا أن انتظاره طـــال، فقـــد مر عليه عشرون يوماً ورومل لم يتحرك، وقد تجاهل الجنرال رومل وجود موسولينى في ليبيا ولم يذهب لزيارته كما تقتضى العادات بذلك واســـتمر في أعماله بالجبهة ولم يخف هذا التجاهل على موسولينى فحز في نفـــسه ودعـــاه إلى التعجيل بعودته إلى إيطاليا والانتظار هناك وقت احتلال الإســـكندرية. وقـــد عاد موسولينى وجواده وسيف الإسلام إلى إيطاليا كئيباً حـــزيناً؛ لأن دخـــوله مصر على رأس القوات المنتصرة لم يتحقق. إلا أنه لا يزال يأمل في تحرك رومل وتقدمه نحو مصر وإذ ذاك سيسرع إلى مصر ليكون على رأس الداخلين إليها.

وكـــان رومل يواجه قوات بريطانية كبيرة وخطوط محصنة تحصيناً جيداً يتطلب اقتحامها قوات كبيرة غير متوفرة لديه. وظل الطرفان متوجهان كـــلٌ يراقب الآخر حتى قامت القوات البريطانية في يوم 18 نوفمبر 1943م بهجـــوم عام عنيف على القوات الألمانية الإيطالية وأجبرتها على التراجع ثم الهـــزيمة. فقد أخلت القوات الألمانية الإيطالية برقة برمتها للبريطانيين الذين احتلوا بنغازي للمرة الثالثة ثم واصلوا زحفهم نحو طرابلس.

وعـــندما رأي الناس زحف القوات البريطانية نحو طرابلس تأكدوا أن احـــتلال بنغازي في هذه المرة أصبح احتلالاً دائماً، فبدأ الناس يعودون من الـــضواحي إلـــى بيوتهم التي خُرب بعضها بقنابل الطائرات. وبدأت الإدارة

البريطانية تتكون وتعمل على إدارة البلاد، وعاد الكثير من المهاجرين الذين ذهبوا إلى مصر، وبدأت الحياة في بنغازي تعود تدريجياً إلى طبيعتها.

وقد تم إجلاء الإيطاليين على مراحل، وفي الاحتلال البريطاني الثالث لبنغازي أمرت إيطاليا جميع الإيطاليين بمغادرة البلاد. وعادوا إلى مواطنهم الأصـــلية العشرون ألف معمر الذين جاء بهم بالبو، والذين اعتبرتهم إيطاليا الدفعـــة الأولى من أعداد المستوطنين القادمين إلى ليبيا. أخرجت إيطاليا من ليبـــيا بقـــوة الـــسلاح، وتخلـــت عن ليبيا التي عملت عشرين سنة من أجل احتلالها. وكان استعمارها وحشياً عنيفاً غير إنساني. وقد قتلت نصف سكان برقة في سبيل القضاء على ثورة عمر المختار. وكانت مستعدة لقتل النصف الآخر فيما إذا ظلت نيران الثورة مشتعلة.

لقـــد كـــان عدد سكان ليبيا عند الاحتلال الإيطالي يقدر بمليون نسمة حـــسب التقديـــرات الإيطالـــية والتركية. وفي عام 1936م أجرت السلطات الإيطالـــية تعداداً دقيقاً أظهر أن عدد سكان ليبيا في تلك السنة كان سبعمائة ألـــف نسمة منهم مائة وثلاثون ألفاً في برقة والبقية في طرابلس. فإذا أخذنا بعـــين الاعتبار الزيادة الطبيعية للسكان خلال خمسة وعشرين سنة فيجب أن يتـــضاعف العدد بدون شك، وأن يكون سكان ليبيا في عام 1936م أكثر من مليونـــي نسمة. وهذا دليل على ما كابده سكان ليبيا خلال العهد الإيطالي من خسائر في الأرواح بسبب اشتعال الثورة وسجن الناس في المعتقلات وأحكام المحاكم الإيطالية على آلاف الناس بالإعدام.

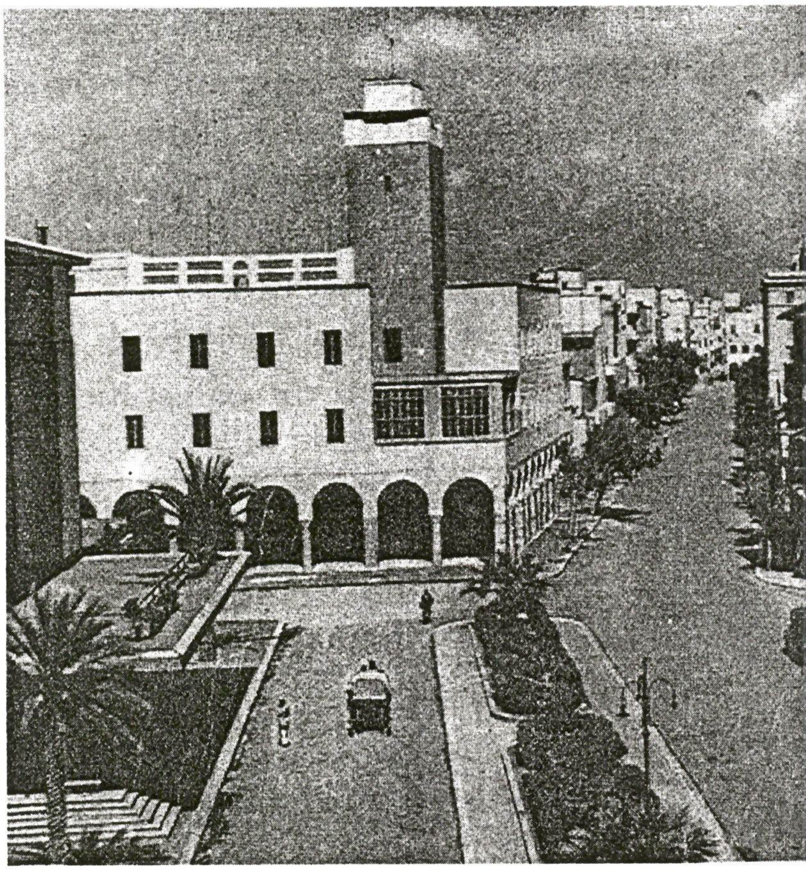
وعاد أهل بنغازي المشردين إلى بيوتهم المدمرة والمنهوبة وإلى مدينة هُـــدمت مبانـــيها ودُمرت طرقها وبنيتها التحتية، وكانت تعيش بدون ضوء كهربائي وبدون مياه وبدون مواصلات. عاد أهل بنغازي إلى مدينتهم ليبنوا حـــياتهم من جديد، وقد شمروا عن سواعدهم وبدءوا إعادة اعمار ما تخرب مـــن المديـــنة قدر استطاعتهم وجهودهم آنذاك. إلا أن مباني المدينة العربية

لـــم تــصلها قـــنابل الطائرات المغيرة إلا في أماكن محدودة، وظلت المدينة سالمة. ولم تعمل الإدارة البريطانية التي تولت الأمر في البلاد على إصلاح أي شــــيء في المدينة، وقد تركتها على ما هي عليه من خرابٍ ودمار. وقد أصلحت ما كانت تحتاجه لسكن ضباطها ولمكاتبهم.

انـــتهت فترة الاستعمار الإيطالي في ليبيا في عام 1940م بعد هزيمة إيطالـــيا في سيدي براني، وقد عادت إيطاليا إلى بنغازي مرة ثانية بفضل القـــوات الألمانـــية التي أرسلها هتلر لنجدة إيطاليا وتأمين بقائها في ليبيا، إلا أنها وجدت أن الأوضاع قد تغيرت تغيراً جذرياً بعد الاحتلال الإنجليزي لمدينة بنغازي عام 1940م، فلم تستطع بسط سيادتها على كل برقة وأكتفت بحكـــم المـــدن الرئيسية. وكانت بنغازي خالية من السكان باستثناء الرجال الـــذين كانـــوا يأتـــون إليها صباحاً للقيام بأعمالهم ويغادرونها مساءاً إلى الـــضواحي، وكـــان الـــناس في الضواحي مسلحين، ويخشون الإيطاليين ويـــتوقعون مهاجمـــة إيطاليا لهم في كل وقت، وكان الجبل الأخضر وبقية أنحاء برقة لا تسيطر عليها إيطاليا إلا اسمياً حتى نهاية وجودها في البلاد. وأدركـــت إيطاليا أنها لا تستطيع إعادة سيادتها على البلاد إلا بحرب ضد الليبيـــين، وقد أدرك الألمان ما تريد أن تقوم به إيطاليا فمنعوها من إشعال حـــربٍ وراء خطوط المقاتلين. وكان الألمان يشاركون إيطاليا السيادة على الـــبلاد فكانـــوا يتعاملون مع العرب ويشترون منهم اللحوم وأشياء أخرى ويعاملونهم معاملة طيبة في الوقت الذي كان الإيطاليين يعدون العدة للانتقام من العرب؛ بسبب تعاونهم مع الإنجليز في فترة احتلالهم لبنغازي، وبسبب اعتداءاتهم على المعمرين الإيطاليين. وقد كان الإيطاليون غير راضين عن موقـــف الألمـــان، وقـــد كانت الشرطة الإيطالية تراقب اتصالات الألمان بالعرب وتكتب التقارير للحكومة معربة عن شكوكها في أهداف الألمان من تقـــاربهم من العرب. وظلت هذه الشكوك في نوايا ألمانيا المقبلة تجاه ليبيا

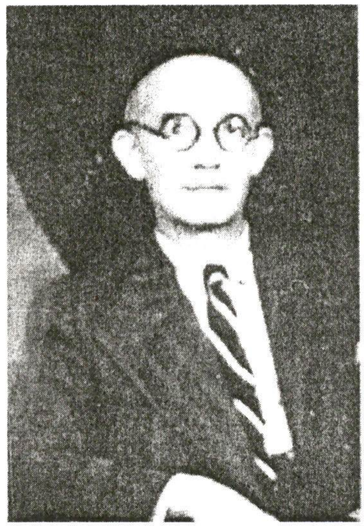
تــساور الإيطاليين وتخيفهم حتى نهاية الحرب وخروجهم جميعاً من ليبيا. وفــي عــام 1943م احــتلت بريطانيا بنغازي للمرة الثالثة واحتلت بعدها طــرابلس وانتهت بذلك فترة الاستعمار الإيطالي في ليبيا حتى وإن كانت نهايتهُ قد بدأت في عام 1940م. لقد ذهبت إيطاليا وتخلت بالقوة عن ليبيا بعد ثلاثــين ســنة مــن استعمارها الأسوأ وأبشع استعمار عرفه العالم. إن ما ارتكبته إيطاليا ضد الليبيين في هذه الثلاثين عاماً يعجز عن وصفه الإنسان وكتابته القلم، لقد كانت إيطاليا بعد وحدتها عام 1870م دولة ليبرالية تحترم حقوق الإنسان وتكره الاستعمار والتوسع الاستعماري. إلا أن فئة قليلة من المتطــرفين رأوا أن إيطالــيا بدون مستعمرات لا ترقى إلى مستوى الدول الكُبرى، وأخذوا يحثون الحكومة عن البحث عن مستعمرة في الوقت الذي كانت فيه أفريقية ومعظم بلاد أسيا ونيوزيلندا وأستراليا خاضعة للاستعمار الأوروبــي ولا فــراغ يمكــن أن تحــتله إيطاليا. وقد تورطت إيطاليا في اســتعمار شــرق أفريقيا وأصيبت في هزيمة عدوى التي جعلتها تكف عن الكــلام عــن الاســتعمار لعدة سنوات. لقد تخلت إيطاليا عن ليبيا وخلفت وراءها وخاصة في برقة عشرات الآلاف من الضحايا والشهداء والأرامل والأيــتام. ولم تكتفِ بقتل البشر بل امتدت أيديها للاستيلاء على أراضيهم ومنحها للمعمرين. إن الاستعمار الإيطالي لليبيا لم يُعرف له مثيل في عالمنا الحــديث. لقــد استعمرت فرنسا المغرب والجزائر وتونس وسوريا ولبنان واســتعمرت بريطانيا مصر والعراق وفلسطين وقد عملت هذه الدول على تعليم شعوبها المستعمرة ورفع مستواها والسير بها تدريجياً نحو حُكم نفسها بنفسها بل أن فرنسا تركت الحكم الملكي في المغرب وحُكم الباي في تونس وكــونت حكومات وطنية في سوريا ولبنان وتركت بريطانيا أسرة (محمد على) تحكم مصر واعترفت للعراق باستقلاله، هذا في حين أن إيطاليا بعد احــتلالها لليبــيا أغلقت المدارس الابتدائية والثانوية التي أسستها تركيا في

البلاد، وكشرت عن أنيابها وكشفت للشعب الليبي عن حقيقة نواياها. وشاهد عرب ليبيا هزيمة إيطاليا ومذلتها بعد أن ذلتهم ثلاثين عاماً، شاهدوا جنودها المنهـــزمين يمـــرون فـــي مذلة عبر شوارع بنغازي وكان الشبان العرب يعـــتدون عليهم ويستولون على أسلحتهم. وشاهد عرب ليبيا زوال غطرسة إيطاليا وكبريائها وظلمها واضطهادها لهم وشاهدا نهاية العشرين ألف معمر الـــذين جـــاء بهم بالبو؛ ليستوطنوا ليبيا، وقد غادر جميع الإيطاليين برقة؛ خـــوفاً من انتقام العرب منهم. إلا فرحتهم بزوالها أنساهم كل ما فعلتهُ بهم، وقد شمروا عن سواعدهم؛ لبناء ليبيا الحرة المستقلة وبناء مستقبلها الزاهر.



بنغازي في العهد الإيطالي

الأعيـان



الأستاذ محمد محمد بن عامر

وهـــو نجل الشيخ محمد بن عامر الذي تولى القضاء في العهد العثماني وفـــي العهـــد الإيطالي، وكان من أشهر القضاة الذين عرفتهم بنغازي. درس محمـــد بـــن عامر الفقه والشريعة على يد والده الذي كان يساعده في أعماله القضائية، وقد مارس المحاماة الشرعية بعد وفاة والده، وكان رجلاً مثقفاً وكاتباً قديراً وكان أقدر من تولى المحاماة الشرعية في ذلك الوقت، وعمل على تقنين المذهب المالكي وتقسيمه إلى أبواب ومواد مرقمة أسوة بالقوانين المدنية. وهو كاتب قدير له كتابات في الصحف ومؤلفات. وكان من أعيان بنغازي النشطين والمثقفـــين الذين ساهموا في إحياء الثقافة بالبلاد، وكانت دارهُ مُلتقى العديد من الأُدباء الذين كانوا يقضون سهراتهم بداره، وقد توفي ودفن ببنغازي.



الحاج حسين باشا بسيكري

مـن أعـيان بنغازي المرموقين ومن رجالها العاملين الساهرين على مصلحتها ومصلحة أبنائها، وقد تلقى تعليمهُ الأوّلي في بنغازي، ثم ذهب إلى تـركيا لإتمـام تعليمهِ، وبعد الاحتلال الإيطالي لليبيا استعان به السيد أحمد الـشريف كأحد المقربين له، وظل يعمل معهُ كأحد مستشاريه إلى أن غادر الـسيد أحمد برقة وانتهى دور أمساعد، فصاحبهُ إلى المنطقة الغربية، حيث سـافر الـسيد أحمد الشريف بغواصة ألمانية إلى تركيا، وقد أقام السيد أحمد الـشريف بتـركيا فترة من الزمن على أن دعاهُ كمال أتاتورك إلى مغادرة تـركيا فغادرها إلى المملكة السعودية، التي أقام بها حتى وفاته، وقد واصل حسين بسيكري نشاطهُ السياسي فانتخب عضواً في مجلس النواب البرقاوي، وقد عُين فيما بعد قائمقاماً لاجدابيا، ثم قبضت عليه السلطة الإيطالية وأبعدتهُ إلـى إيطاليا في عام 1924م مع غيره من الأعيان حيث ظل في المنفي ثلاثة أعـوام عـاد بعـدها إلـى مدينة بنغازي؛ ليستأنف حياتهُ ونشاطهُ السياسي والاجتماعي حتى توفاه الله في بنغازي ودفن بها.



عبد الله بالعون

مــن أبناء بنغازي المعروفين بقوة الذاكرة والفراسة والثقافة. عمل مع الإدارة الإيطالية كمدير لفترة من الزمن، وعمل مع الإدارة الوطنية في عام 1919م، وأدى خدمات كثيرة للحركة الوطنية، وقد قبض عليه الإيطاليون بعد قــيام النظام الفاشستي، واتهموه بالمشاركة في قيام الاستقلال الذاتي وأرسلوه مع غيره من الأعيان إلى سجون إيطاليا حيث قضى ثلاث سنوات عاد بعدها إلى بنغازي، وقُبض عليه مرة ثانية في عام 1940م وأُرسل إلى إيطاليا حيث قضى فترة في السجن انتهت بانتهاء الحكم الإيطالي في ليبيا. وكان عبد الله بالعــون ذكــياً ومتعلماً وخبيراً بأنساب قبائل برقة. وتولى بعد الحكم الذاتي منصب مدير الأشغال العامة، ثم ناظر الأشغال العامة في المجلس التنفيذي، ومناصب أخرى، وقد توفي بالقاهرة ودفن بها.



على جعودة

ولـــد وتعلم في بنغازي، والتحق بالمجاهدين شاباً في معركة جليانة، ثم انضم إلى دور نجيب ثم دور بنينا واشترك في المعركة التي قضت على دور بنينا. وانتقل إلى أمساعد مع المجاهدين، وشارك في الأحداث التي تمت هناك، وبعـــد حل دور أمساعد وتشتت رجاله سافر إلى مصراته حيث واصل جهاده مـــع الهيئات الوطنية التي تكونت هناك وعاد إلى مصر في عام 1924م، حيث أقام بها حتى أُعلنت الحرب وتأسس الجيش السنوسي فكان أحد كبار ضباطه. وشـــارك في المعارك التي خاضها الجيش الثامن، وكان في طبرق مع القوات الليبـــية خـــلال حصار القوات البريطانية الذي دام قُرابة العام، وعندما احتل الإنجليز بنغازي عام 1940م جاء بنغازي واهتم بالأمن العام، وكان يتردد على أســـرته·فـــي البركة إلى أن انسحبت القوات البريطانية وانسحب معها، وهجم الإيطالـــيون علـــى دارهم وقتلوا والده وأخويه وعمه دفعة واحدة انتقاماً؛ لأن ابـــنهم كان يتعاون مع الإنجليز. وتولى على جعودة وزارة الدفاع في حكومة

مصطفي بن حليم ومناصب أخرى، وكان من وجهاء بنغازي المعروفين ومن أبنائها الذين خدموا قضية التحرير الليبي مُنذ نعومة أظفارهم حتى شيخوختهم، وقد توفي في بنغازي ودفن بها.



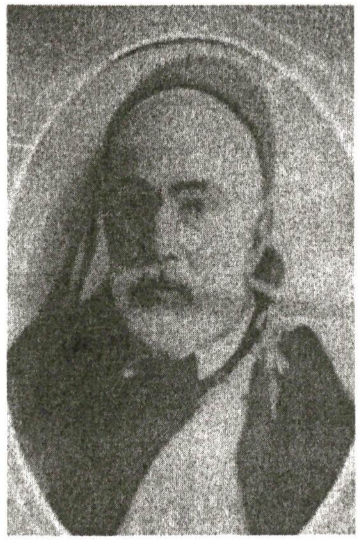
الشيخ رجب عثمان

ولـد ببـنغازي وتلقـى تعليمه الأوَّلي بها، ثم نتقل إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف، وظل يدرس به حتى نال شهادته العليا. وعاد إلى بنغازي ولـم يـشغل أي وظـيفة رسـمية وظل بداره يُلقى الدروس على الأصدقاء والمعـارف، ويُلقى الدروس في المساجد بعد صلاة العصر. وقد تتلمذ عليه الكثيرون واستفاد من دروسه العامة خلقٌ كثير، وكانت داره مفتوحة لكل من أراد أن يتعلم أو يستشيره في أي شيء وتوفي ببنغازي ودفن بها.



الحاج على بن عمران

وجيه من وجهاء بنغازي وتاجر من أكبر تجارها. ولد ببنغازي وتربى وتعلـم بهـا، واهتم بالتجارة منذ صغره واستمر فيها حتى آخر عمره. وهو عمـيد عائلـة بن عمران، وكانت لديه وكالة في سوق الظلام يمارس منها تجارته. وكان كريماً وخلوقاً ومحبوباً من الناس، وظل يعمل في تجارته حتى نـشوب الحرب العالمية الثانية حيث انتقل وأسرته إلى أطراف المدينة، وقد توفي ودفن ببنغازي.



الحاج حسن بوليفة

مــن وجهاء وتجار بنغازي المعروفين وكان يُمارس التجارة والفلاحة وتــربية الماشية كغيره من أعيان بنغازي، وكان وطنياً غيوراً مهتماً بالجهاد ومتتــبعاً لتطوراته، وقد قبضت عليه السلطة الإيطالية عام 1914م، وأبعدته إلـى إيطاليا حيث قضى قُرابة ثلاث سنوات في سجونها، وعاد إلى بنغازي عـام 1917م عندما عاد بقية الأعيان والمشائخ المسجونين، ليمارس تجارته ونشاطه الاجتماعي والسياسي حتى تم عام 1924م القبض عليه من جديد مع بقية أعيان بنغازي الذين أُرسلوا إلى السجون الإيطالية التي سبق وعرفوها، وقد ظلوا بها ثلاث سنوات إلى أن أطلق سراحهم في عام 1927م فعاد حسن بوليفة إلى بنغازي حيث واصل ممارسة أعماله التجارية والاجتماعية إلى أن توفاه الله في بنغازي التي دفن بها.



الشيخ خليل الكوافي

مــن عُلماء وأعيان بنغازي، تلقى تعليمه الأولى في بنغازي ثم التحق بالأزهر الشريف وواصل تعليمهُ حتى تحصل على الشهادة العالية وعاد إلى بــنغازي ليخدم بنى وطنه في مجال القضاء والشريعة والثقافة، وكان وطنياً غــيوراً يهــتم بمــا يجرى في بلاده ويؤيد المجاهدين والمقاتلين، وقد كان متعاطفاً مع جمعية عمر المختار ويشاركها آراءها وأفكارها، وتولى القضاء فــي بنغازي، وقضى كل حياته يعمل في هذا المجال، وكان ذا ثقافة عالية، واهــتماماته كبيرة بالأدب والشعر وكانت دارهُ مُلتقى للأُدباء ولطلاب العلم، وقد توفي في ببنغازي ودفن بها.



مادي تربل

نجل سليمان تربل المشهور، تلقى تعليمهُ الأولى والثانوي في بنغازي ثم أُرسل لإتمام دراسته في تركيا في الكلية العسكرية، وقد تخرج ضابطاً وعمل في الجيش التركي فترة من الزمان ثم جاء إلى ليبيا، وعُين قائمقاماً للمرج، وبعد الاحتلال الإيطالي شارك في الجهاد إلى جانب السيد أحمد الشريف واستمر في الجهاد حتى حلِ معسكر أمساعد، فعاد إلى بنغازي وواصل اهتمامهُ بشؤون البلاد وأوضاعها حتى وافته المنية في عام 1951م ببنغازي حيث دفن بها.



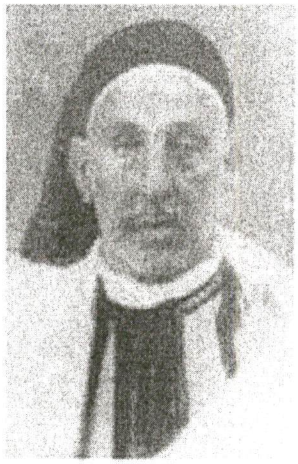
عثمان العنيزي

مـــن أعيان بنغازي وعميد عائلة العنيزي، وتقلب في بعض الوظائف في العهد الإيطالي وكان نشاطهُ ممارسة الفلاحة وتربية المواشي كبقية أهل بـــنغازي، وله مكانة وتقدير بين أبناء المدينة، وفي فترة الحكم الذاتي لبرقة سنة 1920م، فاز بمقعد في مجلس النواب البرقاوي حيث قام بجهدٍ في سبيل تسيير أعمال المجلس، وعثمان العنيزي محطُ احترام وتقدير من بني مدينته، وقد توفي ببنغازي ودفن بها.



مصطفي السلاك

مــن أعــيان بنغازي وتجارها النشطين، وقد مارس التجارة بطرقها الحديــثة، وساهم في حياة البلاد الاجتماعية، وكان مُحباً للتطور والتقدم في جمــيع المجالات، وقد شيد عمارة حديثة بميدان الشجرة لا تزال قائمة حتى الآن، وقد مرض وسافر إلى مصر للعلاج فتوفاه الله بالقاهرة حيث دفن بها.



الحاج محمد بن كاطو

من أعيان بنغازي ووجهائها، تعلم وعاش في بنغازي وكان يُمارس الفلاحة وتربية المواشي كبقية أعيان بنغازي، وكان مهتماً بسياسة البلاد وأوضاعها، ويُشارك فيها، وقد اتهمتهُ السلطات الإيطالية بالتعاون مع المجاهدين وألقت القبض عليه في عام 1914م، وأبعدتهُ إلى إيطاليا مع غيره من الأعيان المقبوض عليهم حيث ظل في السجون الإيطالية ثلاثة أعوام وأُطلق سراحهُ مع غيره من الأعيان بعد دخول إيطاليا الحرب العالمية. وعاد إلى بنغازي؛ ليستأنف نشاطهُ وعملهُ. وقد ألقت عليه السلطة الإيطالية القبض من جديد في عام 1914م، وأبعدتهُ إلى إيطاليا مع غيره من الأعيان حيث قضى ثلاث سنوات في سجونها ثم أُطلق سراحهُ مع غيره من الأعيان، وعاد إلى بنغازي؛ ليستأنف حياتهُ الاعتيادية ونشاطهُ المعتاد حتى وافتهُ المنية في بنغازي ودفن بها.



حسين باشا كويري

مــن أعيان بنغازي ورجالها المعروفين، تلقي تعليمهُ الأولى والثانوي فــي بنغازي ثم التحق بالكلية العسكرية التركية وتخرج ضابطاً، وعمل مع الجــيش التركــي الذي كان يُحارب الإنجليز في الشرق الأوسط، وبعد قيام الثورة العربية التي قادها (الشريف حسين) انضم حسين كويري لها وعُين قائــداً للجــبهة الجنوبــية، وبعــد انتهاء الحرب أنعم عليه الشريف حسين بالباشــاوية، ثــم عاد إلى بنغازي ليقوم بنشاطٍ جديد فقد عُين قائمقاماً لجالو وأوجله لفترة من الزمن. وظل في بنغازي يُمارس حياتهُ الخاصة حتى توفي ودفن بها.

الفصل الخامس

الإدارة البريطانية في برقة

الإدارة البريطانية:

هُـــزمت القوات الإيطالية والألمانية في العلمين، وانسحبت قواتهم من برقة، واحتلت القوات البريطانية بنغازي في نوفمبر عام1943م للمرة الثالثة والأخيرة، وشعرت القيادة الإيطالية بالهزيمة الكاملة فأمرت جميع الإيطاليين المقيمين في برقة بالسفر إلى طرابلس بما فيهم الثلاثين ألف معمر الذين جاء بهـــم بالـــبو للاستيطان بالجبل الأخضر والذين قُوبلوا في طرابلس بالزهور والموســـيقى. وكان الإيطاليون يعلمون أن عودتهم إلى ليبيا مرهونة بنتيجة الحـــرب، وأن بقـــاء الإيطاليين في برقة يعرضهم لمخاطر كثيرة. وقد سُر الليبيـــين لطرد جميع الإيطاليين من جميع أراضى برقة، إلا أن فرحتهم كان يشوبها الخوف من انتصار إيطاليا وعودتها إلى ليبيا غير أن هذا الخوف قد تـــبدد بعـــد احـــتلال قوات الحلفاء لجنوب إيطاليا وسقوط الفاشستية وسجن موســـوليني. فقـــد أدركـــوا أن نهاية إيطاليا قد اقتربت، وقد رحبوا بالقوات البريطانية ولم يخشوا من ردود الفعل الإيطالية كما سبق.

وفـــي هـــذا الإطار أيضاً تحددت ظاهرياً السياسة التي طبقتها بريطانيا خلال احتلالها الثالث لبرقة، فمن الرسالة التي وجهها الجنرال (مونتجمرى) قائـــد الجـــيش الـــثامن إلى سكان برقة يوم 1943/11/11م، حيث بدأ الاحتلال الأخيـــر لأراضـــى برقة، ومما تضمنته الرسالة قوله: " لقد تم الاستيلاء على برقة من الإيطاليين بقوة السلاح البريطاني نظراً لهزيمة جيوشهم، وسوف تُدار من قبل حكومة عسكرية بريطانية حتى نهاية الحرب، والمقصود بنهاية الحرب عقـــد معاهـــدة الـــصلح بـــين الدول المتحاربة، وهي لا تعنى توقف العمليات

العسكرية في برقة أو في شمال أفريقيا، وأن الحكومة العسكرية لن تتدخل في المسائل المتعلقة بالشؤون السياسية للمستقبل"[1].

وشرع الليبيون في التعاون معها لا كقوة احتلال وإنما كقوة حليفة، وكانوا مقدرين لتصريح وزير خارجية بريطانيا الذي أعلن فيه أن برقة لن تعود ثانية إلى الحكم الإيطالي، وتأسست الإدارة العسكرية في برقة وتولت تسيير شؤونها بقيادة الجنرال (ميتشل). وفي عام 1943م بدأت الإدارة البريطانية تأسيس الخدمة المدنية المحلية. وكانت السياسة البريطانية تهدف إلى تشجيع العناصر المهمة بالعمل في الإدارة. وكانت خدمة من كان تحت الإدارة الإيطالية والعائدين من الخارج هي الأكثر طلباً، بالإضافة إلى عدد من الموظفين المصريين والسودانيين والأردنيين، وكانت الوظائف الرئيسية في الإدارة المركزية تتكون من المدراء والقضاة وبعض الرتب الإدارية، وكان عدد الموظفين يتجاوز الثلاثمائة موظف بعد عودة الشباب الذين أُوفِدوا للتعليم في مصر وبريطانيا، ولقد تم تعيين (أبو القاسم السنوسي) قائمقامًا لبنغازي وبعد ذلك مديراً للداخلية، وقد تولى الضباط البريطانيين رئاسة دوائر الحكومة والبلديات في بنغازي والمدن الداخلية.

وتحولت الإدارة العسكرية البريطانية إلى إدارة مدنية وازداد فيها عدد الموظفين الليبيين الذين أُسندت إلى بعضهم مناصب ذات أهمية تحت رئاسة الضباط البريطانيين. وانتهت الحرب العالمية الثانية في شهر مايو عام 1945م وبدأ أهل برقة يتساءلون عن مصيرهم ومصير الوعود البريطانية، وكان البريطانيون يجيبون عن هذه التساؤلات بقولهم: إن قضية برقة ستحل بعد عقد الصلح مع إيطاليا، ثم قالوا: إنها بيد وزراء خارجية الدول الأربعة الذين كُلفوا بإيجاد حل لقضية المستعمرات الإيطالية.

---

(1) أحمد القلال ـ سنوات الحرب والإدارة العسكرية البريطانية في برقة ـ 2003 ـ ص 165.

وفـــي عام 1943م أُسس مكتب المعلومات العامة برئاسة (جون ريد) ويعاونـــه ســـليمان الجربـــى، ومحمـــود بوهدمة، وعبد الله سكتة، ومهدي المطـــردي، ومحمـــود مخلـــوف، وقد دعمت هذه الدائرة النشاطات الثقافية والتعليمية في البلاد. وصدرت جريدة عربية اسمها (جريدة بنغازي) وكان رئـــيس تحريرها عبد الجواد فريطيس، وقد خلفه في رئاسة تحرير الجريدة صالح بويصير. وتولى الضباط البريطانيون مناصب المتصرفين والقائمقامين والمديـــرين في الدواخل إلا أن خُطتهم كانت تأهيل الوطنيين تدريجياً لتبوء هذه المناصب.

وقـــد قابـــل مجـــتمع بنغازي وليبيا الشرقية برمتها الوجود الإنجليزي بالترحيب والفرح وأخذوا يتعاونون معهم كأصدقاء أنقذوهم من شرور إيطاليا والآن يعدونهم لحكم أنفسهم بأنفسهم، غير أن مجتمع بنغازي كانت لا تروقُه حياة التقشف التي تتبعها الإدارة البريطانية وعدم اهتمامها بالمدينة وما كانت تعيش فيه من خراب وتدمير.

ليبيا في المحافل الدولية :

وضع ليبيا بعد الحرب كان مربوطاً بمصير المستعمرات الإيطالية في أفـــريقيا؛ لأن إيطالـــيا كـــان لها الحق على كل مستعمراتها السابقة قانونياً، ولا يمكـــن البت في مصير ليبيا إلا بعد توقيع الصلح مع إيطاليا. وقد حرر الإنجليـــز بنغازي للمرة الثالثة عام 1943م، غير أن مصير البلاد ظل معلقاً بأيـــدي وزراء خارجية الدول الكبرى المطلوب منهم اتخاذ قرار بحل مشكلة المستعمرات الإيطالية السابقة. إلا أن إيطاليا قد طالبت بعودة مستعمراتها إلى وصايتها والتنازل عن المستعمرات التي احتلتها إيطاليا في عهد موسولينى، وكانـــت إيطالـــيا الجديدة تريد أن تُلقى بكل تبعيات الحرب على موسولينى ونظامـــه، وإنهـــا بريئة من هذه الأعمال. وقد ظلت الإدارة البريطانية تحكم

بـــرقة ولا تستطيع إدخال أي تغيير على الوضع السياسي القائم قبل أن يقرر وزراء خارجية الدول الكبرى مصير البلاد.

اجـــتمع مجلـــس وزراء خارجية الدول الكبُرى في سبتمبر عام 1945م، للنظـــر فـــي إعداد الصلح مع إيطاليا. وتقدمت روسيا بطلب في مؤتمر بوتسدام المـــنعقد فـــي عام 1945م بحصولها على وصاية على طرابلس. وكانت الدول الكبـــرى قبل نهاية الحرب قد اقتسمت مناطق نفوذها على العالم، ولم يتبق سوى المـــستعمرات الإيطالية السابقة التي لا يمكن اتخاذ قرار فيها قبل توقيع معاهدة الصلح مع إيطاليا. ومع ذلك فبريطانيا تحتل برقة، وفرنسا تحتل فزان، وأمريكا أنـــشأت قاعدة مهمة في طرابلس، ولم يتبق لروسيا إلا المطالبة بالوصاية على ليبيا أو على الأقل الحصول على ميناء بالبحر الأبيض المتوسط.

وكانت إيطاليا تبذل جهوداً جبارة لدى الدول الكُبرى من أجل الوصاية علـــى ليبيا، وكانت مستعدة للاعتراف بالحقوق التي اكتسبتها الدول في ليبيا. اتفق وزراء خارجية الدول الأربعة على إيفاد لجنة إلى المستعمرات الإيطالية السابقة؛ لتحرى الحقائق وسؤال السكان والهيئات السياسية عن مطالبهم. وقد كونت اللجنة من مندوب عن كل دولة وسافرت إلى ليبيا وأقامت في طرابلس 40 يـــوماً تتـــصل بالناس وتسألهم عن رغباتهم واتصلت بالهيئات السياسية والأقليات الإيطالية واليهودية لتعرف رغباتهم، وكان الأكثرية غير متفقين في الإجابـــة، إلا أنـــه اتـــضح أن الأغلبـــية كانـــت تُطالب بالاستقلال والوحدة والانضمام إلى جامعة الدول العربية.

وانـــتقلت اللجـــنة بعـــد ذلك إلى برقة حيث أقامت 20 يوماً، واتصلت بسكان الدواخل والمدن لتعرف رغباتهم. وقد وجدت اللجنة أن جميع الشعب متفق على المطالبة بالاستقلال وإمارة السيد إدريس السنوسي والوحدة الليبية إذا قبل الطرابلسيون إمارة السيد إدريس السنوسي عليهم.

وفي فزان طالبوا بالاستقلال والوحدة وإمارة إدريس السنوسي. وعادت اللجـــنة إلـــى لندن لتقدم تقريرها إلى مجلس وزراء الخارجية. وقد جاء في التقرير أن الشعب الليبي غير مهيأ في الوقت الحاضر للاستقلال ويحتاج إلى مساعدات مالية خارجية لعدة سنوات. وأوصت اللجنة بوضع طرابلس وبرقة وفزان تحت الوصاية إلا أنها لم تذكر أسماء الدول التي تتولى الوصاية.

وفـــي مجلـــس وزراء الخارجـــية بُحث موضوع المستعمرات واتفقوا مبدئياً على وضعها تحت وصاية دولية تابعة للأمم المتحدة، واقترحت أمريكا أن تكون وصاية جماعية وتستمر لمدة 10 سنوات بالنسبة لليبيا، إلا أن روسيا طالـــبت بالوصاية على طرابلس لمدة 10 سنوات؛ لإعداد الدولة للاستقلال. وأكـــدت روسيا عن رغبتها أن يكون لها ميناء في البحر الأبيض المتوسط، وطـــرحت ذلـــك فـــي المجلـــس وهو الأمر الذي رفضته فرنسا وبريطانيا، وفـــضلت بـــريطانيا المقتـــرح الأمريكي بوصاية جماعية تحت رعاية الأمم المتحدة، في حين فرنسا كانت مترددة من حيث المبدأ خوفاً على مستعمراتها من رد فعل هذه الأحداث على شعوب شمال أفريقيا. وكان لا يخطر على بال الـــدول المنتصرة منح ليبيا استقلالها، بل كل منها طامعة في الحصول على نصيبها من الغنيمة.

اهتمت مصر والجامعة العربية بسير القضية الليبية وتتبعها، وقد تقدمت مـــصر بمذكرة بتاريخ 12 سبتمبر عام 1945م، التي أبدت فيها اهتمامها بليبيا وإرتـــريا وطالبت بأن تستشار في الحل النهائي لهذه المستعمرات. وذكرت في المذكرة أن ليبيا ومصر تربطهما روابط مشتركة قديمة في الماضي. واقترحت مـــصر عمـــل اســـتفتاء في ليبيا لتقرير رغبة الشعب إما في الاستقلال أو في الاتحاد مع مصر. وفي حالة أن ليبيا رغبت في الاستقلال فإن مصر ستحترم قـــراراها، وباســـتطاعتها الانضمام إلى الجامعة العربية. ولكن المذكرة أيضاً

قـــررت أن مجلس وزراء الخارجية إذا قرر عدم الاستفتاء ووضع ليبيا تحت الوصاية، فإن الوصاية يجب أن تُمنح لمصر أو للجامعة العربية.

وقــد ســلمت مصر إلى وزراء خارجية الدول الكُبرى مذكرة ثانية في ينايـــر عـــام 1946م، وطالبت أن تمثل في مؤتمر السلام القادم الذي سيتم به الاتفاق على معاهدة السلام، وبما أن مصر لم تكن مدعوة فإن المجلس أكد لها أنـــه سيدعو ممثلها ليبدى وجهة نظر مصر بخصوص المستعمرات الإيطالية، وفـــي مؤتمر السلام الذي انعقد في باريس من 21-23 أغسطس عام 1946م، حـــضر ممثل مصر وكرر المطالب المصرية التي وردت في المذكرة السابقة ورغبة مصر في تعديل الحدود الليبية المصرية ولتعتبر واحة الجغبوب ومدينة السلوم ضمن الأراضي المصرية. وبما أن مصر علمت أن ليس لديها فرصة للوصاية، فكانت في المذكرات اللاحقة دائماً تُطالب بتعديل الحدود.

اهتمت الجامعة العربية بالقضية الليبية وكانت تطمح بوضع ليبيا تحت الوصاية المصرية أو الجامعة العربية. وكان عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعـــة العربية يتابع الأحداث بدقة واهتمام. فتقدم بمذكرة في سبتمبر عام 1945م لأعـــضاء الجامعـــة العـــربية بآراء مشابهة لما تم ذكره في المذكرة المـــصرية، وطالـــب الدول العربية بالضغط على الدول العظمى؛ لمنح ليبيا اســـتقلالها إمـــا عـــن طريق الاستفتاء العام أو أن تتحد مع مصر. وفي 28 سبتمبر عام 1945م، سلم عزام مذكرة مماثلة لمجلس وزراء الخارجية وشدد عن قلقه على مستقبل ليبيا في حال سقوطها مرة أخرى في يد إيطاليا.

وتـــم وضع القضية الليبية أولَ مرة في جدول أعمال الجامعة العربية في ديسمبر عام 1945م. وكان قد صوت المجلس بتأييد المقترحات الموجودة فـــي المذكـــرة، ولقد تم التطرق إلى الموضوع أيضاً في اجتماع المجلس في 6 أبـــريل عام 1946م، وتم اتخاذ قرار بأن على الدول الأعضاء في الجامعة العـــربية الـــضغط على الدول العظمى بالأخذ برغبة الشعب الليبي، وألحق

عــزام بالقرار طلباً بعث به لأعضاء الجامعة العربية يكرر فيه وجهة نظره مــن القضية الليبية وطموحات الشعب الليبي. وتطرق عزام للموضوع مرة أخــرى في المجلس في 9–10 يونيو عام 1946م، ولقد أيد المجلس القرارات المــتخذة. وفــي اجتماع عقد في 11 يونيو عام 1946م، أيد مجلس الجامعة العربية القرارات المتخذة من قبل الزعماء العرب في الاجتماع الذي عقد في أنشاس في مصر في 30 مايو عام 1946م.

وكانــت آراء عــزام بخصوص ليبيا قد أصبحت منتشرة في الدوائر العــربية، ومحاولــته تأيــيد مــصر بحقها في الوصاية على ليبيا قد أثارت انــتقادات مــن كثير من مناصري ليبيا. حيث إنه عندما سلمت الجامعة أول مذكــرة لمجلــس وزراء الخارجية أكدت بأن أي محاولة لوضع ليبيا تحت وصـــاية دولية أوروبية ستكون غير مقبولة من قبل الدول العربية، وصرح عــزام لكثيــر من الزعماء الغربيين بأن أية إدارة تشترك بها مصر تستحق الدراســة، وأن أفضل شيء وضع ليبيا تحت وصاية الجامعة العربية وتكون مصر المسؤول الأول عنها نظراً لموقعها الجغرافي.

وأكد عزام أنه يؤيد اتحاد طرابلس وبرقة، ولكنه قال إنه في حال عدم إمكــان قــيام الاتحــاد أو الاســتقلال فإن برقة يمكن أن تنضم إلى مصر. وواصلت الجامعة العربية ومصر اهتماميهما بالقضية الليبية حتى إلى ما بعد استقلال ليبيا.

وقع الصلح مع إيطاليا وأصبحت الدول الكُبرى حُرة في التصرف في المستعمرات الإيطالية السابقة، واجتمع مجلس وزراء خارجية الدول الكُبرى أكثــر من مرة للاتفاق على حلٍ لمشكلة المستعمرات الإيطالية السابقة، وبما أن الأربعــة الكــبار الــذين بــيدهم تقرير مصير المستعمرات الإيطالية لم يتوصلوا إلى نتيجة فقد قررت الحكومة البريطانية منح برقة حكماً ذاتياً على

أن تنـــضم إليها فيما بعد الولايات الليبية الأخرى في حالة عدم التوصل إلى تقرير مصيرها.

هـــذا فـــي الوقت الذي كانت فيه قضية المستعمرات الإيطالية السابقة تـــتأرجح بـــين يـــدي الأربعة الكبار، ففي مؤتمر (سان فرانسيسكو) الذي أُنـــشئت فيه الأمم المتحدة تقدمت روسيا بطلب الوصاية على طرابلس، وكما ســـبق وذكرنا جددت هذا الطلب في مؤتمر (بوتسدام)، وقد أعلنت روسيا أنها بعد عشر سنوات من الوصاية ستمنح طرابلس الاستقلال وأنها تتعهد بأن لا تـــدخل الـــنظام الروسي في طرابلس بل ستساعد الشعب على إقامة نظام ديمقراطي. والقوى العظمى أكدت أن المقترحات المتعلقة بالمستعمرات أمور تخص مجلس وزراء الخارجية لتناقشها.

ويـــبدو أن لجـــنة وزراء الخارجية قد اتفقت من حيث المبدأ على أن توضع المستعمرات الإيطالية تحت وصاية الأمم المتحدة. ولكن هناك انقسام من ناحية شكل هذه الوصاية والدولة أو الدول التي ستُمنح هذه السلطة. ولقد قامـــت الولايات المتحدة الأمريكية بوضع خطة من أجل (وصاية جماعية) تحـــت لـــواء الأمـــم المتحدة، وتمتد لمدة عشر سنوات، وفي النهاية تصبح دولة مستقلة.

ومـــن جانـــب آخـــر بـــريطانيا كانت على استعداد لمساندة المقترح الأمريكي (للوصاية الجماعية) وتكون قابلة للتعديل. ولكن فرنسا لم ترغب في تقبل المبدأ؛ خوفاً من عواقب الاستقلال على ممتلكاتها الأفريقية. وعندما انعقدت لجنة وزراء الخارجية بعد ستة أشهر خلال إبريل عام 1946م، كانت قد تكونت مقترحات جديدة إلا أن أي منها لم ينل الموافقة.

ولحل المشكلة اقترحت بريطانيا أن تمنح ليبيا فوراً الاستقلال حيث إن هـــذا الاقتـــراح يبعد الاتحاد السوفيتي الذي أيضاً يؤيد (وصاية جماعية).

وبذلت إيطاليا مساعي للتقدم باقتراح يمنحها الوصاية على المستعمرات الأربعة مع وجود دولة كبيرة في كل من هذه المستعمرات إلا أن الاقتراح رُفض. وكانت إيطاليا ترمى إلى الحصول على وصاية على ليبيا مع وجود الاتحاد السوفيتي بها.

والخطة الثانية التي اتخذها الاتحاد السوفيتي كانت تأييد إيطاليا في حقها بالوصاية وحدها على طرابلس. ولقد تقبلت أمريكا وبريطانيا هذا المقترح. ولكن بريطانيا كانت مستعدة للقبول على شرط أن برقة لا تكون تحت الوصاية الإيطالية، ولكن تحت الوصاية البريطانية، وأعلنت أمريكا استعدادها للموافقة على المقترح السابق بشرط أن يحدد التاريخ وموعد استقلال ليبيا. ولكن لم يتم التوصل لاتفاق نهائي حتى اجتمعت اللجنة مرة أخرى في 15 يونيو، وتم الاتفاق نهائياً على معاهدة سلام مع إدخال بند يؤجل مسألة تنظيم المستعمرات الإيطالية لمدة سنة بعد سريان مفعول اتفاقية السلام مع إيطاليا، التي من خلالها تحاول القوى العظمى الأربعة الوصول إلى اتفاقية حول المستعمرات، وفي حال عدم الوصول إلى اتفاق يُحال الأمر إلى الأمم المتحدة والجمعية العامة للقرار النهائي.

فترة الحكم البريطاني في برقة:

حلت الإدارة العسكرية البريطانية في برقة بنظم وأساليب وطرق لم يعرفها الليبيون من قبل، وهم الذين تعودوا على النظم الإيطالية. وكانت سياسة بريطانيا نحو برقة سياسة صداقة وتعاون وتقشف، وقد حُددت هذه السياسة في عدة اجتماعات عقدها الساسة البريطانيون لوضع مبادئ السياسة الشكلية العامة التي ستطبق في برقة، ولدراسة التنظيم الإداري المستقبلي بعد الاحتلال. وفيما يتعلق بمعاملة السكان فقد تقررت على النحو التالي: "بأن العرب ليسوا أعداء لنا، ولذا سيعاملون بالمثل، لقد سببنا لهم تضحيات

لتعاونهم معنا ضد العدو، وأن السكان قد أمدوا الجيش البريطاني بجميع المعلومات والمساعدات القادرين عليها، لأن وزير الخارجية شكرهم وأعطاهم وعداً بعدم عودة الحكم الإيطالي، وأنه من واجبنا تقديم حكومة ترعى شؤونهم حتى يتقرر مصير البلاد، لذا سنبذل جهدنا لجعل برقة تتمتع بهدوء تام، مع إبعادها عن الصراع مع العدو، وعلى الضباط السياسيين والإداريين وغيرهم من جميع الرتب أن يراعوا هذه التعليمات بروح عدل جيدة".

وعندما تولت الإدارة البريطانية الإشراف على شؤون برقة كانت البلد خارجة من حرب دون موارد ودون إنتاج ودون عمل، فقامت الإدارة البريطانية باستيراد المواد التموينية، واختارت بعض التجار للقيام بتوزيعها على المواطنين وفقاً لبطاقات التقنين، وقد كانت مواد كافية غطت حاجة المواطنين الذين أنعم الله عليهم بعام خيرٍ، فكثر الشعير والقمح والخرفان مما جعل الناس لا يشعرون بالجوع. وسلمت الإدارة البريطانية مسائل الأمن إلى قوة دفاع برقة التي وزع ضباطها على مراكز الشرطة؛ لتولى الأمن العام.

وكانت الإدارة العسكرية في بادئ أمرها مرتبطة بالجيش الثامن البريطاني، وقد رُئِيَ أن هذا الوضع يسبب مشاكل وتعقيدات للإدارة حيث إن الإدارة جزء من الجيش الثامن، وليس لها استقلالية في العمل لتصريف الأمور المدنية، لذا أصدر الجنرال (مونتجمرى) أمراً بأن تزاول الإدارة أعمالها مستقلة تحت اسم (الحكومة العسكرية البريطانية في برقة)، وفي 1944/12/23م انفصلت الإدارة عن الجيش الثامن، واتخذت في نفس اليوم من مدينة المرج مقراً لها، بالنظر لعدم توفر المباني اللازمة لضباط الإدارة وموظفيها حيث إن الحرب قد دمرت معظم مباني بنغازي وظلت الإدارة البريطانية في المرج حتى عام 1945م، انتقلت لبنغازي بعد أن أعدت فندق

(البرنيــشى) لــيكون مقراً للقيادة وأعدت المدرسة الإيطالية السابقة لتكون مقــراً لــلإدارة، وقــد رممت بعض المباني لسكن الضباط، وأما بقية مباني المدينة ظلت مهشمة اللهم إلا القليل منها الذي أعاد بناءه المواطنون.

وكــان أغلب ضباط الإدارة قد عملوا في السودان، وأصبحت عقليتهم لا تتناسب وعقلية سكان برقة، فقد كان كبير المتصرفين ويدعى (إفنس) قد اســتولى علــى مزرعة حكومية قرب بنغازي، وأخذ يربى فيها الأبقار وفي الصباح يحلب الحليب ويأخذه في عربته ويدور على مساكن الضباط الإنجليز ليبيعهم الحليب. فأهل بنغازي لم يتعودوا لا في الحكم الإيطالي ولا في الحكم التركــي بــأن يقوم حاكم بهذا العمل من أجل استفادة شخصية. وكان التفاهم صــعباً مــا بين ضباط الإدارة والمواطنين بسبب عدم معرفة الليبيين اللغة الإنجليــزية، إلا أن الإدارة العــسكرية قد استعانت بعدد من موظفي الإدارة الإيطالــية الــسابقين وأعطــتهم مناصــب فــي الإدارة ومسؤولية التعامل مع المواطنين.

وقــد قُسمت برقة في عهد الإدارة البريطانية إلى ثلاث مقاطعات بدلاً مــن مقاطعتين كما كانت في العهد الإيطالي، والثلاث مقاطعات تشمل سبع متــصرفيات، وهــي بنغازي المدينة، وبنغازي الضواحي، ودرنة، وطبرق، والمــرج، واجدابيا، وشحات. وعُين ضباط بريطانيون لكل متصرفية، وفي المدن التي بها بلديات عُين ضابطٌ بريطاني عميداً لها.

وقد تولى رئاسة الإدارة كولونيل الذي كان يعمل في الأردن، وهو رجلٌ مستــشرق يجــيد اللغة العربية، وقد تعامل بإيجابية مع السكان العرب وعرف مطالــبهم ومــصلحتهم وعمل جهده على تحقيق ما يريدون، إلا أنه لم تدم مدة عملــه طــويلاً حــيث استدعته الحكومة البريطانية وألحقته بوزارة الخارجية البريطانية ثم بالأمم المتحدة كمندوب دائم لبريطانيا حيث برز اسمه كواحد من أقــدر مندوبــي الدول بالأمم المتحدة، وقد أنعمت عليه الملكة بلقب (لورد)

وأصبح يُعرف باسم (لورد كارادون)، وإليه يعود الفضل عندما اشتدت أزمة فلسطين بعد حرب عام 1967م وتحيرت الدول في إيجاد حلٍ لإنهاء الأزمة توصل (لورد كارادون) بقراره المشهور إلى إيجاد الصيغة التي نصت على (إخلاء الإسرائيليين لأراضى محتلة)، وأنهي بذلك الأزمة القائمة.

وقد عَملت الإدارة العسكرية على إنشاء خدمات للتعليم والصحة والداخلية والزراعة، ووفرت هذه الخدمات لجميع المتصرفيات. وكانت الإدارة العسكرية البريطانية، كما سبق وذكرنا، قد استعانت بالضباط البريطانيين في جميع المناصب، يساعدهم بعض العسكريين الليبيين، وكان الموظفون الليبيون بدوائر الحكومة لا يعرفون اللغة الإنجليزية ويصعب التفاهم بينهم وبين رؤسائهم، وكانت الإدارة البريطانية تحبذ لو بقى الموظفون الإيطاليون في أماكنهم ولم يغادروا البلاد، وقامت الإدارة البريطانية بسد هذه الثغرات وذلك بإقامة دورات لتعليم اللغة الإنجليزية في بنغازي وفي المتصرفيات، وكان مستوى اللغة العربية لدى الموظفين الليبيين في حاجة إلى تقوية فأقيمت لهم دورات تقوية مسائية، وهكذا بدأت الإدارة العسكرية البريطانية تقوم بعملها المطلوب منها في إدارة برقة.

وقد ركزت الإدارة البريطانية على التعليم، ففتحت المدارس وأسست أول فصل ابتدائي في عام 1943م، وجاءت ببعض المدرسين من مصر، واهتمت اهتماماً كبيراً بالتعليم. وقد أوصلته إلى ما فوق المرحلة الثانوية، وأرسلت المتخرجين من المدرسة الإعدادية إلى مصر لإتمام تعليمهم الثانوي والجامعي. وعملت على تحسين أداء الموظفين الليبيين بحيث يتسلمون فيما بعد مناصب ذات مسؤولية، وعينت متصرفين ومديرين ليبيين في المقاطعات الداخلية بعد إعدادهم لتولى هذه المناصب، علماً بأنه كان في العهد الإيطالي مديرون وقائمقاميون ليبيون يتولون الأمور. وقد بلغ عدد الليبيين الذين توظفوا في الإدارة العسكرية البريطانية 276موظفاً. وقد ازداد هذا العدد

بصورة كبيرة عندما ازداد التحاق الموظفين الليبيين بالإدارة؛ وذلك بسبب انتهاء الحرب، وإعلان الصلح، وتسريح عدد كبير من الضباط الإنجليز، وبسبب عودة الأسرى الألمان الذين كانوا يقومون بأعمال كثيرة في الإدارة، وقد أصبحت شاغرة، هذا بالإضافة إلى توصيات لجنة العمل التابعة لوزارة الحربية، التي قامت بزيارة برقة خلال شهر ديسمبر عام 1946م.

ضمت بنغازي في هذه الفترة عدداً كبيراً من الجنود الألمان الأسرى الذين كانوا يعملون مع الإدارة البريطانية، وبعد توقيع الصلح مع ألمانيا أُطْلق سراحهم وأصبحوا أحراراً يعملون حيث شاءوا، وقد ساهموا في أعمال ترميم المدينة وإعادة بنائها مساهمة طيبة، وكان من بينهم أطباء كانوا يقومون بمعالجة الوطنيين إلا أنهم فيما بعد بدأوا يعودون إلى بلادهم ولم يبق منهم إلا القليل. وكان التفاهم بينهم وبين الوطنيين كاملاً، وكثيراً ما كان يدعونهم أهل بنغازي لتناول الطعام في منازلهم.

لقد شكلت الحكومة البريطانية لجنة بتاريخ 1946/9/26م، لدراسة الأوضاع السياسية والإدارية لمساعدة الحكومة البريطانية على اتخاذ قرار سياسي قد يمنح برقة حكماً ذاتياً. وكانت مهمة اللجنة أن تقدم توصيات ينتج عنها إلغاء الإدارة العسكرية في برقة، ونقل السلطات إلى العناصر الليبية، إضافة إلى ذلك كان لبريطانيا هدف سياسي آخر هو إظهار حسن نية بريطانيا تجاه سكان برقة.

كانت بنغازي في هذه الفترة قد انتعشت نسبياً ودبت فيها الحياة، وانتعشت أسواقها، وكثر عدد الموظفين الليبيين الذين يعملون بالإدارة، إلا أن القلق بدأ ينتاب الناس حول مصير البلاد، ويتساءلون إلى متى ستدوم الإدارة العسكرية البريطانية؟ وإلى متى يظل الليبيون محرومين من حقوقهم المشروعة؟ وبدأت جمعية عمر المختار في التحرك والمطالبة عن طريق صحيفة الوطن بمعرفة مصير البلاد. وكانت قضية المستعمرات بيد الأربع

دول المنتصرة التي لم تتفق على حل لهذه القضية، فقد كانت روسيا من بين الأربعة ولها مطامع في تركة الدول المهزومة، وخاصة في ليبيا، إلا أن ذلك لن يمنع الحكومة البريطانية من تسليم السلطة في برقة إلى أيدي أبناء البلاد.

وفي عام 1947م ارتفع عدد الموظفين بالإدارة إلى 548 ليبياً، و93 ما بين سوداني ومصري وفلسطيني، و314 بريطانياً. وقد اهتمت الإدارة البريطانية بتدريب فئة المواطنين وتحسين لغتهم الإنجليزية، وذلك ليتولوا مناصب تنفيذية. واستمر نشاط التدريب أثناء العام التالي، فقد تم تدريب 20 موظفاً تمهيداً؛ لإسناد وظائف أعلى إليهم، وأرسل موظفان للدراسة في الجامعات المصرية، وثلاثة في الجامعات البريطانية، وواحد إلى فرنسا، ومتدربان إلى الخرطوم، واحد للاتصالات والآخر للصحة العامة. ومن حيث تولى الليبيين وظائف قيادية، فقد أخذ عددهم يزداد، فما بين سكرتير عام ونائب مدير، وتمت ترقية 34 موظفاً. وبنهاية عام 1948م كانت نسبة الليبيين الذين يشغلون وظائف قيادية تشكل حوالي 30% بالجهاز الإداري، وقد بلغ مجموع الليبيين الذين يعملون في الإدارة البريطانية قرابة الخمسة آلاف شخص[1].

النشاط السياسي في بنغازي:

دب النشاط السياسي في بنغازي في عام 1947م بعد عودة الأمير من مصر، وقد تحمست الناس للحصول على استقلال بلادهم أو الحصول على الحكم الذاتي بصورة مبدئية. وفي 1948/1/10م تكون المؤتمر الوطني الذي انضم إليه المشائخ والأعيان والمفكرون في برقة، وقد تحول المؤتمر إلى الجبهة الوطنية التي عُين السيد الرضا رئيساً لها، وعُين لها مكتب وسكرتير وموظفون، وقد أحيط بها تتبع القضية الوطنية، وكانت هناك جمعية عمر

(1) أحمد القلال ، المصدر المذكور ، ص 175.

المختار التي تحولت إلى جمعية سياسية تُتابع تطورات القضية، وتُعرب عن رأيها في صحيفة الوطن لسان حالها.

وقد عم النشاط السياسي جميع البلاد، وكان الجميع يأملون خيراً من بريطانيا. وكانت بنغازي مركز هذا النشاط وتطوراته، وبدأت تلوح في الأفق قضية الوحدة مع طرابلس، وتبنت جمعية عمر المختار هذا الاتجاه وشرعت تعمل من أجله. وفي 1947/4/14م، تكونت في القاهرة، بإيعاز من الجامعة العربية هيئة تحرير ليبيا، والتي ضمت في عضويتها بشير السعداوي، ومحمود المنتصر، وأحمد السويحلي، وطاهر المريض، وجواد ذكري، ومنصور قدارة، ثم الشيخ محمد أبو الإسعاد، والتي لم ينضم إليها أحدٌ من برقة، وتلاقى زعماء القطرين في مصر عام 1947م، وتناقشوا وتجادلوا كثيراً في أمر الوحدة الذي كان يشترط البرقاويون أن تكون وحدة برئاسة إدريس السنوسي في حين كان الطرابلسيون يأجلون موضوع الرئاسة إلى ما بعد الاستقلال.

وظل الوضع السياسي في برقة يتأرجح ما بين مطالبين بالحكم الذاتي الذي يقود البلاد تدريجياً إلى الاستقلال، وبين الذين يريدون توحيد ليبيا بعد إقناع الطرابلسيين بقبول إمارة إدريس السنوسي، إلا أن الحكومة البريطانية التي حولت إدارتها العسكرية في برقة إلى إدارة مدنية ترأسها المستر (دي كاندول) كانت تُظهر موافقتها على منح برقة الاستقلال الذاتي، وذلك من خلال ضغط العناصر الوطنية على بريطانيا بالوفاء بتعهداتها. وبدأت الإدارة البريطانية في تسليم بعض المناصب التنفيذية إلى الليبيين فعينت متصرفين ليبيين في الدواخل، وبعض العناصر الوطنية المثقفة في الإدارة. وكان اتجاهها تدريب الليبيين على تولى أمورهم بأنفسهم.

وكان مجتمع بنغازي في تلك الفترة قد أخذ يتطور، وتتحسن أحوال الناس ويتحسن اقتصادهم، إلا أن المنطقة كانت تشعر بضيق اقتصادي

وبالحاجة إلى الأعمال، فمعظم دخل البلاد كان يأتي من الرواتب، وكانت الرواتب منخفضة لا تفي بالحاجة، إلا أن الناس استمرت في ممارسة الزراعة وتربية المواشي كالعادة، وفي تصدير الحيوانات إلى مصر واليونان ومالطا. وكان ذلك يكون مصدراً لدخل للناس لا يُستهان به، وخاصة في مواسم الزراعة الجيدة، وبدأت الناس ترمم دورها المخربة من الحرب وعملت الإدارة على إصلاح بعض الطرق بطريقة بدائية، فلم يكن لديها الأموال الكافية للإنفاق على إصلاح المدينة، فاعتمد الناس على أنفسهم بالنظر إلى عدم منح الإدارة البريطانية قروضاً لتشجيع الناس على إعادة بناء مدينتهم، وحتى المصرف الوحيد القائم في البلاد لم يقدم أي قرض في هذا الصدد، وكانت تعرف الإدارة أن الشعب فقير غير قادر على إعادة بناء مدينته، وقام الناس بإصلاح ما يمكن إصلاحه من مباني خربتها القنابل في الحرب، وجمع الأنقاض من الشوارع وتنظيفها، ومع ذلك فقد بدت بنغازي في حلة جديدة تختلف عن تلك التي عرفتها خلال الحرب، فقد عادت الأسواق إلى نشاطها، والدلالين إلى صياحهم، وفتح البقالون محال تجارتهم في جميع الشوارع كالسابق. وكانت الكتاتيب القرآنية لم تتوقف إلا في خلال الحرب، وقامت برسالتها التعليمية على أكمل وجه، وخاصة في غياب المدارس النظامية في تلك الفترة. ووجد الشباب المثقف عملاً في الإدارة التي كانت تقدم العمل للعديد من الموظفين، وقد احتكرت بريطانيا التجارة الخارجية بواسطة شركة (متشل كوتس) التي كانت تتولى الأعمال المصرفية وعمليات التصدير والاستيراد مع الخارج، وكانت هي التي تأتي بالسلع والبضائع إلى الأسواق.

وكانت شؤون الأمن بيد الإدارة البريطانية الحريصة على استتبابها، وذلك عن طريق ضباط الجيش الوطني الذين تولوا شؤون الأمن في جميع مراكز شرطة المدينة، وكان القضاء بيد قُضاة إنجليز باستثناء قاضٍ عربي

من البلاد المجاورة، وكان يُطبق القانون الإيطالي مع إجراء التعديلات التي تتطلبها المصلحة، وحكمت الإدارة البريطانية برقة بموجب المنشورات التي كانت في حكم القانون. واستمرت الإدارة في احتكار السلع التموينية واستيرادها وتوزيعها على الأسواق، وكانت تُوزع بأسعار مقبولة كانت في إمكان الجميع.

وظلت بنغازي بدون ضوء كهربائي، فالإدارة أقامت محولات لإنتاج الكهرباء بما يكفي حاجة موظفيها وأتباعها. أما بقية البلاد فكانت تعيش في ظلام دامس. ولن تستطع الإدارة البريطانية تزويد المدينة بالكهرباء حتى لإضاءة الشوارع، فقد كانت ميزانيتها مغلقة لا تتحمل أي نفقات غير عادية.

وظل مشكل المياه قائماً فانقطعت المياه الجارية عن المدينة لأسباب الحرب، وقد أُعيدت المياه الجارية إلى أحياء دون أخرى. أما المواصلات ما بين أطراف المدينة وخاصة البركة بنغازي كانت معدومة، ويستعمل الناس عربات تجرها الحيوانات أو بقايا سيارات عسكرية قديمة.

وقد ازدهرت مدينة بنغازي وتحسنت أحوالها الاقتصادية بعد بداية تصدير مخلفات الحرب. لقد كانت الصحراء والطرق العامة من طبرق إلى اجدابيا مملوءة بالسيارات والمصفحات والوسائل العسكرية الأخرى التي أصابها الخلل خلال استعمالها فتُركت على عارضة الطريق. وقد هب الكثير من الناس إلى جلب الحديد من الصحراء والطرق العامة وبيعها إلى التجار الذين كانوا يتولون تصديرها. وكان ذلك مصدر رزقٍ لكثير من الناس على الرغم ممّا كان يتضمنه من مخاطر تؤدى بحياتهم كانفجار لغم لا يرونه. وقد تحصل على احتكار تصدير مخلفات الحرب في أول الأمر اليهودي (ليفي)، ثم انتزع منه بعد حصول البلاد على الاستقلال الذاتي، ومُنح إلى السيد (أبو القاسم السنوسي)، والسيد (مبارك السوسي)، وقد استفادت البلاد فائدة كبيرة من هذه المخلفات، فتحسنت أحوال الناس، وزاد دخلها

الأمـــر الـــذي دفع الناس إلى اهتمام أكبر بتصليح مدينتهم وترميمها. إلا أن المسائل الكُبرى مثل المياه والكهرباء والمواصلات كانوا عاجزين عن القيام بها، لأنها من شؤون الإدارة البريطانية.

واجـــه مجـــتمع بنغازي بعد الاحتلال البريطاني مشكل تعليم أولادهم، فالأبـــناء الـــذين أتمـــوا تعليمهم الابتدائي في أواخر العهد الإيطالي لم يجدوا مـــدارس إعدادية يلتحقون بها. وبما أن الإدارة البريطانية قد أسست أول فصل ابتدائـــي فـــي عام 1943م فلن تصل الدراسة إلى القسم الإعدادي إلا بعد ست ســـنوات، يكـــون بعـــدها هؤلاء الأولاد قد بلغوا الخامسة عشرة من عمرهم، ولا يـــستطيعون الالـــتحاق بالمدارس الإعدادية بسبب فارق السن الكبير بينهم وبين المنتسبين للمدارس الإعدادية، وكان عدد هؤلاء كبيراً، وكان يتطلب حلاً سريعاً، وقد تداركت الأمر جمعية عمر المختار، وبعض المهتمين بالتعليم إلى إنشاء المدارس الليلية التي تبرع المدرسون بالتعليم فيها بدون مقابل، وتبرعت إدارة المعـــارف بالمدارس، وقد ضمت هذه المدارس أعداداً كبيرة من العمال والـــشباب الـــذين ظلوا بدون تعليم، وقد أدت عملاً جيداً كانت البلاد في حاجة إليه، وقد وصل طلبة هذه المدارس إلى التعليم الثانوي فانخرطوا في المدارس الثانوية وبعضهم أرسل إلى مصر للالتحاق بجامعاتها، والفضل في ذلك يعود أولاً إلـــى المدرســـين الذين تطوعوا لتعليمهم، وإلى المؤسسات والشخصيات الليبية التي ساندت الفكرة وساعدت على تحقيقها.

وعـــاد اليهود الذين أبعدتهم السلطات الإيطالية إلى جادو، ورحب بهم أهـــل بـــنغازي، وقاموا بإعانتهم على بناء حياتهم من جديد، وكانت الإدارة البريطانية قد أحضرتهم وساعدتهم على الاستقرار في بنغازي. وكان اليهود يتمـــتعون بـــنفس الحقوق التي يتمتع بها المواطنون. وكان عملهم الرئيسي التجارة، وقد سيطروا على جزء مهم منها، واقتسموا الوكالات التجارية بينهم وبـــين الإيطاليين. ولم يكن بين اليهود والعرب أي عداء بل كانوا يتعاونون،

ويتــزاورون، ويواسون بعضهم بعضاً في المناسبات. وفي عام 1948م دب العـــداء بين الطرفين بعد استقلال إسرائيل وسعى اليهود في السفر إليها، وقد بقى منهم القليل الذين غادروا البلاد بعد حرب عام 1967م.

وقد وقفت بريطانيا إلى جانب اليهود في برقة وأعادتهم من منفاهم إلى ديارهم، وأنفقت عليهم ما يلزم، واستجابت لطلبهم بإلغاء القوانين والقرارات الإيطالــية التـــي كانــوا يعتبرونها ظالمة، في الوقت الذي لم تفعل فيه شيئاً للمواطنين العرب الذين أصابهم ما هو أسوأ مما أصاب اليهود.

وصدرت مجلة الفجر التي أصدرها (صالح بويصير)، والذي أصدر بعـــدها صـــحيفة الدفاع، وذلك إلى جانب صحيفة الوطن التي سبق نشرها. وبـــدأت الـــصحيفتان تهـــتمان بالوضـــع السياسي وبمستقبل البلاد، وقررت السلطات البريطانية تسليم البلاد لأهلها لتولى إدارتها. ونشطت الثقافة وانتشر الــشعر وبرز شعراء جُدد، وكان التعليم منتشراً في جميع نواحي برقة، وقد جُلــب أكثر من خمسين مدرساً من مصر علاوة على المدرسين الفلسطينيين والأردنيـــين والليبيين. وصار التعليم في طريقه بخُطي ثابتة وبتقدم مستمر، وكانـــت خـــدمات الصحة لا بأس بها فقد أستُعمل المستشفي الكبير الإيطالي الواقـــع بالـــصابري، وزُوّد بالأطـــباء والأخـــصائيين، وكان يقوم بخدماته بصورة مرضية.

وكـــان هـــناك بعض الأطباء الذين فتحوا عيادات في بيوتهم ويتقبلون زيـــارة المرضـــى، إلا أنـــه لـــم تكن هناك أماكن تحليل أو تصوير إلا في المستـــشفي، وهـــي محدودة، وقُدر عدد الأطباء العاملين في بنغازي في تلك الفتـــرة بثمانـــية عشر طبيباً، بعضهم يعمل في المستشفي، وبعضهم يستقبل الـــزوار فـــي داره، وبعـــضهم الآخر يتبع للإدارة البريطانية التي كان لها مستـــشفياتها وأطـــباؤها. أما في الدواخل فالخدمات الطبية كانت متواضعة، وتقدم ما كانت تستطيع تقديمه.

أمـــا العادات والتقاليد فقد تطورت بعد الحرب ولن تعود إلى ما كانت عليه باستثناء الأعراس التي حافظت على تنظيمها ومسيرتها، بينما استعادت المرابيع نشاطها وكان الأصحاب والأصدقاء يجتمعون فيها كل ليلة، وكانت أحاديـــثهم تـــدور حـــول الأوضاع الراهنة وما سيتطور عنها. وكان الجميع راضين بالإدارة البريطانية التي لم تقترف أي جرم ضدهم، وكانت معاملتها للـــسكان معاملة طيبة ونظيفة، إلا أن الرغبة في الحرية كانت تُطالب بإنهاء الإدارة البريطانية، وإحلال إدارة وطنية بدلها.

وتطـــورت المـــرأة تطـــوراً ملحـــوظاً فأقـــبلت البنات على الالتحاق بالمدارس، وكانت المرأة تخرج من بيتها وتزور صديقاتها وتشترى حاجتها مـــن الدكاكـــين، وتواظب على دراستها، وتساهم في النشاط الثقافي. وكانت مـــدارس البـــنات تـــتقدم مع مدارس الأولاد، وقد تم إعداد مدرسات ليبيات يُدرسن في الفصول الأولية.

وقـــد استمرت الجبهة الوطنية في الاجتماعات، وفي مناقشة الأوضاع الـــسياسية، واتخـــاذ القرارات في سبيل ذلك. وكانت تضغط بواسطة الأمير علـــى الـــسلطات البريطانية، لتسليم الإدارة إلى أبناء البلاد، وقد أقام الأمير ديواناً وحرساً وموظفين، وكانت سلطاته تمتد إلى جميع أفراد الشعب بصورة غيـــر مشروعة، فالبلاد لا تزال بيد الإدارة البريطانية، وهي الحاكمة الفعلية للـــبلاد، وكـــان الأميـــر وموظفو ديوانه وحرسه يتلقون رواتبهم من الإدارة البـــريطانية. وقد أصبحت برقة تحت إدارة مزدوجة ما بين الإدارة الوطنية والإدارة البـــريطانية، وكـــان البريطانيون يغضون النظر عن كل ما يرتكبه الوطنيون من منافسة لهم في إدارتهم، لأنهم كانوا واثقين أنه لن يطول الوقت الـــذي تـــصدر فـــيه الأوامر بتسليم السلطة للوطنيين. وكانت الإدارة تحترم الأميـــر وتُـــنفذ قراراته إلا فيما يتعارض مع قراراتها. وكان رئيس الإدارة

البـــريطانية (دى كانـــدول) رجلاً دمث الأخلاق ذا مرونة ورغبة في عدم إغضاب الوطنيين.

ومن ناحية العملة قررت بريطانيا تداول العملة المصرية في برقة فقط بعـــد الاحـــتلال الأخيـــر مباشرة، ثم ألغت تداول العملة الإيطالية بعد فترة قـــصيرة، ولعلـــه كان يمكن تداول نفس العملة في طرابلس أيضاً، غير أنها صكت للأخيرة عملة عسكرية خاصة كانت (مال) واستعملت (المال) في جميع المعاملات في مقاطعة طرابلس منذ 1943/9/16م، وقد منع تداوله في برقة بين السكان، كما منع تداول العملة المصرية في طرابلس.

ومن الناحية الاقتصادية سيطرت الإدارة البريطانية ببرقة على التجارة الخارجية، كما سبق وذكرنا، واحتكرتها بواسطة شركات بريطانية دون الأخذ بأيـــدي المواطنـــين وتشجيعهم بمنح الفرص والقروض. وأقامت الحدود بين برقة وطرابلس وفزان، وجعلت تحرك المواطنين بينها محظوراً إلا بتصريح رســـمي، كمـــا أقامـــت نقاط تفتيش، وفرضت رسوماً جمركية على حركة البضائع بين برقة وطرابلس، ومن خالف اعتبرته مهرباً.

ولـــم تفـــرض ضـــرائب مباشرة في برقة بصفة عامة، وفي طرابلس اســـتمرت جباية معظم الضرائب المفروضة منذ العهد الإيطالي. وفي برقة حرصت الإدارة البريطانية على رعاية ممتلكات الإيطاليين الثابتة والمنقولة، وقامت بالرد على مراسلات أصحابها الأفراد وحولت إليهم قيم ما تم تأجيره، وســـمحت ببـــيع الإيطاليين لعقاراتهم وتحويل ثمنها إليهم، متناسية أن منها ما كان مغتصباً، ومنها ما بيع تحت الضغط، وأن معاناة المواطنين من آثار الحـــرب تكفي لشغلها ولو مؤقتاً وبدون إيجار، إلا أن الإدارة كانت تتقاضى من المواطنين إيجار الممتلكات الإيطالية التي تشغلها وتحويل قيمة الإيجارات إلى أصحابها، وهي تعرف أن دمار بيوتهم من فعل قواتها وقوات أعدائها.

وعملت الإدارة البريطانية في كل موسم على تصدير كميات الشعير الفائضة دون الأخذ بعين الاعتبار إلى سنوات الجفاف التي تحدث، ولا يجد الناس ما يقتاتون به.

ومن حيث عدم العناية بحياة المواطنين أبت رفع الحد الأدنى لأجور العمال وقد ظلت مجمدة لسنوات عديدة، وهي تعرف تماماً بمقتضى ما قامت به من دراسة أنها لا تكفي متطلبات الحياة الضرورية البسيطة، وإضافة إلى ذلك لم تقم بأي جهد لمعالجة مشكلة البطالة بطرح مشاريع إنتاجية أو خدمية مناسبة، أو إنشاء معاهد للتدريب والتأهيل المهني، كما أنها لم تبعث إلى الخارج سوى ثلاثة أشخاص للتدريب الفني، فبريطانيا تتمسك بعدم منح برقة استقلالها لأن المستعمرات الإيطالية السابقة يجب أن تحل بمعرفة الأربعة الكبار. وإثيوبيا كانت من المستعمرات الإيطالية السابقة، فوافقت بريطانيا على استقلالها وإعادة إمبراطورها إلى عرشه في حين أرادت أن تظل ليبيا معلقة بيد الأربعة الكبار دون أن تجد لها حلاً سوى الإدارة العسكرية البريطانية المجردة من جميع الصلاحيات، والتي ظلت تحكم برقة سبع سنوات وخرجت منها دون أن تترك أثراً أو مبنى أقامته خلال إدارتها.

خلال الحرب العالمية التي دارت رحاها على أراضي ليبيا كان الشعب الليبي جميعه واقفاً معها ولخدمتها. وكان الكثيرون من الضباط والطيارين البريطانيين يتوهون في الصحراء فيتلقفهم الليبيون ويخفونهم عندهم ثم يقومون بإيصالهم إلى القواعد البريطانية، وكان كلما أوصل ليبي جندياً أو ضابطاً بريطانياً إلى القواعد تُعطى له شهادة، واحتفظ الليبيون الذين يقدر عدد الضباط والجنود البريطانيون الذين أنقذوهم وأعادوهم إلى قواعدهم على الرغم من الخطر المحدق بهم من الإيطاليين، وعقابهم لهم إذا اكتشفوا عمليات تهريب الجنود البريطانيين، يُقدر بألفي جندي وضابط أنقذهم الليبيون وأوصلوهم إلى قواعدهم معرضين أنفسهم لأخطار كثيرة، وبعد الحرب اتجه

الليبيون الذين أنقذوا الجنود والضباط البريطانيون إلى القيادة البريطانية وأبرزوا لها الشهادات التي بأيديهم، وكانت القيادة تأخذ منهم الشهادات وتكافئهم ببعض السكر والشاي والمواد الغذائية، وهذه المكافئة هي جزاؤهم لقاء مخاطرتهم بحياتهم في سبيل إيصال الجندي أو ضابط بريطاني إلى قواعده. ولم تكافئ الإدارة البريطانية العديد من الليبيين الذين عملوا مع الكوماندس البريطاني ورافقه ودله على الأماكن التي بها المتفجرات والقواعد الإيطالية الألمانية، والذين قادوا هؤلاء الكوماندس حيث قاموا بتفجير منشآت للعدو، فهؤلاء الأبطال الذين ضحوا بحياتهم بعمل كثير الخطورة لم تلتفت إليهم بريطانيا أو تكافئهم على عملهم العظيم ولو بكلمة خير وتقدير. كانت سياسة بريطانيا في ليبيا ظاهرها الخير والمودة للشعب الليبي، وباطنها المكر والدهاء بترك المواطنين في أوضاعهم دون أن تعمل على تطورهم أو مساعدتهم أو تدريبهم لمواجهة الحياة. فبريطانيا العُظمى بكل مقدراتها المالية تبخل على شعب برقة ببضعة مئات الآلاف من الجنيهات لإعادة تعمير البلاد وتحسين حالة الموطن.

واشتدت مطالبة الليبيين بحقوقهم المشروعة من بريطانيا، والمطالبة بتشكيل حكومة وطنية وفقاً للاتفاقيات المبرمة ما بين الجانب الليبي والجانب البريطاني قبل انضمام الليبيين إلى مساعدة بريطانيا في حربها، وكانت رسائل الجانب الليبي في ذلك الوقت إلى القيادة البريطانية تطلب معاملة برقة بعد احتلالها من البريطانيين كمعاملتها للأردن، وفي رسائل أخرى كان الجانب الليبي يُطالب باستقلال ذاتي تحت الوصاية البريطانية.

وقد أرسلت (لجنة المحاربين الليبيين) رسالة إلى الإدارة بتاريخ 1946/10/31م، وكان فحوى الرسالة المطالبة بالاستقلال الذي من أجله أسهم شعبنا في الحرب، وقدم خدمات طيبة لمصلحة الحلفاء. كما أرسلت (الجبهة الوطنية) في برقة بتاريخ 1946/11/30م ضمن أول بيان لها إلى القائد العام

لقوات الشرق الأوسط مذكرة طالبت فيها: "أن يسمح أولو الشأن بتأسيس حكومة وطنية تدير شؤون البلاد تمهيداً للاستقلال التام". وفي نفس الفترة كان (فريق العمل) المكلف من مكتب الحرب البريطاني في القاهرة قد أجرى دراسة على أحوال برقة، وأوصى بإقامة دولة عربية تحت وصاية بريطانية، تنتهي بها الإدارة العسكرية وتنشأ حكومة داخلية.

ولظهور وتنامي الوعي السياسي بين جماهير المواطنين، ظهرت جمعيات وجماعات، وأخذت توجه النقد الشديد لأسلوب الإدارة في الحكم، لعدم قيامها بإصلاحات جادة تقدمية، وترفض وجود الحكم الأجنبي في البلاد وتطالب بالاستقلال. وقد استمر ضغط الشعب ومؤسساته السياسية على بريطانيا من أجل الوفاء بالتزاماتها.

وفي عام 1948م تقرر إرسال عمر باشا الكيخيا إلى لندن للتباحث مع الحكومة البريطانية في أمر منح الاستقلال الذاتي إلى برقة، وقد عرج على باريس واتصل بالمسؤولين فيها وحدثهم عن استقلال ليبيا بكاملها، وإذا لم يتم هذا الاستقلال فإن برقة ستستقل وحدها.

الحكم الذاتي:

في عام 1949م قررت الحكومة البريطانية منح برقة الاستقلال الذاتي على الرغم من أن القضية لا تزال معروضة على الأمم المتحدة، ولن تبت فيها بعد. ففي يوم 1949/6/1م، اجتمع المؤتمر الوطني (الجبهة الوطنية البرقاوية) في مدينة بنغازي في قصر المنار، بدعوة من الأمير إدريس، وتجمع الناس حول القصر للاستماع إلى إعلان استقلال برقة الذاتي، وقد أطل الأمير عليهم، وأعلن استقلال برقة الذاتي، وزف البُشرى إلى الشعب البرقاوي، وطالب الحكومة البريطانية قائلاً: "... أطلب من الحكومة البريطانية الاعتراف بالوضع السياسي الجديد؛ لكي تسدى لنا يداً بيضاء

أخـــرى لتكون أول دولة اعترفت بوجودنا، كما عاونتنا على تحرير بلادنا، واعتـــرافاً بالجميل أقر بأن حكومتي ستتعاون مع بريطانيا على قدم المساواة في كل ما يعود بالصالح العام على الشعبين لتوثيق عرى الصداقة الدائمة". ثم رد علـــيه المعتمد البريطاني بكلمة في نفس المكان والزمان قائلاً: "... وقد تمحـــصت الـــوزارة البريطانية هذه الأمور تمحصاً دقيقاً، وخولتني أن أدلي البـــيان التالـــي: أن حكـــومة صاحب الجلالة تعترف اعترافاً رسمياً برغبة البـــرقاوين فـــي الحكم الذاتي، وأن حكومة صاحب الجلالة ستشكل حكومة برقاوية تتولى أعباء المسؤولية في الشؤون الداخلية".

وبعد قراءة منشور الأمير الذي يُعلن استقلال برقة ارتفعت الأصوات من جانب أنصار جمعية عمر المختار قائلين: "لا للاستقلال بدون طرابلس، ولا نهلـــل للاســـتقلال مـــا دامت طرابلس تبكى". وقد قال الأمير إنه يتمنى لأخوته في طرابلس الحصول على ما تحصلت عليه برقة من استقلال، وإذا أرادوا الانـــضمام إلـــى برقة تحت رئاسة واحدة فنحن نرحب بذلك. وعندما غادر الأمير القصر قال لزعماء جمعية عمر المختار بأن الأمور بخصوص الوحدة ستتم بالصبر والحكمة.

وطُلب من الأمير إرسال برقية إلى الطرابلسيين لطمأنتهم بأنه ساعٍ إلى الـــوحدة التامة. وقد أرسل المجلس الوطني البرقية بأمر الأمير إلى طرابلس وتلقـــى الـــرد مـــن الجـــبهة الوطنية الطرابلسية بإرسال وفد لتهنئة الأمير ومطالبتهم بالسعي لتوحيد الولايتين.

وكانـــت بـــريطانيا تسعى لحصولها على الوصاية على برقة؛ لتأمين مـــصالحها وقاعـــدتها الكبيرة في طبرق، وقد أراد الأمير الاستعانة ببعض الموظفين الليبيين العاملين في تركيا لإدارة شؤون برقة، فجاء من (سعد الله ابـــن ســـعود) من مواطني درنة، والذي التحق بالدراسة في تركيا، وتخرج وتوظـــف، ثـــم تدرج في الوظيفة إلى أن أصبح والياً لإحدى ولايات تركيا

الـــشرقية، وجاء أيضاً العقيد (عمران الجاذرة)، وهو أيضاً من درنة، وقد تخـــرج من الكلية العسكرية التركية للطيران، وهو يعمل مع القوات الجوية التـــركية، وقـــد عُين الأول نائباً لرئيس الوزراء، وعين الثاني قائداً للجيش الليبي الوليد.

وقـــد شكل الأمير حكومة برقاوية برئاسة (فتحي الكيخيا)، وعضوية (سعد الله بن سعود) كنائب للرئيس ووزير للداخلية، و(محمد بو دجاجة) كوزيـــر للمالية، و(على الجربي) كوزير للأشغال والموصلات، و(حسين مازق) كوزير للزراعة، وأسند إلى كل وزير شؤون وزارات أخرى.

ودعـــت الحكـــومة البريطانية الأمير إلى السفر إلى لندن للاتفاق معها على وضع الاستقلال الذاتي، وسافر الأمير ومعه فتحي الكيخيا إلى لندن ماراً بطـــرابلس، وفـــي لندن التقى الأمير بالمسئولين وتفاوض معهم، وتم الاتفاق علـــى صيغة الاستقلال الذاتي. وقد استقال فتحي الكيخيا عن منصبه كرئيس للـــوزراء، ولا يُعلـــم هـــل الاستقالة كانت احتجاجاً على الاتفاقية أم لدواعٍ خاصة؟ وعاد الأمير إلى بنغازي وشرع في مشاوراته استعداداً لتشكيل ثاني حكومة برقاوية، وقد تم تشكيل الحكومة على النحو التالي:

1. عمـــر باشـــا الكيخـــيا (رئيساً للحكومة ووزيراً للداخلية والخارجية والدفاع والمعارف).
2. محمد بو دجاجة (وزيراً للمالية).
3. على الجربي (وزيراً للمواصلات والأشغال العامة).
4. محمد الساقزلي (وزيراً للعدل).
5. حسين مازق (وزيراً للزراعة والغابات).
6. خليل القلال (وزيراً للصحة).

وفـــي تاريخ 16 سبتمبر أعلن (دي كاندول) المعتمد البريطاني تقسيم الـــسلطة مـــا بين الإدارة الوطنية والسلطة البريطانية، وبموجب هذا الإعلان

تتولـــى الحكومة البرقاوية جميع الشؤون الداخلية في حين يتولى البريطانيون الشؤون الخارجية والمالية وبعض الشؤون القانونية والدفاعية، وأيضاً ما يتعلق بالأملاك الإيطالية إلى حين أن يتقرر مصير المستعمرات الإيطالية السابقة.

ويقوم الأمير بتعيين مستشارين إنجليز للأمور القانونية والمالية بموافقة المعـــتمد البريطانـــي، والدســـتور لا يتغير (لا يلغى) إلا بموافقة المعتمد البريطاني، وللمعتمد البريطاني الحق الكامل في إلغاء أو تعديل الدستور إلى أن يتم الحصول على الاستقلال التام.

وقـــد اعـــتُمدت مسودة الدستور من طرف الأمير التي حضرتها اللجنة الدستورية بالاستشارة مع السلطات البريطانية كدستور لبرقة في 11 أكتوبر 1949م.

يـــتكون مجلـــس الـــنواب من 60 عضواً، 10 يعينهم الأمير من بين الأشـــخاص المميـــزين والباقـــي بالانـــتخابات. النظام القضائي مستقل عن الحكومة، وللأمير الحق في إلغاء أي فصل من الدستور إذا الظروف اقتضت ذلـــك. وفي يوم 14 نوفمبر 1949م صدر قرار بتنظيم بلدية بنغازي وتعيين يوســـف لنقـــى عميداً لها. وواجه عمر منصور بعد توليه الوزارة خلافاً مع جمعية عمر المختار متهماً إيّاها بأنها معارضة للحكومة.

وبعـــد أن أُحـــيلت قـــضية المستعمرات الإيطالية الأفريقية إلى الأمم المتحدة تولت اللجنة السياسية مناقشتها ودراستها، وتوصلت إلى حلٍ بوضع بـــرقة تحت الوصاية البريطانية، وطرابلس تحت الوصاية الإيطالية، وفزان تحـــت الوصـــاية الفرنسية، وقد تحركت كل طرابلس في مظاهرات صاخبة معارضـــة لهـــذا القـــرار الجائـــر. وعندما عُرض القرار للتصويت باللجنة السياسية سقط بصوت واحد، يُقال إنه صوت (هاييتي).

واضطرت الأمم المتحدة لإعادة النظر في قراراتها، وقررت في نوفمبر عام 1949م استقلال ليبيا ووحدتها، داخل أول يناير عام 1952م، وكلفت مندوباً هو المستر بلت، ومجموعة من المستشارين للإشراف على تحقيق قرار الأمم المتحدة، وقد قررت الحكومة البرقاوية خلال مناقشة القضية في الأمم المتحدة إرسال وفد يُمثلها، مؤلف من الشيخ عبد الحميد العبار، وخليل القلال، وعمر شنيب، وكانت طرابلس قد أرسلت أيضاً وفوداً لمراقبة سير القضية في الأمم المتحدة، وقد اتفقت الوفود الليبية على السير في اتجاه واحد لخير ليبيا بأجمعها.

وقد بدأ الصراع بين عمر باشا الكيخيا وجمعية عمر المختار، وكان عمر باشا الكيخيا رجلاً قوياً تدرب على السياسية طول الأربعة عقود الماضية، وهو جرئ لا يهاب أحدًا ومستعد لتنفيذ ما قرره ولو بالقوة، ولذلك واجه الجمعية باتخاذه عدة قرارات قمعية. ولا شك في أن الوضع الاقتصادي السيئ بالبلاد ووجود معارضين له في الجبهة الوطنية وجمعية عمر المختار، جعلت عمر باشا يواجه صعوبات في ممارسة مهامه. ومن جهة أخرى فقد واجه عمر باشا الكيخيا معارضة قوية داخل الجبهة الوطنية. وكان يقود المعارضة ضدهُ السيد (أبو القاسم السنوسي) نائب رئيس المجلس ومدير الداخلية. وعندما اشتد الصراع طلب عمر باشا من الأمير حل الجبهة الوطنية، وقد دعا الأمير الجبهة إلى الاجتماع بقصر المنار، وكان الأعضاء المؤيدون لعمر باشا والمعارضون له مستعدين حتى للصراع المسلح، وعندما رأى الأمير ما وصلت إليه الأمور أمر بحل الجبهة، وطلب من الأعضاء عودتهم إلى مواطنهم. وبعد بضعة أيام أقال عمر باشا الكيخيا من رئاسة الوزارة.

وقد عين الأمير (محمد الساقزلى) رئيساً للحكومة البرقاوية الثالثة. وكان محمد الساقزلى رجلاً نزيهاً وشريفاً ومحبوباً، ومحترماً من الناس ومن الساسة القدامى، وغير محبوب من شباب جمعية عمر المختار التي ناصبته

العـــداء، إلا أنــــه كــــان قليل المرونة في معالجة الأمور، وهذا ما تسبب في عـــرقلة أعماله الإصلاحية. وقامت جمعية عمر المختار بمهاجمة الساقزلي وحكومته واتهمتهُ بأنه ضد الوحدة.

وحدث أن مات شخص في المستشفي يوم العيد ولم يبلغ المستشفي أهل المتوفى لأنهُ كان مجهول الهوية وقد نُقل إلى المقبرة وتُرك بدون دفن، فبلغ الخبـــر إلى جمعية عمر المختار التي كانت تتحفز للتظاهر، وتأكيد مواقفها، فـــشكلت مظاهرة جابت الشوارع احتجاجا على المستشفي الذي ترك الميت بـــدون دفـــن. وصارت المظاهرة إلى منزل رئيس الوزراء محمد الساقزلي وقذفـــته بالحجارة، وكان المتظاهرون يصيحون (لا ساقزلى بعد اليوم)، ثم اتجه المتظاهرون إلى دار المعتمد البريطاني وقذفوها بالحجارة، وأنزلوا العلم البريطاني وأحرقوه بالنار، وكسروا زجاج بعض النوافذ. ورأت الحكومة أن الـــسيل قـــد بلـــغ الزبي، فأمرت بالقبض على (مصطفي بن عامر) رئيس الجمعـــية وعلـــى أعـــضائها الكـــبار (على زواوه) و(محمود مخلوف) و(طاهر المجريسي) و(أحمد رفيق المهدوي)، وقُدموا للمحاكمة وحكمت عليهم بالسجن. ودخلوا السجن حيث وجدوا ترحاباً وحسن معاملة من جميع العاملـــين بالسجن، ولم يظلوا بالسجن سوى بضعة أشهر، ثم أُطلق سراحهم، وكانت هذه القطيعة بين الحكومة وجمعية عمر المختار.

وعندما عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة للمرة الثانية لمعالجة قضية ليبـــيا أرسلت الجبهة الوطنية وفداً مكوناً من عمر شنيب وخليل القلال وعبد الرازق شقلوف للإدلاء برأي برقة ومتابعة القضية.

النشاط الدبلوماسي في بنغازي:

أصبحت بنغازي عاصمة سياسية ودبلوماسية حيث بدأ يتدفق عليها الساسة والدبلوماسيين من الأمم المتحدة، لقد وصل المستر بلت ومجموعة مستشاريه إلى المدينة، فأُسكن المستر (بلت) بقصر المنار، بينما أُسكن بقية مساعديه بالفندق الوحيد ببنغازي، وهو فندق (فيينا). وهذا الفندق عبارة عن منزل عربي قديم بشارع درنة أجرته سيدة نمساوية فاضلة وحولته إلى جنة فيحاء، سر لها كل النازلين بالفندق. وقد اشتهر هذا الفندق خارج بنغازي، ووصلت سمعته الطيبة في كل مكان، وكتب الكاتب البريطاني (ريتشارد قارنكتون) في كتابه (إلى الشرق من تونس) (أنه في رحلته من تونس إلى مصر لم ينم نوماً هادئاً مريحاً في محل نظيف عاطر إلا في هوتيل فيينا). وقد زال الفندق الآن واندثرت آثاره، وتوفيت صاحبته.

ووصل المستر بلت إلى بنغازي، وبدأ مشاوراته مع الأمير بخصوص تطبيق قرار الأمم المتحدة، وعبر للأمير عن نواياه الصادقة في استقلال ليبيا قبل الموعد المحدد من الأمم المتحدة. وظل بلت في بنغازي بضعة أيام يواصل اتصالاته بالإدارة البريطانية، وبالأعيان وأصحاب النفوذ في البلاد.

واتخذت الحكومة مقرها في مقر الإدارة البريطانية السابقة، وذلك في مدرسة إيطالية سلمت من الغارات الجوية. وكانت الحكومة لا تملك سيارات ولا وسائل نقل ولا غيره. فكانت لديها سيارة (همبر) قديمة من مخلفات الإدارة البريطانية، وكان على هذه السيارة أن تدور في الصباح على بيوت الوزراء، وتنقلهم إلى مكاتبهم وتعود بهم إلى دورهم بعد نهاية العمل. كانت البلاد فقيرة والحكومة أفقر، ولا زالت تُنفق عليها بريطانيا.

واستطاعت الحكومة الوطنية الجديدة أن تسير شؤون البلاد بكفاءة، وأن يتولى وزراؤها شؤون وزاراتهم بجدٍ ومقدرة. وبدأ الشعب يتعود على التعامل مع حكومته الوطنية ومع أعضائها الذين يعرفهم، وكانوا أفراداً من الشعب. وغمرت الفرحة كل بنغازي بالحصول على الاستقلال الذاتي والسير نحو الاستقلال الكامل. ما عدا أعضاء جمعية عمر المختار الذين كانوا ينادون بالوحدة مع طرابلس، وقد رأوا أن هذا الاستقلال الذاتي يزيد البعد ما بين القطرين، فطرابلس لا تزال تحت الإدارة البريطانية، ويتحكم في مقدراتها الموظفون الإيطاليون الذين أخذتهم الإدارة للعمل معها. وكانت الأحزاب الطرابلسية تنادى بالوحدة والاستقلال ولا تنادى بإمارة إدريس السنوسي. وكانت الحكومة البرقاوية لا تملك الأموال للإنفاق على المدينة أو إصلاحها، أو الإنفاق على الشعب لتحسين أوضاعه. وقد ظلت مكتفية بتسيير الأمور كما تركتها لها الإدارةُ البريطانية. وهي ترنو إلى الحصول على مساعدات مالية تُمكنها من القيام بواجباتها.

وبتاريخ 1949/7/5م، شُكلت لجنة من شخصيات كانت مرشحة للمناصب الوزارية في حكومة الحكم الذاتي، وكُلفت بوضع خطة لنقل ما تم الاتفاق عليه من شؤون ومهام الإدارة العسكرية إلى الحكومة الجديدة، وكان تشكيل أعضاء الحكومة فيما بعد من بين أغلبهم. وفي أول الأمر كان لكل وزير مستشار بريطاني. وبعد أيام قليلة أصدر المعتمد البريطاني المنشور رقم 187 المؤرخ بتاريخ 1949/9/16م، الذي عُرف بمنشور (السلطة الانتقالية)، ومما نص عليه: سن دستور لبرقة، وتشكيل مجلس وزراء مسؤول بالتضامن، والحكومة الدستورية تقوم على قيام مجلس النواب. ثم صدر عنه المنشور رقم 188 المؤرخ في 1949/9/18م، وكان بموجبه نقل السلطات المتفق عليها مع المعتمد البريطاني إلى الأمير الذي أصدر في نفس اليوم مرسومين، الأول بإعلان ونفاذ الدستور، والثاني بتشكيل أول حكومة

للحكم الذاتي في برقة. وقد أُجريت انتخابات مجلس النواب يوم 1950/6/8م، وتم افتتاحه يوم 1950/6/13م.

ووفقــاً للاتفاق المبرم ما بين الأمير والحكومة البريطانية، فإن رئيس الإدارة البــريطانية (دي كاندول) أصبح يُعرف بالمعتمد البريطاني، وإليه تعــود جمــيع الشؤون الخارجية والدفاع وحق استعمال الأراضي والمباني اللازمــة للقــوات العــسكرية البريطانية البرية والبحرية والجوية، غير أن الشؤون الخارجية آلت بعد فترة إلى حكومة برقة، وتولاها عمر باشا الكيخيا.

قانون الانتخابات:

صـــدر قانون الانتخابات في 21 أبريل عام 1950م، الذي يقسم برقة إلى ثــلاث مــناطق، وهــي بنغازي والجبل الأخضر ودرنة، وكل منها تُقسم إلى مناطق حضرية وقبائلية للانتخاب، المنطقة الحضرية لبنغازي تنتخب 6 نواب، والمــرج نائبًــا واحــد، ودرنة نائبين. المناطق القبلية تنتخب 15 نائباً لمنطقة بنغازي، 15 للجبل الأخضر، 11 لدرنة، الإجمالي 51 نائباً و10 معينين من قبل الأميــر، هذا التوزيع أعطى تمثيلاً أكبر للمناطق القبلية بحيث أن جمعية عمر المخــتار لا تنال إلا مقاعد قليلة؛ لأن تأثيرها كان أكثر على منطقتي بنغازي ودرنــة، نتائج الانتخابات بينت أن جمعية عمر المختار كسبت 10 مقاعد من الإجمالــي لكن الأغلبية دعمت الحكومة، إلا أن أعضاء جمعية عمر المختار كانــوا أكثــر نشاطاً وحيوية من باقي الأعضاء وبذلك سيطروا على المجلس. واتهمــت جمعية عمر المختار الحكومة بأنها ضيقت عدد النواب من المناطق الحضرية؛ لكي تؤثر في ترشيح الجمعية في البرلمان.

افتتح مجلس النواب يوم 12 يونيو، وعين رشيد الكيخيا رئيساً للمجلس، وحضر الأمير الافتتاح. وألقى الساقزلي خطاب العرش عن الأمير، وتضمن الخطــاب رغــبة الحكومة في إعادة بناء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية،

وأشـــار إلـــى القـــيام بمباحثات مع طرابلس لإلغاء نقاط التفتيش والحواجز الـــتجارية علـــى الحـــدود بـــين المنطقتين وشكر بريطانيا على المساعدات والصداقة التي قدمتها إلى برقة.

وواصـــل مجلـــس الـــنواب اجتماعاته وشهد نشاطات مهمة تتعرض لمخـــتلف مشاكل البلاد، إلا أنه لم يحقق نتائج كبيرة بسبب قصر مدته، وهي عـــام واحـــد تقـــريباً. وقـــد أثر قرار الأمم المتحدة في نوفمبر عام 1949م، باستقلال ليبيا ووحدتها على الأوضاع السياسية في برقة التي أصبحت تنتظر تغييـــراً كبيراً في الأوضاع. وقد حدث في إحدى جلسات مجلس النواب أن عرضـــت الحكومة مشروعاً فعرضه أعضاء الجمعية وتغلبوا على الحكومة الأمـــر الـــذي دفع برئيس المجلس إلى إيقاف الجلسة في إبريل عام 1951م. وتقدم النائب مصطفي بن عامر رئيس جمعية عمر المختار باقتراح بمقاطعة التعامل مع إسرائيل أسوة بالبلاد العربية الأخرى. ووقعت مشادة طويلة بينه وبـــين رئـــيس الحكـــومة. وقـــد تحصل النائب على توقيعات معظم النواب بمساندته في هذا الموضوع، وقد أجلت الحكومة البحث في الموضوع.

وفي 8 يوليو عام 1951م أمرت الحكومة بحل جمعية عمر المختار ومصادرة جميع موجوداتها، ولم يفد ضغط الحكومة واضطهاداتها لجمعية عمـــر المخـــتار، لأنها لجأت إلى العمل السري وزادت الهوة بين الجيل الجديد والقديم.

وقـــد أصـــبح الناس في برقة لا يهتمون بالمواضيع البسيطة المحدودة المعروضة على مجلس النواب، وإنما أخذوا ينظرون إلى ما هو أبعد وأهم، وهو موضوع استقلال ليبيا وما يتعلق بذلك من أمور حيوية كبيرة.

وبـــدأ الناس في مجتمع بنغازي يتتبعون مصير قضية بلادهم مُنذ أن تـــولاها وزراء خارجية الدول الأربعة المنتصرة، وكانوا قلقين على مصير

بلادهم؛ لأن الرؤية السياسية كانت غير واضحة، وكان الأربعة الكبار يتنافسون على اقتسام الغنيمة. وكانوا غير واثقين من أن بريطانيا ستمنحهم حقوقهم المشروعة إلا أنهم كانوا متأكدين أن بريطانيا لن تغادر أراضي برقة ما دامت لها مصالح فيها، وأنها ستعطى العرب نوعاً من الاستقلال الذاتي إلا أن الناس كانوا مشغولين على مصير طرابلس التي كانت تتنافس الدول على الحصول على وصاية عليها. إلا أن عودة الأمير إلى البلاد وتأسيس الجبهة الوطنية والشروع في معالجة القضية الوطنية، قد دفعت بالقضية إلى الأمام وأصبح الاستقلال الذاتي هو المنشود. وقد انتهي الأمر بالأمير إلى حصوله من بريطانيا على الاستقلال الذاتي وتشكيل أول حكومة برقاوية في التاريخ وانتخاب مجلس نواب إلى جانبها. وسر الشعب وعمت الأفراح؛ لأنه أصبح سيد بلاده وأرضه أولَ مرة في تاريخه، وشعر بالرضا والسرور لحصوله على الاستقلال الذي ضحى في سبيله الليبيون بالكثير من أبنائهم من خلال عمليات الحرب والمساعدات للقوات التي كانت تعمل في ما وراء الخطوط، والتي كانت مساعدة الليبيين لها مساعدة قيمة.

وكانت جمعية عمر المختار لا تكتفي باستقلال برقة بل وتطالب بصوت جهوري الوحدة مع طرابلس وتشكيل دولة موحدة. وكانت طرابلس لا تزال تحت الإدارة العسكرية البريطانية وحكم الموظفين الإيطاليين، وهي لا تعرف مصيرها إلا أنها تكونت فيها أحزاب وهيئات سياسية كانت تُطالب بالاستقلال والوحدة.

وبعد إعلان الاستقلال في 24 ديسمبر عام 1951م، ألغيت الحكومات المحلية في طرابلس وبرقة وفزان، وشُكلت مجالس تنفيذية وتشريعية برئاسة الولاة، الذين كانوا غير تابعين للحكومة الاتحادية فيما يتعلق بالشؤون الداخلية، وواصلت جمعية عمر المختار نشاطها بصورة سرية، واستمر تأثيرها في البلاد.

استقلال ليبيا:

في الوقت الذي كانت حكومة برقة ومجلس نوابها منشغلين ببعض المشاكل الداخلية وبجمعية عمر المختار، كان العمل في سبيل استقلال ليبيا ووحدتها جارياً في طرابلس بإشراف الأمم المتحدة، وكانت الجمعية التأسيسية توالى وضع دستور البلاد في مواجهة معارضة شديدة من بعض الطرابلسيين ومن مصر وباكستان والأعضاء الطرابلسيين في لجنة العشرة المساعدة للمستر بلت في القيام بعمله، وعندما اشتدت المعارضة للجمعية التأسيسية تقرر تشكيل وفدٍ برئاسة رئيسها الشيخ (أبو الاسعاد العالم) وعضوية خليل القلال، وعمر شنيب، وصالح بو يصير، وبو بكر أحمد، ومؤلف الكتاب، وسافر الوفد إلى القاهرة وقت اجتماعات جامعة الدول العربية، ليلتقي بأعضائها ويطلعهم على ما حدث في ليبيا وعلى ما يحدث من معارضة مصر والجامعة العربية للإجراءات التي يقوم باتخاذها ممثلو الشعب الليبي.

وأعد الوفد مذكرة شاملة لتقديمها إلى اللجنة السياسية بالجامعة العربية، وحُدد يوم اجتماع اللجنة وتقديم الوفد الليبي لمذكرته، إلا أنه في اليوم وفي المعاد المحدد ذهب الوفد الليبي إلى الجامعة العربية، ودخل قاعة اجتماعات اللجنة السياسية، وأعلن أنه يريد قراءة مذكرته إلا أن رئيس اللجنة أفاده بأن اللجنة قد بحثت موضوع ليبيا، واتخذت قراراً بتفويض مصر بمتابعة القضية الليبية، فغضب أعضاء الوفد الليبي لهذا العمل المهين لأنهم جاءوا ليُسمعوا كلمتهم إلى اللجنة السياسية لا ليَسمعوا قرارها الذي اتُخذ في غيابهم، ثم استأذن عمر شنيب في الكلام وقال: "إن ليبيا عندما هاجمتها إيطاليا، وتصدى لها الشعب الليبي لم نأت للاستئذان من أية دولة عربية، وعندما وقف الشعب الليبي يحارب إيطاليا عشرين عاماً لم نستأذن في ذلك من أية دولة عربية، وعندما نريد أن نقرر استقلالنا لن نأت لنستأذن من الجامعة العربية، وإن مصر والدول العربية تريد أن تكون جمعيتنا التأسيسية منتخبة انتخاباً حراً في

حين أننا نعلم أن أكثر الدول العربية الموجودة هنا ليس لها دستور ولا تمارس انتخابات من أي نوع"، ثم نهض ونهض معه أعضاء الوفد وغادروا قاعة الاجتماعات. وبعد وصولنا إلى الفندق لحق بنا السيد سمير الرفاعي رئيس وزراء الأردن والسيد رياض الصُلح رئيس وزراء لبنان، وقد جاءوا ليلطفوا الجو بين الوفد الليبي والجامعة العربية ويهدئوا من روع الوفد الليبي بأن اللجنة السياسية مهتمة بالأمر، ولن تترك مصر وحدها للتصرف فيه. وقال لهم عمر شنيب لقد أدركنا الآن فقط أن الجامعة العربية بيد مصر وأعضاء الدول العربية الآخروين لا حول لهم ولا قوة.

ثم قمنا بإعداد مذكرة للتوزيع على الصحف والشخصيات السياسية البارزة في البلاد، وطبعنا هذه المذكرة وأرسلناها إلى جميع الصحف والسفارات الأجنبية والوزراء والشخصيات السياسية المصرية، ثم عدنا إلى ليبيا وقد تقرر عدم الاهتمام بالجامعة العربية أو بأي دولة عربية، والسير في الطريق الذي رُسم حتى النهاية.

وعندما تبلورت عملية الاستقلال وأصبحت حقيقية بدأ المستر بلت يفكر من أين يُمول الدولة الجديدة بالأموال لتسييرها، فالبلاد فقيرة وليس لها موارد، وقد أُحصى دخلها فكان لا يتجاوز المليوني جنيه. والبلد الذي تُقارب سواحله الألفي كيلومتر، وتمتد حدوده جنوباً إلى النيجر والتشاد والسودان يحتاج إلى أموال كثيرة لتسيير أموره. وقُدرت ميزانية الدولة الجديدة بستة ملايين جنيه يتوفر منها مليونان وهي قيمة الدخل المحلى ويتبقى أربعة ملايين جنيه، وقد جمع المستر بلت الدول ذات الاهتمام، وقد تغيبت مصر عن الاجتماع وعرض عليها أمر تمويل ليبيا وحاجتها إلى أربعة ملايين جنيه في السنة كي تسيير أمورها كدولة مستقلة، وتبرعت بريطانيا في سد العجز المطلوب وهو أربعة ملايين جنيه سنوياً على شرط أن لا تُساهم أية دولة أخرى في سد العجز. وقد تبرعت الدول وهي فرنسا وإيطاليا بمساعدات

مشروطة، وعقد بلت اجتماعاً حضره الأمير ومستشاروه لمناقشة الأمور المالية، وقد شرح المستر بلت للأمير جميع الخطوات التي اتخذها في هذا السبيل، وقد تم الاتفاق على تحديد ميزانية ليبيا بستة ملايين جنيه منها مليونان من الدخل المحلي وأربعة ملايين ستدفعها بريطانيا لسد عجز الميزانية، وقال بلت أما الدول الأخرى فتعهدت بالمساعدة ضمن شروط معينة، ودار نقاش طويل حول الموضوع وتم الاتفاق على المساهمة البريطانية في الميزانية إلا أن المساعدات من الدول الأخرى إذا كانت شروطها تمس استقلال البلاد فلا ضرورة لها.

وفي يوم 7 أكتوبر 1951م، تم وضع الدستور وانتقلت الجمعية التأسيسية بكاملها إلى بنغازي لتقديم الدستور للملك، والمناداة به ملكاً على ليبيا، وفي يوم 24 ديسمبر 1951م، أُعلن استقلال ليبيا كدولة فيدرالية تضم طرابلس، وبرقة، وفزان، ولم يُقابل إعلان الاستقلال بالفرحة المرجوة في كل ليبيا لأن جزءاً من أبناء طرابلس كان غير راضٍ عن الوضع، وعن النظام الاتحادي. وقد قابل الشعب الليبي إعلان الاستقلال ببرود ولم يتظاهر أو يقيم مهرجانات واحتفالات بهذا الحدث التاريخي الذي يحدث في تاريخ ليبيا لأولَ مرة، والسبب في ذلك أن حكومة برقة كانت محرومة من وسائل إعلام فاعلة، وطرابلس كانت تقع بيد الإدارة العسكرية البريطانية، فلم يَقمْ أحد بتحريض الشعب على المظاهرات والاحتفالات وإقامة المهرجانات احتفاءً باستقلال البلاد.

وقد بذل المستر بلت جهوداً جبارة في سبيل تحقيق المهمة التي كلفته بها الأمم المتحدة، وهي استقلال ليبيا. وكان الرجل يواجه صعوبات ومشاكل كثيرة كانت تعترض مهمته، وقد وجدته في أحد الأيام مهموماً فسألته: ماذا بك؟ فأجابني أنه يعمل لصالح الليبيين، والليبيون لا يريدون التعاون معه ولا مساعدته، بالإضافة إلى بريطانيا وفرنسا وأمريكا ولكل منهما رأي

واتجـــاه، وقد حاولت أن أخفف عنه، فقال لي: لحسن الحظ أنه عندما تتكاثر عليه المشاكل فيذهب إلى الأمير فيجد عنده الحل لجميع مشاكله.

وأضـــاف أن الغـــريب فـــي الأمر أن الليبيين الذين أعمل من أجلهم لا يدركون أنه إذا عادت القضية مرة ثانية إلى الأمم المتحدة فستقرر مصير ليبـــيا تحـــت الوصـــاية ويضيع الاستقلال، وإني مصر على بذل كل ما في طاقتـــي للوصول إلى النهاية السعيدة، وأعتقد أنى اقتربت من النهاية، وسألته عـــن معارضة مصر وباكستان والعضو الطرابلسي في مجلس العشرة فقال: أنـــه يـــتغلب عليهم بأكثرية أعضاء المجلس، فهم يريدون البداية من جديد، وذلـــك بتأســـيس جمعية تأسيسية منتخبة انتخاباً نسبياً يناط بها مهمة وضع الدســـتور وبقـــية الإجـــراءات الـــضرورية التـــي يجب اتخاذها قبل إعلان الاستقلال، وهو الأمر الذي ترفضه برقة وفزان. وذلك يعنى العودة من جديد بالقضية إلى الأمم المتحدة التي لن تقرر استقلال ليبيا مرة أخرى. وبذلك كان المستر بلت يتنقل ما بين ليبيا التي هي مركز عمله الرئيسي ونيويورك حيث يراجع الأمم المتحدة ويعرض عليها ما توصل إليه من إنجاز، ويتنقل ما بين رومـــا وباريس ولندن؛ لإقناعها على ما تم إنجازه وما هو مقرر للمستقبل. وكانت هذه المرة الأولى التي تقرر فيها الأمم المتحدة استقلال بلد والإشراف على هذا الاستقلال لتحقيقه.

وواصل المستر بلت عمله غير آبه بالمعارضات والعراقيل التي كانت تُوضع في طريقه. فبريطانيا وافقت على استقلال ليبيا ولكنها كانت تُفضل أن تحـــتفظ ببرقة تحت إشرافها. وفرنسا كانت تريد الاحتفاظ بفزان على الرغم مـــن اســـتقلال ليبيا. وإيطاليا كانت مطامعها تصل طرابلس حيث إنها كانت تتمنى حصول الوصاية عليها.

واســـتمر المستر بلت في عمله الرامي إلى إعلان استقلال ليبيا بعد أن تم وضع دستورها، وبعد أن تعينت حكومة مؤقتة لكل ليبيا، الفرنسيون ظلوا

إلـــى آخر لحظة يحاولون الحصول على امتيازات في فزان مثل الامتيازات التي تحصلت عليها بريطانيا في برقة، وأمريكا في طرابلس إلا أن الحكومة الأمــريكية ضــغطت على فرنسا وجعلتها توافق على الاستقلال دون قيد أو شــرط، ولعــبت الولايات المتحدة دوراً كبيراً في تحقيق استقلال ليبيا، وقد رفضت الوصاية التي قررتها سابقاً الأمم المتحدة؛ لأنها كانت تخشى اشتراك روســيا فــي الوصــاية وبــذلك تضع قدماً في ليبيا، وهو ما كانت تخشاه الولايات المتحدة.

وفــي شهر ديسمبر عام 1951م كان كل شيء مهيأ لإعلان الاستقلال، وكان بلت يريد هذا الإعلان قبل الموعد المضروب من الأمم المتحدة، وهو أول يناير عام 1952م وتحول رؤساء حكومات برقة وفزان إلى ولاة وتحولت مجــالس النواب إلى مجالس تشريعية، وتحولت الحكومة إلى مجلس تنفيذي، وظلــت الحكــومة الاتحادية محتفظة باختصاصاتها ولا دخل لها في شؤون الــبلاد الداخلية، وبما أن طرابلس لم تكن بها حكومة، فقد عُين الوالي فاضل بــن ذكرى الذي أجرى انتخابات لاختيار أعضاء المجلس التشريعي وكون حكومة باسم المجلس التنفيذي.

وبداية من يوم 1951/12/24م أصبحت ليبيا دولة حرة مستقلة، وكانت فــي ذلــك الــوقت دول المغرب العربي تونس والجزائر والمغرب، وكذلك السودان تقع بيد المستعمرين، وقد هز استقلال ليبيا شعوب هذه البلاد ودفعها إلـــى المطالــبة بالاستقلال، ولم تجد الدول المستعمرة بداً من منح هذه البلاد اســتقلالها بعــد أربع سنوات من استقلال ليبيا. وكانت ليبيا في بداية حياتها المــستقلة في حاجة إلى المال والتعليم والصحة، وإصلاح ما خربته الحرب وإيجاد عملٍ للعاطلين وتنشيط الحياة الاقتصادية، كانت هذه الأعباء تقع على كاهل الدولة الجديدة المحرومة من أغلب مقومات الدولة.

وكانت مدينة بنغازي في تلك الفترة قد بدأت تنتعش وتدب فيها الحياة، وانــتعش اقتــصادها وكثر زوارها، وقد أصلحت البلدية فندق (برينيشى)، وأصبح فندقاً جميلاً في المدينة، وأُصلحت الطرق، ورُممت المباني المخربة، وعــاد الضوء الكهربائي إلى المدينة، وعادت إليها المياه الجارية، وتحسنت المواصلات إلا أن المدينة والمجتمع البنغازي كان مهتماً بما يجرى حوله في الحكــومة المحلــية ومجلسها التشريعي، أكثر من اهتمامه بأحداث الحكومة الاتحادية ومشاكلها، إلا أن الشعب البرقاوي كان مهتماً أيضاً بما كان يجرى في طرابلس من تطورات سياسية ذات أهمية بالغة بالنسبة لمستقبل البلاد.

وقــد ظلــت الــثقافة واللغة الإيطالية منتشرة بين الشباب إلا أن قدوم المهاجــرين من مصر، واستعمال اللغة العربية في الدوائر الرسمية، ووجود مثقفين عرب بالبلاد تغلب على الثقافة واللغة الإيطالية وجعلها تدريجياً تندثر وتنحــصر فــي فــئة قليلة من الناس. وقد انتشرت اللغة الإيطالية في العهد الإيطالي واستعملت في جميع الدوائر الرسمية دون العربية حتى بدأت تتغلب على اللغة العربية في حديث الناس وكتاباتهم وأمورهم بصورة عامة، إلا أن إصرار الناس على المحافظة على لغتهم والتمسك بآدابها حال دون اندثارها كمــا كان يريد الإيطاليون. وأقبل الشباب على تعلم اللغة الإنجليزية وأجادها بعضهم وأصبحت لغة التفاهم والتخاطب بينهم وبين البريطانيين.

وبانــتهاء العقد الخامس من القرن ينتهي كتابنا هذا الذي بذلنا كل جهدٍ لإظهار مجتمع بنغازي في مختلف الظروف والأحداث التي مرت بها المدينة خلال نصف هذا القرن، وأرجو منٍ القراء الكرام أن يعذرونيِ إذا أخطأت أو نــسيت بعض الأحداث والأسماء الشهيرة، فالمصادر قليلة، وقد اعتمدت في وضع كتابي هذا على الذاكرة وعلى ما سمعته من المعمرين من قبل.

وشــهدت نهايــة نــصف القــرن العشرين اندحار إيطاليا في الحرب وخــروجها من ليبيا بأكملها، ومشاهدة الشعب الليبي لهزائمها المتتالية، ولما

آلت إليه من ذل وهو أن بعدما كانت متسلطة عليه تضطهده وتهينه وتقتل من تشاء من رجاله وأبطاله، وتسجن من تريد من أبنائه البررة، فنهاية منتصف القـــرن العـــشرين وضعت حداً لمعاناة الليبيين وآلامهم واستعبادهم، وفتحت أمامهم أبواب الحرية والاستقلال والمستقبل الزاهر.

الأعيــان



فتحي عمر الكيخيا

من مواليد بنغازي، وقد تلقى تعليمه في إيطاليا وفرنسا، وتحصل على ليسانس القانون من جامعة (السوبون)، وعاد إلى بلاده في وقت الشدة وحكم غرازياني فامتدت إليه الأيادي الآثمة وحجزته في برج (شويليك) حيث قضى فترة طويلة في المعتقل، ثم أفرج عنه. وعندما تحصلت برقة على الحكم الذاتي من بريطانيا عام 1949م، عين الأمير فتحي الكيخيا رئيساً لأول وزارة برقاوية، وقد صحب الأمير إلى لندن لعقد اتفاق بخصوص الحكم الذاتي إلا أنه لم يعد مع الأمير، وقدم استقالته، لأن زوجته المصرية لا تريد الإقامة في ليبيا، ولأنه ربما كان غير راضٍ عن الاتفاق المبرم ما بين الأمير والحكومة البريطانية. وعاد فتحي الكيخيا إلى البلاد بعد الاستقلال حيث عينه محمود المنتصر وزيراً للعدل ونائباً له. واستمر في عمله إلى أن نُقل سفيراً بروما حيث أشرف على معالجة القضايا الشائكة بين ليبيا وإيطاليا، ثم عُين سفيراً بواشنطن حيث وافته المنية في عام 1958م، وقد أُحضر جثمانه في طائرة خاصة إلى بنغازي التي دفن فيها في مقبرة سيدي

داود. وكان رحمه الله مثقفاً ثقافة عالية، وملماً بأوضاع البلاد، ويحظى بحب الناس وتقديرهم، وكان يساعد كل من كان يقصده.



الشيخ السنوسي المرتضي

هو أستاذ جميع الأجيال في بنغازي، احترف مهنة التدريس منذ العهد التركي واستمر فيها طيلة العهد الإيطالي، وكان له الفضل في تخريج العديد من أبناء بنغازي الناجحين في حياتهم الذين تولوا مناصب كبيرة في الدولة. وقد اختير في عهد بالبو ليكون من الأعيان الممثلين لشعب بنغازي، وهو يحظى بتقدير واحترام جميع مواطنيه في بنغازي الذين أكثرهم يدين له بتعليمهم، وواصل بعد استقلال ليبيا نشاطه وعمله إلى أن أحيل إلى التقاعد حيث لزم داره التي توفي بها في بنغازي.



الدكتور على نور الدين العنيزي

تلقـى تعلـيمه في إيطاليا وتخرج من جامعاتها في الاقتصاد، وعاد إلى بـنغازي في بداية الثلاثينات ليعمل في الإدارة الإيطالية إلا أن الإدارة نظرت إليه كعربي حتى ولو حمل أكبر المؤهلات العلمية، وأعطته وظيفة بسيطة في معيـية رئـيس إيطالي، إلا أنه كان نشطاً وكان يهتم بأمور البلاد وأوضاعها، ويحاول إصلاح حال المواطنين بقدر الإمكان، وقد اختير في عهد بالبو ليكون مـن أعـيان بـنغازي والممثلين لها. وقد تولى، فيما بعد ذهاب إيطاليا وقيام الحكومة الوطنية وزارة المالية لفترة قصيرة في حكومتي الساقزلي وبن حليم، ثـم أُسند إليه مهمة تأسيس مصرف ليبيا الوطني، وقد نجح في عمله وأصبح المـصرف أكبر مصرف في ليبيا، والمشرف على جميع المصارف الأخرى وقـد ربـى وأعد طائفة من الشباب الليبي ليكونوا أقدر رجال المصارف في ليبـيا، وله نشاطٌ سياسي كبير قبل استقلال ليبيا عندما كانت القضية معروضة أمام الأمم المتحدة، وقد عمل خلال فترة الحرب في جامعة الدول العربية التي عمـل بهـا عدة سنوات ثم عاد إلى ليبيا بعد الاستقلال، وقد توفي في إيطاليا ونقل جثمانه إلى بنغازي حيث دفن في مقبرة الكويفية.



الحاج رشيد الكيخيا

الحاج رشيد الكيخيا نجل منصور الكيخيا المعروف، وقد أبعد مع والده وأسـرته إلـى إيطاليا بعد احتلالها للبلاد مباشرة، ثم ذهب إلى مصر حيث عـاش وتعلـم فيها بعض الوقت قبل أن يعود إلى ليبيا ويستأنف فيها نشاطهُ الاقتـصادي. وفـي فترة الاحتلال الأول الإنجليزي لبنغازي عرض الحاج رشـيد الكيخيا على الإدارة البريطانية تشكيل قوة من الشباب العربي لحفظ الأمن في المدينة وقد وافقته السلطة على ذلك وشرع في تكوين القوة إلا أنهُ فُوجـئ بانسحاب القوات البريطانية من بنغازي فنقم عليه الإيطاليون وأمروا بإبعـادهِ إلى إيطاليا في حين قبضوا على من وقعت أيديهم عليه من أعضاء القـوة المقتـرحة. وعندما تشكلت أول حكومة برقاوية بعد الحرب العالمية الثانـية، وأنتخب مجلس نوابها، عُين الحاج رشيد الكيخيا رئيساً للمجلس، ثم تولـى وزارة الـزراعة في الحكومة البرقاوية. والحاج رشيد الكيخيا رجلٌ معـروف بذكائه ودهائه، وقد لعب دائماً دوراً ملحوظاً في القضايا والمشاكل التي كانت تعصف بالوطن. وقد توفي في بنغازي عام 1971م، ودفن بها.



يوسف بن كاطو

يوســف بن كاطو نجل محمد بن كاطو من أعيان بنغازي المعروفين، درس فــي إيطالــيا، وعاد إلى الوطن ليعمل في دائرة الأملاك ثم في دوائر حكومية أخرى، وشارك في العهد الإيطالي في مسابقة كاتب الأشغال العربية ونجح هو الأول في القائمة، وعين للعمل في طنجة كمدرس للغة العربية في المدارس الثانوية الإيطالية ثم عاد إلى بنغازي فعين بالقنصلية الإيطالية بجدة وعمــل فيها فترة من الزمن، وبعد حصول البلاد على الاستقلال الذاتي عُين ناظراً للمالية في حكومة برقة، وقد عمل على تأسيس وزارة المالية وتسيير شؤونها، وقد شارك في الوفد الليبي الذي زار القاهرة عام 1943م، للتفاوض مــع مصر على وضع اتفاقية اقتصادية بين البلدين، وهو من شباب بنغازي الأذكــياء النــشطين، وقد أصابه مرض عضال ألزمه الفراش انتهي بوفاته، ودفن ببنغازي.



محمد بو دجاجة

محمـــد بو دجاجة من عائلة بو دجاجة المعروفة في بنغازي، وقد تلقى تعلـيمه في إيطاليا وعاد ليعمل في ليبيا، وقد عُين موظفاً ببنك إيطاليا وكان الليبـــي الوحـــيد الذي عمل في المصارف الإيطالية حيث مارس عمله لعدة سنوات، وفي إحدى الأمسيات عندما كان يسهر مع بعض الأصدقاء فاجأتهم دوريـــة بوليس إيطالية ونقلتهم إلى التحقيق، فاحتج محمد على عمل البوليس الـــذي كان بدون مبرر ولا سبب، فكتب موظف التحقيق في تقريره أنه شتم موسوليني وأحيل إلى المحاكمة فحكموا عليه بخمس سنوات سجن قضاها في الـــسجن محتـــرماً من المشرفين على السجن، وقد أُسند إليهِ القيام بالشؤون المالية المتعلقة بالسجن إلى أن أنهي مدتهُ وأُطلق سراحهُ. وبعد حصول برقة علـــى الحكم الذاتي عُين وزيراً للمالية في أول حكومة برقاوية برئاسة فتحي الكيخـــيا، وفي ثاني حكومة برقاوية برئاسة عمر باشا الكيخيا، ثم وزيراً في الحكومة الاتحاد ية، وقد نظم وزارة الاقتصاد وأصدر بعض القوانين لتنظيم الاقتـــصاد الوطني وعمل جاهداً في سبيل مصلحة البلاد، وبعد خروجه من الـــوزارة عين عميداً لبلدية بنغازي، فأشرف على تنظيمها وإصلاح أحوالها وإعـــدادها لـــتقوم بكـــل مـــا عليها من واجبات، ثم سكن في المرج واهتم بمزرعته، ثم عاد للسكن في بنغازي حيث وافته المنية ودفن بها.



حسين مازق

حفـيد بـو بكر بو حدوث زعيم البراعصة والجبل الأخضر في العهد التركــي، وقد عمل في الإدارة الإيطالية كمدير حيث قام بعمله عدة سنوات إلى أن اشترك في مسابقة كاتب الأشغال العربية وفاز بمقعد فيها وأُسند إليه عمــلٌ مهم في الإدارة الإيطالية، وبعد الاستقلال الذاتي عُين وزيراً للزراعة فــي الحكومات البرقاوية التي تكونت قبل الاستقلال، ثم عُين والياً لبرقة بعد إعـلان الاستقلال، حيث استمر في هذا المنصب لقرابة عشرة أعوام حاول إصـلاح الـبلاد فـيها وفقاً للقدرات المالية المحدودة آنذاك، وقد قاد الولاية بحكمــة ودرايــة ودافــع عن مصالحها، وكانت الأمور فيها هادئة والسكان راضــين بولايــته، فهو من عادته أن يبحث عن مواضع الخير ويبتعد عن مواضع الشر، وبعد الولاية عُين وزيراً للخارجية في وزارة محمود المنتصر الثانية، ثم خلفه في رئاسة الوزراء. وقد شارك في مؤتمر رؤساء الحكومات العربية الذي كان مطلوباً منه النظر في قضية ألمانيا ومساعداتها لإسرائيل، وقــد تحفظ على قرارات المؤتمر المطالبة بسحب السفراء العرب من ألمانيا

كمـــرحلة أولـــى، ثـــم مقاطعتها اقتصادياً كمرحلة ثانية، ومقاطعتها سياسياً كمـــرحلة ثالـــثة. وقـــد أثار تحفظه هذا غضب مصر التي بدأ إعلامها في مهاجمة ليبيا، وكانت وزارته هادئة متجاوبة مع طلبات المواطنين وقضاياهم وكـــان يبذل جهده لإرضاء الجميع ولرفع مستوى الوزارة. وفي عام 1967م عصفت بالبلاد أحداث حرب عام 1967م، بين إسرائيل والعرب التي انهزمت فـــيها الدول العربية، وكان انعكاس هذه الهزيمة قاسياً على ليبيا مما اضطر معـــه حسين مازق إلى تقديم استقالته والعودة إلى منزله، وقد حُوكم في عهد الـــثورة وحُكم عليه بالسجن إلا أنه أطُلق سراحه بعد قضاء فترة في السجن، وبعد خروجه من السجن اعتكف في منزلهِ حتى وافتهُ المنية في بنغازي عام 2007م ودفـــن بهـــا. وحـــسين مازق من خيرة رجال ليبيا الذين برزوا بعد الاستقلال وكان محطّ احترام وتقدير جميع سُكان ليبيا.

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

على موقع ارشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem



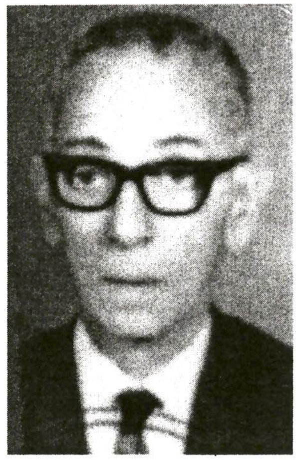
يوسف لنقي

يوسف لنقى من أعيان بنغازي المرموقين،. وكان يمارس مهنة التجارة ويهـتم بـشؤون البلاد السياسية، وقد اتهمه الإيطاليون بالتعاطف ومساعدة المجاهـدين فأبعدوه في عام 1924م مع غيره من الأعيان إلى سجون إيطاليا حيث قضى ثلاث سنوات فيها، ثم عاد إلى بنغازي ليمارس أعمالهُ التجارية، وشـارك فـي أعوام ما بعد الحرب في القاهرة في النشاط السياسي الجاري مـا بين الطرابلسين والبرقاويين من أجل الاتفاق على صيغة تؤمن مستقبل ليبـيا ووحدتها، وفي عام 1949م عُين عميداً لبلدية بنغازي، وقد ظل في هذا المنصب لحين وفاته، وعمل على إصلاح البلدية وتوسيع نشاطاتها واهتمامه بالمديـنة وبمظهرها. وقد أصلح مستشفي (بروزدوشيمو الإيطالي)، وجلب إليه صاحبه القديم وغيره من الأطباء الإيطاليين للعمل في المستشفي الذي سد حاجة كبيرة للمواطنين، كما أنه نظم الأسواق، والسهر على تنظيف وصيانة المدينة، وكان محبوباً من سكان المدينة الذين كانوا يقدرونه كل التقدير، وقد توفي ببنغازي ودفن بها.



خليل القلال

ولـد وتلقى تعليمه في بنغازي، ولم يعمل في العهد الإيطالي في دوائر الحكـومة الإيطالية، وظل يعمل عملاً خاصاً يتعيش منه. إلا أنه كان وجيهاً مـن وجهاء مدينة بنغازي، وبعد نهاية الحرب وبداية الحركة الوطنية انضم إلـى الجبهة الوطنية، وقام فيها بأعمال السكرتارية، وعُين عضواً في الوفد البرقاوي الأول والثاني، اللذين تابعا القضية الليبية في الأمم المتحدة، وشارك فـي عضوية وفد الجمعية التأسيسية إلى القاهرة عام 1951م، وبعد الاستقلال عُين وزيراً في الحكومة الاتحادية، ثم سفيراً بالقاهرة، وعُين ثانياً وزيراً في الحكـومة، وكـان مـثقفاً ومعـروفاً، ولم تستغن عنه وعن عمله الإدارات الوطنـية، وكان قديراً في عمله وفي كل ما يُسند إليه من أعمال سواء داخل الـوزارات التـي تولاّها أم خارجها، وقد عُين سفيراً في روما حيث مرض وتوفى هناك، ودفن بطرابلس.



مصطفى بن عامر

من أسرة بن عامر الشهيرة وجده الشيخ محمد بن عامر قاضي بنغازي سابقاً، وقد ولد في بنغازي وتلقى تعليمه الأولى بها، ثم انتقل إلى القاهرة حيث كان يقيم والده عبد الله بن عامر، والتحق بالجامعة الأزهرية ووالى دراسته فيها حتى نال شهادتها، ثم التحق بالجامعة المصرية التي تخرج منها في الآداب، وعاد إلى ليبيا عام 1943م بعد جلاء الإيطاليين عنها، وقد عُين مفتشاً بإدارة المعارف، وأدى فيها عمله على أحسن وجه، ثم انضم إلى جمعية عمر المختار التي سرعان ما اختارته رئيساً لها، وقد قاد الجمعية في صراعها مع السلطة المحلية بسبب تمسك الجمعية بوحدة البلاد واستقلالها. وقد قبضت عليه السلطة المحلية هو وبعض زملائه وقُدموا للمحاكمة، وحُكم عليهم بالسجن حيث وجدوا كل رعاية وتقدير من العاملين به، وأُعلن الاستقلال الذاتي لبرقة، وأُجريت انتخابات لتشكيل مجلس نواب، وقد شارك في الانتخابات وفاز بنسبة عالية. وأدى في المجلس البرقاوي واجبه بالتمسك بوحدة البلاد واستقلالها وشؤون برقة. وبعد استقلال ليبيا وقيام أول انتخابات

تـــشريعية بها، خاضها الأستاذ مصطفي بن عامر وفاز فيها. وقاد المعارضة فـــي هـــذا المجلس، وكانت معارضة بنّاءة تدعو إلى خير ليبيا. ولعب دوراً كبيـــراً في معارضة الاتفاقية الإنجليزية وفي المطالبة بإلغاء القواعد الأجنبية التـــي وافـــق عليها مجلس النواب بأكثرية ساحقة، وعندما جرت الانتخابات التالـــية لمجلس النواب أُبعد بالقوة عن خوضها، وبعد قيام الثورة عُين وزيراً للتـــربية والإرشاد القومي، ثم استقال بعد فترة وجيزة، واهتم بأشغال مطبعته مصدر رزقه إلى أن توفاه الله في عام 1990م، ودُفن في بنغازي.



عبد الرحمن بو نخيلة

وطنـــي غـــيور، تولى مُنذ شبابه الدفاع عن وطنه. وعندما لم يستطع العـــيش في ظل الاستعمار الإيطالي انتقل للحياة في إيطاليا حيث قضى فيها ســـنوات كثيـــرة، ثم عاد إلى بنغازي وواصل نشاطه السياسي ولم يكف عن الاهـــتمام بقضية ليبيا وحصولها على حقوقها، وفي عام 1930 ألقى القبض علـــيه وسُـــجن فـــي قلعـــة بنينا مع بقية أعيان بنغازي، ولم يُطلق سراحه وســـراحهم إلا فـــي عام 1933م، بعد انتهاء الثورة واستشهاد عمر المختار، وبعـــد الاســـتقلال فـــتح مكـــتب لتحرير العقود، وقد تولى بعض المناصب الحكومـــية إلا أنـــه كان دائماً ثائراً على الأوضاع ويريد الكمال، وقد عُين ملحقاً تجارياً بالقنصلية الليبية بميلانو، وكان شاعراً وله أشعار وطنية كثيرة باللهجـــة العامية كثيرة، واللغة الفصحى، وقد نُشر له ديوان شعر، وقد ظل فـــيما تبقى له من حياة نشطاً يحب وطنه، ويعمل من أجل رفعته وخيره إلى أن توفاه الله في بنغازي ودُفن بها.



على زواوه

ينتمي إلى أسرة زواوه المعروفة، وقد انضم إلى جمعية عمر المختار، وكـــان من أعضائها البارزين النشطين، وعمل على تأكيد مبادئها بخصوص وحدة ليبيا المنشودة، وقد قُبض عليه خلال فترة حكومة برقة، وقُدم للمحاكمة وحُكم عليه بالسجن، وذلك بسبب قيام جمعية عمر المختار بمظاهرة احتجاج على حكومة محمد الساقزلي وعلى السلطات البريطانية، وقد ظل من أعيان بنغازي النشطين ورجالها العاملين حتى توفاه الله ببنغازي ودفن بها.



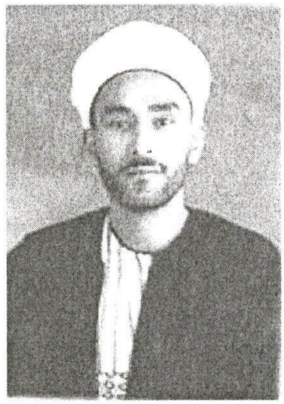
أحمد رفيق المهدوي

شاعر الوطن الكبير الذي رفع اسم ليبيا عالياً في عالم الشعر وحفيد الحاج أحمد المهدوي الذي ترأس بلدية بنغازي لقُرابة عشرين عاماً، وقد تعلم في ليبيا وفي مصر وعند الاحتلال الإيطالي انتقل مع عائلته إلى مصر أولاً ثم إلى تركيا التي عاش فيها حتى وقت إعلان الحكم الذاتي في برقة، وقد جاء بنغازي وساهم في أحداث تلك الفترة السياسية والأدبية، وبعد تنكر إيطاليا لعهودها وقضائها على الحكم الذاتي الذي منحته سافر من جديد إلى تركيا وبقى فيها حتى عام 1933م، فعاد ثانية إلى بنغازي وظل يكتب الشعر ويحرض الشباب على تعلمه وكون مدرسة ثقافية في بنغازي، وتضايقت السلطة الإيطالية من نشاطه وأفكاره المضادة لها، وأمرت بإبعاده فعاد ثانية إلى تركيا وعاش فيها حتى اندحرت إيطاليا وخرجت من ليبيا وعاد إلى وطنه الحر الذي كان يتمناه ليعمل فيه بحرية، فكتب الشعر وانتقد الأوضاع السياسية الحالية، وقد أحبه الشعب وأحب شعره. وبعد استقلال ليبيا عُين عضواً في مجلس الشيوخ حيث ظل يعمل ويواصل نشاطهُ الأدبي واتصالاتهِ بالأُدباء إلى أن وافته المنية في اليونان، وقد دُفن ببنغازي.



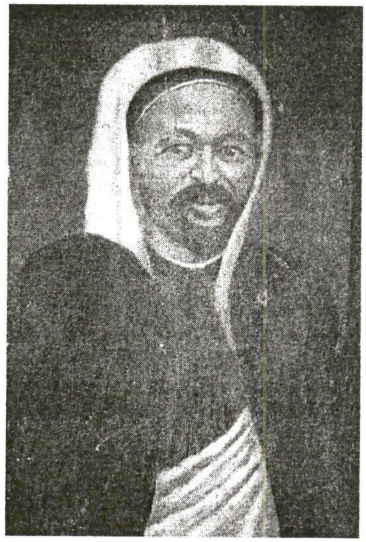
عبد السلام بسيكري

نجـل حسين باشا بسيكرى ومن أعيان بنغازي، تعلم في إيطاليا وعاد إلى بنغازي ليعمل في الإدارة الإيطالية، وهو وطني غيور كان دوماً معادياً للإيطاليين، وقد توظف في الإدارة الإيطالية، وبعد استقلال برقة رشح نفسه لمجلس النواب البرقاوي وفاز بمقعده، وقد انضم إلى كتلة النواب المعارضين فـي مجلـس الـنواب، وبعـد استقلال ليبيا اختير وزيراً في وزارة محمود المنتصر الثانية سنة 1964م، التي تولى فيها وزارة الدفاع، وكذلك في وزارة حسين مازق، ثم عُين سفيراً بالقاهرة حيث عمل فيها عدة سنوات على توثيق العلاقات بين مصر وليبيا. وفي عام 1965م انضم إلى الوفد الذي شارك في اجـتماعات رؤساء الحكومات العربية. وتوفي في عام 1970م ببنغازي وهو في عز نشاطه وعطائه.



الشيخ عبد الحميد الديباني

الشيخ عبد الحميد الديباني قاضى بنغازي ومن رجالها العاملين، تلقى تعليمهُ الأولى في درنة ثم التحق بالأزهر الشريف وتخرج منهُ بمؤهل عالٍ، وعاد إلى ليبيا فعمل في القضاء وتولى القضاء في محكمةِ المرج الشرعية، وعندما توفي قاضى بنغازي الشيخ ميلاد العرادي وقع عليه الاختيار، ليكون قاضياً لمدينة بنغازي، هذا المنصب الذي تولاّه عن استحقاق وجدارة، استمر في عمله إلى أن أُعلن استقلال البلاد فشارك في عدة وزارات كوزير للعدل، وكان من الوجوه اللامعة في سياسة ليبيا بعد الاستقلال، وقد أسندت إليه مشيخة جامعة محمد بن على السنوسي بالبيضاء التي أدارها بدراية وقدرة فائقة، وتوفي ببنغازي ودفن بها.



محمد عبد الله أمنينه

مـــن أسرة أمنينه المعروفة، ومن أعيان بنغازي، كان يعمل بالزراعة وتربية المواشي أسوة ببقية سكان المدينة، وكان نشطاً سياسياً يهتم بأوضاع مدينـــتهِ وبأحـــوالها، وقد رُشحَ وفاز بالحصول على مقعدٍ في مجلس النواب البرقاوي سنة 1920م، وتم القبض عليهِ في عام 1930م، واعتقل في بنينا مع غيرهِ من أعيان البلاد، حتى أُطلق سراحهم في عام 1933م، فعاد إلى نشاطهُ الأول وإلـــى اهـــتمامهِ بأوضاع مدينة بنغازي إلى أن توفاهُ الله ببنغازي عام 1963م، ودفن بها.

المـراجـــع

المراجع العربية :

- اتيليو تروتسي – برقة الخضراء – ترجمة خليفة التليسي – طرابلس 1991م.
- أحمـد القـلال – سـنوات الحرب والإدارة العسكرية البريطانية في برقة – 2003م.
- أحمد صدقي الدجاني – ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي – القاهرة – 1971م.
- أحمد صدقي الدجانى– وعبد السلام أدم– وثائق تاريخ ليبيا– بيروت 1974م.
- د. أحمد مختار عمر – النشاط الثقافي في ليبيا– بيروت 1971م.
- د. إدريس صالح الحرير – الاستعمار الاستيطاني الإيطالي في ليبيا– طرابلس – 1984.
- ارسـي– مـع الإيطاليـين فـي حرب طرابلس – ترجمة منصور الشيباني، طرابلس 1972م.
- الطاهر محمد الزاوي – عمر المختار – الفرجاني – طرابلس – 1970م.
- أنتونى كاكيا– ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني – طرابلس – 1975م.
- د. الهادي بولقمة– دراسات ليبية– بنغازي 1975م.
- الهاشمي محمد بالخير – الهاني– مركز جهاد الليبيين– طرابلس– 1985م.
- جان ديبوا – الاستعمار الإيطالي في ليبيا – ترجمة د. هاشم حيدر – دار ليبيا للنشر بنغازي 1968م.
- جـورج ريمون – من داخل معسكرات الجهاد الليبي – ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي – طرابلس 1972م.
- حسن سليمان محمود – ليبيا بين الماضي والحاضر – القاهرة 1962م.
- خليفة التليسي:
  - بعد القرضابية – دار الثقافة – طرابلس.
  - معارك الجهاد الليبي – طرابلس 1980م.
- رأفت غنيمي الشيخي– تطور التعليم في ليبيا – بنغازي – 1972م.

- رودولفــو غرزيانـــي – برقة الهادئة – ترجمة إبراهيم بن عامر – بنغازي – 1975م.
- ز.ب. ياخيموفــتش – الحــرب التــركية الإيطالية – ترجمة د. هاشم صالح التكريتي – بيروت 1970م.
- سالم الكبتي – يوسف سالم البرغثي – معركة جليانا– بنغازي 1991م.
- طاهر الزاوي – جهاد الأبطال – طرابلس – بيروت – 1972م.
- عــبد المنــصف حــافظ البوري – الغزو الإيطالي – الدار العربية للكتاب – طرابلس – 1983م.
- د. فؤاد شكري:
  - السنوسية دين ودولة – القاهرة 1948م.
  - ليبيا الحديثة – جزأن مطبعة الاعتماد – القاهرة 957م.
- فرانشيسكو ركورو – ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني – ترجمة خليفة التليسي – طرابلس 1972م.
- فرانشيسكو مالجيرى – الحرب الليبية – ترجمة وهبي البوري – الدار العربية للكتاب – طرابلس 1978م.
- فضل الله محمد البربار– عمر المختار– طرابلس 1983م.
- فــيوج فــون قريفتــز – تــاريخ الحرب الليبية – ترجمة عماد الدين غانم – طرابلس 1982م.
- كولوديو سيجرى – الشاطئ الرابع – ترجمة د. عبد القادر مصطفي المحيشي – طرابلس 1987م.
- محمد الحشائشي – جلاء الكرب عن طرابلس الغرب – لبنان 1895م.
- محمد الطيب الأشهب – برقة العربية – القاهرة 1942م.
- محمد عبد الرازق مناع:
  - مذكرات محمد الجهمي – بنغازي 1973م.
  - جذور النضال العربي في ليبيا – بنغازي – 1973م.

- محمد مصطفي بازامه:
  - التمهيد السياسي للاحتلال الإيطالي- بنغازي- 1961م.
  - المدينة الباسلة- الحوار للعربي الأوروبي- قبرص-1994م.
  - بداية المأساة - بنغازي - 1961م.
  - العدوان - طرابلس- 1965م.
  - بنغازي عبر التاريخ - دار ليبيا للنشر - بنغازي 1966م.
  - تاريخ برقة - بنغازي متصرفليك - العهد العثماني الأول، الحوار الثقافي العربي الأوروبي 1994م.
- محمد ناجى - طرابلس غرب - طرابلس 1973م.
- محمد أسد - الطريق إلى مكة - بيروت.
- مصطفي بعيو - دراسات في التاريخ اللوبي - الإسكندرية 1953م.
- مذكرات جوليتي - ترجمة خليفة التليسي - طرابلس 1976م.
- نيقولا زيادة:
  - محاضرات في تاريخ ليبيا- القاهرة 1958م.
  - ليبيا بين الاستعمار الإيطالي والاستغلال- معهد الدراسات العربية العليا - القاهرة 1958م.
- يوسف سالم البرغثي - المعتقلات الفاشستية في ليبيا - مركز جهاد الليبيين - طرابلس 1993م.

المراجع الأجنبية

1. Angelo Delboca BOca_Gu Italine In Libia_ Roma_ Bari 1986.
2. D.M. Tuninetti_ La Politica Coloniale Del Regime Roma 1933.
3. Rodolfo Graziani_ Pace Romanin Libia_ Milano_1937.
4. Guglieimo Nasi_Laguerra In Libia_ Rivista Militare Genn. 1927_ Roma.
5. Renzo Defelice_ Ebrei Un Paese Arabo_ Bologna 1973.
6. Mario M. Moreno_ La Poitica Indigena Deilitalia_ Annaali Africa Italiana_ Annovi_ Giugno 1942.
7. Fracescmeriano_ La Questione Di Giarabob_ Bocogna 1925.
8. Innio Dinolfo_ Mussolinie La Politica Estera Italiana (1919_ 1933) Padova_1960.
9. Mario Del Caseini_ Mussoliniin Africa_ Mantova 1926.
10. G.Brezzi_ Centogiorni Di Prigionia Nelloasi Di Kufra Milano – 1930.
11. C. Morongiu Buonaiuti_ Politica E Relazioni Del Colonialismo Italiano (1862_1941) Varese 1982.
12. R.Graziani_ Hdifeso Lpatria_ Milano 1948.
13. Carlo Emilio Rava – Ai Margini Del Sahara_ Bologna 1936.
14. Giorgio Rochat_ Al Repressione Della Resistenza Arabain Cirenaica_ Il Movimento Della Liberazione In Italia Genn.Marzo 1973.
15. G. Rochat – La Repressione Della Resistenza In Cirenaica In Aa. Vv. P. O.
16. Cioanni Gerone – Spigolature Bengasine_ Firenze 1913.
17. Paolo Maltese_ La Terra Roma Essa_ Mondadori 1974.
18. Ulderico Tegani_ Bengasi_ Milano 1914.
19. Alessandro Lessona_ Lafeica Settentrionrle Nella Politica Mediterranea_Roma 1942.
20. Giueppe Volpi_ La Politica Coloniale Del Fascismo_ Mlano 1929.
21. Denis R.Smith_ Le Guerre Del Duce_ Roma 1976.

فهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمــة	7
الفصل الأول	
العشر سنوات الأخيرة من الحكم التركي	
مجتمع بنغازي في العهد التركي	17
تجارة القوافل	31
الإدارة العثمانية	35
بنك روما في ليبيا	52
العادات والتقاليد	55
العودة إلى العمل بالدستور العثماني	68
الضرائب في فترة الحكم التركي	74
الرهينة الإيطالية	83
لأعيان	95
الفصل الثاني	
العشر سنوات الأولى من الاستعمار الإيطالي	
بنغازي في انتظار العدو	109
إطلال البوارج على مدينة بنغازي	112
معركة جليانة	115
بنغازي تحت الاستعمار الإيطالي	125

الموضوع	الصفحة
معاهدة لوزان	132
الهجوم على معسكر بنينا	137
مجتمع بنغازي والتطورات الجديدة	140
ظهور الطاعون	145
أيام الشدة	148
دور أمساعد والهجوم على مصر	151
الأعيان	167

الفصل الثالث
العشر سنوات الثانية من الاستعمار الإيطالي

برقة في وضعٍ جديد	183
العودة إلى الحرب	192
تجديد مدينة بنغازي	206
العودة للمفاوضات	219
الأعيان	241

الفصل الرابع
العقد الثالث (الأخير) من الاستعمار الإيطالي

المعتقلات وحرب الإبادة	257
احتلال الكفرة	260
أسر عمر المختار واستشهاده	271
حل المعتقلات	277

الموضوع	الصفحة
المتغيرات الجديدة	280
عهد بالبو	285
العشرين ألفاً	294
زيارة موسولينى لليبيا	298
نتائج زيارة موسولينى لليبيا	307
بوادر الحرب	325
إيطاليا والحرب	329
الأعيان	343

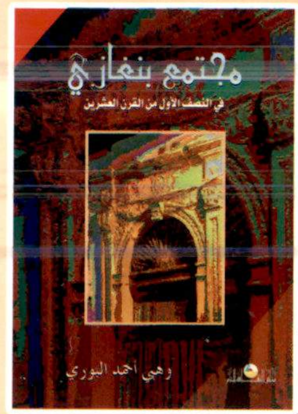
الفصل الخامس

الإدارة البريطانية في برقة

الإدارة البريطانية	361
ليبيا في المحافل الدولية	363
فترة الحكم البريطاني في برقة	369
النشاط السياسي في بنغازي	374
الحكم الذاتي	384
النشاط الدبلوماسي في بنغازي	390
قانون الانتخابات	392
استقلال ليبيا	395
الأعيان	403
المراجع	423

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

تنفيذ الطباعة والتجهيزات الطباعية
دار قباء الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة
جمهورية مصر العربية
16 عمارات العبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر
تليفاكس 02/22621365 - محمول 0123140315
E-mail: modern_qubaa@hotmail.com



■ يقدِّم مجلس الثقافة العام للقارئ الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة ، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً ، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًّا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام

حسن أبو يوسف اللويثي